شَرْح
الصَّحيفة السَّجاديَّة
الجزء الثاني



شَرح
الصَّحيفة السَّجاديَّة
للإمام عليّ بن الحسين ابن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليهم السلام

تأليف

العلّامة السيد مُحمّد حسين الجلالي

تحقيق

السيِّد رحيم الحسيني

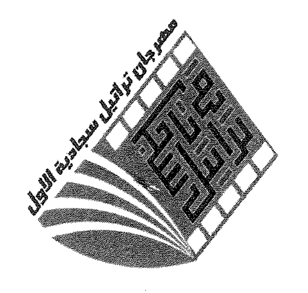
الجزء الثاني

الناشر

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

قسم العلاقات العامة





هوية الكتاب

الكتاب : شرح الصحيفة السجادية – الجرء الثاني

تأليف : العلامة السيد محمد حسين الجلالي

تحقيق : السيد رحيم الحسيني

الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ

الناشر: الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة/ قسم العلاقات العامة

الكمية المطبوعة: ١٠٠٠ نسخة

صف الحروف والإخراج الفني : فاطمة ابي عباس

[الدُّعاءُ السَادِس والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لِجيرَانِهِ وَأَولِيَائِهِ إِذَا ذَكَرَهُم[1]

[١/٢٦ ـ حقوق الجوار]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّنِي فِي جِيْرَانِي وَمَوالِيّ العَارِفِينَ[2] بِحقِّنَا، وَالمُنَابِذِينَ[3] لأَعدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ، وَوَفِّقهُمْ لإِقَامَةِ سُنَّتِكَ[4]، وَالأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ، فِي إِرْفَاقِ ضَعِيْفِهِمْ[5]، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ

---

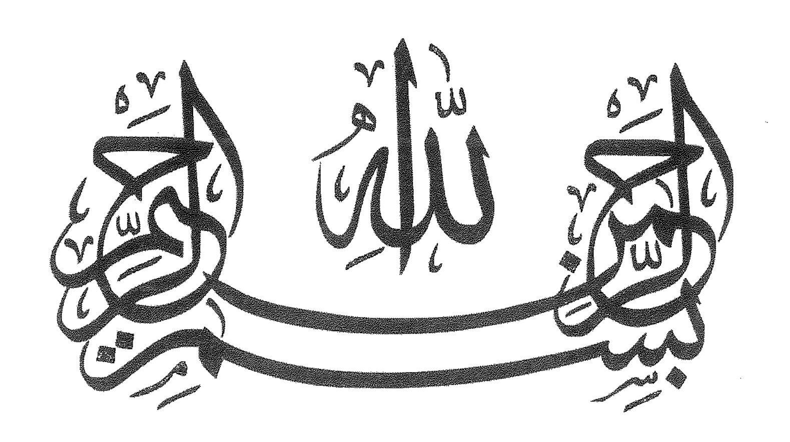
(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٧) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذكر جيرانه»، وفي (ق) (ت) بعنوان: (السادس والعشرون)، وتحته عنوان: «لجيرانه وأوليائه»، وفي (ش) بالرقم (١٨) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام لشيعته وأوليائه»، وورد بعضه بالرقم (١٩) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام للجيران»، ونميّز بين الموردين بذكر رقم الدعاء الى جنب الرمز بين قوسين. وفي (ج) بعنوان: «السادس والعشرون: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لِجِيرَانِهِ وَأَولِيَائِهِ إِذَا ذَكَرَهُم»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٦)، بعنوان: «دُعاؤهُ لجيرانه وأوليائِهِ».

(٢) في (ش ـ ١٨) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صل على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وتَوَلَّنِي فِي شِيعَتِي وأوليائي العارفينَ». وتولّني: أي أعنّي واكفني أُموري.

(٣) في (س): «نبذت الشيء أنبذه: إذا ألقيته من يدك، ونابذه الحرب: أي كاشفه، المكاشف: الّذي لم يداهن. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٢).

(٤) في حاشية (ج) (د): «سننك ـ س»، وفي (ك) (ش ـ ١٩) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ تَوَلَّنِي فِي جِيْرَانِي بإِقَامَةِ سُنَّتِكَ». والسنّة: حكم الله وما شرعهُ للعباد، وإقامة السُنَّة، صيانتها وحفظها عن الزيغ، أي وفّقني وأعنّي على القيام بذلك.

(٥) في (ش ـ ١٨) العبارة هكذا: «والأَخْذِ بِأحسنِ آدَابِكَ، فِي اِرْفَاقِ ضَعِيْفِهِمْ»، وفي حاشية (د) ما نصه: «الإرفاق ـ بكسر الهمزة ـ في أكثر النسخ، وقد ضبط الشارح الوحيد السيد علي خان رحمه الله ذلك، فقال: «الارفاق» إفعال من الرفق بالكسر، وهو لين الجانب ولطافة الفعل. يقال: رفق به ـ من باب قتل ـ رفقا وأرفقه إرفاقاً، أي: لطف به. حكى =


بسم الله الرحمن الرحيم

مَرِيْضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ [وَتَفَقُّدِ غَائِبِهِمْ][١] وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ[٢]، وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُواسَاتِهِمْ بالمَاعُونِ[٣]، والعَوْدِ[٤] عَلَيْهِمْ بالجِدَةِ والإفْضَالِ[٥]، وَإعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤالِ[٦].

= أبو زيد: رفقت به وأرفقته وترفّقت بمعنى. وقال الفارابي في ديوان الأدب: يقال «أرفقه» و«رفق به» بمعنى. وقال ابن الأثير في النهاية: ومنه الحديث: «في إرفاق ضعيفهم وسدّ خلَّتهم»، أي: إيصال الرفق إليهم. وقال السيد باقر العلوم رحمه الله: وما في الاصل أضبط رواية، وهو جمع الرفق بالكسر: لين الجانب وخلاف الضعف». (رياض السالكين ٤: ١٥٥). فالإرفاق: إفعال من الرفق، وهو لين الجانب ولطافة الفعل.

(١) في هامش (س)ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس هكذا: «وتفقد غائبهم». (لوامع الأنوار العرشية ٤: ٩)»، وجعله محقق كتاب حاشية ابن إدريس، نسخة بدل عن عبارة: «وتعهّد قادمهم»، ولكن في (ك) العبارتان وردتا معا هكذا: «وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَتَفَقُّدِ عَائِبِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ»، والعائب: أي المعيوب، وإنما يكون تفقد العائب لإصلاح شأنه ورفع العيب عنه، وَتَعَهُّدِ القَادِمِ بالزيارة والصلة.

(٢) تقدم أن في (ك) العبارة هكذا: «وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَتَفَقُّدِ عَائِبِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيْضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ»، وفي (ش ـ ١٩) العبارة هكذا: «وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيْضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وتفقّدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ»، والعائب: أي المعيوب، وإنما يكون تفقد العائب لإصلاح شأنه ورفع العيب عنه.

(٣) لم ترد في (ش ـ ١٨) عبارة: «وَحُسْنِ مُواسَاتِهِمْ بالمَاعُونِ»، واختلفَ في معنى الماعون، فقيل: هو المعروف كلّه، وقيل: هو اسم جامع لما لا يُمنع عادة، ويسألهُ الفقير والغني في أغلب الأحوال، ولا ينسب سائلهُ إلى اللؤم، بل ينسب مانعهُ إلى اللؤم والبخل كالفأس والقصعة والقدر والملح والنّار. (رياض السالكين ٤: ١٥٨).

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «والعَوْنِ».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «والعَوْد عَليْهِمْ بالجِدَة، والإفْضَالِ عَلَيْهِم بالنَّوالِ»، والإفْضَالِ: الزيادة، والنَّوال: العطاء والنصيب.

(٦) في (ش ـ ١٩) زيادة العبارة التالية: «والجود بالنوال، ياربَّ العالمين»، وبها ينتهي الدعاء في (ش ـ ١٩).

وفي الدرجة الثالثة بعد حقوق الوالدين والأولاد يأتي حقوق الجوار والحقوق المترتبة على الولاء والحب، فأحدهما: جوار جسمي إلى أربعين داراً، والآخر: جوار روحي في المبادئ ومسير التكامل الإنساني.

واستفتح الدعاء بطلب التولّي، أي النصر من الله تعالىٰ، للجيران والموالي أي الأحبّاء ممن يتصف بصفتين:

الأول: معرفة الحق، أي الاعتراف به.

والثاني: نبذ الأعداء، أي مقاطعتهم.

فإذا لم يتصف أحد منهم بهاتين الصفتين فإنه لا يتصف حقيقة بصفة الجوار والولاء، وذلك لأن السبب في الاهتمام بالجار إنما هو الولاء، وليس الولاء إلّا الحب، وهو المقياس في الانتماء إلى أيّ مبدأ في الحياة؛ فإن الاُمم والطوائف والدول انما تحدد المنتسبين إليها بحسب التزامهم بالمبادئ الّتي تقوم عليها تلك الاُمم والطوائف والدول، والولاء لها يكون سبباً في الانتساب إليها؛ ويكون بالوصفين؛ من الاعتراف بالحق ومقاطعة الأعداء، وأي إخلال بهذين الوصفين يوجب انحلال الولاء ولو كان قريباً في الجوار أو النسب، ولهذا السبب يعاقب الخونة مهما كان قربهم في الحسب والنسب.

ثم أشار عليه السلام إلى تفصيل ما يتقوّم به الجوار والولاء وأن المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان المسلم يتقوّم بأمرين:

الأول: إقامة سنة الله، وهي العدل في النفس والأسرة والمجتمع.

الثاني: الأخذ بمحاسن أدب الله، وقد عدد مهامّها كالآتي:

١ ـ (الإرفاق بالضعيف)، أي اللطف به.

٢ ـ (سدّ الخلة)، أي القيام بحاجة الضعيف.

٣ ـ (عيادة المريض) بالزيارة والدعاء له بالشفاء.

٤ ـ (هداية المسترشد) الطالب للحقيقة.

٥ ـ (نصح المستشير) ببيان وجه الصواب.

٦ ـ (تعهّد القادم) بالزيارة والتفقد.

٧ ـ (كتمان السرّ) مما يجب ان يخفى عن الآخرين.

٨ ـ (ستر العورة)، وهي ما ينبغي أن يستره الإنسان حياءً.

٩ ـ (نصرة المظلوم)، باعانته ماديّا ومعنوياً ليصل إلى حقه.

١٠ ـ (حسن المواساة بالماعون)، أي المشاركة بما يتمتّع به الناس عادة، وبما أنّ الفقير غالبا ما يحتاج إلى المال، فيكون المواساة له بالمشاركة معه فيما يحتاجه من المال أو الطعام وما شابه.

١١ ـ (العود بالجدة والإفضال)، فالجدة: هي المال والثروة، والإفضال: هو الزيادة في الشيء؛ والعود بهما: أي الإحسان بهما؛ عطفاً على المحتاجين إليهما.

١٢ ـ (اعطاء ما يجب قبل السؤال)؛ فإن الحقوق الواجبة للفقراء والمحتاجين مسؤولية أساسية مفروضة على من يجب عليه الحق، والمراد في هذا المقطع أن الادب الإسلامي يقتضي الإعطاء قبل السؤال، بمعنى ان يكون المسؤول واعياً لأداء واجبه من دون ان يفتقر إلى التنبيه على ذلك بالسؤال.

فهذه النقاط الاثني عشر من الآداب الإسلامية الأساسية يجب ان تتحكّم في المجتمع الإسلامي، المحدد بالجوار، الذي هو إلى أربعين داراً، وكذا فيمن من يجمعهم الولاء، ومن هذا يتكوّن المجتمع الإسلامي الأكبر، فإن صلاح كل أمّة بصلاح أفرادها.

[٢/٢٦ ـ من واجبات الفرد]:

واجْعَلْنِي ـ أللّهُمَّ ـ أجْزِي بالإحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وأُعرِضُ[١]

---

(١) الإعراض: صرف الوجه والصفح.

بالتَّجَاوُزِ عن ظَالِمِهِمْ[١]، وأسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ[٢]، وأتَوَلَّى[٣] بالبِرِّ عَامَّتَهُمْ[٤]، وأغُضَّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً، وأُلِينُ[٥] جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضُعَاً، وَأَرِقُّ[٦] عَلَى أهْلِ البَلاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وأُسِرَّ لَهُمْ بالغَيْبِ مَوَدَّةً[٧]، وأُحِبُّ بَقاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحَاً، وَأُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَّتِي[٨]، وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أرعَى لِخَاصَّتِي[٩].

وعد في هذا المقطع من واجبات الفرد المسلم تجاه الجار والأحبة ما يأتي:

---

(١) في (ش ـ ١٨) العبارة هكذا: «وأعرض بالتَّجَاوُزِ عن ظَالِمِهِمْ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وأعارض بالتَّجَاوُزِ ظَالِمَهُمْ». والمعارضة: المقابلة.

(٢) كافتهم: جميعهم: أي أحمل أُمورهم أقوالاً كانت أو أفعالاً على مايصحُّ ويحسن شرعاً، عملاً بحسن الظن بهم، وفي (س): «الكافة: الجميع من الناس، يقال: لقيتهم كافة أي كلّهم». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٢).

(٣) والى الشيء موالاة: تابع، والبر: العطف والصلة والاحسان.

(٤) في (ش) (١٨) زيادة: «عَنهُ» هنا.

(٥) في حاشية (ج) (د): «وأَلِين ـ س».

(٦) أي أعطف واتحنَّن. ويدلُّ عليهِ تعديتهُ بعلى، وأهل البلاء: المبتلون بالمكروه.

(٧) في حاشية (د) ما نصه: «أسرّ الحديث: أخفاه وأظهره، ضدّ. قيل: والمراد به هنا الإظهار، أي: أظهر لهم في الغيب مودّة، ولا داعي إليه مع خلافه للظاهر، فالأولى أن يراد به الإخفاء والكتمان. والغيب: مصدر بمعنى الغيبة. والباء: للملابسة، متعلّقة بمحذوف وقع حالاً من الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾. (سورة الأنبياء ٢١: ٤٩)، وقوله تعالى: ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (سورة يوسف ١٢: ٥٢)، أي: أخفي وأكتم لهم المودّة ملتبسا بالغيب عنهم، أي: غائبا عنهم، لا كالمنافق الذي إذا لقي أصحابه أظهر لهم المودّة، وإذا غاب عنهم لم يكن في سرّه شيء منها. ويحتمل أن يكون المراد بالغيب: القلب، لأنّه مستور، كما فسّر به بعضهم قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾. (سورة البقرة ٢: ٣) أي: يؤمنون بقلوبهم. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤: ١٦٨).

(٨) حامة الرجل: خاصته من أهلِهِ وولدِهِ، واشتقاقهِ من حمَّ: أي قرب ودنا.

(٩) لم ترد في (ش ـ ١٨) عبارة: «وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أرعَى لِخَاصَّتي»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَأَرْعَى لَهُمْ مَا رَعَيتُ لِخَاصَّتي».

١ ـ الإحسان، وليس فقط إلى من يستحقه، بل حتى إلى المسيئ كي ينتبه إلى خطئه فيقلع عن الإساءة.

٢ ـ التجاوز، أي العفو عن الظالم، كي يكفّ عن الظلم.

٣ ـ حسن الظن بالكافّة، من المحسن والمسيئ والمظلوم والظالم؛ فإنه يولد حسن الظن من الآخرين، ويستلزم ذلك عدم العقوبة إلّا مع اليقين، ولا يستلزم حسن الظن الانقياد والانخداع وان تصوّره الظالم كذلك.

٤ ـ البر، وهو العطف لعامّة الناس؛ فإن الخير لا ينتج إلّا الخير.

٥ ـ العفّة، أي الكف عمّا لا يحل، وغضّ البصر كناية عن عدم تتبّع العثرات، فإنه شغل من لا شغل له.

٦ ـ التواضع، وهو خلاف التكبّر، بلين الجانب، وهو كناية عن الرفق والعطف.

٧ ـ الرحمة، وخاصة لأهل البلاء والامتحان؛ فإنهم أحق بها، والراحمون في الأرض يرحمهم الرحمن.

٨ ـ المودة، وتظهر حقيقة المودة في النصح بظهر الغيب.

٩ ـ النصح، وهو يوجب بقاء النعمة، ويستلزم تخليص العمل من شوائب الفساد.

١٠ ـ الالتزام بالواجبات بالنسبة إلى كل أفراد المجتمع بنفس الدرجة من الالتزام بالنسبة إلى الخاصّة، أي خاصة الإنسان من الأهل والولد والأقارب، والنظر إلى الجميع بعين واحدة في أداء الواجب العام.

١١ ـ الرعاية، بأن تكون عناية الإنسان المسلم شاملة لكافة افراد المجتمع الإسلامي المصغّر على مستوى الواجب العام، بنفس الدرجة من الرعاية بالخاصة من الأهل والأقارب.

ولا يخفى أنّ في الرعاية زيادة على الالتزام بالواجب؛ لأنها عناية زائدة على الالتزام.

وهذه النقاط تحدد أهمّ واجبات الفرد تجاه المجتمع الإسلامي المصغّر الذي يعيش فيه الإنسان، وبصلاحه يكون صلاح المجتمع الإسلامي ككل.

[٣/٢٦ ـ من واجبات الجار]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١] وارْزُقْنِي مِثْلَ ذلِكَ مِنْهُمْ، واجْعَلْ لِي أَوْفَى[٢] الحُظُوظِ فِيمَا عِنْدَهُمْ[٣]، وَزِدْهُم بَصِيرَةً فِي حَقِّي وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي[٤]، حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وأسْعَدَ[٥] بِهِمْ، آمِّينَ رَبَّ العَالَمِينَ[٦].

وهذه الواجبات تعمّ كل فرد من أفراد المجتمع المصغّر الذي ترتبط فيما بينها برابطة الجوار والولاء، فيجب ان يكون لهم الدور المماثل بالنسبة إلى ذلك الفرد. وواجبات الفرد المتقوم بالنقاط المذكورة مع زيادة ما يأتي:

١٢ ـ جعل أوفى الحظوظ للداعي ممّا عند الآخرين من افراد هذا المجتمع المصغر، باعتباره المبتدئ بهذه الخطوة المباركة في أداء حقوق الجوار والولاء، والفضل لمن سبق ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ* أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[٧].

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله».

(٢) في (ت) العبارة هكذا: «أوفر».

(٣) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «واجْعَلْ لِي أَوْفَر الحُظُوظِ ممَّا عِنْدَهُم»، ولم ترد في (ش ـ ١٨) عبارة: «واجْعَلْ لِي أَوْفَى الحُظُوظِ فِيمَا عِنْدَهُم».

(٤) لم ترد في (ش ـ ١٨) عبارة: «وَزِدْهُم بَصِيرَةً فِي حَقِّي وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي».

(٥) في حاشية (ج): «أسعدَ، أسعدُ ـ معا».

(٦) في (ش ـ ١٨) العبارة هكذا: «حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وأَسْعَدَ بِهِمْ، يا ربَّ العَالَمِينَ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وأَسْعَدَ بِهِمْ، يآ إلهَ العَالَمِينَ»، وفي حاشية (د) ما نصه: «قال بعضهم: أمّا سعادتهم به عليه السّلام فظاهرة، وأمّا سعادته عليه السّلام بهم، فهي إمّا سعادة دنيويّة، باعتبار أنّهم متى اعتقدوا إمامته قاموا بخدمته ومنفعته في الدنيا، وإمّا سعادة اخرويّة، وذلك لأنّه يهديهم ويدعو لهم وينفعهم ويشفع لهم، وكلّ ذلك سبب لرفع الدرجات في الآخرة. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤ : ١٧٢).

(٧) القرآن الكريم، سورة الواقعة ٥٦ : ١٠ ـ ١١.

١٣ ـ زيادة البصيرة، فإن للمعرفة درجات، كما أن للحقوق درجات، ويتحقق أداء الحق بمعرفة أدناها، وكلما زادت البصيرة والمعرفة تأكّدت المسؤولية حسب درجات البصيرة، ومعرفة كل ذي فضل القدر حسب فضله.

وقد ختم الدعاء بما هو الغرض المطلوب من الدعاء، وهو سعادة المجتمع بسعادة افراده، وهذه السعادة انما تتحقق بالبصيرة والمعرفة للمبادئ والمسير والهدف.

فإذا كان الهدف هو سعادة المجتمع ككل، والمبادي هي القرآن والسنة، وطبيعي أنه لا يمكن الوصول من المبادئ إلى الهدف إلّا بمعرفة أصحاب الفضل والحق من المجتمع، الذين يقومون بدور قيادي لتطبيق تلك المبادئ، فيجب تقدير دورهم بالالتزام بقيادتهم لتحقيق الأهداف.

[الدُّعاءُ السابِع والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأهْلِ الثُّغُورِ[1]

[١/٢٧ ـ حقّ الخمس]:

[أللّهُمَّ ألْهِمْ أهْلَ الثُّغُورِ عِلْمَ مَا لَنَا مِنَ الحَقِّ فِي خُمْسِ الغَنَائِمِ الَّذي يَغْنَمُونَهُ، فإنَّ ذَلِكَ عِوَضٌ مِمَّا حَرَّمْتَهُ عَلَيْنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكَ مِنَ الصَّدَقَةِ الَّتي هِيَ غُسَالاتٌ لِذُنُوبِ النَّاسِ؛ تَنْزِيْهاً مِنْكَ لِنَبِيِّكَ وآلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَوَلْدِهِ وَعِتْرَتِهِ، وَمَا عَلَى مَانِعِنَا إيَّاهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَمِنْ عَظِيْمِ الحَوْبِ[2]، وانْتِقَامِكَ مِمَّنْ ظَلَمْنَاهُ عَاجِلاً وآجِلاً][3].

هذا المقطع مما اختص بروايته ابن مالك، ولم يرد في سائر نسخ الصحيفة.

ويتضمن بيان وجوب الخمس، وكونه عوضاً عن الصدقة الّتي هي أوساخ ذنوب الناس، وانّ علّة الوجوب تنزيه ذرية الرسول من الزكاة التي حرمت على

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٨) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأهل الثّغور والحُصُونِ»، وفي (ش) بالرقم (٢٠) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأهل الثّغور»، وفي (ق) (ت) بعنوان: (السابع والعشرون) وتحته عنوان: «لأهل الثّغور»، وفي هامش (ت) مانصه: «هذا باب السابع والعشرون»، وفي (ج) بعنوان: «السابع والعشرون وكان من دُعائِهِ عليه السلام لأهل الثّغور»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٧)، بعنوان: «دُعاؤهُ لأهل الثغورِ».

(٢) الحوب: الإثم.

(٣) المقطع الأوّل من هذا الدعاء إلى هنا، ورد في (ك) فقط، وهذا المقطع مما اختص بروايته ابن مالك، ولم يرد في سائر النسخ.

ذرية النبي صلى الله عليه وآله لأنها غسالات الذنوب، وفي المقطع أيضا بيان عقوبة المانع للخمس[١].

(١) و«الخمس»: اسم لحق يجب في المال يستحقه بنو هاشم. وأصحابنا الإمامية عمموا موضعها بأنه جميع ما يستفاد من أرباح التجارات، والزراعات، والصناعات زائداً عن مؤنة السنة، والكنوز، والمعادن، والغوص والحلال المختلط بالحرام مما لا يتميز الحلال فيه ولا القدر من الحرام، وأرض الذمي إذا اشتراها من مسلم وما يغنم من دار الحرب. وعند فقهاء العامة: الغنيمة ما أخذ من دار الحرب لا غير.
وعليه فيجب الخمس في سبعة أشياء:
الأول: غنائم دار الحرب، مما حواه العسكر وما لم يحوه من أرض وغيرها، ما لم يكن غصبا من مسلم أو معاهد، قليلاً كان أو كثيراً.
الثاني: المعادن، سواء كانت منطبعة كالذهب والفضة والرصاص، أو غير منطبعة كالياقوت والزبرجد والكحل، أو مائعة كالقير والنفط والكبريت. ويجب فيه الخمس بعد المؤنة، وقيل: لا يجب حتى يبلغ عشرين ديناراً، وهو المروي.
الثالث: الكنوز، وهو كل مال مذخور تحت الأرض، فإن بلغ عشرين دينارا وكان في أرض دار الحرب أو دار الاسلام وليس عليه أثره وجب الخمس. ولو وجده في ملك مبتاع عرفه البائع. فإن عرفه فهو أحق به. وإن جهله فهو للمشتري وعليه الخمس. وكذا لو اشترى دابة ووجد في جوفها شيئاً له قيمة. ولو ابتاع سمكة فوجد في جوفها شيئا أخرج خمسه، وكان له الباقي، ولا يعرف. تفريع: إذا وجد كنزاً في أرض موات من دار الاسلام، فإن لم يكن عليه سكة أو كان عليه سكة عادية أخرج خمسه وكان له الباقي. وإن كان عليه سكة الإسلام، قيل: يعرف كاللقطة، وقيل: يملكه الواجد وعليه الخمس، والأول أشبه.
الرابع: كل ما يخرج من البحر بالغوص، كالجواهر والدرر، بشرط أن تبلغ قيمته دينارا فصاعدا، ولو أخذ منه شيء من غير غوص لم يجب الخمس فيه. واما العنبر فإن أخرج بالغوص روعي فيه مقدار دينار، وإن جني من وجه الماء أو من الساحل كان له حكم المعادن.
الخامس: ما يفضل عن مؤنة السنة له ولعياله من أرباح التجارات والصناعات والزراعات.
السادس: إذا اشترى الذمي أرضا من مسلم وجب فيها الخمس، سواء كانت مما فيه الخمس كالأرض المفتوحة عنوة، أوليس فيه كالأرض التي أسلم عليها أهلها.
السابع: الحلال إذا اختلط بالحرام ولا يتميز وجب فيه الخمس.
والأصل في وجوب الخمس في جميع ما يستفيده الانسان ويكتسبه ويغنمه: الآية الشريفة، والأخبار. أما الآية، فقوله سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ =

= وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية (القرآن الكريم، سورة الأنفال ٨: ٤١). فإن الغنيمة في أصل اللغة: الفائدة المكتسبة، صرح به في مجمع البحرين وغيره من أهل اللغة، وليس هناك ما يخالفه ويوجب العدول عنه، بل المتحقق ما يثبته ويوافقه من العرف وكلام الفقهاء والأخبار.
فنص في البيان على شمول الغنيمة للأقسام السبعة المشهورة (البيان: ٣٤١)، بل في الخلاف دعوى إجماعنا على أن ما يستفيده الانسان من أرباح التجارات والمكاسب والصنائع يدخل في الغنيمة (الخلاف ٢: ١١٨). وفي رواية حكيم: عن قول الله ؛تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ إلى أن قال: (هي والله الإفادة يوما بيوم، إلا أن أبي جعل شيعته في حل لتزكيهم). (الكافي ١: ٥٤٤، ح١٠، التهذيب ٤: ١٢١، ح٣٤٤، الاستبصار ٢: ٥٤، ح١٧٩ الوسائل ٩: ٥٤٦ أبواب الأنفال وما يختص بالإمام، ب٤، ح٨٤). وفي صحيحة علي بن مهزيار الطويلة: (فأما الغنائم والفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ الآية، فالغنائم والفوائد ـ يرحمك الله ـ فهي الغنيمة يغنمها المرء، والفائدة يفيدها...) الحديث. (التهذيب ٤: ١٤١، ح٣٩٨، الاستبصار ٢: ٦٠، ح١٩٨، الوسائل ٩: ٥٠١، أبواب ما يجب فيه الخمس، ب ٨، ح٥). وفي الرضوي: «وقال جل وعلا: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ الآية، فتطوّل بذلك علينا امتنانا منه ورحمة ـ إلى أن قال: ـ وكل ما أفاده الناس فهو غنيمة، لا فرق بين الكنوز والمعادن والغوص ومال الفيء الذي لم يختلف فيه وما ادعي فيه الرخصة، وهو ربح التجارة وغلة الضيعة وسائر الفوائد من المكاسب والصناعات والمواريث وغيرها، لأن الجميع غنيمة وفائدة». (فقه الرضا: ٢٩٣).
وأما ما في بعض الأخبار ـ بعد بيان خمس الغنيمة ـ من أنه يقسم الأربعة أخماس الباقية بعد خمس الغنيمة بين من قاتل عليه. (التهذيب ٤: ١٢٨، ح٣٦٥، الاستبصار ٢: ٥٦، ح١٨٦، الوسائل ٩: ٤٨٣، أبواب قسمة الخمس، ب ١، ح٣)، حيث إن الظاهر منه تلازم الغنيمة والمقاتلة. فلا ينافي ما ذكر، إذ لا دلالة فيها على أن المراد بالغنائم في الآية ذلك، غايته الاستعمال، وهو أعم من الحقيقة، مع أنه لا يتعين التجوز فيها أيضا، لاحتمال التخصيص، أي أربعة أخماس بعض الغنائم. ومما ذكر يظهر لك ما في المدارك والذخيرة من النظر في دلالة الآية، حيث إن المتبادر من الغنيمة: ما يؤخذ من دار الحرب، ويدل عليه سوق الآية، فإن التبادر حال نزول الآية ـ بل في الآن أيضا ـ ممنوع. نعم، لاتفاق أكثر العامة على تخصيص الخمس بغنائم دار الحرب اشتهر ذلك بينهم، وبنى عليه مفسروهم، فتوهم التبادر. وورود الآية في الحرب لا يدل على التخصيص.
وأما الأخبار فكثيرة، منها: الأخبار الثلاثة المتقدمة. وموثقة سماعة: عن الخمس فقال: (في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير) (الكافي ١: ٥٤٥، ح١١، الوسائل ٩: ٥٠٣، أبواب ما يجب فيه الخمس، ب ٨، ح٦). ورواية ابن سنان: (على كل امرئ غنم أو =

[٢/٢٧ ـ أُسس النصر]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(١) حَصِّنْ ثُغُورَ(٢) المُسْلِمِيْنَ بِعزَّتِكَ، وأَيِّدْ حُمَاتَهَا(٣) بِقُوَّتِكَ، وأَسْبِغْ(٤) عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ.

استفتح عليه السلام الدعاء بثلاثة امور اساسية في الثغور، وهي الحدود الملاصقة لبلاد الكفر، حيث لا يمكن للمسلمين أيّ نصر إلّا بهذه الأمور الثلاثة في سلسلة مترابطة هي:

١ ـ تحصين الثغور، أي حفظ حدود المسلمين، وهذا لا يتحقق إلّا بالامر الذي يليه، وهو:

= اكتسب الخمس مما أصاب لفاطمة ولمن يلي أمرها من بعدها من ذريتها الحجج على الناس، فذلك لهم خاصة، يضعونه حيث شاؤوا، وحرم عليهم الصدقة، حتى الخياط يخيط قميصاً بخمسة دوانيق فلنا منه دانق، إلا من أحللناه من شيعتنا، لتطيب لهم به الولادة) (التهذيب ٤: ١٢٢، ح٣٤٨، الاستبصار ٢: ٥٥، ح١٨٠، الوسائل ٩: ٥٠٣، أبواب ما يجب فيه الخمس، ب ٨، ح٨). ومرسلة حماد الطويلة، وفيها: (الخمس من خمسة أشياء: من الغنائم، والغوص، ومن الكنوز، ومن المعادن، والملاحة) الحديث (الكافي ١: ٥٣٩، ح٤، الوسائل ٩: ٤٨٧، أبواب ما يجب فيه الخمس، ب ٢، ح٤)، إلى غير ذلك من الاخبار المستفيضة (الوسائل ٩: ٤٩٩، أبواب ما يجب فيه الخمس، ب ٨).

ولا معارض لها يوجب الوهن فيها سوى بعض ما ظاهره حصر الخمس في أمور خاصة، ولكن منها الغنائم الشاملة لجميع الفوائد. (راجع: مستند الشيعة، للمحقق النراقي، ج١٠، ص ٩ ـ ١١).

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله و».

(٢) في (س): «الثغر: موضع (المخافة) من فروج البلدان. الّذي يخاف مجيء العدو منها. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٦).

(٣) في (س): «حميته حماية: إذا دفعت عنه. واسم الفاعل محامي، وجمع حامي: حماة». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٦).

(٤) في (س): «شيء سابغ: أي كامل وافٍ، وسبغت النعمة تسبُغ ـ بالضم ـ سبوغاً: اتسعت، وأسبغ الله عليه النعمة: أي أتمّها، وإسباغ الوضوء، أي إتمامه». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧)، وأسبغ: اقض وتَمّم، والجدة: الثروة والغنى.

٢ ـ حفظ حماة الحصون من الجنود والقواد والمساهمين المرابطين على الثغور، وهم انما يتمكّنون من أداء دورهم بما يلي:

٣ ـ عطايا كافية لأداء واجباتهم في الحصانة واستمرار حياتهم لأداء الدور المطلوب منهم، فالعطاء سبب مادي لتواجد الحماة في الثغور، وهم سبب مادي لحصانة ثغور المسلمين.

ولكن أيّاً من ذلك لا يحقّق إلّا النصر المادي، والإسلام في ثقافته ورسالته ليس دينا مادياً، بل صاحب رسالة روحية يستخدم المادة في سبيلها، فلابد وان تكون هذه الأمور الثلاثة مؤيّدة بارادة الله سبحانه بعزّته الّتي لا تفوقها عزّة، وقوّته تعالى الّتي لا قوّة فوقها، وان تكون العطايا من جدته، أي غناه الّتي لا تنضب وبذلك تؤدي هذه الأمور دورها المطلوب في رسالة الإسلام.

[٣/٢٧ ـ وسائل الحماة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] كَثِّرْ عِدَّتَهُم[٢]، وَأَشْحَذْ[٣] أَسْلِحَتَهُمْ، وأَحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ[٤]، وأَمْنَعْ حَوْمَتَهُمْ[٥]، وأَلِّفْ

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله، و».

(٢) في (ك): «وكَثِّرْ عَدَدَهُم، وَوَفِّرْ مَدَدَهُمْ».

(٣) في (س): «شحذت السكين أشحذه شحذاً: أي حددته، والمشحذ المسنّ». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧)، وفي حاشية (ج): «قال الجوهري في الصحاح: المشحذ: المسنّن». (راجع: الصحاح ٥: ١٩١٣)، وقال ابن منظور: شحَذ السكينَ والسيفَ ونحوهما يَشْحَذُه شَحْذاً: أَحَدَّه بالمِسَنِّ وغيره مما يُخرج حَدَّه، فهو شحيذ ومشحوذ؛ وأَنشد: يَشْحَذُ لَحْيَيْه بِنابٍ أَعْصَلِ. والمِشْحَذُ: المِسَنُّ. (لسان العرب٣: ٤٩٣). وقال أحمد بن فارس بن زكريا: الشين والحاء والذال أصل واحد يدل على خفة وحدة، من ذلك شحذت الحديد: إذا حددته. ويقال: إن المشاحيذ رؤوس الجبال، وإنما سميت بذلك للحدة التي ذكرناها». (معجم مقاييس اللغة ٣: ٢٥٠).

(٤) في (ق): «وأحرز حوزتَهُمْ»، وفي حاشية (ج): «أي معظمهم»، وفي (س): «الحوزة: الناحية، وحوزة المُلك: بيضته». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧)، والحرز: الحفظ، والحوزة: الحدّ والناحية.

(٥) في (ش) (ق): «وامنع حرمتهم»، وفي حاشية (ج) أيضا: «أي معظمهم»، وفي (س): =

جَمْعَهُمْ[١]، وَدَبِّرْ[٢] أمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ[٣] بَيْنَ مِيَرِهِمْ[٤]، وتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ[٥]، وَأَعْضُدْهُمْ بالنَّصْرِ، وَأعِنْهُمْ بالصَّبْرِ، والْطُفْ لَهُمْ فِي المَكْرِ[٦].

والجيش المحارب يفتقر إلى الوسائل المتكافئة مع أسلحة العدو لأداء دوره في الحرب، وقد أشار هذا المقطع إلى المهمّ منها، وهي:

١ ـ العدة، أي الجماعة بالعدد الكافي والكثرة الفائقة.

٢ ـ السلاح الشاحذ، أي الحاد، ويختلف حسب الظروف والأحوال والأماكن.

٣ ـ الحراسة للحوزة، أي الناحية، بما يجعل المسلمين في حمىً من شرّ الأعداء.

= «حام الطير وغيره حول الشيء، يحوم حوماً وحوماناً: أي دار، وحومة القتال: معظمه، وكذلك منه: الماء والرحل وغيره». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧)، وحومة القتال: معظمه أو أشد موضع فيهِ.

(١) في (س): «ألّفت بين الشيئين تألفاً وتأليفاً فتألفا وأتَلَفا: إذا تحابّا بعد المنافرة. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧).

(٢) وفي (س): «التدبير في الأمر: أن تنظر ما تؤول إليه عاقبته، فتفعله على وجه لا يلحقه الفساد. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧).

(٣) في (س): «المواترة: المُتابعة، ولا تكون إلّا إذا وقعت بينهما فترة، وإلّا فهي مداركة ومواصلة». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٧)، وواتر: تابع.

(٤) في (ك): العبارة هكذا: «وَوَاتِرْ بَيْنَ فُتُوحِهِمْ، وَظَاهِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ»، وفي (س): «الميرة: الطعام يمتاره الإنسان، وقد مار لأهله يميرهم ميراً (إذا أتاهم بالميرة)، ومنه قولهم: ما عنده خير ولا مير». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨)، وفي حاشية (ج): «أي طعامهم»، والمير: جمع ميرة، وهي الطعام يمتارهُ الإنسان ويحمله من بلد إلى بلد.

(٥) في (ش): «قوتهم»، والمؤن: جمع مؤنة: أي الثقل.

(٦) وفي (س): «اللطف في العمل: الرفق فيه، واللطف من الله تعالى التوفيق والعصمة». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨)، أي أوقع اللطف لهم في مكرهم بعدوِّهم حتى لا يفطن العدو بمكرهم، لدقتهِ ولطافتهِ.

٤ ـ منع الحومة، وهي أهم موضع يمكن ان يصل إليه جيش العدو.

٥ ـ وحدة الكلمة، بأن يأتلف الجمع مع الجيش المحارب على وحدة الهدف.

٦ ـ تدبير الأمور بالحكمة والتخطيط المناسب، والله هو المؤيّد للمدافعين عن الحق في الأمور كلها.

٧ ـ تتابع الطعام، والتواتر: هو التتابع من دون انقطاع، والميرة: الطعام، لأنه إذا انقطع الطعام لم يتمكن الجيش من الاستمرار في المقاومة.

٨ ـ كفاية المؤن، أي ما يحتاج إليه الجيش من ادوات الحرب اللازمة، والله تعالى وحده القادر على ذلك وهو على كل شيء قدير.

٩ ـ النصر، ولا يكون إلّا بارادة الله تعالى.

١٠ ـ الصبر، فإن من صَبر ظفر، والحرب لا يتحقق إلّا بالصبر على المكاره الّتي يواجهها المدافعون عن الحق بروح النصر.

١١ ـ اللطف في المكر، وهو إيصال المكروه إلى العدو من حيث لا يشعر؛ فإن الحرب خدعة، ومعنى اللطف لهم في المكر ـ كما في الشرح ـ: أي «أوقع لهم في مكرهم بعدوّهم حتى لا يفطن العدوّ لمكرهم لدقته ولطفه عن العقل والفهم»[(١)].

وهذه الوسائل يفتقر إليها كل جيش محارب، والفرق بين الجهاد الإسلامي وغيره من الحروب فارق واحد، وهو ان جيش الكفر ينظر إليها بنظرة ماديّة مجردة، والإسلام يعتمد عليها مع الاعتماد على قدرة الله سبحانه، فيكون النصر للجيش العقائدي الذي يستخدم المادة لتحقيق العدالة.

[٤/٢٧ ـ وسائل روحية للحماة]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[(٢)]عَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ.

---

(١) رياض السالكين ٤: ١٨٩.

(٢) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله و».

وقد خص في هذا المقطع الوسائل الروحية من التعبئة المعنوية الّتي يفتقر إليها المحارب المسلم، وأهمها ثلاث:

١ ـ المعرفة بفنون الحرب في الساحة الّتي يحاربون فيها مما يجهلونه من خطط العدّو وأساليبه.

٢ ـ العلم بما لا يعلمون من نقاط القوّة والضعف في أنفسهم وفي عدوهم بدراسة التاريخ.

٣ ـ البصيرة لواقع الحال الذي يعيش فيه كل من الجيشين المتحاربين حتى يتمكن من البناء للمستقبل؛ فإن المحاسبات الرياضية الماديّة المجردة لا تكفي في النصر، بل النصر لا يكون الا بعون الله تعالى، و﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] كما يشهد به التاريخ الإسلامي لمن درسه بتعمّق.

[٥/٢٧ ـ عند لقاء العدوّ]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ[2] عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَأمْحُ[3] عَنْ قُلُوبِهِم خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ[4]، وَأجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ أعْيُنِهِم، وَلَوِّحْ مِنْهَا لأبْصَارهم مَا أعْدَدْتَ فِيْهَا[5] مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ، وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَالْحُورِ الْحِسَانِ، وَالأنْهَارِ الْمُطَّرَدَةِ[6] بِأنْوَاعِ الأشْرِبَةِ، وَالأشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٤٩.

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «اللهمّ وَأنسِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «اللهمّ أنسهم».

(٣) في (ش): «وأنف».

(٤) الفتون: الكثير الفتنة.

(٥) أي لوّح وأظهر لأبصارهم من الجنة ما هيّأتَهُ لهم فيها.

(٦) وفي (س): «اطّرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى، وتطّرد الأنهار: جريانها». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨)، وفي حاشية (ج): «أي المتتابعة»، والمطَّرَدة: من اطرد الشيء: إذا تبع بعضه بعضاً.

بِصُنُوفِ الثَّمَرِ، حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُم بالإدْبَارِ(١)، وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ(٢) بِفِرَارٍ.

ولقاء العدوّ في ساحة الحرب يستلزم التوازن في مواجهة خيارين: ما يشجّع على اللقاء، وما يثبّط العزم. وهذان الخياران موجودان في كل ساحة حرب بلا استثناء؛ لأنه طبيعي في ميدان المعركة، والفرق بين الجهاد الإسلامي وغيره من الحروب: ان في الحروب عادة يكون بين الخيارين على اساس المقاييس الماديّة، فممّا يشجع على اللقاء هو أمر ماديّ ينبع عن منافع شخصية، وما ترثه العائلة من تلك المنافع، وما يثبط العزم أيضاً مادّي يرجع إلى حب السلامة.

وهذا بخلاف الجهاد الإسلامي، فإنه ليس كذلك، بل المجاهد يواجه خيارين يختلفان في الطبيعة عمّا سبق.

الخيار الأول: الدنيا الماديّة والمنافع الشخصية، وهي مظاهر خداعة بطبعها؛ لأن المنافع الماديّة لا تدوم، وهي الغرور؛ لأنها تغر من لا عبرة له بالتاريخ وماضي المنخدعين بالوعود الدنيوية؛ فإن كل المنافع الماديّة تنبع من المال الّتي تفتن العقول؛ وإذا خلص المجاهد قلبه من خطرات المال؛ زال عنه حب الدنيا والوعود الكاذبة المترتبة عليها.

والخيار الثاني: النصر الروحي، وهذا لا يلتقي مع الخيار الأول في شيء، وقد شرح الإمام عليه السلام من آثار النصر الروحي: الفوز بالجنة، ووصف ذلك بأنه:

١ ـ مساكن الخلد؛ لأنها حياة خالدة وليست زائلة بالموت.

٢ ـ منازل الكرامة، الّتي يكتسبها المجاهد بالدفاع عن حقوقه المقدسة.

٣ ـ الحور الحسان، دون نساء الدنيا اللاتي مصيرهنّ الفناء.

---

(١) في (ك) (ش): «بإدبار».

(٢) في (ت): «ولا يحيد عن قرنه»، وفي (ش): «ولا يُحدِث نفسه عن قرنه»، وفي (س): «القِرن ـ بالكسر ـ: كفؤك في الشجاعة». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨).

٤ ـ الأنهار المطّردة بأنواع الأشربة، دون ما في الدنيا مما يفنى.

٥ ـ الاشجار المثمرة باستمرار، بخلاف الاشجار في الدنيا الّتي يتوقّف ثمرها على فصول محدودة.

وهذه الصفات إنما هي لُامور روحية لا فناء لها، بينما ان ما في الدنيا اُمور فانية تنتهي بانتهاء أمدها.

والمجاهد بحسب طبيعته العقائدية لا يختار الّا الخيار الروحي الذي دعاه إلى سلوك طريق الجهاد منذ البداية.

وبالنتيجة: لو عرف وآمن المجاهد بهذه النتيجة الروحية لا يمكن أن يهمّ بالفرار من اللقاء أو يفكر بالوقوع في الأسر ثم القضاء عليه روحيّاً، فلا يمكن لمن له علم بالتاريخ أن يحدّث نفسه بالفرار، والهروب عن صاحب له أو قرين ومثل له في الشجاعة؛ لعلمه بنتائج الأسر في الحرب.

[٦/٢٧ ـ ضعف العدوّ]:

أللّهُمَّ أفْلُلْ[(١)] بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَأقْلِمْ عَنْهُمْ أظْفَارَهُمْ[(٢)]، وَفَرِّقْ[(٣)] بَيْنَهُم وبَيْنَ أسْلِحَتِهِمْ، واخْلَعْ وَثَائِقَ أفئِدَتِهِمْ[(٤)]، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أزْوِدَتِهِمْ[(٥)]، وَحيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ[(٦)]، وَضَلِّلْهُمْ عن

---

(١) في (ت): «أقلل»، وفي (ش): «وافلل»، وفي حاشية (ج) (د): «وافلل، وأُفلل ـ معا»، وأفلل: أهزِم واكسر.

(٢) في (ق) (ت): «وأقلم أظفارهم عنهم»، وهذهِ كناية عن الطلب من الله أن يضعفهم.

(٣) لم ترد في (ت): «وفرّق».

(٤) في (س): «الوثيق: الشيء المحكم، والجمع: وِثاق». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨)، أي انزع منهم ما وثقت به قلوبهم، حتّى لايعتمدوا عليه في البأس.

(٥) لم ترد في (ق): «وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أزْوِدَتِهِمْ»، والأزودة: جمع زاد، وهو طعام المسافر الذي يتّخذ للسفر.

(٦) في حاشية (ج) (د): «سبيلهم ـ س».

وَجْهِهِمْ[(١)] وأقْطَعْ عنْهُمُ المَدَدَ، وأنْقُصْ مِنْهُمُ العَدَدَ، وأمْلأ أفئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ[(٢)]، وأقْبِضْ أيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ، وأخْزِمْ[(٣)] ألْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ[(٤)]، وَنَكِّلْ[(٥)] بِهِمْ مَنْ وَرآءَهُمْ، واقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ[(٦)] أطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

ولقاء المجاهد العدوّ بعزم وإيمان يستلزم ضعف العدو؛ لأن ذلك اللقاء ينبع عن إيمان غير موجود في العدو؛ لأنّه يتحرك على ثوابت ماديّة بحتة، ويفتقر إلى الروح المعنوية التي يتمتع بها المجاهد. حيث ان الثوابت الماديّة للعدوّ معروفة، ففي هذا المقطع سؤال من الله لكي يعطل آثارها، وقد عدّد منها:

١ ـ الهزيمة، وفلّ العدوّ: انهزامه من الساحة بسبب صمود المؤمنين عند اللقاء.

٢ ـ عدم الاستفادة من الأسلحة، بتعطيلها أو التفريق بينها وبين من يستخدمها، فإن تعطيلها أو التفريق بينها وبين من يستخدمها أول مراتب الهزيمة.

٣ ـ خلع الثقة بالنفس، فإن خلعها من قلب العدو يوجب الفشل لهم.

٤ ـ بُعْد مصدر الزاد، فإن قطع الزاد عنهم يثبط فيهم روح المقاومة.

٥ ـ الحيرة في سبلهم، وهي الطرق، فإنها تفتّ العزيمة.

٦ ـ عدم معرفة الهدف، فإن الضلالة عن وجههم وهدفهم سبب من أسباب النصر عليهم.

---

(١) في (ك): «فِي وِجهَتِهِم»، وفي (ش) (ق) (ت): «عن وِجهَتِهِم».

(٢) في (ك): «من الرعبِ»، فما في المتن منصوب بنزع الخافض. وفي (س): «الفؤاد: القلب، والجمع: الأفئدة». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨).

(٣) في (ت): «وأحرم»، وفي (ك) (ش) (ق): «وأخرس».

(٤) في (س): «التشريد: الطرد والتفريق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ (سورة الأنفال ٨: ٥٧)، أي فرّق وبدّد جمعهم». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٨).

(٥) نَكِّل: أي جَبِّن وأخِّر وامنع. أو اجعلهُم نكالاً وعبرةً لمن وراءهم.

(٦) في (ت): «بحيرتهم»، وفي حاشية (ج) (د): «بخبرهم ـ س».

٧ ـ قطع المدد من المعونات العسكرية الّتي يفتقرون إليها مما يمدهم في الحرب.

٨ ـ نقص العدد، فإن الكثرة العددية مقياس مادي للغلبة.

٩ ـ إلقاء الرعب في القلوب، فهو يسبب الهزيمة في الساحة.

١٠ ـ قبض اليد، بأن تشتغل ايديهم بأمور جانبية.

١١ ـ خزم الالسن، والخزم: الشد في الثقب، بحيث لا تصدر منهم أوامر صائبة.

١٢ ـ التفرقة في صفوفهم، بأن ينهزم مَن في خلف عسكر العدو فيؤثّر على معنويات الجيش كلّه.

١٣ ـ العقوبة على من يساعدهم ومن يكون وراء مقاصدهم، والنكال: العقوبة.

١٤ ـ الخزي والهوان في الحرب، بحيث يصبح العدو عبرة للاجيال القادمة من بعدهم.

ونقاط الضعف المذكورة انما تنشأ من الغرور بالتفوّق المادي الموجب لاستخدام القوة لتحقيق النصر؛ فإن النصر المعتمد على القوة فقط وان كان يتحقق لفترة زمينة محدودة لكنه يخلّف أسوء الأثر في التاريخ، ويبقى نقطة سوداء في العلاقات الثنائية في المستقبل ليصبح في النتيجة العدوّ خاسراً منهزماً وعبرة للأجيال، وهذا غير خاف على من درس سقوط القوى المادية العظمى في التاريخ.

[٧/٢٧ ـ قمع العدوّ]:

أللّهُمَّ عَقِّمْ أرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أصْلابَ رِجَالِهِمْ، وأقْطَع نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وأنْعَامِهِمْ. لَا تأذَنْ لسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلَا لأرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ.

والعدوّ الذي يشنّ الحرب على الضعيف المسالم انما يستخدم كل قواه للقضاء على صوت المظلوم بكل الطرق المتيسرة له، لأن الضعيف في نظر العدوّ يستحق القمع بكل الوسائل التي تمدّه في الاستمرار، وقد أشار هذا المقطع إلى العوامل الماديّة التي توجب ضعف العدو وكسر شوكته، ومنها:

١ ـ القوة البشرية، وهي انما تتحقق بمادة التناسل في الرجال ونموّها في رحم النساء، وبما انهم ملة واحدة ضد الإسلام، دعا عليه السلام بيبس اصلاب رجالهم من عادة التناسل، وعقم أرحام نسائهم عن الإنجاب؛ لأنّ الحيّة لا تلد إلّا الحيّة.

٢ ـ الثروة الحيوانية الّتي بها قوام اية أمة، سواء ما يستخدم منه في التنقّل من الدواب التي تسير على وجه الأرض لهذا الغرض كالخيل والبغال والحمير، وما يستعمل منها للغذاء كالأنعام الثلاثة، وهي البقر والغنم والابل، فلا يقهر العدوّ إلّا بالقضاء على هذه المادة بقطع نسل الدواب الّتي هي وسائل نقلية، والانعام الّتي تشكل المادة الغذائية.

٣ ـ الثروة الزراعية، من النباتات الّتي تستعمل لأكل الدواب من العشب والتي يتغذى بها الإنسان وتكوّن طعامه من الفواكه والخضروات، وهي لا يمكن أن تثمر إلّا بالمياه الطبيعية الّتي بها قوام الحياة؛ وقطع هذه المادة بارادة الله سبحانه بمنع السماء من المطر، ينتج عدم خصوبة الأرض، وعدم زراعة النبات على الأرض.

فإن هذه العوامل الماديّة الثلاث وهي القوة البشرية والحيوانية والزراعية تساعد على استمرار العدوّ في إعتدائه على المسلمين ثقافيا وإجتماعيا وميدانيا، ويكون قمع العدوّ بقطع المواد عنه أمر مقدور لله سبحانه، وهي ليست على الله بعزيزة لردع العدوّ عن عدوانه.

[٨/٢٧ ـ قوّة المسلمين]:

أَللّهُمَّ[١] وَقوِّ بِذَلِكَ محَالَّ[٢] أهْلِ الإسْلامِ[٣]، وَحَصِّنْ بِهِ

---

(١) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «اللهم صل على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ».

(٢) في (ت): «ووفر بذلك مجال»، وفي حاشية (ج) (د): «مَحَالّ ـ س»، وفي (س): «المِحَل: الكيد والمكر». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩)، والمحل: التدبير والتخطيط.

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَفِّرْ بِذَلِكَ عَدَدَ أهْلِ الإسْلامِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ ووَفِّرْ بِذَلِكَ عَدَدَ أهْلِ الإسْلامِ».

دِيَارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أمْوَالَهُمْ[١]، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ[٢] مُحارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ[٣] للخَلْوَةِ بِكَ، حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلَا تُعَفَّرَ لأحَدٍ مِنْهُم جَبْهَة دُوْنَكَ[٤].

وعلى النقيض من أهداف العدوّ، فإنّ هدف المسلمين هو ان لا يعبد في الأرض إلّا الحق تعالى، دون أي فرد من الناس أو ما يتخذه المشركون من عبادة المادّة والماديات، فالمسلمون يستحقّون التقوية والدعم والنصر حيث لا يستهدفون إخضاع الضعفاء لعبادة المادة والماديات كما هو الحال في مخططات العدوّ.

وقد سرد في هذا المقطع من كل محلة من محال الإسلام يسكنها أهل الإسلام من قرية أو مدينة أو منطقة ما يفتقر إليه من أنواع القوة، وهي:

١ ـ التحصّن الجغرافي، فالديار الّتي لا تكون محصّنة تكون معرضا للاعتداء من قبل الأعداء.

٢ ـ استثمار المال، فالمال المجمَّد يسبب الركود الاقتصادي دون ما يستخدم ويستثمر في العمران والتجارة.

٣ ـ التعبئة الروحية بالعبادات، بالتفرغ لها، حتى تنعدم الحاجة إلى الحرب.

٤ ـ الخلوة بالله بالخلوص في العمل له تعالى.

ونتيجة ذلك: ان لا يخضع المجتمع الضعيف للقوة مهما كانت غاشمة؛ لأنّ القوة المعنوية سوف تزيده مناعة وصموداً.

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «وَثَمِّرْ أمْوَالَهُمْ».

(٢) في حاشية (ج): «مِنْ ـ س».

(٣) المنابذة: المخالفة والمكاشفة بالحرب.

(٤) في (ك) (ش) (ق) العبارة هكذا: «وَلَا تُعَفَّرَ جَبْهَةٌ لأحَدٍ دُوْنَكَ».

[٩/٢٧ ـ نصر المسلمين]:

أللّٰهُمَّ أُغْزُ(١) بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ عَلَى مَنْ بِإزَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِيْنَ(٢)، وأَمْدِدْهُمْ(٣) بِمَلائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِيْنَ(٤) حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إلى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ(٥) قَتْلاً فِي أرضِكَ(٦) وأسْراً(٧)، أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أنْتَ اللّٰهُ الّذِي لَا إلهَ إلَّا أنْتَ(٨) وَحْدَكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ.

والنصر في المعركة بين المسلمين والمشركين انما يكون بالمدد والعون من الله سبحانه بواسطة الاسباب الّتي بيده، وهم الملائكة الذين هم وسائل مردفين، أي متتابعين في صنع النصر، وقد حدد النصر بإحدى الثلاث:

---

(١) في حاشية (ج): «أَعِزَّ ـ س».

(٢) كذا في المشهورة، وفي (ق) العبارة هكذا: «اللهمّ صلّ على مُحَمَّدٍ وآله، وأعزّ أهل كل ناحية من المسلمين وأذلّ مَن بإزائهم من المشركين»، وفي (ت) العبارة هكذا: «اللهم صل على مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وأعزّ أهل كل ناحية من المسلمين، وأذل بهم من بإزائهم من المشركين»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ اعْزِزْ أهلَ كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ عَلَى مَنْ بِإزَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِيْنَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ أذلّ بأهلَ كُلِّ نَاحِيَةٍ من المسلِمِيْنَ مَنْ بِإزَائِهِمْ مِنَ المُشْرِكِيْنَ».

(٣) في (س): «مدَدت الرجل بكذا: أي أعنته به، وأمددهم بملائكة من عندك مردفين، أردفت النجوم: توالت وتتابعت، والترادف: التتابع». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩). قال السيد الخرسان: أحسب انّ الناسخ سها في وضع رمز (ص) للصحاح، إذ لم يرد ما في المتن فيه، لا في (مدد) ولا في (ردف) سوى آخر ما في المتن، من قوله: «والترادف التتابع»، والصواب في الرمز أن يكون (س)، لأنّه من كلام ابن إدريس. (راجع التعليق على حاشية ابن إدريس: ٢٠٩).

(٤) في حاشية (ج): «مردَفين، مردِفين ـ س»، ومردفين: يتبعُ بعضهم بعضاً.

(٥) منقطع التراب: نهاية الأرضِ. ويكشفوهم: يهزموهم ويزيلوهم عن مواقفهم.

(٦) في (ت) وحاشية (ج): «في رضاك ـ س».

(٧) في (ك) (ش) (ق) العبارة هكذا: «قَتْلاً فِي رِضَاكَ وأَسْرَاً»، أي حال كونهم يقتلونهم في أرضِكَ قتلاً ويأسرونهم أسراً.

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «أَوْ يُقِرُّوا مُذْعِنِينَ بِأَنَّكَ لَا إلهَ إلّا أَنْتَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «يُقِرُّوا بأَنَّكَ لَا إلهَ إلّا أنْتَ»، بدون «أو».

١ ـ القتل في أرض الله.

٢ ـ الوقوع في الاسر في أيدي المسلمين.

٣ ـ الاقرار بالإله الواحد الذي لا إله إلّا هو، وحده لا شريك له، من دون أن يكون البشر معبوداً، وتكون العبادة للحق وحده. فيكون الهدف الوحيد في الحرب الاقرار بهذه الحقيقة التي تنفي العبودية للماديات؛ فإنه ان تحقق فلن تكون مورداً للحرب والقتل في الأرض، ولا للأسر قط.

[١٠/٢٧ ـ أثر النصر]:

أَللّهُمَّ[١] واعْمُمْ[٢] بِذلِكَ أعْدَاءَكَ فِي أقْطَارِ البِلَادِ مِنَ الهِنْدِ، والرُّومِ، والتُّرْكِ[٣]، والخَزَرِ[٤]،

---

(١) لم ترد في (ش): «اللّهم».

(٢) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «اللهم صل على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وأعمم»، وأعمم: أي أشمِل بما تقدَّمَ من الدُّعاء جميع أعدائِكَ، والروم: من يسكن شمال البحر المتوسط، والخزر: من يقطن بلاد القفقاس، والنوبة: من يسكن جنوب صعيد مصر، والزنج: قومٌ من السودان، والصقالبة: شعبٌ يتاخم بلادهم بلاد الخزر وقسطنطينية، والديالمة: جيلٌ يسكن بلاد جيلان شمال إيران.

(٣) إن العرب والروم وفارس وأصناف العجم ولد سام، والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام، والترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج ولد يافث. (بحار الأنوار ١١: ٣٠٤). وذكر ابن الجوزي في المدهش: أن أقاليم الأرض سبعة. الأوّل منها: إقليم الهند. والثاني: إقليم الحجاز. والثالث: إقليم مصر. والرابع: إقليم بابل. والخامس: إقليم الروم والشام. والسادس: بلاد الترك. والسابع: بلاد الصين. وأوسط الأقاليم: «بابل»، وهو أعمرها. وفيه جزيرة العرب. وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا، وبغداد في وسط هذا الإقليم. فلاعتداله اعتدلت ألوان أهله. فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبش. وغلظ الترك، وجفاء أهل الجبال، ودمامة أهل الصين. وكلما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة. (جواهر العقود، للمنهاجي الأسيوطي ١: ٢٤٣).

(٤) في (ج): «والخَزَر»، وفي حاشية (ج) (د): «والخُزْر ـ س». قال المجلسي الأول: والخزر طائفة ضيقة العيون، وهم أهل دشت (قبچاق) والمشوه: المعيوب صورة وسيرة. (روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، لمحمد تقي المجلسي ٨: =

والحَبَش(١)، والنُّوبَةِ(٢) والزَّنْجِ(٣)، والسَّقَالِبَة(٤)،

= ٥٣٤). وفي الوافي: خوز، بالضم صنف من الناس، وفي بعض النسخ: «الخزر» بالمعجمتين ثم المهملة، وهو محركة: ضيق العين وصفرها، سمي به صنف من الناس هذه صفتهم.

(١) في لسان العرب: «والأحبوش: جماعة الحبش. وقيل: هم الجماعة أيّاً كانوا، لأنّهم إذا تجمّعوا اسودّوا. وحُبشي: جبل بأسفل مكّة، يقال منه سمّي أحابيش قريش، وذلك أنّ بني المصطلق وبني الهَون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً. فسمّوا «أحابيش قريش» باسم الجبل. وفي المنجد: الحباشة والأحبوش والأحبوشة: الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة.

(٢) في حاشية (ج): «والنُوْبة، النوْبة ـ معا»، والنوبة ـ بالضم ـ: رهط من بلاد الحبش. (القاموس). والنوبة: جيل من السودان. (لسان العرب ١: ٧٧٦ «نوب»).

(٣) الزنج ـ بالفتح ـ: صنف من السودان، واحدهم: زنجي. والخزر: هو ضيق العين وصغرها، كأنه ينظر بمؤخرها، والخزر: جيل من الناس. (الصحاح) و«الزنج» بالفتح والكسر: صنف من السودان، واحدهم زنجي. وفي المصباح: الزنج: طائفة من السودان تسكن تحت خط الاستواء، وليس وراءهم عمارة، قال بعضهم: وتمتد بلادهم من الغرب إلى قرب الحبشة وبعض بلادهم على نيل مصر، الواحد: زنجي، مثل روم ورومي، وهو بكسر الزاي، والفتح لغة، انتهى. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم ونكاح الزنج، فإنه خلق مشوّه (الكافي ٥: ٣٥٢). وعن أبي الربيع الشامي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: لا تشتر من السودان أحدا، فإن كان لا بد فمن النوبة، فإنهم من الذين قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَـٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ (سورة المائدة٥: ١٤) إنهم يتذكرون ذلك الحظ، وسيخرج مع القائم منا عصابة منهم. (الكافي ٥: ٣٥٢). وعن علي بن داود الحداد عن أبي عبد الله عليه السلام: لا تناكحوا الزنج والخوز، فإن لهم أرحاما تدل على غير الوفاء. (الكافي ٥: ٣٥٣). ومن ظاهر الحديث نستوحي أن الحكمة في النهي قلة وفائهم، والحكمة تعم كل حالة مشابهة، كما أن الحكم يزول عند زوال سببه، فلو عرف من أهل الخزر الوفاء فلا بأس بمصاهرتهم.

(٤) لم ترد في (ت): «والسَّقَالِبَة»، وفي (ك) (ش) (ق): «والصَّقَالِبَة»، وفي (ج): «والسَّقَالِبَة»، «والصَّقَالِبَة»، وفي حاشية (ج): «والصَّقَالِبَة» بدون علامة. وفي القاموس المحيط، مادة: صقلب: «الصقالبة: جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر، بين بلغر وقسطنطنية، وقيل: إن بلاد الصقالبة يعني: الآذربايجان. والتخم: حد الأرض، والجمع: تخوم، مثل فلس وفلوس، وعن ابن السكيت: الواحد التخوم، والجمع تخم، مثل رسول ورسل، والتخوم: الفصل بين الأرضين، والتخوم أيضا: منتهى كل قرية أو =

والدَّيالِمَةِ[١]، وسَائِرِ[٢] أُمَمِ الشِّرْكِ الَّذِينَ تَخْفَى أسماؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وأشْرَفْتَ[٣] عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ.

وخصّ هذا المقطع بالأثر الذي يتركه نصر المسلمين على المشركين في سائر امم الشرك الّتي كانت في عصر الإمام (المتوفى سنة ٩٥هـ) بسبب ظهور

= أرض، يقال: فلان على تخم من الأرض، وداره تتاخم داري، أي تحاذيها. (مجمع البحرين) وربّما ينقدح في الذهن احتمال كون الكلمة: «صقالية» بالياء المثناة من تحت، منسوبة إلى جزيرة صِقِلية (سيسيل) المجاورة لبلاد الرّوم.
وسئل الكاظم (عليه السلام) عن القوم يغيرون على الصقالبة والنوبة فيسرقون أولادهم من الجواري والغلمان فيعمدون إلى الغلمان فيخصونهم ثم يبعثون بهم إلى بغداد إلى التجار، فما ترى في شرائهم ونحن نعلم أنهم مسروقون، إنما أغاروا عليهم من غير حرب كانت بينهم؟ فقال: «لا بأس بشرائهم، إنما أخرجوهم من الشرك إلى دار الإسلام». وفي الكافي «إن الروم يغيرون على الصقالبة، إلى آخر الحديث... (الكافي ٥: ٣١١). وليس في الصحيحة إمضاء لسرقتهم وإخصائهم للغلمان، بل إمضاء للشراء منهم فقط.

(١) الديالمة: جيل من الناس مشهورون بالظلم والجور، حتّى قيل: هم أجور من الترك والديلم. قال الزمخشري في الأساس: ومن المجاز: فلان من الديلم. وهو ديلمي من الديالمة، أي عدوّ من الأعداء، لشهرة هذا الجيل بالشرارة والعداوة. وبلادهم أرض الجبال بقرب قزوين، وهي ثغر أرض الديلم. واعلم أنّ الصقالبة والديالمة جمعان لسقلبي وديلمي، والتاء فيهما للدلالة على أنّ واحدهما منسوب. قال الرضي: تدخل التاء على الجمع الأقصى دلالة على أنّ واحدها منسوب، كالأشاعثة والمشاهدة في جمع أشعثي ومشهدي، وذلك لمّا أرادوا أن يجمعوا المنسوب جمع تكسير وجب حذف ياء النسب، لأنّ ياء النسب والجمع لا يجتمعان، فلا يقال في النسبة إلى رجال: رجاليّ، بل رجليّ، فحذفت ياء النسبة، ثمّ جمع بالتاء، لتكون التاء كالعوض من الياء، كما عوّضت من الياء في نحو: جحاجحة، جمع جحجاح، لأنّ أصل جمعه جحاجيح، فحذفت الياء وعوّضت عنها التاء، ولذلك لا يثبتان معا ولا يسقطان معا. (رياض السالكين ٤: ٢٢٦).

(٢) وسائر أمم الشرك، أي: باقيهم، والأمم: جمع أمّة، والمراد بها هنا: الصنف من الناس، أي: سائر أصناف الخلق المشركين. والشرك ـ بالكسر ـ: من أشرك بالله، أي: كفر، وهو مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود والنصارى، فإنّ الشرع قد نصّ على شرك أهل الكتاب قاطبة. والمراد بأسمائهم: ما دلّ على ذواتهم، وبصفاتهم: ما دلّ على شيء من أحوالهم. (رياض السالكين ٤: ٢٢٧).

(٣) في (ت): «وأسرفت».

الدعوة وظهور حقيقتها لغير المسلمين الذين غرّتهم الدعايات المغرضة، وقد وصف منهم:

١ ـ الهند، وهم أكثر الناس اختلافاً في العقائد.

٢ ـ الروم، وهم أُمّة من ولد آدم بن عيص بن إسحاق، واكثرهم نصارى، ومدينتهم المعروفة: «روما».

٣ ـ الترك، وهم امة من ولد يافث بن نوح، ويمتد بلادهم إلى أقصى المشرق، أي حدود الصين، ويعرفون بالمغول.

٤ ـ الخزر، وهي أُمة خزر العيون من الترك، وبلادهم حوالي بلاد جيلان.

٥ ـ الحبش، وهي أُمة من السودان جلّهم نصارى، وبلادهم الحبشة، وهم من ولد كوش بن كنعان بن حام.

٦ ـ النوبة، وهي أُمة من السودان، وهم نصارى، ويقطنون في بلاد النيل.

٧ ـ الزنج، وهي امة من السودان، وبلادهم شديدة الحر جدّاً.

٨ ـ السقالبة، وتتاخم بلادهم لبلاد الخزر، بين بلخ وقسطنطنية، وهم أقوام مختلفة.

٩ ـ الديالمة، وهم مشهورون بالظلم والجور، وبلادهم المنطقة الجبليّة من قزوين.

ومن الطبيعي ان الأثر لهذه الامم ليس في عرقهم ولونهم واختلاف اجسامهم، بل الأثر ذلك كله فيما يمارسونه من الظلم والجور النابع من اعتقادهم بجواز ذلك على أساس عرقي، وهي عقيدة الشرك. وعليه، فيكون السبب الاساس في الحرب هو الشرك، فلا يختص بهؤلاء، بل سائر امم الشرك الذين يخفى علينا اسماءهم وصفاتهم، والله قد أحصاهم بمعرفته التامة، وهو المشرف عليهم بقدرته الكاملة. فيكون اثر الهداية عامة للبشرية بالنصر على دعاة إلى الظلم والجور على اساس العرق أو العقيدة، واستبدال ذلك بالحكم العدل في المجتمع.

[١١/٢٧ ـ تفريق المشركين]:

أللّهُمَّ أشْغَلِ[(١)] المُشْرِكِيْنَ بالمُشْرِكِيْنَ عَنْ تَنَاوُلِ أطْرَافِ المُسْلِمِيْنَ[(٢)]، و[(٣)]خُذْهُمْ[(٤)] بالنَّقْصِ[(٥)] عَنْ تَنَقُّصِهِمْ[(٦)]، وَثَبِّطْهُمْ[(٧)] بالفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ[(٨)] عَلَيْهِمْ.

ومن عوامل النصر على التفرقة العنصرية: أنها في ذاتها تستلزم التفرقة بين المشركين، لأنّ كل امة منهم تستند في استعلائها على الاخرى بسبب العرق والعنصر، وهذه الفلسفة العنصرية تستلزم انشغال بعضهم ببعضهم، ومن اجل ذلك يحاولون عقد محالفات فيما بينهم لدرء ما ينحو بهم إلى التفرقة الفكرية المنتهية إلى الصدام المسلح. وقد خص هذا المقطع، بأن حدوث ذلك بين المشركين يعد من عوامل النصر للمسلمين، بثلاث نقاط، هي:

---

(١) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «اللهم صل على محمد وآل محمد وأشغل».

(٢) أي الاستيلاء على نواحي المسلمين.

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «و».

(٤) في (ك) (ش): «خُذْهُمْ».

(٥) في حاشية (د) ما نصه: «المراد بأخذهم بالنقص: إهلاكهم بنقصهم شيئا فشيئا حتّى يأتي على جميعهم، وهذا هو معنى التنقّص أيضا. قال العلامة الطبرسي: التنقّص: هو أن يؤخذ الأوّل فالأوّل حتّى لا يبقى أحد. وحمل بعضهم التنقّص على معنى الثلب والوقيعة، بمعزل عن المقام. من الشرح». (رياض السالكين ٤: ٢٣٠).

(٦) في (س): «وخذهم بالنقص من تنقصّهم»، والنقص والنقيصة: العيب، وفلان يتنقّص فلاناً، أي يقع فيه ويثلبه». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩)، والتنقّص: اهلاكهم تدريجيّاً، و«خذهم بالنقص»، أي أهلكهم جملةً لا تدريجاً.

(٧) ثبِّطهم: أشغلهم واقعد بهم عن الاحتشاد بإيقاع الفرقة فيهم.

(٨) في حاشية (د) ما نصه: «قوله عليه السّلام: «وثبّطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم»، وفي (س): «حشدوا يحشِدون ـ بالكسر ـ أي اجتمعوا، وكذلك احتشدوا وتحشدوا». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩)، وثبّطه عن الأمر تثبيطا: شغله وقعد به عنه. والفرقة بالضمّ: اسم من افترق القوم افتراقا، خلاف اجتمعوا. والاحتشاد: الاجتماع، وفي القاموس: حشد القوم: خفوا في التعاون، أو دعوا فأجابوا مسرعين، أو اجتمعوا لأمر واحد. من الشرح». (رياض السالكين ٤: ٢٣٠).

١ ـ اشتغال المشركين بالمشركين لكي لا يتفرغوا إلى مهاجمة المسلمين.

٢ ـ الابتلاء بالنقص، وذلك بإهلاكهم شيئاً فشيئاً، لكي لا يتمكنوا من الالتفاف على المسلمين، أي يؤخذوا بالأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد.

٣ ـ التفرقة بينهم؛ لكي لا يتوحّدوا في الاحتشاد، أي التعاون على المسلمين، فإن التفرقة بينهم يثبطهم عن ان ينشغلوا بغيرهم.

[١٢/٢٧ ـ نقاط الضعف]:

أَللّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ[(١)]، وأَبْدَانَهُمْ مِنَ القُوَّةِ، وَأَذْهِلْ[(٢)] قلوبَهُمْ[(٣)] عَنِ الإحْتِيَالِ، وأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ[(٤)] عَنْ مُنَازَلَةِ[(٥)] الرِّجَالِ، وَجبِّنْهُمْ[(٦)] عَنْ مُقَارَعَةِ[(٧)] الأَبْطَالِ، وَأَبْعَثْ عَلَيْهِمْ[(٨)] جُنْداً مِنْ مَلائِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ، كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ[(٩)]، وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ[(١٠)]، وَتُفَرِّقُ بِهِ[(١١)] عددَهُمْ[(١٢)].

---

(١) في حاشية (ج) (د): «الأَمْنَة ـ س»، وفي هامش (س)، ما نصه: «في نسخة ابن إدريس (الأمنة) وزن الرحمة. (رياض السالكين: ٤: ٢٣١)».

(٢) في حاشية (ج) (د): «واذهَل ـ س»، وفي (س): «ذهلت عن الشيء: نسيته وغفلت عنه، وأذهلني عنه كذا». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩).

(٣) في (ك): «أذْهَانَهُمْ».

(٤) الأركان: جمع ركن، وهو الجانب القوي من الشيء، ويرادُ بِهِ هنا: الجوارح، وفي (س): «ركن الشيء: جانبه الأقوى». (حاشية ابن إدريس: ٢٠٩).

(٥) في (ش): «عن منازل».

(٦) في (ت): «وجنبهم».

(٧) في (س): «أقرعته: كففته، ومقارعة الأبطال: قرع كف بعضهم بعضاً». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠)، والمقارعة: أن يقرع الأبطال بعضهم بعضاً.

(٨) لم ترد في (ش): «عليهم».

(٩) في (ش): «تقطع بهم دابرهم». والدابر: الأصل.

(١٠) في (س): «الشوكة: شدة البأس والجدّة في السلاح». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠).

(١١) في (ش) (ق): «وتقلّ به عددهم»، وفي (ك): «وتمزّق به عددهم».

(١٢) في (ق) زيادة: «وتفرق به جمعهم»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَتُفَرِّقُ بِهِ عُدَّتَهُمْ، وَتُمَزِّقُ =

وأشار هذا المقطع إلى نقاط من الضعف والقوّة في الحرب، داعياً الله سبحانه إلى اثبات نقاط الضعف في المشركين وتعزيز نقاط القوة في المسلمين، ومن هذه النقاط:

١ ـ فقدان الأمنة، أي الحالة الآمنة في قلوب المشركين.

٢ ـ فقدان القوّة في أبدانهم.

٣ ـ فقدان الاحتيال، أي الوسائل اللازمة لتحقيق أهدافهم، فلا تلتفت إليها عقولهم.

٤ ـ وهن الأركان، أي ضعف أعضاء البدن عن الحرب.

٥ ـ الجبن في المقارعة، أي المضاربة في ميدان الحرب.

ويجمع هذه النقاط: ان الدافع على الحرب عند المشركين دافع مادي، وهو يستلزم هذه النقاط، وخاصة في اطالة أمد الحرب واطالة مدة المقاومة؛ فإن النصر المادي انما يكون مع قصر المدة لا طولها، فمع فقدانها يزول دافع الحرب عندهم.

وعلى النقيض من ذلك، فإن نقاط القوة الّتي يتمتع بها المسلمون ـ وهي الدافع الروحي في الحرب ـ تتغلب على نقاط الضعف كلها؛ لأن المقياس فيه هو مقياس روحي غير مادي، وهو الإيمان بأداء الواجب، سواءً تكلّل بالنصر او الشهادة، وأن النصر من الله يكون بالملائكة كما حصل في التاريخ الإسلامي في يوم بدر؛ فإن المقاييس الماديّة كانت تنبىء بنصر المشركين ولكن المقياس الروحي قلب تلك الموازين، وكان النصر حليف المسلمين في ثلاث نتائج، هي:

١ ـ قطع دابر المشركين، أي استئصالهم.

٢ ـ حصد الشوكة، أي فلّ قوة سلاحهم.

٣ ـ تفريق العدد، حتى لا يستمرّوا في محاربة المسلمين.

= بِهِ عُدَّتَهُم، وَتفثَأْ بِهِ حِدَّتَهُمْ»، والعُدَّة: الاستعداد، والعُدَّة: الجماعة، والفثأ: السكون والكفّ والحبس، والحدّة: شدّة البأس والقوّة.

[١٣/٢٧ ـ النصر الإلهي]:

أللّهُمَّ وَأمْزُجْ[١] مِياهَهُمْ[٢] بالوَبَاءِ[٣]، وَأطْعِمَتَهُمْ بالأدْوَاءِ[٤]، وأرْمِ[٥] بِلَادَهُمْ بالخُسُوفِ، وَألِحَّ[٦] عَلَيْهَا بالقُذُوفِ[٧]، وَأفْرِعْهَا[٨] بِالمُحُولِ[٩]، واجْعَل مِيرَهُمْ[١٠] فِي أَحَصِّ[١١] أرْضِكَ

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «اللهم صل على محمد وآل محمد وأمزج»، وفي (ك): «أللّهُمَّ امْزِجْ».

(٢) في حاشية (ج) (د): «مياءهم ـ س».

(٣) يستفاد من هذه العبارة: أنَّ الوباء مصدره المياه، ويعد هذا الكشف من معاجز امامنا السجاد (عليه السلام) حيث سبق العلم الحديث في هذا الاكتشاف بأكثر من ألف سنة.

(٤) في (س): «الداء: المرض والجمع أدواء». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠).

(٥) لم ترد في (ش): «ارم».

(٦) في حاشية (ج) (د): «والحح ـ س»، وفي (س): «ألحّ السحاب بالمكان: أقام به، مثل ألَثَّ. يقال: ألح السحاب، أي دام مطره». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠).

(٧) في (ك) (ق): «وَالْحُحْ عَلَيْهَا بالقُذُوفِ»، وفي (ش): «وَالْحُحْ عَلَيْهم بالقُذُوفِ»، والقذوف: جمع، وهو الرمي بالحجارة، وألحَّ: أي اجعل القذوف عليها دائمة.

(٨) في (ك) (ش) (ق) (ت): «وأقْرَعْها»، وفي (ج): «وافرعها»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «وأقْرَعْها»، وفي حاشية (ج): «وأفرعها ـ س»، وفي حاشية (د): «وأفزعها»، وفي هامش (س)، ما نصه: «في نسخة ابن إدريس: (وأفرغها) بالمعجمة من باب الإفعال، أي أخلها من نعمك. (لوامع الأنوار العرشية ٤: ٥٤)».

(٩) المحول: الجدب وانقطاع المطر.

(١٠) الميَر: جمع ميرة، وهو الطعام الذي يجلب من بلد إلى بلد.

(١١) الحصّ: في الأصل حلق الشعر، ومنه الحاصّة، وهو داء يتناثر منه شعر الرأس، ويقال: حصّت البيضة رأسه: إذا أذهبت شعره، وانحصّ شعره انحصاصا، أي: تناثر وذهب، ورجل أحصّ بين الحصص، أي: قليل شعر الرأس، ثمّ استعير في الجدب وقلّة الخير وعدم النبات، وقيل: سنة حصّاء، أي: جرداء مجدبة لا خير فيها، ومنه قوله عليه السّلام: «في أحصّ أرضك» أي: أكثرها محصوصيّة على غير قياس، من حصّ الجدب الأرض: إذا أذهب نباتها، استعارة من حصّ الشعر كما ذكرنا. واستعمال أفعل التفضيل في المفعول وإن كان غير قياس، إلّا أنّ المسموع منه كثير، نحو: أعذر وأشهر وألوم وأشغل، أي: أكثر معذوريّة ومشهوريّة وملوميّة ومشغوليّة، ووقوعه في كلامه عليه السّلام لا يحتاج فيه إلى السماع من غيره قطعا، فإنّه عليه السّلام أفصح العرب في زمانه. ويجوز =

وَأَبْعَدِهَا عَنْهُمْ[(١)]، وَأَمْنَعْ حُصُونَهَا[(٢)] مِنْهُمْ [و][(٣)] أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيْمِ[(٤)]، والسُّقْمِ الأَلِيْمِ.

وقد تكفّل هذا المقطع النصر الإلهي على المشركين بالوسائل الطبيعية الماديّة التي تعجز عنها القوى الماديّة المعادية، وهي تحت قدرة الله سبحانه الّتي لا يعزب عنها شيء، ومنها:

١ ـ الوباء، فإن هذه الحالة الطبيعية توثّر في شلّ الحملات العسكرية من أساسها، ولا يمكن لأية قُوة ماديّة أو عسكرية مقاومتها[(٥)].

٢ ـ الامراض في الاطعمة؛ فإنّ الأدواء، أي الامراض فيها كالتسمّم توجب تعويق المحاربين عن أداء ادوارهم.

٣ ـ الخسوف، أي غور الأرض بابتلاع ما عليها؛ فإن هذه الحالة الطبيعية تعرقل مسيرة اعمالهم الحربية ان لم تعدمها.

٤ ـ القذوف، أي الرمي بالحجارة بسبب تساقط الصخور من الجبال.

= أن يكون المعنى: أكثرها انحصاصا، فيكون مبنيّا للفاعل من انحصّ، على ما نقل عن الأخفش والمبرّد، من جواز بناء أفعل التفضيل من جمع الثلاثي المزيد فيه، كانفعل واستفعل ونحوهما قياسا، ويكون وقوعه في كلامه عليه السّلام حجة لهما. (رياض السالكين ٤: ٢٤٣).

(١) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «فِي أَبْعَدِ أَرْضِكَ عَنْهُمْ»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «واجعل ميرهم فِي أَبْعَدِ أَرْضِكَ عَنْهُمْ»، وفي (س): «واجعل ميرهم في أحصّ أرضك: أرض حصّاء: أي جرداء لا خير فيها. والأحصّ مذكّر الحصّاء». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠).

(٢) في (ت): «حصوننا»، أي امنع حصون أرضِكَ منهم لكي لا يتحصّنوا بها أولا يقدروا على الاستيلاء عليها.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ق) (ك) (ت).

(٤) المقيم: الدائم.

(٥) وتخصيص الإمام سبب شيوع الوباء بتلوث المياه يعد اعجازا علميا كشفه الإمام عليه السلام في هذا الدعاء، وهو مما لم يقف عليه العلم إلا بعد أكثر من ألف سنة وبعد التجارب والدراسات المعمقة.

٥ ـ الجدب والقحط بسبب انقطاع الامطار، وبذلك تكون البلاد فرعت ـ بالمهملة ـ أي ضربت بالمحول والقحط. وبالمعجمة (فرغت): ان تكون البلاد خليت من السكان بسبب القحط.

٦ ـ إبعاد المِيَرِ، وهو الطعام، بأن لا يتيسّر لهم، وذلك بأن تكون مِيَرَهم في حصون بعيدة عنهم ولا يتمكنون من تناولها بسهولة.

٧ ـ منع المِيَر، بأن لا يتمكنوا من الحصول على الطعام الذي يساعدهم في الاستمرار في الحرب حتى يكفّوا عن الحرب.

٨ ـ الجوع المقيم بسبب القحط، وذلك يوجب استسلام الأعداء. من دون قيد أو شرط.

٩ ـ السقم الأليم، الموجب لانشغال العدو بنفسه عن محاربة المسلمين.

فإن هذه النقاط ترجع إلى النصر الإلهي الذي لا يدخل في المقاييس الماديّة العسكرية كالوباء والخسف وما شابه، وآثارها الماديّة من الامراض والسقم لا يمكن ردّها بالوسائل العسكرية، بل هي معوّقات تجعل الجيش المحارب مهتمّا بنفسه ومنقطعا عن الحرب.

[١٤/٢٧ ـ الغزاة المسلمون ومقوّمات النصر]:

أللّهُمَّ، وَأَيُّما غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أو مُجَاهِدٍ[١] جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ[٢]؛ لِيَكُونَ دِيْنُكَ الأعْلَى، وَحِزْبُكَ الأقْوَى[٣]، وحَظُّكَ الأوْفَى.

وهذا المقطع يتضمّن الثوابت الاصيلة في الجهاد الإسلامي، ثم مقومات

(١) في (ك): «وَمُجَاهِد».

(٢) في (ش) (ت): «سننك».

(٣) في (ك): «لِيَكُونَ دِيْنُكَ الأَقْوَى، وَحِزْبُكَ الأعْلَى»، وفي (س): «حزب الرجل: أصحابه». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠).

النصر للمجاهدين المسلمين، ثم المواقف المطلوبة منهم عند لقاء العدو، ثم الشهادة الّتي هي أمنية كل غاز ومجاهد في سبيل الله.

واستفتح المقطع بأهم الثوابت في الجهاد الإسلامي وهو التقرب إلى الله، وان ذلك يتحقق بالنقاط التالية:

١ ـ ليكون دينك الأعلى، لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

٢ـ وحزبك الأقوى، لأن حزب الله هم الغالبون.

٣ـ وحظّك الأوفى، والحظ بمعنى النصيب، أي في المقارنة بين إرادة الإنسان وإرادة الله سبحانه تكون إرادته تعالى أوفى، أي أتم واكمل، فيجب متابعته، دون ارادة الإنسان نفسه.

فإذا كانت الغزوة غير مبتنية على هذه الثوابت لا تكون غزوة إسلامية، وهذه الثوابت لا مجال للمساومة عليها.

فَلَقِّهِ اليُسْرَ، وَهَيِّىءْ لَهُ الأمْرَ، وتَوَلَّهُ بالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الأصْحابَ، وأسْتَقوِ لَهُ الظَّهْرَ، وأسْبغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ[١]، وَمَتِّعْهُ بالنَّشَاطِ، وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الوَحْشَةِ[٢]، وَأنْسِهِ ذِكْرَ الأهْلِ وَالوَلَدِ، وَأثُرْ[٣] لَهُ حُسْنَ النيَّةِ، وَتَوَلَّهُ بالعَافِيَةِ،

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «وحَظُّكَ الأوْفَى، فَلَقِّهِ البُشْرَى، وَهَيِّىءْ لَهُ الأمْنَ، وتَوَلَّهُ بالنُّجح، وَتَخَيَّرْ لَهُ الأصْحابَ، واسْتَفرِه لَهُ الظَّهْرَ، وأسْبغْ عَلَيْهِ من النَّفَقَةِ».

(٢) هيىّء لهُ الأمر: أعددهُ لهُ وأصلحهُ لهُ، وتولَّهُ: أي كُن لهُ ولياً، والنجح: قضاء الحاجة، أي كن لهُ ولياً بقضاء حاجته، واستقو لهُ الظهر: أي يسِّر لهُ راحلة قويَّة، أو كُنْ لهُ ظهراً قوياً، وأسبغ عليهِ في النفقة: أي وسِّع عليهِ في النفقة، ومتِّعهُ: أي أطِل عمرهُ، وأطف عنهُ حرارة الشوق: أي ألهِمهُ الصبر على فراق الأهل والمال، والشوق: اهتياج القلب إلى لقاء المحبوب، وأجِرهُ: أي آمِنهُ واحفظهُ، وغمِّ الوحشة: حزن وانقباض القلب إثر الانفراد عن المونس.

(٣) في (ك) (ش) (ق): «وَأدِم».

وأصْحِبْهُ السَّلَامَةَ، وَأعْفِهِ[١] مِنَ الجُبْنِ، وألْهِمْهُ الجُرْأةَ، وأرْزُقْهُ الشِّدَّةَ، وأيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ[٢]، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ والسُّنَنَ[٣]، وَسَدِّدْهُ فِي الحُكْمِ، وَأعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وأجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ[٤] وَإقَامَتَهُ فِيْكَ ولَكَ.

وقد سرد في هذا القسم من المقطع مقومات النصر ونقاط الضعف الّتي يجب على الغازي التغلّب عليها جميعا بنصر من الله تعالى، وهي:

١ ـ اليسر في التحرك نحو الهدف، والتيسير لا يكون إلّا من الله سبحانه.

٢ ـ تدبير الأمور اللازمة في الغزو؛ إذ بدون تهيئتها واعدادها وتذكيرها تكون الأمور مستتبعة بالفشل.

٣ ـ النجاح في المقصد بقضاء الحاجة المطلوبة.

٤ ـ قوّة الوسائل النقلية؛ فإن الظهر كناية عن ظهر الدواب المستعملة للركوب والحمل.

٥ ـ النفقة، وهي الزاد والراحلة اللازمة في تحقيق الهدف.

٦ ـ النشاط، وهو طيب النفس في المسؤولية من دون أي اكراه.

٧ ـ الشوق، وهو ابتهاج القلب وهيجانه إلى لقاء المحبوب، فإن الشوق إلى لقاء الله يستلزم ان يطفيء ـ أي يخمد ـ الشوق إلى الدنيا والماديات، فإنهما في طرفي النقيض، والقوة في احداهما تستلزم النقصان في الُاخرى.

٨ ـ الاجارة عن غمّ الوحشة، أي الحفظ من كرب الوحدة.

---

(١) أعفهِ: عافهِ، اجعلهُ في عافية، أي امح عنهُ الجبن.

(٢) في (ك) (ق): «بِالنَّصْرِ».

(٣) في (ش) (ق) (ت): «وَعلّمه السنن»، وفي (ك): «وَعلّمه السير»، أي وفّقهُ لتعلم السّيَر، وهو جمع سيرة، وهي طريقة المعاشرة، والسُنن: جمع سنّة: الأحكام الشرعية.

(٤) الضعن: الارتحال والسّفر.

٩ ـ نسيان الأهل والولد؛ لأن العلاقات الماديّة تمنع من الاخلاص في الهدف والتضحية في سبيله.

١٠ ـ حسن النيّة بالاخلاص لله سبحانه.

١١ ـ العافية من الآفات، فإنها تعوق عن العمل في تحقيق الهدف.

١٢ ـ السلامة في الجسم، فإن عدمها تشغل الفكر عن أداء الواجب.

١٣ ـ عدم الجبن؛ فإنه يضعف القلب في المواجهة عند الاحداث الجسيمة، وتحقيق الهدف أهم.

١٤ ـ الجرأة، وهي الشجاعة والصرامة في المواجهة وركوب الاهوال.

١٥ ـ الشدة؛ فإن طبيعة العمل الحربي يقتضي ذلك.

١٦ ـ النصرة من الله، حيث ان بدونها لا يتحقق الهدف.

١٧ ـ العلم بالسير وتاريخ المغازي، فإن التاريخ يشهد بالنصر عند تجنب الاخطاء لمن يتحصن بمقومات النصر.

١٨ ـ العلم بالسنن، أي الطرق المتّبعة للمقاومة، واهمها سنة النبيّ ﷺ في حياته الجهادية حتى وفاته عليه السلام.

١٩ ـ السداد في الحكم، بأن لا يستعجل في اتخاذ القرارات، ويتمتع بالانضباط العسكري وتنفيذ الاوامر بحكمة.

٢٠ ـ تجنّب الرياء؛ فإن الجهاد عبادة إسلامية، والرياء يفسدها.

٢١ ـ الخلاص من السمعة، بأن لا يتأثر بالشائعات، بل ان يخلص في عمله استناداً إلى الواجب الملقى عليه من دون أي اهتمام بالدعايات المسمومة لتثبيط عزائمه أو تأييد مواقفه؛ فإن التأثر بالدعايات يكشف عن نقص في الرؤية.

٢٢ ـ ذكر الله على كل حال، وبالاخص في مجالات أربعة، هي:

أولاً: في الفكر الذي هو رؤية واضحة للعمل في سبيل الله.

وثانياً: في الأقوال، والتذاكر مع الاخرين المساهمين في الميدان.

وثالثاً: في الظعن، أي عند االارتحال للجهاد.

ورابعاً: في الإقامة في الاماكن المعدة للجهاد.

فيجب ان يكون المجاهد متحصناً بهذه النقاط الّتي هي مقومات النصر، والتي تنبع كلها من الرؤية الواضحة في تحمّل المسؤولية في سبيل الله وحده، وللتقرب من الله دون غيره.

[١٥/٢٧ ـ عند اللقاء]:

فَإذَا صَافَّ(١) عَدُوَّكَ وَ(٢) عَدُوَّهُ، فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَصَغِّرْ شَأنَهُمْ فِي قَلْبِهِ(٣)، وأدِلْ لَهُ(٤) مِنْهُمْ، وَلا تُدِلهُمْ مِنْهُ(٥).

وخص ما يفتقر إليه المجاهد عند لقاء العدو من القوة المعنوية نقاطاً ثلاثة:

١ ـ تقليل العدوّ في عين المجاهد؛ فإنهم لحب السلامة في قلوبهم كالقلّة على كثرتهم؛ لأنهم إنما يحاربون وهم لا يحبّون الموت، ويعتمدون على الأسباب الماديّة فقط.

٢ ـ تصغير العدو، باعتبار صغر أهدافهم، وهي المحافظة على أنفسهم بكلّ وسيلة ممكنة، وفي أُولى فرص المواجهة الّتي يشعرون فيها بالموت سوف يستسلمون من دون قيد أو شرط.

٣ ـ الكرّة على العدو؛ فإن الحرب سجال، أي تتكرر، مرّة على الإنسان

---

(١) صافَّ: وقفَ في الصفِّ المقابل.

(٢) لم ترد في (ت): «عدوك و».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَذَلِّلْهُمْ فِي نَفْسِهِ، وَصَغِّرْ شَأنَهُمْ فِي قَلْبِهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «عَدُوَّهُ وعَدُوَّكَ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَذَلِّلْهُمْ فِي نَفْسِهِ، وَصَغِّرْ شَأنَهُمْ فِي قَلْبِهِ».

(٤) في (ت): «وأدله».

(٥) في (ش) (ك) (ق) العبارة هكذا: «وأدِلْهُ مِنْهُمْ ولا تدلهم منه»، أي اجعل الكرَّة والنصر والغلبة لهُ عليهم ولا تجعلها لهم عليهِ.

واخرى له، والله قادر على ان يجعل الكرّة والغلبة للمجاهد على الأعداء، وان لا يجعل الغلبة لهم على المسلمين.

[١٦/٢٧ ـ عند الشهادة]:

فإنْ خَتَمْتَ[١] لَهُ بالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أنْ يَجْتَاحَ[٢] عَدُوَّكَ بالقَتْلِ، وَبَعْدَ أنْ يَجهَدَ بِهِمُ[٣] الأسْرُ[٤]، وَبَعْدَ أنْ تَأمَنَ[٥] أطرَافُ المُسْلِمِيْنَ، وَبَعْدَ أنْ يُوَلِّيَ[٦] عَدُوّكَ مُدْبِرِينَ[٧].

والشهادة غاية المجاهد ويراها إحدى الحسنيين عن وعي وإيمان، وهذا ما يفتقده جيش العدو على ما له من قوة واستعداد، فإذا أراد الله سبحانه هذه الحسنى للمجاهد فهي سعادة، ولكنها مطلوبة للمجاهد بعد تحقّق بعض أهدافه الّتي من أجلها تطوّع للجهاد، ومنها:

١ ـ قتل العدوّ واجتياحه، أي استئصاله وقطع اصوله.

٢ ـ أسر العدو، بأن يوقع بالعدو الجهد والمشقة في الاسر.

---

(١) في حاشية (ج): «حتمت ـ س».

(٢) في (ت): «يحتاج»، وفي (س): «الجوح ـ بالجيم والحاء المهملة ـ: الاستيصال، (فبعد أن يجتاح عدوك بالقتل) ومنه الجايحة، وهي الشدّة التي تذهب المال من سِنة أو فتنة، يقال: جاحتهم واجتاحتهم: أي استأصلتهم، واستأصلت الشيء: أي قطعته، ولم أدع شيئاً من أصله. س». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠)».

(٣) في (ت): «تديخهم»، وفي حاشية (ج) (د): «يديخهم ـ س»، وفي هامش (س)، ما نصه: «في نسخة ابن إدريس: (يديخهم) من داخ لنا أي ذلّ وخضع. (اللوامع الأنوار العرشية٤: ٦٤)».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «وَبَعْدَ أنْ يَديخِهِمُ الأسْرُ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وَبَعْدَ أنْ يَديخِهِمُ بالأسْرُ».

(٥) في (ت): «يأمن».

(٦) في (ت): «وَبَعْدَ أنْ تولّي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَبَعْدَ أنْ يولّي».

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «فَبَعْدَ أنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ القَتْلُ، وَبَعْدَ أنْ يُدَيِّخَهُمُ الأسْرُ، وَبَعْدَ أنْ يُوَلِّى عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ، وَبَعْدَ أنْ تَأمَنَ أطرَافُ المُسْلِمِيْنَ»، ويديخهم: يذلّهم.

٣ ـ أمن المسلمين وأطرافهم، أي طوائفهم على اختلافها.

٤ ـ دحر العدو، بأن يولي عن الحرب مدبراً وخاسراً للمعركة.

ففي هذه الحالات تتحقق أهداف المجاهد في سبيل الله الّتي من اجلها نال درجة الشهادة.

[١٧/٢٧ ـ عون الغزاة]:

أَللّهُمَّ، وَأَيُّمَا مُسلِم خَلَفَ[١] غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً[٢] فِي دَارِهِ[٣]، أَوْ[٤] تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ[٥] فِي غَيْبَتِهِ[٦]، أو[٧] أعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ[٨] أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ[٩]، أَوْ شَحَذَهُ[١٠] عَلَى جِهَادٍ[١١]، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ[١٢] دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ[١٣] مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً.

المجاهدون هم المساهمون في ساحة الحرب ضد المشركين، والمرابطون

---

(١) في (ت): «أعان»، وفي حاشية (ج) (د): «خلّفَ ـ س»، وفي هامش (س)، ما نصه: «في نسخة ابن إدريس: (خلّف). (لوامع الأنوار العرشية٤ : ٦٥)».

(٢) الغازي: الخارج لقتال العدوّ، والمرابط: الملازم للثغر، وخلّف: إذا صار خليفة لهُ وقام مقامهُ.

(٣) في (ك): «دَائِرَتهِ»، والدائرة: الدار.

(٤) في (ت): «و».

(٥) في (ت): «حالفته»، وفي (ك) (ق): «خَالِفَتَهُ»، والخالفة: من يخلفهُ الغازي والمرابط في البلد.

(٦) في (ت): «في عينه».

(٧) في (ت): «و».

(٨) في (ت): «و».

(٩) في (ج): «بعتادٍ»، وفي (ك): «بِعِتَادِهِ»، وفي (س): «العتاد: العدّة، نقول: خذ للأمر عدّته وعتاده، أي: أهبته وآلته». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠).

(١٠) شحذهُ: حثَّهُ ورغبَّهُ في الجهاد.

(١١) في (ك): «جهادِهِ».

(١٢) في (ق) العبارة هكذا: «في وجهته».

(١٣) في (ش) العبارة هكذا: «أو رَعَا له».

هم الملازمون في ثغور المسلمين استعداداً للغزو أو الجهاد أو الدفاع، وهؤلاء جميعاً يفتقرون إلى العون من سائر المسلمين الذين لم يساهموا في المعركة أو الرباط لأي سبب كان، وقد سرد عليه السلام في هذا المقطع أنواع العون المرتقب منهم، ومنها:

١ ـ خلافة المجاهد او المرابط في داره، بأن يقوم من تخلف عن الجهاد بما كان يفعله المجاهد عند حضوره، لئلا ينشغل باله بذلك.

٢ ـ تعهد من ترك بعده، للقيام بواجبه، فإنه في غيبته عن الأهل والوطن يفتقر إلى من يخلفه، أي يقوم بامور من يرتبط بالغازي عائليا.

٣ ـ العون المالي للقيام بأداء الدور المطلوب منه.

٤ ـ الإمداد العيني، بأن يمدّه بالعتاد والسلاح المطلوب في ساحة الحرب.

٥ ـ التشحيذ على الجهاد، والشحذ: الإلحاح في السؤال.

٦ ـ الدعاء، بأن يتبعه في الجهة الّتي يقصدها بالدعاء له بالنصر.

٧ ـ رعاية الحرمة بحفظ ما لا يحل انتهاكه.

وهذه صور من العون الذي يستحقه المجاهد ممّن لا يسعه الجهاد بنفسه.

[١٨/٢٧ ـ جزاء العون]:

فَأجِر[١] لَهُ مِثْلَ أجْرِهِ وَزْناً بِوَزْن، وَمِثْلاً بِمِثْل، وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أتى بِهِ[٢]، إلى أنْ يَنْتَهِي به الوَقْتُ إلى مَا أجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وأعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ[٣].

---

(١) في (ج): «فآجر»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «فاجْر، فأجِر».

(٢) لم ترد في (ك) (ش) (ق) (ت): «به».

(٣) في (ق) العبارة هكذا: «من كراماتك».

وجزاء هذا العون يعادل جزاء المجاهد الغازي والمقاتل المرابط سواءً بسواء؛ فإن كلًّا من المباشر بالجهاد والمساعد للمجاهد، يشتركان في النية الصادقة لنصر الإسلام والمسلمين، فله الأجر المماثل في الوزن وزنا بوزن، والمقدار مثلا بمثل، لأن المفروض ان المانع له عن المباشرة في الجهاد سبب عائق عنه، وقد يضاف إلى المعين أجران آخران، فيكون مجموع ما يؤجر به المعين ثلاثة:

١ ـ اجر الجهاد بالاعانة لمن يجاهد ويرابط.

٢ ـ العوض عن المعونة من الدنيا بعوض عاجل، يكون له فيه النفع والسرور في الدنيا.

٣ ـ الثواب والمعونة في الآخرة من فضل الله الذي أعدّه لتكريم من تعاون على البر والتقوى.

[١٩/٢٧ ـ نيّة الغزو]:

أَللّهُمَّ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الإِسْلَامِ[١] وَأَحْزَنَهُ[٢] تَحَزُّبُ[٣] أَهْلِ الشِرْكِ عَلَيْهِمْ[٤]، فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ[٥]، فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ[٦] بِهِ فَاقَةٌ[٧]، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ

---

(١) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِم أَهَمَّهُ أَمْرُ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ»، وفي (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِم نوى إغاثة الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِم نوى إعانة الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ».

(٢) في (ك) (ق) (ت): «وحزنه»، والكلمة غير واضحة.

(٣) في (ت): «تحزب»، والكلمة غير واضحة. وفي (س): «وتحزّبوا: تجمّعوا». (حاشية ابن إدريس: ٢١٠)، وفي الصحاح (١: ١٠٨): حَزِبَ الرجل ـ بالكسر ـ: اشتدّ غضبه.

(٤) لم ترد في (ق) (ت): «عليهم».

(٥) في (ق) (ت): «فَنَوَى غَزْو أرضهم بِجِهَاد».

(٦) في (ت): «أو أطافت».

(٧) الفاقة: الحاجة.

لَهُ دُونَ إرَادَتِهِ مَانِعٌ، فأكْتُبِ إسْمَهُ فِي العَابِدِينَ[(١)]، وَأوْجِبْ لَهُ ثَوابَ المُجَاهِدِيْنَ، وأجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ.

ويستعرض هذا المقطع من لا يشارك بالفعل في الجهاد ولا يمكنه مدّ يد المعونة والمساعدة للغزاة، ولكن له نية صادقة للجهاد في سبيل الله؛ لأنه يهمّه أمر الإسلام كما يهمّ المجاهدين المسلمين، ويحزنه تحزّب أهل الشرك على المسلمين، فهو في النية يشارك المجاهدين وان لم يشاركهم بالفعل لسبب يمنعه عن ذلك، وقد أشار عليه السلام إلى الأسباب التالية:

١ ـ الضعف، لكبر في العمر أو مرض أو ما شابه، فلا يمكن ان يقوم بدور إيجابي في الجهاد، بل قد يكون حينئذ معوّقاً.

٢ ـ الفاقة، وهي الفقر والحاجة، لعدم تيسّر الوسائل المطلوبة له في تسهيل سبيل الجهاد.

٣ ـ الحادث، الموجب لعدم اللحوق بركب المجاهدين، كمعالجة المرضى والعناية بهم.

٤ ـ العارض الذي لا يكون تحت ارادته واختياره.

فهذه الحالات الاستثنائية توجب ان لا يفوز البعض بالالتحاق بركب المجاهدين، وان كان يشاركهم الآلام والآمال، فهو يستحق أن يعتبر من الموالين لهم؛ فإن المناط ـ وهو الفرح لفرحهم والحزن بحزنهم ـ حاصل، فيستحق بان:

١ ـ يكتب اسمه في العابدين؛ لأن نيته نية خير.

٢ ـ يجب له ثواب المجاهدين؛ لاشتراكه معهم في النية.

---

(١) في (ق) (ت): «فَي الغازين»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أوْ عَرَضَ لَهُ مِنْ دُونِ إرَادَتِهِ عَارِضٌ، فَلَمْ تَنْفُذْ لَهُ نِيَّتُهُ، وَلَمْ يُقْضَ لَهُ بِإرَادَتِهِ، فاكْتُبْ اِسْمَهُ فِي الغَازِيْنَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أوْ عَرَضَ مِنْ دُونِ إرَادَتِهِ عَارِضٌ، فَلَمْ يَنْفُذْ لَهُ نِيَّتُهُ، وَلَمْ تَمْض لَهُ إرَادَتُهُ، فاكْتُبْ اِسْمَهُ فِي العَابِدِينَ».

٣ ـ يدخل في جماعة الشهداء والصالحين.

كل ذلك من أجل نيته الصالحة، وقد ورد في الحديث أن «نيّة المؤمن خيرٌ من عمله»[١].

[٢٧/٢٠ ـ الرسول القدوة]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلاةً عَالِيَةً[٢] عَلَى الصَّلَواتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلاةً لَا يَنْتَهِي أَمَدُهَا[٣]، وَلَا يَنْقَطِعُ عَدَدُها، كَأَتَمّ ما مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، إِنَّكَ [أَنْتَ][٤] المَنَّانُ الحَمِيْدُ، المُبْدِىءُ، المُعِيْدُ، الفَعَّالُ لِمَا تُرِيْدُ[٥] [بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ][٦].

وقد ختم الدعاء لأهل الثغور بالمثال الذي يجب ان يقتدى به في الغزو والجهاد والصمود والثبات وسلوك طرق الحكمة والسداد الّتي سلكها القائد الأعلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنّ في سيرته المباركة في مكة قبل الهجرة، وفي المدينة بعدها من الدروس والعبر والصبر والحكمة والوعي والمثابرة ما يجب على كل مجاهد ومرابط أن يستلهم منها، وقد تكفلت كتب السيرة النبوية ذلك.

وحيث ان الجهاد النبوي الذي سار عليه أهل بيته الطاهرون تكشف عن رؤية

---

(١) راجع: كتاب المحاسن ١: ٣٦٠.

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ صَلاةً عَالِيَةً»، وفي (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآله عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ صَلاةً لا ينتهي أمدها»، ولم ترد في (ت) عبارة: «عَالِيَةً عَلَى الصَّلَواتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلاةً».

(٣) في حاشية (ج): «مددها ـ س»، وفي (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وآل محمد صَلاةً لا ينتهي أمدها»، والأمد: الغاية.

(٤) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٥) في (ت): «فعالٌ لما يريد»، وفي (ك) (ش): «الفعال لما يريد».

(٦) ما بين المعقوفتين من (ش).

واضحة والسير بخطى ثابتة لتحقيق حكم الله في الأرض، فالصلوات عليه وعلى آله يتصف بصفات خاصة، أهمها:

١ ـ صلواتاً عالية على الصلوات؛ لأنه المثل الأعلى للمسلمين.

٢ ـ مشرفة فوق التحيّات، لأنّه ﷺ أشرف الأنبياء والمرسلين.

٣ ـ صلاة لا ينتهي أمدها؛ لأنه أكمل الرسالة الإلهيّة الأبدية الشاملة لكل العالم.

٤ ـ الصلاة التامة؛ لأنه جاء بأتمّ الشرائع وختمها بالهداية التامّة لمن استهدى.

فالمجاهد في سبيل الله يجب أن يتّخذ من الرسول القائد ﷺ أُسوة يقتدي به في سيرته من الولادة إلى الوفاة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

(١) القرآن الكريم، سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

[الدُّعاءُ الثَّامن والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام متفزّعاً إلى اللهِ جَلَّ وعَزّ[1]

[١/٢٨ ـ صفات الفازع إلى الله]:

أَللّهُمَّ إنِّي أَخْلَصْتُ بانْقِطَاعِي[2] إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ[3]، وَصَرَفْتُ[4] وَجْهِي عَمَّنْ يحْتَاجُ[5] إلى رِفْدِكَ[6]، وَقَلَبْتُ[7] مَسْأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَغْنِ[8] عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنَّ طَلَبَ

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٠) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاخْلاصِ والطَلَبِ إلى اللهِ تَعَالى دُونَ خَلْقِهِ»، وفي (ش) بالرقم (١١) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاخْلاصِ، الدعاء إلى اللهِ عز وجلّ والرغبة اليهِ»، وفي (ج) بعنوان: «الثامن والعشرون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام متفزّعاً إلى اللهِ جَلَّ وعَزّ»، وفي (ق) بعنوان (الثامن والعشرون)، وتحته عنوان: «في التفزّع»، وفي (ت) بعنوان (الثامن والعشرون)، وتحته عنوان: «في التفزّع إلى الله تعالى»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٨)، بعنوان: «دُعاؤهُ مُتَفزّعَاً إلى اللهِ».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنِّي أخْلَصْتُ اِنْقِطَاعِي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنِّي أخْلَصْتُ نفسي بِتضَرّعِي»، وفي (س): «يقال: انقطع فلان إلى فلان، أي إذا اختصّ به ولم يذهب إلى غيره. س». (حاشية ابن إدريس: ٢١٣).

(٣) لم ترد في (ق)عبارة: «وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ».

(٤) في حاشية (ج) (د): في نسخة: «وصُنت».

(٥) في (ك) (ش): «عمّن احتاجَ».

(٦) في (س): «الرِفد: العطاء». (حاشية ابن إدريس: ٢١٣).

(٧) في (ك) (ق) (ت): «وَفتلت»، وفي (ف): «وَقبلت».

(٨) في (ش) العبارة هكذا: «مَسْأَلَتِي منْ لَمْ يَسْتَغْنِ».

المُحْتَاجِ إلى المُحْتَاجِ سَفَهٌ[١] مِنْ رَأيِهِ وَضَلَّةٌ[٢] مِنْ عَقْلِهِ[٣].

الفزع: هو اللجأ إلى الله والاعتصام به، وقد تضمّن الدعاء ثلاثة مقاطع ذكر فيها صفات الفازع إلى الله، وسبب الفزع، وصفات المفزع الّتي بسببها يرجع الفازع إليه لسدّ أسباب الفزع.

وفي المقطع الاوّل يذكر من صفات الفازع ما يلي:

١ ـ الإخلاص في الانقطاع إلى الله، دون سواه ممن يتّخذ لنفسه عادة مفزعاً يلجأ إليه في اوقات الفزع ممن لا يعرف الله.

٢ ـ الإقبال التامّ بكل مكونات الإنسان فكرياً وعملياً وروحيا بالدعاء.

٣ ـ صرف النظر عن الآخرين؛ لأنهم يحتاجون إلى رفد الله، أي صلته تعالى.

٤ ـ تحويل السؤال إلى الله فقط، وقلب المسألة: أي تحويلها إليه تعالى، لأن غيره لن يستغني عن فضل الله.

٥ ـ الرؤية الواضحة بأنّ الطلب من غير الله انما هو طلب المحتاج إلى محتاج آخر؛ لأن كل ممكن محتاج، وطلب المحتاج إلى المحتاج انما هو طلب المثل إلى آخر مثله في الاحتياج، وهذا من السفه والنقص في الرأي، والضلال من العقل؛ إذ أنّ الرأي الحصيف هو أن لا يطلب المحتاج ممن هو محتاج في نفسه لينعم عليه ما هو بحاجة إليه.

---

(١) في (س): «السفه: ضد الحلم، وأصله الخفّة». (حاشية ابن إدريس: ٢١٣).

(٢) في (ش) (ت): «من رآئه وضلّة»، والسفه: الجهل، والضلّة: الحيرة، وفي (س): «ضلّ الشيء يضل ضلالاً، أي ضاع وهلك، وفلان يلومني ضلةً: إذا لم يوفّق للرشاد في عذله». (حاشية ابن إدريس: ٢١٣).

(٣) في (ق): «عن عفّته».

[٢/٢٨ ـ الاعتبار بالأغيار]:

فَكَمْ قَدْ رَأيْتُ[١] ـ يا إلهي ـ مِنْ أُنَاس طَلَبُوا العِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا[٢] الثَّرْوَةَ مِنْ سِوَاكَ[٣] فافْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الارْتِفَاعَ فاتَّضَعُوا[٤]، فَصَحَّ بِمُعَايَنَةِ أمْثَالِهِمْ[٥] حَازِمٌ وَفَّقَهُ[٦] اعْتِبَارُهُ[٧]، وَأرْشَدَهُ[٨] إلى طَرِيقِ صَوَابِهِ اخْتِيَارُهُ[٩].

وقد استدل على هذه الرؤية الواضحة بحوادث لا يخلو منها حياة أي انسان يدرس حالة من عاصره من الذين خابوا في آمالهم بالرجوع إلى المحتاجين من أمثالهم، منهم:

١ ـ اناس طلبوا العزّ بغير الله بصحبة من لهم عزّة ظاهرة فأصبحوا أذلّاء له في التاريخ.

---

(١) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «فكم رأيت».

(٢) راموا: أرادوا.

(٣) لم ترد في (ش): «من سواك»، وفي (س): «الثروة: كثرة العدد، ويقال: انّه لذو ثروة وذو ثراء، يُراد به إنّه لذو عدد وكثرة مال». (حاشية ابن إدريس: ٢١٣).

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «وَحَاوَلُوا الارْتِفَاعَ بِغَيْرِكَ فاتَّضَعُوا».

(٥) بمعاينة أمثالهم: أي بمعاينتهم، ولفظ «أمثال ـ هنا ـ للمبالغة، كقولكَ للأمير: مثل الأمير يفعلُ كذا!، تريدُ أنَّكَ تفعلُ كذا؟.

(٦) في (س): «وفق واتفق بمعنىً. س». (حاشية ابن إدريس: ٢١٤)، وفي لوامع الأنوار العرشية: أن في نسخة ابن إدريس: (يفق) من الوفق بمعنى الموافقة بين الشيئين، (راجع: لوامع الأنوار العرشية٤: ٨٢).

(٧) في (ك) (ش): «فصح بمعاينة أمثالهم مِنْ حَازِم اعْتِبَارُهُ»، وفي (ف): «فصحّ بمعاينة أمثالهم مِنْ خَارِقة الاعْتِبَار»، وفي (س): «الحزم: ضبط الرجل أمره، وأخذه بالثقة، فهو حازم. والاعتبار: العبرة». (حاشية ابن إدريس: ٢١٤)، والحزم: اتقان الرأي وضبط الأمر، والأخذ فيهِ بالثقة، والاعتبار: الاعتداد بالشيء لترتيب الحكم عليهِ، أي الذي يكون اعتبارهُ حازماً.

(٨) في (ت): «فأرشده».

(٩) في (ت) (ك): «اخْتِبَارُهُ»، وفي (ف): «الاخْتِبَار»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «اختباره، اختياره ـ معا».

٢ ـ اناس راموا الثروة من سوى الله، غافلين عن أن من له الغنى انما أصبح غنياً من الفقر بما قتّر على نفسه بجمع رأس ماله؛ لافتقاره إلى تلك العناوين الخيالية.

ونتيجة هذه الدراسة لحياة الآخرين ومسيرهم، ومعاينة مصيرهم ومصير أمثالهم، ودراسة تاريخهم يؤدّي إلى الحزم والاعتبار والرشد.

[٣/٢٨ ـ سبب الفزع]:

فأنْتَ يَا مَولَايَ(١) دُونَ كُلِّ مَسْؤولٍ مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي، وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إليْهِ وَلِيُّ حَاجَتِي، أَنتَ(٢) المَخْصُوصُ(٣) قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي(٤)، لَا يَشْرَكُكَ(٥) أحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَّفِقُ أحَدٌ مَعَكَ(٦) فِي دُعَائِي(٧)، وَلَا يَنْظِمُهُ وإيَّاكَ نِدَائِي(٨).

وعن سبب الفزع يشير هذا المقطع إلى أمرين، هما:

١ ـ السؤال، ولا يكون السؤال إلّا ممّن له علم بما يسأل عنه، والله العالم بكل شيء يكون موضع المسألة دون غيره.

٢ ـ الحاجة، ولا يرفع الحاجة إلّا إلى مَن له القدرة على رفع الحاجة، والله على كل شيء قدير، فهو وليّ الحاجة القائم بها.

---

(١) لم ترد في (ك) (ش): «يا مولاي»، وفي (ف): «يا سيدي»، ولم ترد فيها: «فأنت».
(٢) لم ترد في (ك) (ش): «أنت».
(٣) في (ف) زيادة: «بها».
(٤) في (ف): «يدعوني».
(٥) في (ك) (ق): «ولَا يَشْرَكُكَ».
(٦) لم ترد في (ف): «معك».
(٧) في (ش) العبارة هكذا: «وَلَا تَتَّفِقُ مَعَكَ فِي دُعَائِي».
(٨) العبارة في (ك) هكذا: «وَلَا يَنْظِمُهُ إيَّاكَ نِدَائِي»، ولا ينظمهُ: أي لا يجمعهُ.

وهذان السببان يوجبان الفزع إلى الله سبحانه دون غيره، فيجب على الداعي الفازع ان يجعل دعوته من الله موصوفة بالاخلاص، والتي منها:

١ ـ الدعوة خاصّة من الله قبل كل مدعوّ.

٢ ـ الرجاء خاصّة من الله من دون شركة احد.

٣ ـ الدعاء خاصّة لله من دون مقارنة لأحد.

٤ ـ النداء خاصّة لله من دون انضمام آخر.

فإن السببين: السؤال والحاجة يوجبان ان يكون خالصا لله سبحانه من دون أيّة شائبة للشرك.

[٢٨/ ٤ ـ صفات المفزع]:

لكَ ـ يا إلهي ـ وَحْدَانِيَّةُ العَدَدِ [الفَرْدِ][١] وَمَلَكَةُ القُدْرَةِ الصَّمَد[٢]، وَفَضِيْلَةُ الحَوْلِ والقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ العُلُوِّ والرِّفْعَةِ، وَمَنْ سِوَاكَ[٣] مَرْحُومٌ[٤] فِي عُمْرِهِ[٥]، [وَ][٦] مَغْلُوبٌ على أمْرِهِ، [وَ][٧] مَقْهُورٌ عَلَى شأنِهِ[٨]، مُخْتلفُ الحَالَاتِ، مُتَنقِّلٌ[٩] فِي الصِّفَاتِ[١٠]، فَتَعَالَيتَ عَنِ الأَشْبَاهِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت)، والعبارة في (ف) هكذا: «لَكَ ـ يا إلهي ـ وَحْدَانِيَّةُ العزة».

(٢) في (ت): «وملكة قدرة الصمد»، ولم ترد في (ك) (ش) (ف): «الصمد».

(٣) في حاشية (ج): «سُواك، سِواك» بدون علامة، وفي (ف): «سُوال».

(٤) أي يرق لهُ ويتعطف عليهِ من يعلم حقيقة حالهِ من ذلّة الافتقار والحاجة والإمكان.

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «مرحوم فِي قدْرِهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «مرحوم فِي قدْرَتهِ».

(٦) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت)، وعبارة: «مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، و» لم ترد في (ف).

(٧) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٨) لم ترد في (ف) عبارة: «ومَقْهُورٌ عَلَى شأنِهِ».

(٩) في (ك) (ش) (ف) (ت) وظاهر(ق): «منتقلٌ». وقال السيد المدني: «التنقل: تفعُّل من النقلة، وهو هنا مجاز عن الاتصاف بالصفات المختلفة حالاً بعدَ حال». (رياض السالكين ٤: ٣٠٦).

(١٠) قال السيِّد المدني: هذهِ العبارة تفسِّر قوله عليه السلام: «من سواك مختلف الحالات =

وَالأَضدَادِ، وَتَكَبَّرتَ عَنِ الأَمثَالِ وَالأَندَادِ، فَسُبحَانَكَ لَا إِلَه إِلَّا أَنتَ[1] تَعَالَيْتَ[2] [عُلُوّاً كَبِيراً، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ][3].

وقد سرد في هذا المقطع بعض صفات من ينبغي أن يفزع إليه، الّتي توجب اجابة السؤال ورفع الحاجة؛ لأن هذه الصفات تكشف عن القدرة المطلقة الّتي تحت قدرتها إجابة السائل، ومنها:

١ ـ وحدانية العدد؛ فإن الأعداد على كثرتها تنتهي إلى الواحد الأحد، وقد شرحت معنى هذا في المعجم، فليراجع.

٢ ـ ملكة القدرة الصمد، أي تملك القدرة الّتي لا خلل فيها، فإن الله على كل شيء قدير.

٣ ـ فضيلة الحول والقوة؛ الحول: القدرة. والقوة: تمامها، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

٤ ـ درجة العلوّ والرفعة على كل الممكنات الّتي تحتاج إلى الواجب تعالى، وهذه الصفات فيمن يفزع إليه توجب الرجوع إلى الله تعالى دون غيره.

وعلى النقيض من صفات المفزع، هناك تعدادٌ لصفات غيره ممن سواه تعالى، فإنها تشترك في كونه:

١ ـ مرحوم في عمره؛ لأنّه في مدة عمره يفتقر إلى الرحمة من الله.

٢ ـ مغلوب على أمره؛ لأنه لا قدرة له على ما هو خارج عن تحت قدرته.

= متنقل في الصفات»، والمراد إثبات وحدانية ما تعدد من صفاتهِ وتكثَّرَ من جهاتهِ. (رياض السالكين: ٢٩٥).

(١) في (ف) العبارة هكذا: «فتعاليت عن الاشباه، وتكبّرت عن الانداد، وسبحانك لا إله إلّا أنت»، ولم ترد في (ك) (ش): «فتعاليت عن الاشباه والاضداد، وتكبّرت عن الامثال والانداد، فسبحانك لا إله إلّا أنت».

(٢) كلمة: «تعاليت» من (ق) فقط.

(٣) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

٣ ـ مقهور على شأنه؛ لأنه محكوم بعوامل الطبيعة الّتي هي تحت قدرة الله تعالى.

٤ ـ مختلف الحالات، من الصحة والمرض والشباب والشيخوخة والعزّ والذل.

٥ ـ متنقل في الصفات، من الجهل والعلم والحلم والغضب وما شابه.

فالإنسان مهما كان كاملا لابد وأن تتواجد فيه هذه الصفات، شأنه شأن كلّ الأمثال والأنداد، فيكون السؤال عمّن سوى الله تعالى سؤال المحتاج من المحتاج الذي هو سفه في الرأي.

فلا مفزع سوى الله سبحانه الذي تعالى عن الأشياء بواحدانيته، وعن الاضداد بقدرته، وهو أعظم من ان يكون له مثل ونظير، او ندٍّ وشبيه، فلا مفزع سوى الله الذي لا إله إلّاهو.

[الدُّعاءُ التّاسِع والعشرون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا قُتِرَ[1] عَلَيهِ الرِّزقُ[2]

[١/٢٩ ـ دعاء الرزق]:

أللّهُمَّ إنَّكَ قَدْ[3] ابْتَلَيْتَنَا فِي أرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ[4]، وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الأمَلِ، حَتَّى الْتَمَسْنَا أرْزَاقَك[5] مِنْ عِنْدِ المَرْزُوقِينَ[6]، وَطَمِعْنَا[7] بآمَالِنَا فِي أعْمَارِ المُعَمَّرِينَ[8].

كل انسان يمر بالامتحان بما يواجهه من المشاق في الحياة، ومن الابتلاء ـ

---

(١) في حاشية (ج): «قُتِر، قُتِّر ـ س».

(٢) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٢) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي القناعة»، وفي (ش) بالرقم (١٢) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي معنى الرزق»، وفي (ج) بعنوان: «التاسع والعشرون وكان من دُعائِهِ عليه السلام اذا قتر عليه الرزق»، وفي (ق) بعنوان (التاسع والعشرون)، وتحته عنوان: «في الرزق»، وفي (ت) بعنوان (التاسع والعشرون)، وتحته عنوان: «في طلب الرزق»، وفي (ف) بعد الدعاء السابق بدون عنوان، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٩)، بعنوان: «دُعاؤهُ في قَضَاءِ الدَّيْنِ».

(٣) لم ترد في (ق) (ت) (حاشية ابن إدريس): «قد».

(٤) في (ك) (ش) (ف): «بسوء الصبر».

(٥) في (ف) (ت): «أرزاقنا»، وفي حاشية (ج) (د): «أرزاقنا ـ س».

(٦) في (ك) (ف) العبارة هكذا: «أرْزَاقنا مِنْ عِنْدِ المُرْتزقِيْنَ»، وفي (ش) (ق) العبارة هكذا: «أرْزَاقنا مِنْ عِنْدِ المرزوقينَ».

(٧) في (ف): «طمعاً».

(٨) قال ابن دريد: لا تعد العرب معمراً إلّا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً (أمالي المرتضى ١: ٢٣٦).

أي الامتحان ـ هو الرزق، فإن الله انعم على كل فرد بما يؤمّنه في حياته من طعام وشراب، ولو كانت له القناعة لعلم أنّ الصحة اهم في الحياة مما يراه رزقاً ميسوراً للآخرين، مع انه لا أمان له من فقدانها بأسباب ليست باختياره.

ومحور الامتحان بأمرين:

الأول: سوء الظن بالله، بأنّ الآخرين منعّمين بأنواع الرزق، وهو محروم منها، مع أنّ الحقيقة أنّ الآخرين ليسوا منعمين وان تظاهروا بها؛ فإنهم مبتلين بالحرص على ما لديهم لئلا تفوتهم. وهم ينظرون إلى من فوقهم في الرزق والمال بنظرة مشابهة لما ينظر هذا المبتلى إليهم، بل أشد، فالحالة في حقيقتها واحدة، وكل واحد يتألم في نفسه لعدم القناعة بما في يده.

الثاني: طول الأمل، فالممتحن الذي ينظر إلى الرزق الواسع بأمل أن يعيش مدّة أطول ليحصل على ما يأمل، ولا ضمان لأحد في هذه الدنيا في الحياة الدائمة. حيث ان المفاجآت لا يمكن ان يتوقاها الإنسان، ولا أمان من الموت.

وإذا لم يهتم الإنسان بهذين الامرين فإنه يحاول ان يلتمس ما يظنه نقصاً للرزق بالنسبة إلى الآخرين الذين يراهم مرزوقين، ويفضّل ان يكونوا في الحاجة مثله، وهم على ما لديهم حريصين خوف ان يفوتهم ما به إعتبارهم.

وكذلك فهو يطمع في أن يصبح معمّراً لينتفع بآثار هذا الرزق المأمول، والحقيقة انه ان كلما زادت ممتلكاته زادت همومه للمحافظة عليها، وكلما زاد عمره نقص نشاطه في القيام بدور المحافظة عليها، وكثر حوله دعاة الصحبة والخلوص للنصب عليه ممن لا يتوقع منهم ذلك، فأصبح كالحامل نفسه على همومه والآلامه، فما هو الحل؟

[٢/٢٩ ـ والحل]:

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] هَبْ لَنَا يَقِيْناً صَادِقاً تَكْفِينَا[٢] بِهِ

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ت): «يكفينا».

من[١] مؤُونَةِ الطَّلَبِ[٢]، وَالْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا[٣] بِهَا[٤] مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ[٥]. واجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ[٦] فِي وَحْيِكَ[٧]، وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ[٨] قَسَمكَ فِي كِتَابِكَ قَاطِعاً[٩] لاهْتِمَامِنَا بالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِهِ[١٠]، وَحَسْماً[١١] للاشْتِغَالِ[١٢] بِمَا ضَمِنْتَ الكِفَايَةَ لَهُ[١٣]، فَقُلْتَ[١٤] وَقَوْلُكَ الحَقُّ الأَصْدَقُ[١٥]، وَأَقْسَمْتَ[١٦] وَقَسَمُكَ الأَبَرُّ[١٧] الأَوْفَى[١٨] ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾، ثـمّ قُلـتَ:[١٩] ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٢٠].

---

(١) لم ترد في (ف): «من».
(٢) في (ك): «تكْفِنَا به مؤنة الطلب» والمؤنة: الثقل.
(٣) في (ت): «يعفينا».
(٤) لم ترد في (ف): «بها».
(٥) في (ك): «تغننا من شدة النصب»، والنصب: التعب.
(٦) عدتك: وعدك.
(٧) في (ف): «ووحيك».
(٨) لم ترد في (ت): «من».
(٩) في (ك) (ش): «قَطعَاً».
(١٠) في (ش) العبارة هكذا: «بالرِّزْقِ الَّذِي كَفلْتَ بِهِ».
(١١) في (س): «الحسم: القطع». (حاشية ابن إدريس: ٢١٥).
(١٢) في حاشية (ج) (د): «للاستعمال ـ س».
(١٣) في (ق): «لنا»، وفي (ف)العبارة هكذا: «وحتماً لاستغناءِ من ضَمِنْتَ الكِفَايَةَ لَهُ».
(١٤) في (ف): «فإنك قلت».
(١٥) لم ترد في (ف): «الأصدق».
(١٦) في (ق): «وقسمت».
(١٧) لم ترد في (ف): «الأبر».
(١٨) في (ك) العبارة هكذا: «وَقَوْلُكَ الأَصْدَقُ، وَقَسَمْتَ وَقَسَمُكَ الأَوْفَى»، والاوفى: الاتمّ.
(١٩) لم ترد في (ق) (ف): «ثم قلت».
(٢٠) القرآن الكريم، سورة الذاريات٥١: ٢٢ و٢٣، وفي هامش (س) ما نصّه: «وجاء في (لوامع الأنوار العرشية٤: ١١٨): وأمّا إعراب (مثل) فهي مرفوعة في نسخة ابن إدريس =

ان الحل لهذه المشكلة النفسية ليس بالرزق وحده؛ فإن زيادة الرزق تستلزم زيادة الهم في المحافظة عليه، وزيادة الحرص على تكثيره حتى يصل إلى مرحلة متقدمة أفضل، وهكذا في كل مرحلة حيث لا ينتهي إلى حد.

وهذا المقطع من الدعاء يشير إلى أن الحل الحقيقي في أمرين:

١ـ اليقين الصادق والقناعة بما فيه الخير والصحة والسلامة والعافية في الدين والدنيا؛ فإن هذا اليقين الصادق يغني الإنسان عن تجشّم الطلب للرزق بأكثر ممّا يكفي الإنسان في حياته اليومية.

٢ ـ الثقة الخالصة بأنّ الرزق مقسوم، ولا ينام أحد من الناس جائعاً غير واجد لما يكفيه، وانما يفوته الطعام الافضل؛ فإن عدم الثقة الخالصة يجعله ان يتحمل شدة النصب والتعب، وفي آخر المطاف لا يأكل أكثر مما يأكله الآخرون من الطعام، ولا يحتوي بطنه أكثر مما يمكن ان يحتويه مهما اشتد تعبه وجدّه وجهده.

٣ ـ الإيمان بالقسمة الإلهيّة، كما نطقت به الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(١) وقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾(٢) المتعاقبتان، واللتان تؤكدان القسمة الإلهيّة العادلة بالرزق بما يكفي الإنسان في حياته اليومية لو سعى كما أمره الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ❁ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾(٣) والوعد الصادق يتحقق لمن سعى لتحصيله بما أمره الله سبحانه.

والقناعة تجمع هذه النقاط الثلاث المتقدمة وتجعل الإنسان في حصانة نفسية من سوء الظن وطول الأمل، وهما العاملان اللذان لا يزيدان الإنسان إلّا فقراً وحرصاً وحسداً لمن هو أعلى درجة وأكثر رزقاً.

= على انّها صفة لـ (حقّ)، ولا يضرّه الإضافة إلى المعرفة، لتوغّلها في الإبهام، ومنصوبة في الأصل».

(١) القرآن الكريم، سورة الذاريات ٥١: ٢٢ و٢٣.

(٢) القرآن الكريم، سورة الذاريات ٥١: ٢٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة النّجم ٥٣: ٣٩ ـ ٤٠.

[الدُّعاءُ المتمّم للثلاثين]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي المعونة على قضاء الدَّيْن[1]

[١/٣٠ ـ آثار الدين]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِي العَافِيَةَ[2] مِنْ دَيْن تخْلِقُ[3] بِهِ[4] وَجْهِي، وَيَحَارُ فيه ذِهْنِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي[5]، وَيَطُولُ بِمُمَارَسَتِهِ[6] شُغْلِي، وَأعُوذُ[7] بِكَ ـ يَا رَبِّ ـ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ. فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[8]، وأعِذْنِي مِنْهُ.

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٤) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الدين»، وفي (ش) بالرقم (١٥) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الدين»، وفي (ج) بعنوان: «الثلاثون وكان من دُعائِهِ عليه السلام في المعونة على قضاء الدين»، وفي (ق) بعنوان (الثلاثون)، وتحته عنوان: «في قضاء الدين»، وفي (ت) بعنوان (الثلاثون)، وتحته عنوان: «في طلب قضاء الدين»، وفي (ف) بعد الدعاء السابق وبدون عنوان، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٠)، بعنوان: «دُعاؤُهُ في قضاء الدينِ».

(٢) العافية: مصدر عافى، أو اسم منهُ: اذا أصفح وتركَ وأعرضَ.

(٣) في ظاهر (ت) العبارة هكذا: «يخلق».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «فيه».

(٥) لم ترد في (ف) عبارة: «وَيَتَشَعَّثُ لَهُ فكرِي»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ اني اسألك العَافِيَةَ مِنْ دَيْن يَخْلُقُ بِهِ وَجْهِي، وَيَتَشَعَّثُ لَهُ ذِهْنِي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ اني اسألك العَافِيَةَ مِنْ دَيْن تَخْلُقُ بِهِ وَجْهِي، وَيَنْشَعِبُ لَهُ ذِهْنِي»، أي ترخص وتبذل، والتشعُّث: التفرُّق. ومنهُ: مشعوثُ العقل.

(٦) في (ق) (ت) (ف) العبارة هكذا: «لممارسته».

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «فأعوذ»، وفي (ت) العبارة هكذا: «أعوذ».

(٨) في (ق) العبارة هكذا: «فصل على محمد وآل محمد وأجرني منه بيسر كامل ووسع فاضل =

وأستجير بِكَ[١] - يا ربّ - مِنْ ذِلَّتِهِ[٢] فِي الحَيَاةِ[٣]، وَمِنْ تَبِعَتِهِ[٤] بَعْدَ الوَفَاةِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَ[٥] أَجِرْنِي مِنْهُ بِوُسْعٍ فَاضِلٍ[٦] أَوْ كَفَافٍ وَاصِلٍ[٧].

مفتتح هذا الدعاء في الرواية المشهورة من نسخة المجلس بما يلي: «وهب لي العافية من دين» وكذلك في رواية ابن مالك (الدعاء الرابع عشر)، ولكن هذا المقطع لم يرد في نسخة الشارح المدني (ت/ ١١١٢هـ) من الرواية المشهورة، بل المفتتح فيها: «اللهم اني أعوذ بك من دين... الخ» وفي افتتاح دعاء الدين بقوله: «هب لي العافية» من الاستعارة البديعية ما لا يخفى؛ فإن الدين شبيه بالمرض، فالتخلص منه عافية كالتخلص من المرض، والحالتان متشابهتان في العوارض والآثار والأسباب والعلاج، فكما أنّ الجسم المستمتع بالمناعة لا يطول به المرض، فكذلك الإنسان المدين إذا تحصن بمناعة القناعة فإنه لا يبتلي بمرض الدين، وان ابتلي به فإنه لا يطول به المرض.

= وكفاف واصل»، وبعدها وردت عبارة: «اللهم صل على محمد وآل محمد وأعذني منه، وأستجير بِكَ يارَبِّ مِنْ ذلّتِهِ فِي الحَياةِ، وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الوَفَاةِ، اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاحجبني...».

(١) في (ت) العبارة هكذا: «وأستخيرك».

(٢) في حاشية (ج): «ذَلّته - س»، وفي حاشية (د) هنا ما نصه: «نقلا عن هامش هذه النسخة حكاية «ذَلّته» بفتح الذال عن نسخة ابن إدريس رحمه الله، سقطت الحكاية بسقوط الهامش، وقال السيد باقر العلوم: ان على هذه الحكاية، فالظاهر هو كون [كلمة لا تقرأ] هنا أبلغ».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وأعوذ بك من همّ الدين وفكره، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ ذُلِّهِ فِي الحَياةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وأعوذ بك من همّ الدين وفكره، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ، وأعُوذُ بِهِ مِنْ ذلّتهِ فِي الحَياةِ».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «ومن تبعه».

(٥) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٦) في (ت) العبارة هكذا: «بيسرٍ كاملٍ ووسعٍ فاضلٍ»، والوسع: الغنى والثروة، والفاضل: الزائد.

(٧) في (ت) العبارة هكذا: «وكفافٍ واصلٍ»، والكفاف: ما ليسَ فيهِ زيادة ولا نقصان، لأنهُ يُكِفُّ عن الناس ويُغني عنهم، والواصل: هو المتواصل غير المنقطع.

ومهما كان، فقد تضمّن المقطع الأول آثار الدين العامة للدائن، والتي منها:

١ ـ خلق الوجه، أي يصبح الوجه بالياً بسبب الذل الحاصل من الدين.

٢ ـ حيرة الذهن في سبيل التخلص من الدين والذل الحاصل منه.

٣ ـ تشعّب الفكر في دفع الدين من جهة ودفع الحاجة من جهة أُخرى.

٤ ـ طول الشغل لتحصيل ما يدفع به الدين، وأحياناً تكون فوق الطاقة.

٥ ـ همّ الدين، ومن أظهر مظاهر الهم: الحزن والقلق الحاصل من الدين.

٦ ـ فكر الدين، وتكراره هنا للتأكيد بأنّ للتفكر فيه أثر واضح على الحياة، سواءً اثر في تشعب الفكر أم لا.

٧ ـ سهر الدين، أي السهر في الليل الحاصل بسبب الدين والتفكير في التخلص منه.

٨ ـ شغل الدين، وتكراره للتأكيد على ان الدين في نفسه شغل شاغل سواءً كان قصيراً ام طويلاً.

٩ ـ ذلّ الدين في الحياة، وأظهر مظاهره: ان يتحاشى المدين من مواجهة الدائن، لشعوره بالنقص أمامه.

١٠ ـ ذل الدين بعد الوفاة، حيث يضطر من بيده الأمر كالورثة من استرضاء من له الحق، بما كان الإنسان يمتنع منه في الحياة. هذا إذا كان هناك للدائن من الورثة من يقوم بذلك، وأما إذا لم يلتزموا بموازين الشرع فالذل أتم وأخزى.

وهذه الآثار توجب الاستعاذة بالله تعالى من الدين والاستجارة به منه، وذلك بسدّ الخلل بأحد وجهين:

١ ـ بوسع فاضل، أي توسعة تزيد على الحاجة.

٢ ـ أو كفاف واصل، أي ما يكفي لأداء الدين واصل إلى المحتاج لرفع حاجة الدين، وما ذلك على الله بعزيز.

[٣٠/٢ ـ أسباب الدين]:

أللّهُمَّ صَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٢] احْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالإزدِيَادِ[٣]، وَقَوِّمْنِي بِالبَذْلِ وَالاقْتِصَادِ[٤]، وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَقْدِيرِ، وَاقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ[٥]، وأَجْرِ[٦] مِنْ أَسْبَابِ[٧] الحَلَالِ أرْزَاقِي[٨]، وَوَجِّهْ فِي أبْوَابِ البِرِّ إنفَاقِي[٩]، وازْوِ[١٠] عَنِّي[١١] مِنَ المَالِ مَا يُحْدِثُ لِي[١٢] مَخيلَةً[١٣] أو تَأدِّياً[١٤] إلى

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «فصلِّ».

(٢) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلِّ على محمّد وآله و».

(٣) لم ترد في (ك) (ش) (ف): «وَالازدِيادِ»، والسرف: مجاوزة حدّ الاعتدال والاقتصاد.

(٤) في (ك) (ش) (ف) العبارة هكذا: «وَقَوِّمْني بالاقْتِصَادِ».

(٥) في (س): «تبذير المال: تفريقه إسرافاً». (حاشية ابن إدريس: ٢١٧)، والتبذير: تفريق المال على وجه الإسراف أو في غير موضعه.

(٦) في (ف) العبارة هكذا: «وأجزل».

(٧) لم ترد في (ف): «أسباب».

(٨) في (ف) العبارة هكذا: «وأجْزِل مِنْ أسْبَابِ الحَلَالِ رزقِي»، وفي (ك) العبارة هكذا: «اللّهمَّ أجْرِ مِنْ أسْبَابِ الحَلَالِ رزقِي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وأجْرِ مِنْ أسْبَابِ الحَلَالِ رزّاقِي».

(٩) في (ك) (ف) العبارة هكذا: «وَوَجِّه فِي أبْوَابِ البِرِّ نَفَقتي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَوَجِّه من أبْوَابِ البِرِّ نَفَقتي».

(١٠) في حاشية (ج) (د): «وأَزْوِ ـ س»، وفي (س): «زوى فلان المال عن وارثه زَيّا: إذا منعه. زواه: نحّاه. س. وازو عنّي بمعنى اقبض عنّي». (حاشية ابن إدريس: ٢١٧).

(١١) في (ف) (ت) العبارة هكذا: «وأوزعني».

(١٢) في (ت) العبارة هكذا: «فيّ».

(١٣) في حاشية (ج): «مخيَلَةً ـ س»، وفي (س): «خوّله اللهُ الشيء: أي ملّكه إياه». (حاشية ابن إدريس: ٢١٧) كذا، ولكن الظاهر ان المراد بالمخيلة: الخيلاء، وهي الكبر والإعجاب.

(١٤) في (ت) العبارة هكذا: «وتأدياً»، وفي (د) كتب على كلمة: «تأدياً» الرمز «س»، كما وقعت نقطة تحت «الدال» مباشرة، فورد في حاشية (د) هنا ما نصه: «الظاهر ان الفتحة الثانية من التاء وقعت لا في موقعها مسامحة، ولم يحك عن ابن إدريس في هذا المقام =

بَغْيٍ، أوْ ما(١) أتَعَقَّبُ منه(٢) طُغْيَاناً(٣).

وقد تكفل هذا المقطع بيان الأسباب الموجبة للوقوع في فخّ الدين، وأنه لو تجنّبها الإنسان في حياته لما افتقر إلى الدين، ولو تنبّه إليها في حالة الدين ونقدها لخفّف عن نفسه هموم الدين، وذكر منها:

١ ـ السرف، وهو تجاوز حدّ الاعتدال في المصرف اليومي.

٢ ـ الازدياد بالمصروف الزائد عن اللازم.

٣ ـ التبذير، وهو صرف المال وتفريقه كنثر البذور بدون مقصد عقلائي صحيح.

٤ ـ المخيلة، وهي الخيلاء والكبر الموجب للاستدانة لاظهار إعجاب الناس.

٥ ـ البغي، وهو الفحشاء باستخدام الدين في عمل فاسد لا يعود بالخير على المستدين ولا على المجتمع.

٦ ـ الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ المطلوب إلى الحدّ الأعلى، فهو موجب للاستدانة لتحقيق ذلك، وخاصة في ضروف الحرب والجدب.

فإن هذه الأمور من الاسباب الداعية إلى الوقوع في فخّ الدين، والبحث عنها وعمّا يستلزمها تجعل الإنسان حذراً من الدين.

= نسخة، فرمز الشهيد هنا بالسين لعله اشارة الى رسم الخط، وأن المرسوم في نسخة ابن إدريس مشتمل على صورة الهمز، والظاهر أن النقطة التي وقعت تحت الدال من طغيان القلم، والله العالم»، والتأدي: الإيصال إلى البغي، وهو التطاول بالظلم.

(١) لم ترد في (ت): «ما».

(٢) في (ت): «به».

(٣) في (ف) العبارة هكذا: «واوْزِعَني مِنَ المَالِ مَا لا أتأدّى فيه إلى تعب، ولا أتَعَقَّبُ منه طُغْيَاناً»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وازْوِ عَنّي مِنَ المَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أتأدّى به إلى بَغْي، أوْ أتَعَقَّبُ به طُغْيَاناً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وادرر عَليّ مِنَ المَالِ مَا لا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أو أتأدّى به إلى بَغْي، أوْ أتَعَقَّبُ به طُغْيَاناً»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وأزو عَنّي مِنَ المَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أو تأدّيا إلى بَغْي، أوْ أتَعَقَّبُ منه طُغْيَاناً».

ومن يتجنب هذه لابدّ وان يستبدلها بما هو أحسن منها، وهي:

١ ـ القوام بالبذل، أي العدل والتوازن في البذل عن طيب نفس.

٢ ـ الاقتصاد، وهو التوسط في البذل.

٣ ـ حسن التقدير بتخطيط حسن للمعاش من الدخل والصرف اليومي والشهري والسنوي.

٤ ـ تحري السبب الحلال إلى الرزق، أي العمل الصالح المحلل شرعاً الذي يكون سبباً للرزق والانتفاع.

٥ ـ الإنفاق فيما يجب الإنفاق فيه؛ فإنه بذل في التوازن المفروض شرعاً.

فالإنسان الذي يلتزم بهذه النقاط في حياته الاقتصادية لا يفتقر إلى دين أبداً.

[٣/٣٠ ـ علاج الدين]:

أَللّهُمَّ حَبِّبْ(١) إليَّ صُحْبَةَ الفُقَراءِ، وَأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِمْ(٢) بِحُسْنِ الصَّبْرِ(٣)، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا(٤) الفَانِيَةِ فَاذخَرْهُ(٥) لِي(٦) فِي خَزَائِنَكَ البَاقِيَةِ، وَاجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وَ(٧) عَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً(٨) إلى جِوَارِكَ(٩)،

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «أَللّهُمَّ صل على محمد وآله وحَبِّبْ».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «اللهمّ حبّب إليّ صحبة الفقراء، وَأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِ».

(٣) لم ترد في (ش) عبارة: «وَأَعِنِّي عَلَى صُحْبَتِهِم بِحُسْنِ الصَّبْرِ».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «من متاع هذه الدنيا».

(٥) في (ت) العبارة هكذا: «فأدخره»، وفي حاشية (ج): «فأذخِره، فاذخَره ـ معا».

(٦) في (ك): «فادَّخره لي»، في (ق): «وادَّخر لي»، والادِّخار: اعداد الشيء لوقت الحاجة.

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «أو».

(٨) في (س): «بلغت المكان بُلوغاً: وصلت إليه. والمراد بالوُصلة: الموصل، وبالبُلغة: المبلغ. س». (حاشية ابن إدريس: ٢١٧).

(٩) في (ش) العبارة هكذا: «وَعَجَّلْتَ مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً إلى جِوَارِكَ».

وَوُصْلَةً[(١)] إلى قُرْبِكَ، وَذَرِيْعَةً[(٢)] إلى جَنَّتِكَ، إنَّكَ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ، وَأَنتَ الجَوادُ الكَرِيمُ[(٣)].

والعلاج الاساسي للتوقي عن الوقوع في فخّ الدين ـ بالاضافة إلى ما تقدم من توقي أسباب الدين ـ أمران؛ هما:

الأول: صحبة الفقراء؛ فإن صحبتهم درس عملي بأن الإنسان يمكنه ان يعيش بدون الوقوع في فخ الدين، شأن كل الفقراء الذين يعيشون بالفعل، وعلى العكس لو عاش مع الأغنياء لتأثّر بما لديهم من الماديات الّتي توقعه في فخ الدين.

الثاني: حسن الصبر ممن لا يتيسر له ما يريد، فإن له خيارات في الحصول عليها منها: الدين، ومنها: الصبر، ومنها: الصبر مع الجزع. وأحسن هذه الخيارات الثلاث: هو حسن الصبر؛ فإن مجرد الصبر وكذا الصبر مع الجزع لا يحلّ مشكلة الدين، بل يزيد المشكلة. فأفضلها حسن الصبر.

وحيث أن الدنيا مزرعة الآخرة، ختم الدعاء بهذه العلة، ففي الدنيا لا يخلو الإنسان من اثنين:

الأولى: ما فاته من متاع الدنيا الفانية، فيسأل الله سبحانه ان يعوّضه في الآخرة الباقية.

الثانية: ما حصل عليه في الدنيا من المال والمتاع الفانيين، فيسأل الله ان يستخدمهما الإنسان في مقاصد الخير لتكون وسيلة إلى بلوغ جوار الله سبحانه، والوصول إلى قربه. وتكون ذريعة له إلى الجنة، بأن تقع هذه الاعمال مقبولة عند الله، فيترتب عليها آثارها المرجوة منها، والله سبحانه هو الجواد الكريم.

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «ووسيلة»، وفي (س): «بينهما وصلةٌ، أي اتصال». (حاشية ابن إدريس: ٢١٧).

(٢) في (س): «قد تذرع فلان بذريعةٍ: أي توسل بوسيلة». (حاشية ابن إدريس: ٢١٧).

(٣) لم ترد في (ك): «وأنت الجواد الكريم».

[الدُّعاءُ الحَادِي والثلاثون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذِكْرِ التَّوبَةِ وَطَلَبِهَا[1]

[١/٣١ ـ نداء التائب]:

أللّهُمَّ[2] يا مَنْ لَا يَصِفُهُ نَعْتُ الواصِفيْنَ[3]، وَيَا مَنْ لَا يُجَاوِزُهُ رَجاءُ الرَّاجِيْنَ، وَيَا مَنْ لا يَضِيْعُ لَدَيْهِ أجْرُ المُحْسِنِيْنَ، وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ العَابِدِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةَ خَشْيَةِ المُتَّقِيْنَ[4].

التوبة هو الرجوع إلى الله سبحانه من الذنوب، وذلك بالاستقامة في الطاعة، وقد استفتح الدعاء بنداء من يرجع إليه بما يستلزم العطف على التائب وقبول التوبة، منها:

١ ـ فوق الوصف، فكل ما يتصور في نعته تعالى ووصفه هو دون الذات المقدسة.

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢١) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذكر التوبة»، وفي (ش) بالرقم (٢٥) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذكر التوبة»، وفي (ج) بعنوان: «الحادي والثلاثون وكان من دُعائِهِ عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها»، ولم يرد هذا الدعاء في (ق)، وفي (ت) بعنوان (الحادي والثلاثون)، وتحته عنوان: «في ذكر التوبة»، وفي (ف) بعد الدعاء السابق وبعنوان: «وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذكر التوبة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣١)، بعنوان: «دُعاؤُهُ في التوبةِ».

(٢) لم ترد في (ك): «اللّهمّ».

(٣) في (ك) (ش): «نعت النَاعتين»، والوصف والنعت مترادفان.

(٤) في (ك) (ف) العبارة هكذا: «وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى خَوْفِ المُتَّقِيْنَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَى رَغْبَةِ المُتَّقِيْنَ».

٢ ـ الرجاء، فلا يوجد فوقه من يرتجي منه الراجون ومنهم التائب؛ لأن به ينقطع الرجاء فهو الحدّ الأخير.

٣ ـ ذخر الاجر، فالأجر مذخور عند الله لمن أحسن، والتائب محسن على نفسه بالرجوع إلى الله، فلا بد ان لا يضيع الله أجره بالقبول.

٤ ـ منتهى الخوف، فإنه لا يخاف العابدون غير الله، وعلى طريقهم يسير التائب الذي دعاه خوف الله إلى التوبة.

٥ ـ غاية الخشية، وتقوى الله سبحانه يلازم الخشية، وهي توقّع حلول مكروه فمهما كان حذر المتقي التائب باستخدام وسائل الوقاية فإنه يتوقع العقاب لذنبه، والخوف أعم من توقّع المكروه او فوت المحبوب؛ فإن العابد يتوقع الثواب على العبادة، وفي نفس الوقت يخشى قصوره فيها، وبالاعتبارين يكون التائب خائفاً وخاشياً.

[٢/٣١ ـ صفات التائب]:

هَذا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ[١] أيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أزِمَّةُ[٢] الخَطَايَا، وَ[٣]اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ[٤] الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً[٥]، وَتَعَاطى[٦] مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً[٧]، كَالجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ

---

(١) في (س): «تداولته الأيدي: أي أخذته هذه مرةً وهذه مرة». (حاشية ابن إدريس: ٢٢١).

(٢) في (س): «الزمام: الخيط الّذي يشدّ في البُرة أو في الخِشاش ـ بالكسر ـ الّذي يدخل في أنف البعير، وهو من خشب البُرة من صِفر». (حاشية ابن إدريس: ٢٢١)، والزمام، هو ما يقاد بهِ البعير وشبهه، والكلام استعارة مكنيّة، كأنّ كلّ خطيئة وضعت عليهِ زماماً فقادتهُ بهِ.

(٣) لم ترد في (ف): «و».

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «استحوذ عليه»، وفي (ش) العبارة هكذا: «استحوذ عليهم»، وفي (س): «استحوذ عليه الشيطان: أي غلب». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢).

(٥) تفريطاً: تقصيراً وتضييعاً.

(٦) في (س): «تعاطاه: تناوله، وفلان يتعاطى كذا: أي يخوض فيه». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢).

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «تعزيزاً»، وفي (س): «التغرير: حمل النفس على الغرور، وغرّه يغرّه غروراً: خدعه». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢)، والغرر: الخطر.

عَلَيْهِ، أو كالمُنْكِرِ[(١)] فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ[(٢)]، حَتَّى إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الهُدَى، وَتَقَشَّعَتْ[(٣)] عَنْهُ سَحَائِبُ العَمَى[(٤)]، أَحْصَى مَا ظَلَمَ[(٥)] بِهِ نَفْسَهُ، وَفَكَّرَ فِيْمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأَى[(٦)] كَبِيرَ عِصْيَانِهِ كَبِيْراً[(٧)]، وَجَلِيْلَ مخَالَفَتِهِ جَلِيْلاً[(٨)]، فأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ، مُسْتَحْيِيَاً مِنْكَ[(٩)]، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ[(١٠)]، فأَمَّكَ[(١١)] بِطَمَعِهِ يَقِيناً، وَقَصدَكَ بِخَوْفِهِ[(١٢)] إِخْلاصاً[(١٣)]، قَدْ[(١٤)] خَلا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «أو كالمتكبر المنكر».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «كَالجَاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ مع علمه اذ كالمُنْكِرِ فَضْلَ اِحْسَانِكَ إِلَيْهِ مع معرفته»، وفي نسخة: «مع علمه أو كالمُنْكِرِ».

(٣) في حاشية (ج) (د): «وتقشّعت، وانكشفت ـ س معا»، وفي (س): «قشعت الريح السحاب: أي كشفته، فانقشع وتقشع، وأقشع أيضاً: أي انكشف وذهب. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢)، يقال: تقشّعَ السحاب: إذا تفرّقَ، وهنا عبارة عن زوال غفلات الضلال عنهُ بعد غشيانها لهُ.

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «العماء».

(٥) في (ف) العبارة هكذا: «ما أظلم».

(٦) الرؤية ـ هنا ـ بمعنى العلم، أي فعلم أنَّ الذي عصى بهِ ربه هو كبير وجليل، وقد عصى بهِ ربّاً كبيراً جليلاً، لا كما كان يتصورهُ عندَ ارتكابهِ للذنب.

(٧) لم ترد في (ف): «كبيراً».

(٨) لم ترد في (ف): «جليلاً»، وفي (س): «الجليل: العظيم». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢).

(٩) في (ف) العبارة هكذا: «فأَقْبَلَ نَحْوَكَ مسْتَجْيِباً منك»، وفي (ك) العبارة هكذا: «فَرَأى كَبِيراً عصى بِهِ كَبِيْراً، وَجَلِيلاً خَالَفَ بِهِ جَلِيْلاً، فأَقْبَلَ نَحْوَكَ مسْتَحْيِيَاً منك»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فَرَأى كَبِيراً عُصيَ بِهِ كَبِيْراً، وَجَلِيلاً خولفَ بِهِ جَلِيْل، فأقبَلَ نَحْوَكَ مسْتَحْيِيَاً منك».

(١٠) في (ف) العبارة هكذا: «وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ لقدرتِكَ».

(١١) في (س): «الأَمّ ـ بالفتح ـ: القصد». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢)، وأَمَّكَ: قصدَكَ.

(١٢) في (ف) العبارة هكذا: «لخوفه».

(١٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَلَقِيَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلاصاً».

(١٤) في (ت) العبارة هكذا: «فَقد».

فِيْهِ غَيْرِكَ، وَأَفْرَخَ[(١)] رَوْعُهُ[(٢)] مِنْ كُلِ مَحْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ، فَمَثَلَ[(٣)] بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعَاً، وغَمَّضَ بَصَرَهُ إلى الأَرْضِ متَخَشِّعَاً[(٤)]، وَطَأْطَأَ رَأسَهُ لِعِزَّتِكَ[(٥)] متَذَلِّلاً[(٦)]، وَأَبَثَّكَ[(٧)] مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ[(٨)] خُضُوعَاً[(٩)]، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَى لَهَا خُشُوعَاً[(١٠)]، واسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيْمِ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ، وَقَبِيْحِ[(١١)] ما فَضَحَهُ[(١٢)] فِي حُكْمِكَ[(١٣)]، مِنْ ذُنُوب أَدْبَرَتْ

---

(١) في (ف) (ت) العبارة هكذا: «وَأَفرح»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأفرج»، وفي (س): «أفرخ الروع: أي ذهب الفَزَع، يقال: لِيُفرِخ روعك: أي ليخرج عنك فزعُك كما يخرج الفرخ عن البيضة». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢)، وأفرخ: أي ذهبَ وانكشفَ، والمعنى زال عنهُ ما يرتاع لهُ ويخاف، وذهبَ عنهُ وانكشفَ.

(٢) في (ش) العبارة هكذا: «روعه»، وفي (ف) العبارة هكذا: «لروعه من...»، والروع بالفتح: الفزع، يقال: راعني الشيء روعاً.

(٣) في (ت) العبارة هكذا: «فمثّل»، وفي (س): «مَثَلَ بين يديه مثولاً: أي انتصب (قائماً) ومنه قيل لمنارة السراج: ماثلة». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٢).

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «خاشعا»، وفي (س): «التخشّع: تكلّف الخشوع، والخشوع: الخضوع. والخضوع: التطامن والتواضع». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣).

(٥) في (ش): «لعزّك»، وفي (س): «طأطأ رأسه: طامنه وخفضه». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣).

(٦) في (ف) العبارة هكذا: «وغَضَّ بَصَرَهُ إلى الأرْضِ تَخَشُّعَاً، وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ لَكَ تَذَلُّلاً»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وغَمَّضَ بَصَرَهُ إلى الأرْضِ تَخَشُّعَاً، وَطَأْطَأَ رَأسَهُ لِعِزّكَ تَذَلُّلاً».

(٧) في (س): «بثّ الخَبر وأبثّه بمعنىً: أي نشره، يقال: أبثثتك سرّي أي أظهرته لك». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣)، وبثَّ السرّ: أذاعهُ ونشرهُ، وأبثَ: أظهر.

(٨) لم ترد في (ت): «منه».

(٩) في (ك) (ش) (ف) : «خنوعاً».

(١٠) في (ك) العبارة هكذا: «وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أنت أحْصَى لَهُ خُشُوعَاً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا أنت أحْصَى لَهُ خُشُوعَاً».

(١١) في (ش): «وقبح».

(١٢) في (ت): «ما أفضحه».

(١٣) في (ف) وحاشية (ج) (د) في نسخة: «حلمك».

لَذَّاتُهَا(١) فَذَهَبَتْ، وأقَامَتْ تَبِعَاتُهَا(٢) فَلَزِمَتْ(٣).

وعدد عليه السلام في هذا المقطع بعض صفات التائب الّتي تؤهّله إلى استحقاق قبول التوبة، منها:

١ ـ حالة المصطلي بنيران الذنوب؛ فإن مقام التوبة ينشأ من تداول الذنوب، أي أخذها اياه بحيث يصبح مصطلياً بها.

٢ ـ الأسر للخطايا، فهو كالبعير الذي في أنفه زمام أي حبل، حيث تجرّه الخطايا خلفها إلى ما يستحق بها العقاب.

٣ ـ استحواذ الشيطان، أي غلبته على ارادة الإنسان، وهو الذي أدّى به إلى المخالفة.

٤ ـ التقصير في اوامر الله، وعدم الطاعة وتضييع ما أُمر الله به.

٥ ـ تعاطي ما نهى الله عنه، والاقدام على فعله تغريراً، أي غفلة.

٦ ـ التجاهل بقدرة الله؛ لأنه عالم بها ولكنه تجاهل عنها، وهذا التجاهل ادى به إلى التفريط وتضييع الامر.

٧ ـ التنكّر لفضل الله وإحسانه؛ لأنه معترف به فتنكره لذلك ادى به إلى الغفلة.

ولكنه الآن قد حصل فيه تحوّل عظيم، فممّا حصل له:

١ ـ البصيرة، فقد اصبح بصيراً بالهداية إلى التوبة.

٢ ـ ارتفع عنه العمى الفكري بسبب زوال سحائب العمى.

٣ ـ الاعتراف بما ظلم في حياته نفسه، وبالنتيجة اسرته ومجتمعه.

٤ ـ التفكير، فقد قام بواجب التفكير الحرّ في آثار مخالفة الأوامر الإلهيّة.

٥ ـ رؤية مساوئ العصيان على النفس، وبالنتيجة على الأسرة والمجتمع، وأنّها مساوئ كبيرة.

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «عنه لذاتها».

(٢) التبعات، جمع تبعة: ما يطلبُ من ظلامة ونحوها.

(٣) في (ت): «ولزمت».

٦ ـ رأى المخالفة جليلا، فيما كان يراه من قبل حقيراً وخاصاً بنفسه، لكنه يراها الآن انها تتعدى النفس إلى الأسرة والمجتمع.

٧ ـ حصول الامل، فقد اقبل إلى الله مؤملا قبول التوبة.

٨ ـ حصول الحياء، فهو الآن على حياء من الافعال القبيحة الّتي تناولها سابقاً.

٩ ـ حصول الرغبة بما عند الله من العفو.

١٠ ـ حصول الثقة بالله سبحانه؛ لأنه واثق بعفو الله سبحانه، وانه سوف يشمله الرحمة في جملة التائبين.

١١ ـ اليقين بطمعه العفو؛ لأن الله سبحانه هو العفوّ.

١٢ ـ الاخلاص في خوفه من العقاب.

١٣ ـ اليقين بأنه لا ملجأ له سوى الله، ولا طمع له بأحد سوى الله.

١٤ ـ لا مفزع له سوى الله. ومعنى: «أفرخ روعه»: أي ذهب فزعه.

١٥ ـ التضرع، وهو حالة التذلل للسائل بين يدي المسؤول معترفاً بالقصور.

١٦ ـ التخشّع للمسؤول بالوقوف بين يديه خاشعاً، والخشوع عبارة عن غضّ البصر استحياءاً.

١٧ ـ التذلل للمسؤول بالوقوف بين يديه مطأطئاً رأسه خجلا.

١٨ ـ كشف السرّ الذي لم يكن خافياً على الله أبداً.

١٩ ـ الاعتراف بالذنوب وعدّها خشوعاً.

٢٠ ـ الاستغاثة بالله تعالى حيث لا مستغاث سواه في الذنوب الّتي ارتكبها التائب، وقد أشار إلى أن الذنوب سواءً ما خفي منها مما لا يعلمه إلّا الله تعالى، أو ما ظهر للناس فإنها بحكم الله، أي قضائه، فإنها تشترك في أثرين، هما:

الأول: ذهاب لذة الذنوب؛ لأنها لذّات وقتية كانت فبادت بانتهاء دورها الزمني.

الثاني: بقاء آثار الذنوب الروحية والجسمية؛ فإنها تكون آثار ثابتة لازمة، ولا يمكن التخلص منها إلّا بأسباب اخرى، فالخمر له أثره في جسم الجنين كما أن له اثره في نفسيّة الام الحامل، ولا يمكن التخلص من هذه الآثار إلّا بعلاج جسمي أو نفسي، ومن أسباب العلاج واهمها: الاستغاثة بالله تعالى.

[٣/٣١ ـ بين العفو والعقاب]:

لَا يُنْكِرُ ـ يا إلهِي ـ عَدْلَكَ[١] إنْ عَاقَبْتَهُ، وَلَا يُسْتَعْظِمُ[٢] عَفْوَكَ[٣] إنْ عَفَوْتَ عَنْهُ وَرَحِمْتَهُ[٤]، لأنَّكَ الرَّبُّ الكَرِيْمُ الَّذي لَا يَتَعاظَمُهُ غُفْرَانُ الذَنْبِ العَظِيْم[٥].

والتائب بين حالتين يستحقهما معاً، وهما:

١ ـ عدل الله سبحانه في عقاب العاصي؛ لاستحقاقه ذلك بالعصيان الذي صدر منه.

٢ ـ عفو الله سبحانه بالتوبة الّتي فتح الله بابها للعاصي، فهو يستحقها بسبب رحمته الواسعة.

والخيار بين هذين الاستحقاقين يعود إلى الله سبحانه، وأي واحد منهما يختاره الله سبحانه فهو خيار عدل صائب.

والتائب يأمل قبول التوبة، لا لاستحقاقه ذلك، بل للصفات الربوبية الّتي هي عين صفات الذات، وان الله هو الذي كتب على نفسه الرحمة[٦]، فإن هذه

---

(١) في حاشية (ج): «لَا يُنْكَر عَدْلُكَ ـ س».
(٢) في (ش) زيادة: «يا إلهي».
(٣) في (ج) (د): «وَلَا يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ»، وفي حاشية (ج): «وَلَا يُسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ ـ س»، وفي حاشية (د): «عفوَكَ، عَفْوُكَ ـ معا».
(٤) لم ترد في (ك) (ش) (ف): «ورحمته».
(٥) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «الَّذي لَا يَتَعاظَمُكَ غُفْرَانُ الذَنوب العَظِيْمة».
(٦) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الانعام ٦، الآية: ١٢.

الرحمة الواسعة تقتضي شمولها للتائب، ومقتضى كرم الرب ان يكون عفوه أعظم من الذنب، فالذنب مهما عظم فإن غفران الذنب ليس بأعظم من كرمه تعالى بالعفو عن التائب المتوجّه إلى الله سبحانه بصفات التوبة النصوح.

[٤/٣١ ـ التوبة طاعة]:

أللّهُمَّ(١) فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيْعَاً لأمْرِكَ(٢) فِيْمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ الدُّعَاءِ، مُتَنَجِّزَاً(٣) وَعدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ(٤) مِنَ الإجَابَةِ(٥)، إذْ تَقُولُ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٦).

ومن صفات التوبة الخالصة الّتي هي طاعة: نفس التوبة، حيث أمر الله سبحانه بالدعاء بقوله: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٧) والتوبة اطاعة لهذا الأمر الإلهي بالدعاء للصفح عن الذنوب، وحيث ان الله لا يخلف وعده فيستحق التائب الإجابة تنجيزاً للوعد الذي قطعه الله سبحانه على نفسه.

[٥/٣١ ـ تقابل العبد والرب]:

أللّهُمَّ فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَألْقَنِي(٨) بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ

---

(١) في (ش): «إلهي».

(٢) في (ك) (ف) (ت): «أمركَ».

(٣) في (ف) العبارة هكذا: «منتجزاً»، وفي (س): «نجز حاجته ينجزها ـ بالضم ـ نجزاً: قضاها، ونجز وعده وأنجزه: وفى بوعده، وانتجزَ وتنجز واستنجزَ: طلب الوفاء. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣).

(٤) لم ترد في (ف) : «به».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «مُتَنَجِّزاً ما وَعدتَ مِنَ الإجَابَةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «مُتَنَجِّزاً لما وَعَدتَ مِنَ الإجَابَةِ»، أي طالباً إنجاز وعدكَ.

(٦) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٧) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٨) في (ك): «أللّهُمَّ فالقني»، وفي (ك): «أللّهُمَّ فالفني».

بِإِقْرَارِي، وَأَرْفَعْنِي[١] عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ[٢] كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي[٣]، وأَسْتُرنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عن الإنْتِقَامِ مِنِّي[٤].

ومن موجبات قبول التوبة: التقابل بين صفات العبد وصفات الرب، الّتي ليست بمستوىً واحد قط. والتقابل بين هذه الصفات تقتضي التقابل بالنسبة إلى آثارها أيضاً، وقد تكفل هذا المقطع الاشارة إلى ثلاث منها:

١ ـ الغفران والاقرار، فإن الاقرار ليس عصياناً، فيقتضي الغفران ممّن وصف نفسه بالغفار.

٢ ـ الرفعة والضعة، فإن الضعف في نفس التائب يقتضي أن يرفع الله عنه العقاب، والله بيده كل شيء رفعاً ووضعاً.

٣ ـ الستر والانتقام، فإن مرتكب الذنب مفتضح بذنبه، ويقتضي ذلك الستر عليه من قبل ستار العيوب.

فإن هذه النقاط الثلاث من الاقرار والضعة والانتقام هي من صفات العبد مع العبد، وليست من صفات الرب مع العبد، بل من صفات الرب ـ لرحمته الشاملة ـ الغفران ورفع الساقط والستر عليه، ولا يكون ذلك إلّا بقبول التوبة.

[٦/٣١ ـ الثبات في الطاعة]:

أللّهُمَّ[٥] وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي، وأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيْرَتِي[٦]،

---

(١) في (ف) العبارة هكذا: «وأعفني».

(٢) مصارع الذنوب: الذنوب الّتي تؤدّي إلى هلاكي وصرعتي، وارفعني: أبعدني.

(٣) في (ف) العبارة هكذا: «كما وضعت إليّ نفسي».

(٤) في (ك) (ش): «تأنيتني بالانتقام مني»، وفي (س): «تأنّى في الأمر: أي توقّف وتنظّر. وتأنيت فلاناً: أمهلته. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣).

(٥) لم ترد في (ف) : «اللهم».

(٦) البصيرة: اليقين.

وَوَفِّقْنِي مِنَ الأعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ[١] دَنَسَ[٢] الخَطَايَا عَنِّي، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِكَ، وَ[٣] مِلَّةِ نَبِيِّكَ[٤] مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ[٥] إذا[٦] تَوَفَّيْتَنِي.

وحيث ان التوبة طاعة والطاعة مطلوبة، فإذا رُدَّت التوبة لم يثبت التائب في هذه الطاعة. وهكذا العكس، فإنه يكون قبول التوبة منه سببا للثبات على الطاعة وما يترتب عليها من الآثار، ومنها:

١ ـ ثبات النية لأعمال الخير، ومنها التوبة.

٢ ـ البصيرة المحكمة في العبادة.

٣ ـ التوفيق في الاعمال.

فإن هذه الآثار تترتب على قبول التوبة الذي هو غسل النفس من دنس الخطايا واوزار الذنوب المهلكة في الدنيا.

ثم ختمه بدعاء يُظهر اثر التوبة في الآخرة، وهو الوفاة على ملّة الإسلام وهي ملّة النبيّ القائد محمد ﷺ فإنه لا نجاة في الآخرة الا بالوفاة على دين رسول الله ﷺ.

[٧/٣١ ـ أنواع الذنوب]:

اللّهُمَّ إنّي[٧] أتُوبُ إليْكَ فِي مَقَامِي هَذا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي

---

(١) في (ك) (ف): «يغسل».

(٢) في (س): «الدنس: الوسخ». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣).

(٣) لم ترد في (ش): «على ملّتك و»، وملّتك: أي شريعتكَ ودينكَ.

(٤) لم ترد في (ف): «نبيك».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَمِلَّةِ مُحَمَّد نبِيِّكَ»، وفي (ت): «صلى الله عليه وآله»، وفي(ف): «صلى الله عليه»، ولم ترد في (ش): «محمد عليه السلام».

(٦) لم ترد في (ش): «على ملّتك و»، وملّتك: أي شريعتكَ ودينكَ.

(٧) في (ت): «إذ».

وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا[١]، وَسَوَالِفِ[٢] زَلَّاتِي[٣] وَحَوادِثِهَا[٤]، تَوْبَةَ مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ[٥] أنْ[٦] يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ.

وَقَدْ قُلْتَ - يا إلهي[٧] - فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ: إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وتَعْفُو[٨] عَنِ السَّيِّئَاتِ[٩]، وتُحِبُّ التَّوَّابِينَ[١٠]، فَأَقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وأعْفُ عَنْ سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمِنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ[١١] كَمَا شَرَطْتَ[١٢]، وَلَكَ - يَارَبِّ[١٣] - شَرْطِي أَلَّا أعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَلَّا أرْجِعَ في[١٤] مَذمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيْكَ.

---

(١) فيهِ إشارة إلى ما وردَ في القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ (سورة الأنعام ٦: ١٢٠). وقيل: المراد ما أعلنتُ وما أسررت، أو ما عملتُ وما نويتُ. أو ظاهر الإثم: أفعال الجوارح، وباطنهُ: أفعال القلب كالكبر والحسد. (رياض السالكين ٤: ٤٢١).

(٢) السالَف: الماضي.

(٣) في حاشية (ج): «زِلّاتي - س».

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «وَسَوَالِف زَلَّاتي وَغوابِرِهَا، وَسَوَابِقِ خَطِيئَاتِي وَحَوادِثِهَا»، وغوابرها، أي لواحقها، فإنَّ كلمة «الغابر» من الأضداد، تطلق على الماضي واللاحق.

(٥) يضمر: ينوي.

(٦) في (ف): «بأن».

(٧) لم ترد في (ف): «يا إلهي».

(٨) في (ش): «وهوَ الذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِه، ويَعْفُو».

(٩) كما ورد في القرآن الكريم، سورة الشورى ٤٢: ٢٥.

(١٠) كما ورد في القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٢٢.

(١١) في (ت): «في محبتك».

(١٢) أي كما التزمت، فإنهُ سبحانهُ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ (سورة البقرة ٢: ٢٢٢)، فكأنَّ مفهومهُ: من تابَ أحبهُ الله، وعبرَ عن حكمهِ سبحانهُ على نفسهِ بمحبة التوابين بالشرطِ. (رياض السالكين٤: ٤٢٩).

(١٣) في (ش): «يا ربّي».

(١٤) في (ك) (ش) (ف): «إلى» بدل «في».

يتعرض هذا المقطع إلى أنواع الذنوب الّتي تفتقر إلى التوبة بلا استثناء، ومنها:

١ ـ الكبائر، وهي ما توعّد عليه بالحدود الشرعية، وفي تحديدها خلاف، وللتفصيل يراجع المادة في المعجم.

٢ ـ الصغائر، وهي ضد الكبائر ممّا لا حدّ فيها، بل يوكل أمرها إلى التعزير ان وجب، على خلاف في ذلك بين الفقهاء.

٣ ـ بواطن السيئات، وهي افعال القلوب كالحسد والعجب مما تخفى على العامة.

٤ ـ ظواهر السيئات، وهي ما يصدر من اليد واللسان وسائر الجوارح من أفعال الشر، وهي لا تخفى على الآخرين.

٥ ـ سوالف الزلّات، مما قضى وقتها وانقضى أمدها في سالف العمر الذي لا يعود.

٦ ـ حوادثها، وهي مما لها أثر حيّ في ذهن التائب وحياته الحاضرة.

فإن هذه كلها ذنوب باختلاف الدرجات والحالات، وكلها تستوجب ان يتوب التائب منها قبل الممات.

والتوبة الخالصة لكل من هذه الدرجات والحالات تفتقر إلى أمور:

الأول: أن لا يعود إلى المعصية إطلاقاً، ولا يذكرها حتى بمثل حديث النفس، لعدم الحاجة إليه.

الثاني: إذا ذكرها فليكن ذلك لسبب معقول كالتوبة والعلاج، ولكنه لا يضمر إطلاقا العود في الخطيئة.

الثالث: الالتزام من التائب على العمل بمقتضيات التوبة المقبولة، وقد أكدها بثلاث، هي:

أولاً: الشرط بعدم العودة إلى المكروه.

ثانياً: الضمان بعدم الرجوع إلى المذموم.

ثالثاً: التعهد بهجران المعاصي على اختلاف درجاتها.

وبعد تحقق هذه الأمور يكون التائب مستحقا لقبول التوبة، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[١].

[٨/٣١ ـ ما يجب التوبة عنه]:

أَللّهُمَّ إنَّكَ أعْلَمُ بمَا عَمِلْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا [عَمِلْتُ مِمَّا قَدْ][٢] عَلِمْتَ[٣]، وَاصْرِفْنِي[٤] بِقُدْرَتِكَ إلى[٥] مَا أحْبَبْتَ.

بما ان الذنوب أنواع فتكون درجات التوبة لكل منها ما يمحي الدنس من الإنسان، وهي لا تنحصر بما تقدم من الأنواع حيث إنّ حسنات الأبرار سيّئات المقربين[٦] فبدرجة قرب الإنسان من الله سبحانه ومعرفة عظم حقوقه تزداد مسؤولياته، ويكون الاخلال بها ذنباً، بينما الأمر بالنسبة إلى الجاهل بها ليس كذلك. وعليه، فلا يمكن للإنسان حصر ذنوبه لاختلاف درجاتها حسب معرفته وحالات وعيه وغفلته.

ولذلك خص هذا المقطع بدعاء مختصر عام لكل ما علمه الله سبحانه من اعمال الإنسان؛ فإنها بدرجة الوعي لها يكون ذنبا لمن قصّر في اداء واجبه، ولا يعلم ذلك إلا الله، فهو الملجأ في مغفرة ذلك، فهو بقدرته الكاملة يمكن ان يصرف العبد إلى ما يحبّ؛ لينجو من العقاب بحول الله وقوته.

[٩/٣١ ـ فِي التبعات]:

أَللّهُمَّ، وَعلَيَّ تَبِعاتٌ[٧] قَد حَفِظْتُهُنَّ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ[٨]،

---

(١) القرآن الكريم، سورة الشّورى ٤٢: ٢٥.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ت).

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «أَللّهُمَّ إنَّكَ أعْلَمُ بمَا عَلِمْتُ، فَاغْفِرْ لِي».

(٤) في حاشية (ج) (د): «واصرف ـ س»، أي: ردّني.

(٥) في حاشية (ج) (د): «إليّ ـ س»، وفي (ف) العبارة هكذا: «إلى جميع».

(٦) انظر البحار ٢٥: ٢٠٤.

(٧) التبعة: الظلامة التي يطلبها المظلوم من الظالم، سمّيت بذلكَ لإتباع صاحبها. (رياض السالكين ٤: ٤٣٣)

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «أَللّهُمَّ وَعلَيَّ تبعات قَد حَفِظْتُ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُ»، وفي (ف) =

وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ الَّتي لَا تَنَامُ، وَعِلْمِكَ الَّذِي لَا يَنْسَى، فَعَوِّضْ مِنْها أهْلَهَا، وَأَحْطُطْ عَنِّي وِزْرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقْلَهَا[١]، وَأعْصِمْني مِنْ أنْ أُقَارِفَ[٢] مِثْلَهَا[٣].

التبعات: هي الحقوق الّتي يطلبها المظلوم لما لحقه من الظلم عن عمد أو غير عمد، ولا يخلو حياة الإنسان منها في تصرفاته الشخصية في اولاده وأهله، وفي تصرفاته الاجتماعية في اسرته ومجتمعه من ظلم وضياع حق، وقد يتهاون الإنسان بها حتى ينساها، وقد يجعل بينها وبينه ستراً، فهي لا تخرج عن علمه تعالى لإحاطة علمه بكل شيء، فلا ملجا في المغفرة سوى الله سبحانه المدعو بأُمور:

١ ـ التعويض لأهلها، الذين لا يعلمهم سوى الله. ولا يقدر على تعويضهم الا الله.

٢ ـ حطّ الوزر بسبب الجهل بهم، وعدم التمكّن من إيصال حقوقهم إليهم.

٣ ـ تخفيف الثقل بسبب استحقاق اداء الحقوق، وانه لم يتمكن من ذلك بسبب الجهل.

٤ ـ العصمة من مثلها في المستقبل؛ فإن الحياة لا تخلو من المزالق الّتي لا محيص للعلم بها من جانب الإنسان، ولا عاصم منها سوى اللّجأ إلى عصمة الله.

= العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَعليَّ تبعات قَد يشتبهن»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَعليَّ تبعات قَد نَسِيْتُها».

(١) لم ترد في (ك) (ش): «وَاحطط عنّي وزرَهَا»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَاخفف عنّي ثقلها».

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «أكتسب»، وفي (س): «قارف فلان الخطيئة أي خالطها، وقارف امرأته، أي جامعها. ويقال: ما اقترفت لذلك، أي: ما جامعت ولا خالطت». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٣)، يقال: قارفَ الذنب: قاربهُ وخالطهُ أو تلبّسَ بهِ، والمراد بالعصمة منها هو حسم أسبابها.

(٣) في بعض النسخ زيادة: «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ واقبل توبتي، ولا ترجعني مرجع الخيبة من رحمتك، إنّك أنت التّوّاب على المذنبين، والرّحيم للخاطئين المنيبين».

[١٠/٣١ ـ عصمة الله]:

أَللّٰهُمَّ، وإنَّهُ[١] لَا وَفَاءَ لِي بالتَّوْبَةِ إلَّا بعِصْمَتِكَ[٢]، وَلَا اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الخَطَايَا[٣] إلَّا عَنْ قُوَّتِكَ[٤]، فَقَوِّنِي بِقُوَّة كَافِيَةٍ، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ[٥].

وحيث إن الالتزام بالتوبة قد يفارق العمل على طبقه بوسوسة النفس الأمّارة بالسوء، أكّد في هذا المقطع على ضرورة العصمة من الله سبحانه عن الانزلاق؛ لأنه لا وفاء بهذا الالتزام إلّا بعصمة الله الإنسان من الذنوب بحوله تعالى وقوّته، فمن الضروري ان يتمتع الإنسان بقوة من الله كافية لمقاومة الوساوس الشيطانية، وعصمة عن الذنوب مانعة عن الوقوع في فخّها، والله هو المسؤول في ذلك كله.

[١١/٣١ ـ التوبة النصوح]:

أَللّٰهُمَّ، أيُّمَا[٦] عَبْدٍ[٧] تَابَ إلَيْكَ[٨] وَهُوَ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ

---

(١) في (ت): «فإنه».

(٢) في (ك) (ش): «إلّا عن عصمتك»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ لَا قابل للتَّوْبَةِ إلّا عن عِصْمَتِكَ».

(٣) في (ت): «عن الخطأ».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «إلّا بقوتك».

(٥) في (ت): «نامية»، وكتب عليها: «ز»، وفي هامش(ت): «مانعة».

(٦) في (ك) (ش): «وأيّما»، و«أي» اسم شرط مبتدأ، و«ما» بعدها مزيدة لتأكيد إبهام «أي» وشياعها، و«عبد» مجرور بإضافة «أي» إليه، وجملة «تاب إليكَ» الخبر، كما هو مختار الأندلسي. (رياض السالكين٤: ٤٤٣).

(٧) في (ش) زيادة: «من عبادك».

(٨) في هامش (س): «تأنّى في الأمر، أي توقّف وتنظّر. (الصحاح: ٢٢٧٣). وتأنيت فلاناً: أمهلت ـ س»، وقال السيد الخرسان: «وليس هذا مذكوراً في المتن، وأحسب أنّ المصنّف (رحمه الله) سها وقد زاغ البصر منه عن الموجود في المتن (تاب إليك) فكتب (تأنّى)».

فَاسِخٌ[(١)] لِتوبَتِهِ، وَعَائِدٌ فِي ذَنْبِهِ وخَطِيئَتِهِ[(٢)]، فَإِنِّي[(٣)] أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذَلِكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لَا أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إلى تَوْبَةٍ، تَوْبَةً مُوْجِبَةً لِمَحْوِ[(٤)] مَا سَلَفَ، وَالسَّلامَةِ[(٥)] فِيمَا بَقِي[(٦)].

ولكثرة الوساوس الشيطانية نجد ان هناك من يتوب ثم يفسخ التوبة ويعود في ذنبه على إثر رغبات النفس، ويكرر الخطيئة بسبب تأثير الجهل. والإنسان بطبيعته الإنسانية ونفسه الأمّارة بالسوء ليس بيده الأمر لولا عناية الله سبحانه، ولذلك فهو يفتقر إلى الاستعاذة بالله من هذه الحالة الشيطانية.

فمن الضروري الاستعاذة؛ لتكون التوبة هذه نصوحاً يترتب عليها أثر التوبة، وهما أثران:

١ ـ محو ما سلف في الماضي بسبب قبول التوبة من الله.

٢ ـ السلامة فيما بقي من العمر في المستقبل بعدم الانخداع بالوساوس الشيطانية في المستقبل، والله سبحانه هو المسؤول في ذلك كله.

[١٢/٣١ ـ فضل الله]:

اللَّهُمَّ، إنِّي[(٧)] أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ جَهْلِي[(٨)]، وَأَسْتَوْهِبُكَ سُوءَ فِعْلِي، فاضْمُمْنِي إلى كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً[(٩)]، وأَسْتُرنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً.

---

(١) في (س): «فسخ الشيء: نقضه، وفسخت عنّي ثوبي: طرحته». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٤).

(٢) لم ترد في (ك) (ش): «وخطيئته».

(٣) في (ش): «فأنا».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «توبة مَرجيّةٍ تمحو».

(٥) في حاشية (ج): «والسلامةَ، والسلامةِ ـ س».

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «وَلِسَلامَةِ مَا بَقِي».

(٧) في (ش): «اللّهُمَّ وانّي».

(٨) في (ج): «أعْتَذِرُ مِنْ جَهْلِي»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ جَهْلِي».

(٩) في (س): «كنفت الرجل أكنفه: أي حطته وصُنته، والمكانفة: المعاونة، والكنف: =

ولا يمكن التخلص من آثار الذنوب في الماضي والاستعصام منها المستقبل إلّا بالاستعانة بفضل الله سبحانه ومنته لقبول العذر، وهو الجهالة الّتي أدّت إلى ارتكاب الذنوب، وبما ان الله سبحانه هو واهب الحياة، فإنّ له أيضا أن يهب آثار الذنوب والافعال الصادرة عن جهل، وذلك بسببين:

١ ـ التطوّل، أي شمول رحمته تعالى.

٢ ـ التفضّل بستره العيوب والذنوب.

[١٣/٣١ ـ توبة الأعضاء]:

أللّهُمَّ، وَإنِّي[١] أتُوبُ إليْكَ مِنْ كُلِّ ما خَالَفَ[٢] إرَادَتَكَ[٣]، أو زَالَ[٤] عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي، وَلَحَظَاتِ[٥] عَيْنِي، وَحكَايَاتِ لِسَانِي، توبَةً تَسْلَمُ[٦] بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ عَلَى حِيَالِهَا[٧] مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأمَنْ[٨] مِمَّا يَخافُ[٩] المُعْتَدُونَ مِنْ ألِيْمِ سَطَوَاتِكَ[١٠].

وبما ان التوبة التزام من التائب، فلا بد من حصول آثاره في كل مراحل

= الجانب، والإفضال: الإحسان، وأفضل عليه وتفضّل بمعنى. وتطوّل مثله. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٤)، وتطولاً: أي امتناناً وتفضُّلاً.

(١) في (ك): «أللّهُمَّ فإنّي»، وفي (ف) (ت): «أللّهُمَّ إنّي».

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «ما يخالف عن».

(٣) في (ش): «عن إرادتك».

(٤) في (ك): «وَزال»، وفي (ف) العبارة هكذا: «أو زاول»، وفي (ش): «أو زال»، و«زال» لغةٌ في «أزال». (محيط المحيط: ٣٨٧ «زيل»).

(٥) لحظات العين، جمع لحظة، وهي المرَّة، من لحظه: إذا رآهُ.

(٦) في (ش) (ت): «يسلم».

(٧) الجارحة: واحدة الجوارح، وهي الأعضاء الّتي يعمل بها، و«على حيالها» أي بانفرادِها.

(٨) في (ت): «ويأمن بها».

(٩) في (ف) العبارة هكذا: «توبةً يَسْلَمُ بِهَا كُلُ جَارِحَة مِنْ تَبِعَاتِهاَ، وَيَأمَنْ يَخافُ»، وفي (ك): «ويأمن ما يخاف»، وفي (ش): «وتأمن ما يخاف».

(١٠) في (ك): «من عظيم سطواتك». والسطوة: البطش.

حياة الإنسان بجميع أعضاء جسمه؛ فإن لكلّ عضو توبة خاصة بما يؤدّيه ذلك العضو من عمل، وقد عدّد منها:

١ ـ توبة القلب من خطرات تخالف ارادة الله ومحبته.

٢ ـ توبة العين من النظر إلى ما حرّم الله.

٣ ـ توبة اللسان من حكاية ما لا يرضي الله.

فالجوارح، أي أعضاء الجسم كلها مسؤولة عن دورها، والله هو المسؤول في سلامة كل عضو بانفراده وبما بازائه من التبعات والذنوب الخاصة بذلك العضو.

والتوبة الصادقة تستلزم أمرين:

الأول: سلامة كل عضو من التبعات الخاصة به.

الثاني: الامان من أليم السطوة المستحقة بسبب الاعتداء على حدود الله.

[١٤/٣١ ـ موجبات الرحمة]:

أَللّٰهُمَّ، فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِيبَ[١] قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي[٢] مِنْ هَيْبَتِك، فَقَدْ أَقَامَتْنِي ـ يَارَبِّ[٣] ـ ذُنُوبِي مَقَامَ[٤] الخِزْيِ بِفِنَائِكَ[٥]، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ[٦] فَلَسْتُ بأَهْلِ الشَّفَاعَةِ[٧].

---

(١) في (س): «وجب القلب وجيباً: اضطرب». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٤)، والوجيب: الرجفة والخفقان.

(٢) الاضطراب: الحركة، والأركان: جمع ركن، وهو الجانب القوي من كلِّ شيء.

(٣) في (ج): «يا رب»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «يا ربّي».

(٤) في (ش): «مُقام»، وفي حاشية (ج): «مَقام، مُقام ـ معا».

(٥) هذا الكلامُ استعارة تمثيلية، والمعنى: إرحَمْ وحدتي وخفقان قلبي واضطراب أعضائي في مقامي هذا عندَ عظمَتِكَ، حيث لا محامٍ ولا مدافع، ولستُ أهلاً للشفاعةِ حتى أطلبها.

(٦) في (ك): «تشفّعت».

(٧) في (ت): «فلستُ أهلاً للشفاعةِ»، أي لستُ أهلاً للشفاعةِ حتى أطلبها.

ومن وجهه نظر الداعي التائب فإن هناك اسباب شخصية تستوجب الرحمة الإلهيّة، ومنها:

١ ـ الوحدة بين يدي الله، حيث لا ناصر ولا معين له سوى الله تعالى.

٢ ـ الخشية من الله، ويدل عليها وجيب القلب، أي اضطرابه من جهة الخوف الذي يشوبه تعظيم لله سبحانه.

٣ ـ الهيبة من الله، ويدل عليها اضطراب الأركان كرفع اليدين للدعاء بخوف يدعو إلى الخضوع.

٤ ـ الخزي الذي اقامته الذنوب عليه، بسبب التعدي في الساحة امام الله.

وهذه الأسباب ليس للإنسان فيها شفيع؛ لأنه ليس أهلا للشفاعة، والسكون لا ينفعه لفقدان ما يوجبه، فلا محيص سوى الدعاء.

[١٥/٣١ ـ أنواع الرحمة]:

أَللّهُمَّ صَلِّ(١) عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَفِّعْ(٢) فِي خَطَايَايَ كَرَمَكَ(٣)، وَعُدْ عَلَى سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ، وَلَا تَجْزِنِي(٤) جَزائِيَ(٥) مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَبسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ، وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ(٦)، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيزٍ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ عَبدٌ(٧) ذَلِيْلٌ فَرَحِمَهُ، أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبدٌ فَقِيْرٌ فَنَعَشَهُ(٨).

---

(١) في (ت): «اللهم فصلِّ».

(٢) في (ك) (ش): «أللّهُمَّ فشفّع».

(٣) في (ف) العبارة هكذا: «وأشفع»، وفي حاشية (ج): «وَاشَفَعْ فِي خَطَايايَ بكَرَمِكَ ـ س».

(٤) في (ت): «ولا تَجزِي»، وفي (ج): «تَجزِنِي»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «تُجزني».

(٥) في (ك): «جزاي».

(٦) في (ف): «سترك»، أي غطني بسترِكَ.

(٧) لم ترد في (ش): «عبد».

(٨) في (ف): «فيسعه»، والكلمة غير واضحة في (ت)، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَافْعَلْ بِي =

وحيث استحق التائب الرحمة، تعرض في هذا المقطع إلى أنواع الرحمة الإلهيّة التي يستحقها، منها:

١ ـ الكرم الإلهي، فيكون شافعاً للخطايا.

٢ ـ العفو الإلهي بالعفو عن السيئات والتلطف عليها بالعفو.

٣ ـ عدم العقوبة جزاء لما يستحقه على الذنوب.

٤ ـ الطَّول، أي الامتنان على التائب.

٥ ـ الستر المغطي للذنوب.

٦ ـ العزة الإلهيّة، أي الرفعة أو القوة الّتي تقتضي العطف على العبد الضعيف الذليل.

٧ ـ الغنى الإلهي، الذي يقتضي تنعيش العبد الفقير.

والتائب يفتقر إلى هذه الأنواع من الرحمة في موقفه من الله الذي هو ارحم الراحمين.

[١٦/٣١ ـ أهل الحماية]:

أَللّهُمَّ، لَا خَفِيرَ(١) لِي مِنْكَ، فَلْيَخْفُرْنِي عِزُّكَ(٢)، وَلَا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ(٣)، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ(٤) فَلْيُؤْمِنِّي(٥)

= فِعْلَ عَزِيز تَضَرَّعَ إِلَيْهِ ذَلِيْلٌ فَرَحِمَهُ، أَوْ غَنِيٍّ تَضَرَّعَ لَهُ فَقِيْرٌ فَنَعَشَهُ»، وَنَعَشَهُ: أي جبره بعد فقره.

(١) في (س): «الخفير: المجير، خفرت الرجل أخفر خفراً ـ بالكسر ـ: إذا أجرته وكنت له خفيراً تمنع عنه». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٤).

(٢) في (ف): «اللهم فلا خفير لي فيخفرني عزك»، والخفير: المحامي والمدافع والمجير.

(٣) في (ف): «كرمك».

(٤) في (ش) (ف): «أوجلتني خطيئاتي»، وفي (س): «الوجل: الخوف». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٤).

(٥) في حاشية (د): «فليؤمِنِّي، هكذا كان [...] وكأنّه قدس سره أراد هذا الضبط فاتفق التقديم والتأخير في وضع الحركات مسامحةً».

عَفْوُكَ، فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْلٍ مِنِّي بِسُوءِ أثَرَي[١]، ولَا نِسْيَانٍ[٢] لِمَا سَبَقَ مِنْ ذَمِيْمِ فِعْلِي[٣]، لَكِنْ[٤] لِتَسْمَعَ سَمَاواتُكَ[٥] وَمَنْ فِيْهَا، وأرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ، وَلَجأتُ إلَيْكَ فِيْهِ مِنَ التَّوْبَةِ[٦]، فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ[٧] مَوْقِفِي، أو تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ[٨] لِسُوءِ حَالِي[٩] فَيَنَالَنِي[١٠] مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ[١١] أسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، أو شَفَاعَةٍ أوْكَدَ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي، تَكُونُ[١٢] بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ[١٣] وَفَوْزِي[١٤] بِرِضَاكَ.

---

(١) لم يرد في (ف) : «بسوء أثري»، وفي حاشية (ش): «عَنْ جَهْل مِنِّي بِسرائري».
(٢) في (ت): «ولا نسياناً».
(٣) في (ف) : «لما سبق من ذنبي».
(٤) في (ك) (ش) (ف) (ت): «ولكن».
(٥) كذا في (ت)، وفي غيرها : «سماؤك».
(٦) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «وَلَجأتُ فِيْهِ إلَيْكَ مِنَ التَّوْبَةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَجأتُ إلَيْه فيه مِنَ التَّوْبَةِ».
(٧) في (ف) : «يرحم سوء».
(٨) لم ترد في (ف) : «عليّ».
(٩) في (ت): «بسوء حالي»، وفي (ك) العبارة هكذا: «فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُ سُوءَ مَوْقِفِي، وتُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ لسوء حالي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُ سُوءَ مَوْقِفِي، أو تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ لسوء حالي»، والرقة: الرحمة والشفقة.
(١٠) في (ف) : «وينالني».
(١١) لم ترد في (ف) : «هي».
(١٢) في (ت): «يَكون».
(١٣) في (ك): «فيَنَالنِي مِنْهُ بِدَعْوَة أسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، وَشَفَاعَة أوْكَدُ عَنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي، يَكون بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ»، وفي (ش): «فيَنَالنِي مِنْهُ بِدَعْوَة هي أسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، وَشَفَاعَة أوْكَدُ عَنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي، يَكون بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ».
(١٤) في بعض النسخ: «وفوزتي»، وفي حاشية (ج) (د): «وفوزي ـ س».

الخفر: الحماية، والتائب لا يقطع الأمل في الحماية لقبول التوبة من ناحيتين:

الأولى: الأمل بالله الذي هو منبع الحماية كما تقتضيه صفاته، ومنها:

١ ـ العزة، أي الرفعة، فهي خفيرة وحامية لمن لا عزّ له.

٢ ـ الفضل، وهو شفيع من لا شفيع له.

٣ ـ العفو، فهو أمان للوجِلِ من خطاياه.

وهذه الصفات تقتضي قبول التوبة على ما صدر من ذميم الاعمال الصادرة عن جهل.

الثانية: الأمل بمخلوقات الله سبحانه، ومنها:

١ ـ السماء ومن فيها من الملائكة المقربين.

٢ ـ الأرض ومن عليها من الأشياء وعباد الله الصالحين.

فإن لشفاعة هؤلاء بالنسبة إلى موقف التائب الصادق أثراً عند الله الذي شملتهم رحمته الواسعة، فلعل بعضهم يرحم التائب ويشفع له فيكون دعاؤه اسمع لدى الله من دعاء التائب، لمقامه او شفاعته، أو يكون آكد عند الله؛ لقربه من الله؛ وقد كتب الله لهم الشفاعة حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[1].

وهاتان الناحيتان شعبتان للأمل في نفس التائب. الذي رفع صوته بالدعاء ليكون بهما النجاة من غضب الله تعالى والفوز بجنانه.

[١٧/٣١ ـ آثار التوبة]:

أَللّٰهُمَّ إنْ يَكُنِ[2] النَّدَمُ تَوْبَةً إلَيْكَ، فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِيْنَ، وَإِنْ

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٢٨.

(٢) في (ف): «يكن ذكر».

يَكُن التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ(١) إنَابَةً(٢) فأنَا أوَّلُ المُنِيْبِيْنَ، وإنْ يَكُنِ الاسْتِغْفَارُ حِطَّةً(٣) للذُنُوبِ، فإنِّي لَكَ(٤) مِنَ المُسْتَغْفِرِيْنَ(٥).

وللتوبة آثار، أشار في هذا المقطع إلى ثلاثة منها:

١ ـ الندم، وهو كراهة ما فعل وصدر منه.

٢ ـ الإنابة، أي الرجوع إلى طريق الصواب.

٣ ـ الاستغفار، لمحو الذنوب عن العاصي.

وقد اعلن التائب هذه الأمور الثلاثة بأكملها على أكمل حدّ ممكن، فهو اندم النادمين واول المنيبين وهو من المستغفرين، فهو حقيق بأن ينعم الله عليه بقبول التوبة.

[١٨/٣١ ـ أثر الطاعة]:

أللّهُمَّ، فَكَمَا أمَرْتَ بالتَّوْبَةِ، وَضَمِنْتَ القَبُولَ، وَحَثَثتَ عَلَى الدّعَاءِ وَوَعَدتَ الإجَابَةَ(٦)، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي(٧)،

---

(١) في (ف): «للمعصية».

(٢) في (س): «أناب إلى الله: أقبل وتاب». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٥)، وقوله: إنابة: أي رجوعاً بالتوبة عن المعاصي، وأوَّل المنيبين: أي أوَّل المسارعين إلى التوبة.

(٣) في (ف): «حطاً»، وفي (س): «استحطّني فلان من الثمن شيئاً: أي طلب أن أسقط له شيئاً من الثمن، فحططت له: أي أسقطت له، فالحِطة: الإسقاط، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ (سورة البقرة ٢: ٥٨) أي حط عنّا أوزارنا، ويقال: هي كلمة أُمر بنو إسرائيل بقولها لو قالوها لحطّت أوزارهم». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٥)، والحطّة: فعلة من الحطِّ، بمعنى الوضعِ، وهو بمعنى وضع الوزر والذنب.

(٤) في (ف): «فإني اليك».

(٥) في (ش) العبارة هكذا: «للذُنُوبِ فأنا أوّل المُسْتَغْفِرِيْنَ».

(٦) لم ترد في (ف): «وَحَثَثتَ عَلَى الدّعَاءِ وَوَعَدتَ الإجَابَةَ».

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فَكَمَا أمَرْتَ بالتَّوْبَةِ، وَضَمِنْتَ القَبُولَ، فاقْبَلْ تَوْبَتِي».

وَلَا تَرْجِعْنِي مَرْجِعَ الخَيْبَةِ[(١)] مِنْ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ عَلَى المُذنِبِينَ، والرَّحِيْمُ للخَاطِئِينَ المُنِيبِينَ[(٢)].

وفي هذا المقطع إشارة إلى اربعة خصائص تستدعي قبول التوبة، وهي:

١ ـ الامر بالتوبة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[(٣)]

٢ ـ ضمان القبول بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[(٤)].

٣ ـ الحثّ على الدعاء بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[(٥)].

٤ ـ الوعد بالاجابة بقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[(٦)].

والتائب قد اطاع الله سبحانه في كل هذه النقاط الأربع، فيستحق قبول التوبة وأن لا يرجع خائباً من دون الظفر بما وعد سبحانه من القبول والاجابة. وحاشا لله ان يخلف وعده وهو التواب الرحيم.

[١٩/٣١ ـ الختم بالصلوات]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ كَمَا هَدَيْتَنا بِهِ[(٧)]، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ كَمَا اسْتَنْقَذتَنَا بِهِ[(٨)]، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ صَلاةً تَشْفَعُ

---

(١) في (س): «خاب الرجل خيبةً: إذا لم ينل ما طلب». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٥).

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «إِنَّكَ أنْتَ التَّوابُ الرَّحِيْمُ».

(٣) القرآن الكريم، سورة التّحريم ٦٦: ٨.

(٤) القرآن الكريم، سورة الشّورى ٤٢: ٢٥.

(٥) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٥٥.

(٦) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «كما أسعدتنا باتباعه».

(٨) لم ترد في (ف): «وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآلِهِ كَمَا اسْتَنْقذتَنَا بِهِ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد كَمَا هديتنا به، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وآل محمد كَمَا أسْعدْتَنَا بِاتّباعهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وعَلَى آله كَمَا أسْعدْتَنَا =

لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ ويَوْمَ[(١)] الفَاقَةِ إلَيْكَ[(٢)]، إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ[(٣)].

وقد ختم دعاء التوبة بالصلاة على محمد وآله، حيث أن رسالة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله هي التي شرحت اصول التوبة بأنواع الادعية والاحاديث، فمحمد وآله هم الذين اختصوا بصفة التوحيد المعنوي الهادي في الدنيا والمنقذ في الآخرة، واوجب ذلك ختم الدعاء بالصلوات عليهم في الدنيا صلاة كاملة تشفع للتائبين في الآخرة عند الله سبحانه، إنّه على كل شيء قدير.

= بِاتّباعِهِ»، وفي (س): «أنقذه من فلان واستنقذه وتنقذه بمعنىً: أي نجّاه وخلّصه». (حاشية ابن إدريس: ٢٢٥).

(١) لم ترد في (ف) عبارة: «القيامة ويوم».

(٢) لم ترد في (ف) : «إليك»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وصل على محمد صلاةً تَشْفَعُ لَنا يَوْمَ الفَاقَةِ إلَيْكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وصل على محمد وعلى آله صلاةً تَشْفَعُ لَنا يَوْمَ الفَاقَةِ إلَيْكَ».

(٣) لم ترد في (ك) (ش) (ف) : «وهو عليك يسير»، وفي (ش) بدل هذه العبارة: «وأنت أرْحَمُ الراحِمِينَ».

[الدُّعاءُ الثاني والثلاثون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل لنفسه في الاعتراف بالذنبِ[1]

[١/٣٢ ـ من صفات الرب]:

أللّهُمَّ يَا ذَا المُلْكِ المُتَأَبِّدِ بالخُلُودِ، والسُّلْطَانِ المُمْتَنِعِ بِغَيْرِ جُنُودٍ وَلا أَعوانٍ[2]، وَالعِزِّ البَاقِي عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ وَخَوالِي[3] الأعوامِ وَمَواضِي الأزمَانِ وَالأيّامِ[4]، عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزّاً لا حَدَّ له بأَوَّلِيَّةٍ[5]، وَلَا

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٥) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الإقالة»، وفي (ش) بالرقم (١٦) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاعتراف بالذنب»، وفي (ج) بعنوان: «الثاني والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل لنفسه في الاعتراف بالذنبِ»، وفي (ق) بعنوان (الحادي والثلاثون) وتحته عنوان: «بعد صلاة اللّيل»، وفي (ت) بعنوان (الثاني والثلاثون) وتحته عنوان: «لنفسه في الإعتراف»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دُعائِهِ عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٢)، بعنوان: «دُعاؤهُ بعد صلاة الليلِ».

(٢) لم ترد في (ف) : «ولا أعوان»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ يَاذَا المُلْكِ المُتَأَيِّدِ بالخُلُودِ، والسُّلْطَانِ المُمْتَنِعِ بِغَيْرِ عَوْن»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ يَاذَا المُلْكِ المُتَأَبِّدِ بالخُلُودِ، والسُّلْطَانِ المُمْتَنِعِ بِغَيْرِ عَوْن».

(٣) في (ت) العبارة هكذا: «وحوالي».

(٤) لم ترد في (ت): «والأيام»، وفي (ف) العبارة هكذا: «والعز الباقي على مرّ الدهور»، وفي (ك) العبارة هكذا: «والعز الباقي على آباد الدهور»، وفي (ش) العبارة هكذا: «والعز الباقي على آباد الدهور»، والآباد: جمع الأبد، وهو الدائم، وأَبَّدَهُ: خَلَّدهُ.

(٥) لم ترد في (ف) : «بأولية».

مُنْتَهَى له بآخِرِيَّةٍ(١)، وَاسْتَعْلى مُلْكُكَ عُلُوّاً سَقَطَتِ الأشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أمَدِهِ(٢). لَا يبْلُغُ(٣) أدْنَى مَا اسْتَأثَرْتَ بِهِ مِنْ ذلكَ أقْصَى نَعْتِ النَّاعِتِينَ. ضَلَّتْ(٤) فِيكَ الصِّفَاتُ(٥)، وَتَفَسَّخَتْ(٦) دُونَكَ النُّعُوتُ(٧)، وَحَارَتْ فِي كِبْرِيَائِكَ لطَائِفُ الأوْهَام، كَذَلِكَ(٨) أنْتَ اللهُ [لا إلَهَ إلّا أنْتَ](٩) الأوّلُ فِي أوَّلِيَّتِكَ(١٠)، وَعَلَى ذَلِكَ(١١) أنْتَ دَائِمٌ لَا تزُولُ(١٢).

الدعاء في الليل هو أفضل الاوقات الّتي يخلو فيها الإنسان بنفسه ويتقرب

---

(١) لم ترد في (ف) : «بآخرية»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ولا منتهى لآخره»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «لَاحَدَّ لأوَّلِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لآخِرِهِ».

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «أمله».

(٣) كذا في (ك) (ش) (ق) (ف) ، وفي غيرها: «وَلَا يبلغ».

(٤) في حاشية (ج) في نسخة: «ضُلت ـ س».

(٥) في (ق): «ذلّت»، وضلّ الرجل: عدل عن الطريق فلم يهتد إليهِ، والضلال في الدِّين العدول عن الحق، أي أنَّ الصفات لم تهتد إلى طريق ما يجب للهِ، ويليقُ بشأنهِ تعالى من مراتب الكمال.

(٦) في (ت): «وتقسّمت»، أي أنّ النعوت تقطَّعت وعجزت قبل الوصول إلى ما يستحقهُ الله من المدح والثناء مهما بولغَ فيها بالتعظيم والتكريم.

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «ضَلَّتْ فِيْكَ الصِّفَاتُ، وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الأسْبَابُ، وَتَفَسَّخَتْ دُوْنَكَ النُّعُوتُ»، وسببية الأسباب وتأثيرها في العالم إنما هو بلطف من الله الذي جعلَ السبب سبباً. وَتفَسَّخَتْ، أي أنّ النعوت تقطَّعت وعجزت قبل الوصول إلى ما يستحقهُ الله من المدح والثناء مهما بولغَ فيها بالتعظيم والتكريم.

(٨) في (ف) : «وكذلك».

(٩) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(١٠) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَحَارَتْ فِي كِبْرِيَائِكَ لطَائِفُ الأوْهَام كَذَلِكَ أنْتَ اللهُ فِي أزلِيَّتِكَ»، و«في أوّليتك» حال، أي كنتَ كائناً في أوّليتك قبل وجود الممكنات، وليست الالوهيّة طارئة عليكَ، أو حادثة لكَ بعد ان لم تكن.

(١١) لم ترد في (ف) : «أنْتَ اللهُ لا إله إلّا أنت الأوّل فِي أوَّلِيَّتِكَ، وَعَلَى ذَلِكَ».

(١٢) في (ش): «لَا يزول».

فيها إلى ربه، وبالأخص بعد الفراغ من صلاة الليل، الممتد وقته من بعد منتصف الليل إلى قُبيل الفجر، وهو الزمن الذي يعم فيه الطبيعة السكون في العالم الذي يعيشه الإنسان، ويتيقظ فيه الضمير لمحاسبة النفس ومدى قيام الإنسان بمسؤولياته في الحياة، وبالأخص بالنسبة إلى خالقه؛ فإن كل ما يقوم به الإنسان بالنسبة إلى الله تعالى من عبادة وطاعة ففيها قصور أو تقصير؛ لأن حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين[1]، لأنهم بسبب قربهم إلى الله تعالى يجب عليهم من المسؤوليات ما هو اكثر مما يطلب من البعداء، فتعتبر بعض الأمور في حقهم ذنبا دون غيرهم.

وقد استفتح الدعاء بصفات الرب، وذكر منها:

١ ـ ذو الملك المتأبّد بالخلود؛ فإن لله ولاية عامة على الخلق اجمعين والموجودات كلها، وملكها باق إلى الأبد، خالد من دون انقطاع، فليس حكم الله يقاس بالحكم في الدنيا، الزائل بزوال الحاكم.

٢ ـ السلطان الممتنع بغير جنود ولا أعوان؛ فإن سلطنة الله تعالى، أي قدرته ممتنع، أي محمّي بإرادته تعالى فقط، فليس سلطان الله يقاس بالسلطان في الدنيا المفتقر إلى جنود، أي العسكر والأعوان والأنصار لادارة الحكم.

٣ ـ العز الباقي. والعز هو الغلبة، وحيث انه من صفات الباري سبحانه، فيكون كالذات أزلياً باقياً لا يسبقه عدم ولا يلحقه انقطاع، فلا يتأثر هذا العزّ بالزمان والزمانيات، وخص منها بالذكر: الدهور، وهي مدة الاشياء الفانية، والأعوام وهي السنون، والازمان: أي الوقت من ليل ونهار، والايام وهي مدة طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهذه الاوقات محسوسة معروفة لكل انسان مهما كانت درجة ثقافته. ولاصحاب الفلك والمحاسبات الرياضية تقسيمات دقيقة لحركة الفلك إلى الاعوام والشهور والاسابيع والايام والساعات والدقائق والثواني والثوالث والروابع. وهكذا، مما ليست نافعة إلّا لمن يهتم بها، فلم تكن حاجة إلى ذكرها.

٤ ـ لا حدّ لعزّه، وحيث ان الوصفين: الخلود والبقاء لا يشيران إلى

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

الابتداء، أكّد ذلك بقوله هذا: ان العز الإلهي لا ابتداء له كما انه لا انتهاء له، فإن الحدّ يميّز الشيء لغاية ينتهي إليها؛ وحيث ان عزه تعالى أزلي كذاته، فلا أول له ولا آخر، فلا حدّ يحدّهُ بأوّلية ولا آخريّة.

٥ ـ علوّ الملك، أي ان عظمته فوق كل عظمة، بل تسقط الاشياء الموجودة كلها دون البلوغ والوصول إلى غاية عظمته تعالى؛ لكمال قدرته على الخلق أجمعين.

واكتفى بهذه الصفات عن ذكر حقائق تحكم المجتمعات البشرية من أديان ومذاهب وفرق، وهذه الحقائق هي:

أولاً: قصور نعت الناعتين عن وصف حقيقة الالوهية؛ فإن أقصى ما يحاول اصحاب اللاهوت من وصفه تعالى، هو أدنى ما هي حقيقة الذات المقدسة التي استأثر وخص علم ذلك بنفسه، فقصرت عن ذلك كل النعوت.

ثانياً: ضعف النعوت الّتي وصف اللاهوتيون الذات بها؛ لأنها متفسخة، أي متقطعة عن الواقع؛ فإنها تعبّر عن فهم اصحاب اللاهوت وليس عن الواقع الذي لا يعلمه إلّا الله سبحانه.

ثالثاً: حيرة الأوهام، فهي بحكم انها صادرة من الفكر الإنساني المحصور بالاحساس المادي لا يمكنها ان تصل إلى ما ليس كذلك ممّا وراء الطبيعة إلّا بالقياس بالماديات، وذلك على الوهم، ولذلك قيل:

فيك يا أُعجوبة الكون غدا الفكر كليلا   كلّما قدّم فكري فيك شبراً فرّ ميلا

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدق معانية مصنوع مثلكم مردود إليكم»[(١)].

فإن هذه الحقائق الثابتة في التاريخ والسائدة في المجتمعات البشرية تكشف عن علو ملكوت الله سبحانه بما يعجز عن ادراكه البشر المحدود بالمحسوسات.

وبعد بيان الحقائق الثلاثة أكّد عليه السلام ما تقدم من الصفات الخمس بإيجاز؛ بأن الذات المقدسة كذلك، أي كما تقدم في الصفات، فهو الأول في اوّليّته، لأن

---

(١) انظر البحار ٦٦: ٢٩٢.

الأوّلية صفة الذات، فتكون أزلية بأزلية الذات، وبناءً على الأزليّة يكون هو الدائم الذي لا يزول كما تقتضيه الأزليّة.

[٢/٣٢ ـ صفات العبد]:

وَأنَا العَبْدُ الضَّعِيفُ عَمَلاً، اَلْجَسِيمُ[١] أملاً، خَرَجَتْ مِنْ يَدَيّ[٢] أسْبَابُ الوُصُلَاتِ[٣] إلَّا ما وَصَلَهُ رَحْمَتُكَ[٤]، وَتَقَطَّعَتْ عَنِّي عِصَمُ[٥] الآمَالِ إلَّا مَا أنَا مُعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ عَفْوِكَ، قَلَّ عِنْدِي مَا أعْتَدُّ بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَكَثُرَ[٦] عَلَيَّ[٧] مَا أبُوءُ بِهِ[٨] مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَلَنْ يَضِيْقَ[٩] عَلَيْكَ عَفْوَ عَبْدٍ عَبْدَكَ[١٠] وَإنْ أسَاءَ[١١]، فَأعْفُ عَنِّي[١٢].

---

(١) الجسيم: العظيم.

(٢) في حاشية (ج) (س): «من يَدِي».

(٣) الوُصُلات: جمع وُصْلَة، أي الاتصال، والمراد: قد فاتتني الأسباب الّتي يتوصل بها إلى السعادات الاُخروية إلّا السبب الذي هو رحمتُك، فإنَّهُ لا يفوت من أحد. (رياض السالكين ٥: ٣٧).

(٤) كذا في (ك) (ش) (ق)، وفي (ف) (ت) العبارة هكذا: «إلّا وصلَة رَحْمَتكَ»، وفي حاشية (ج) (د): «إلّا وُصْلَةَ رَحْمَتِكَ ـ س».

(٥) في حاشية (ج) (د): «عَصِمُ ـ س»، والعِصَم، جمع العَصم: وهو المنع، يُقال: عصمهُ الله، أي منعهُ ووقاهُ.

(٦) في حاشية (ج): «وكَبُرَ ـ س».

(٧) في حاشية (ج) (د): «عندي، عليّ ـ معا، س».

(٨) في (ف) العبارة هكذا: «ما أنويه»، وفي (س): «﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (سورة البقرة ٢: ٦١): رجعوا به، أي صار عليهم، وكذلك «باء بإثمه» يَبُوءُ بوءاً، وتقول: باء بحقه أي أقرّ، وذا يكون ـ أبداً ـ بما عليه، لا له». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠).

(٩) في هذا تشبيه العفو بالمكان في عدم الاتساع لما هو أكبر من الشيء.

(١٠) كذا في (ف)، والعبارة في (ت) هكذا: «عَفوٌ عَنْ عَبْدِكَ».

(١١) في (ك) العبارة هكذا: «وَأنْ يَضِيْقَ عَليْكَ سَيِّدِي عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وَإنْ أسَاء، فاعْفُ عَنِّي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأنْ يَضِيْقَ عَنْكَ سَيِّدِي عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وَإنْ أسَاء، فاعْفُ عَنِّي».

(١٢) في (ت) العبارة هكذا: «وَأنا أسا»، والكلمة غير واضحة.

وعلى النقيض من صفات الباري تعالى تكون صفات العبد، وأشار منها إلى:

١ ـ العبودية؛ لكونه مخلوقا كالمخلوقات الاخرى، عاجزاً عن معرفة نفسه.

٢ ـ الضعيف عملا؛ مهما أتى به من عمل فهو عمل ضعيف كمّاً وكيفياً بالنسبة إلى ما يجب عليه.

٣ ـ العظيم أملا؛ لعلمه بسعة رحمة الله تعالى على جميع الخلق.

٤ ـ لا وسيلة له سوى الرحمة الإلهيّة، فهو بحكم ضعفه لا قدرة له في نفسه، والاسباب التي بأيدي بالناس ترجع جميعاً إلى الضعف؛ فالسبب الحقيقي المؤثر في العالم خارج عن قدرة الإنسان، وليس له سوى وسيلة واحدة وهي وسيلة رحمة الله سبحانه.

٥ ـ لا أمل له سوى عفو الله، وهو أمل عظيم؛ فإن الآمال الّتي تكون للأسباب الماديّة تنقطع، ولا يمكن ان يعتصم بها الإنسان، دون عفوه تعالى الذي لا ينقطع قط.

٦ ـ قلة الطاعة المعتد بها المستحقة للقبول.

٧ ـ كثرة المعصية الّتي يبوء بها؛ أي يتحملها بسبب اقتراف الذنوب القاصمة للظهر.

وهذه الحالات من العبودية والضعف والأمل مع قلّة الطاعة وكثرة المعصية توجب استحقاق العفو ممن وسعت رحمته كل شيء[1]، ولن يضيق عليه العفو على عبد يكون في مثل هذه الحالات وان كان مسيئاً.

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

[٣/٣٢ ـ دور الشيطان وعلم الله بالدور]:

أللّهُمَّ وَقَدْ أشْرَفَ عَلَى خَفايا الأعْمَالِ عِلْمُكَ[١]، وَانْكَشَفَ كُلُّ مسْتُور دونَ خُبْرِكَ[٢]، وَلَا[٣] تَنْطَوِي[٤] عَنْكَ[٥] دَقَائِقُ الأُمُورِ[٦]، وَلَا تَعْزُبُ[٧] عَنْكَ[٨] غَيِّبَاتُ[٩] السَّرائِرِ.

ويتكفّل هذا المقطع بيان دور الشيطان في ارتكاب المعاصي المؤثرة في حالة الداعي، وحيث ان الله سبحانه عالم بهذا الدور يكون حالة الداعي مستدعية للعفو.

وكما أنّ الله عالم بما يرتكبه العبد من الخطايا فهو عالم بدور الشيطان، كيف لا؟ وأنّ علمه سبحانه محيط بكل خفايا الاعمال الّتي لا يعلمها الإنسان، وهذا الدور قد صرّح به القرآن[١٠]، فهو ليس من دقائق الأمور، وهي لا تنطوي،

---

(١) لم ترد في (ت): «علمك».

(٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَقَدْ أشْرَفَ عَلَى خَفِيَّاتِ الأعْمَالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مسْتُور عِنْدَ خُبْرِكَ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَقَدْ أشْرَفَ عَلَى خَفِايَا الأعْمَالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مسْتُور عِنْدَ خُبْرِكَ»، وفي (س): «يقال: من أين خبرت هذا الأمر؟ أي من أين علمت، والاسم الخُبر ـ بالضم ـ وهو العلم بالشيء». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠).

(٣) في (ق) (ف) (ت) العبارة هكذا: «فلا».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «ينطوي».

(٥) في (ت) العبارة هكذا: «عليك».

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «فَلَا تَنْطَوِي عَنْكَ دَفَائِنُ الأُمُورِ»، وفي (ش)العبارة هكذا: «فَلَا تَنْطَوِي عَنْكَ دَقَائِق الأمُورِ»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «فَلَا تَنْطَوِي عَلَيْكَ دَقَائِق الأُمُورِ»، وتنطوي: تخفى وتكتم.

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «يعزب»، وفي (س): «عزب عنّي فلان يَعزُبُ ويَعزِبُ: أي بَعُد وغابَ». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠).

(٨) في (ق): «ولا يعزُبُ»، ولم ترد في (ش): «عَنْكَ»، وعزب الشيء: غاب وخفي.

(٩) في (ت): «غاياتُ»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «غائبات»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «غنبات ـ س، كذا خطه وضبطه».

(١٠) كما ورد في القرآن الكريم، سورة الحجر ١٥: ٤٠ وسورة ص ٣٨: ٧٩.

أي لا تخفى على الله، بل هي من الظاهر لكل من قرأ القرآن، كما أنّ الدور ليس من غيّبات السرائر الغائبة في الصدور ولا من خفاياها، فإنها لن تغيب عن الله سبحانه، بل هي من الأمور الواضحة لكل من درس اصل خلقة آدم وابليس في الكتب السماوية، فهذا الدور الشيطاني حقيقة غير خافية على أحد.

[٤/٣٢ ـ إخبار الله بالدور]:

وَقَدِ اسْتَحْوَذَ[(١)] عَلَيَّ عَدُوُّكَ الَّذي اسْتَنْظَرَكَ لِغَوَايَتِي فَأَنْظَرْتَهُ[(٢)]، واسْتَمْهَلَكَ إلى يَوْمِ الدِّينِ لإضْلَالِي فأمْهَلْتَهُ، فَأَوْقَعني[(٣)].

وقد اخبر الله سبحانه بدور الشيطان هذا في القرآن الكريم في سورة الاعراف حكاية عن ابليس بقوله: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ* قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[(٤)] كما وصفه بالعدوّ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾[(٥)].

فالشيطان، الذي هو عدوّ للإنسان، قد حصل على وعد بإمهاله إلى يوم القيامة، وقد عاهد الله على ان يعمل جهده في اغواء الإنسان عن الصراط المستقيم.

وقد استحوذ، أي استمال الإنسان للوقوع في الخطأ بوساوسه الشيطانية لايقاع الإنسان بالغواية، أي اغرائه بالجهل. وقد أثّر الدور الشيطاني

---

(١) استحوذَ: غلبَ واستولى.

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَقَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ الَّذي اسْتَنْظَرَكَ لإغْوَائِي فَأَنْظَرْتَهُ»، وفي (س): «أنظرتُه: أي أخّرته، واستنظره أي استمهله». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠)، وفي هذا اشارة إلى ما وردَ في القرآن الكريم، سورة الأعراف٧: ١٤ ـ ١٦، وسورة الحجر١٥: ٣٦ ـ ٤٠، وسورة ص٣٨: ٧٩ ـ ٨٣.

(٣) لم يرد في (ف) هذا المقطع بأكمله.

(٤) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٤ ـ ١٦.

(٥) القرآن الكريم، سورة الممتحنة ٦٠: ١.

بالوسوسة في افراد البشر كلٌ حسب مسؤوليته؛ فإن حسنات الابرار سيئات المقرّبين(١). وقد أثّر هذا بدوره على الإنسان التائب، وهذه الحقيقة الثابتة غير خافية عليه تعالى.

[٥/٣٢ ـ استدراج الشيطان]:

وَقَدْ هَرَبْتُ إلَيْكَ مِن صَغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ(٢) وَكَبَائِرِ أعْمَالٍ مُرْدِيةٍ(٣).

حَتَّى إذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ(٤)، واسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخَطَكَ(٥) فَتَلَ(٦) عَنِّي عِذَارَ(٧) غَدْرِهِ(٨)، وَتَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ(٩)، وَتَوَلَّى البَرَاءَةَ مِنِّي، وَأَدْبَرَ مُوَلِّيَاً عَنِّي.

وفي هذا المقطع إشارة إلى خطوات الشيطان واستدراج الإنسان؛ فالإنسان

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

(٢) في (ش) العبارة هكذا: «فَأَوْقَعنِي بصَغَائِرَ ذُنُوب مُوبِقَة»، ومُوبِقَة: أي مهلكة.

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَقَدْ هَرَبْتُ إلَيْكَ بِصَغَائِر ذُنُوب مُوبِقَة وَكَبَائِر أعْمَال مُزْرِية»، وفي (س): «رَدِيَ ـ بالكسر ـ يردىُ ردىً: هلك وأرداه غيره، ويقال: ردى وتردّى: إذا سقط في بئرٍ أو تهوّر من جبل». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠)، ومزرية: أي موجبة للازراء، أي التحقير والغض من الشأن.

(٤) في (ت): «فارقتُ»، والظاهر وجود سقط في النسخة، والصحيح ما في (ك) والعبارة فيها هكذا: «حَتَّى إذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ، وَفَارَقْتُ طَاعَتَكَ»، وقارفت: أي خالطتُ المعصية أو قاربتُ.

(٥) في (ت) العبارة هكذا: «واسْتَوْجَبْتُ لِسُوءِ فِعْلِي سَخَطَكَ»، وفي (ك) (ق) العبارة هكذا: «واسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخَطَكَ»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «سخطك».

(٦) فتلَ: لوى وأعرضَ، يُقَال: فتل عنِّي وجهه، أي لواهُ وصرفهُ، والعذار: جانب اللحية.

(٧) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «عنان».

(٨) في (ت) العبارة هكذا: «فكّ عني عذار عذره عني».

(٩) هو إشارة إلى ما حكاهُ سبحانهُ عنهُ بقولهِ: (اذ قال للإنسان اكفر فلمَّا كفرَ قال إنِّي بريءٌ منكَ). (سورة الحشر٥٩: ١٦. وانظر: مفتاح الفلاح: ٢٧٨).

في صراع مع الشيطان، حيث وقع فريسة له حيث وقع في المعصية بالتدرج بارتكاب الذنوب الموبقة المردية المهلكة، وهي:

١ ـ ارتكاب صغائر الذنوب مستهيناً بصغرها.

٢ ـ ارتكاب كبائر الأعمال عصياناً وإغراءً بالوعود الخلّابة والأماني الزائفة.

٣ ـ براءة الشيطان من العاصي بعد ان ابتلاه بالوقوع في فخ العصيان.

واسلوب الاستدراج في الفخّ للشياطين وعملائه واحد، حيث لا يمكنه الايقاع في المهلكة إلّا بالابتداء بطرق مقبولة عادة عند الإنسان، ثم يستدرج به إلى ما لا يحمد عقباه، والعاقل هو الذي يرى العواقب ويتجنبها قبل ان يقع في فخ العصيان، واذا وقع الإنسان في الفخّ فإن الشيطان سوف يتركه وشأنه.

و(الفتل) هو الصرف، فإن الشيطان بعد أن يعد الوعود الخلابة والأماني الزائفة يصرف عذار غدره، أي صفحة العهد الذي وعد به خلّاباً، ثم يظهر الشيطان حقيقته باللقاء وجهاً لوجه مع الإنسان بكلمة الكفر الصريحة بالبراءة من الإنسان، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾[1].

ونتيجة للجهل بأساليب الاستدراج الشيطانية والعواقب المترتبة عليها يقع الإنسان في المعصية.

[٦/٣٢ ـ موقف العائذ]:

فَأَصْحَرَنِي[2] لِغَضَبِكَ فَرِيداً[3]، وَأَخْرَجَنِي إلى فِنَاءِ نَقِمَتِكَ[4]

(١) القرآن الكريم، سورة الحشر ٥٩: ١٦.

(٢) في (س): «الصحراء: البريّة، وأصحر الرجل: أي خرج إلى الصحراء». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠)، والمراد: تركني وحيداً بلا ستر عليَّ.

(٣) في (ت) العبارة هكذا: «فَأَصْحَرَنِي بِغَضَبِكَ فَرِيْداً»، وفي (ك) العبارة هكذا: «فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ مَزِيْداً».

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «نعمتك».

طَرِيْدَاً، لَا شَفِيْعٌ[(١)] يَشْفَعُ لِي إلِيْكَ، وَلَا خَفِيرٌ[(٢)] يُؤمِنُنِي عَلَيْكَ[(٣)]، وَلَا حِصنٌ[(٤)] يَحْجُبُنِي عَنْكَ، وَلَا مَلاذٌ[(٥)] أَلْجَأُ إِلِيْهِ مِنْكَ[(٦)].

فَهَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ[(٧)]، وَمَحَلُّ المُعْتَرِفِ لَكَ، فَلَا[(٨)] يَضِيْقَنَّ عَنِّي[(٩)] فَضْلُكَ، وَلَا يَقْصُرَنَّ[(١٠)] دُوْنِي عَفْوُكَ، وَلَا أكُونَنَّ[(١١)] أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ، وَلَا أَقْنَطَ وُفُودَكَ الآمِلِينَ[(١٢)]، وَاغْفِر[(١٣)] لِي إِنَّكَ خيرُ الغَافِرِينَ[(١٤)].

وبعد ان يقع الإنسان في فخّ العصيان يكون في مقام العائذ الذي يستحق الرحمة من الله؛ لأنه يتّصف بما يأتي:

١ ـ الوحدة، حيث اصبح وحيدا مستحقاً لغضب الله بالعصيان، وقد تنكّر المؤمنون له بسوء عمله.

---

(١) والعبارات من قوله: «حَتَّى إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ» إلى هنا، لم ترد في (ف). وفي (ف): «فلا شفيعَ»، وفي حاشية (ج): «لا شفيعَ ـ س».

(٢) في حاشية (ج) (د): «لا خفيرَ ـ س»، والخفير: الحميّ والمجير.

(٣) في (ف): «منك».

(٤) في حاشية (ج): «لا حصنَ ـ س».

(٥) في حاشية (ج): «لا ملاذَ ـ س»، وفي (س): «لاذ به لوذاً ولياذاً: أي لجأ إليه وعاذ به. فالملاذ: اسم المكان، مثل المقام. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٠).

(٦) لم ترد في (ف): «منك».

(٧) لم ترد في (ش): «بِكَ».

(٨) في (ت) العبارة هكذا: «ولا».

(٩) في (ف): «عليّ».

(١٠) في حاشية (ج): «لا يقصرُ ـ س».

(١١) في (ك): «ولا أكونَ»، وفي (س): «ولا أكن».

(١٢) في (ش) العبارة هكذا: «وَلَا أَقْنَط وُفُود الآمِلِينَ»، وفي (س): «القنوط: اليأس. الأمل: الرجاء». (حاشية ابن إدريس: ٢٣١).

(١٣) في (ف): «فاغفر».

(١٤) في (ف) زيادة: «وأرحم الراحمين».

٢ ـ الطرد، فإنه حتى الشيطان الذي منّاه بالأماني قد طرده مستخفا بعقله وجهله لوقوعه في فخّ العصيان.

٣ ـ عدم الشفاعة له، فإن الشفاعة من الماديين تكون للمادة، ولا قيمة لها في الأمور الروحية، ولا يشفع له المؤمنون، لقبح العمل الصادر منه.

٤ ـ لا خفارة له، أي لا حماية له للامان من العقاب الإلهي.

٥ ـ لا حصن له كي يتحصن فيه عن العقاب.

٦ ـ لا ملاذ له، أي لا ملجأ يلجأ إليه من عقاب الله العادل.

وهذا المقام يستحق العقاب باعتبار التلبّس بالجريمة، ولكن مع الاعتراف بجهل العائذ يكون مستحقاً لأن تشمله الرحمة من فضل الله سبحانه الذي يعم الخلق أجمعين، فلا يضيق بشموله اياه، وان لا يقصر عفو الله دونه، فهو بهذا الموقف يستحق العفو كسائر العباد التائبين الوافدين على الله طلباً لمغفرته، فيستحق بموقعه هذا ان لا يرجع قانطاً من رحمة الله الواسعة.

[٧/٣٢ ـ موقف الحياء]:

أللّٰهُمَّ إنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ[١]، وَنَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ، وَسَوَّلَ[٢] لِي لخَطَأ[٣] خَاطِرُ[٤] السُّوءِ فَفَرَّطتُ[٥]، وَلَا أَستَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي

---

١) في (ف) : «فغفلت».

٢) التسويل: تحسين الشيء وتزيينهُ، والخطايا: الآثام والذنوب.

٣) في (ت) العبارة هكذا: «الخطايا».

٤) في (ت) العبارة هكذا: «خاطري».

٥) في (ك) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ إنَّكَ نَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ، وَأَمَرْتَنِي فَغَفَلْتُ، وَسُوِّلَ لِي الخَطَايَا فَعَفَيْتُ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّٰهُمَّ إنَّكَ نَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ، وَسُوِّلَ لِي الخَطَأ فَعَصَيْتُ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وَسُوِّلَ لِي الخَطَايا خاطري السوء فَفَرّطتُ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَسُوِّلَ لِي خاطري فَفَرّطتُ»، والتسويل: تحسين الشيء وتزيينهُ، والخطايا: الآثام والذنوب، وعفيت أي تركتُ، من عفا: إذا تركَ وأعرضَ.

نَهَاراً، وَلَا اسْتَجِيرُ[(١)] بِتَهَجُّدِي[(٢)] لَيْلاً، ولَا تُثْنِي[(٣)] عَلَيَّ بإحْيَائِهَا سُنَّةٌ[(٤)]، حَاشَا فُرُوضِكَ[(٥)] الَّتي مَنْ ضَيَّعَها هَلَكَ، وَلَسْتُ[(٦)] أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ[(٧)] بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ[(٨)]

---

(١) في (ت): «ولا استخير»، وفي (ك): «ولا استخبر»، وفي (ق) ظاهرا: «ولا استخير»، واستجير من الاستجارة، والمراد: ليس لي عمل صالح ينقذني من صيام أو قيام.

(٢) في (س): «هجد وتهجد: أي نام ليلاً، وهجد وتهجّد: أي سهر، وهو من الأضداد. ومنه قيل لصلاة الليل: التهجّد». (حاشية ابن إدريس: ٢٣١).

(٣) في (ت): «ولا يثنى» ظاهرا، أي لا ثناء عليَّ بإحياء السنة، يريد عليه السلام نفي وجود ذريعة للنجاة من الحساب.

(٤) في (ف) : «ولا نيّتي بإحيائها سنّة».

(٥) في حاشية (ج): «فروضِك، فروضَكَ ـ س»، وفي حاشية (د) ما نصه: «حاشا» هنا استثنائيّة، ومدار هذه الفقرات على اعترافه عليه السّلام بعدم قيامه بالطاعات سوى الفرائض، باعتبار عدم الاعتداد بها، ومن العجيب ما قاله بعضهم هنا: إنّ الاستثناء في قوله عليه السّلام: «حاشا فروضك» نظير قوله: «ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب»، فيكون المعنى: خصوصا فروضك. ولو كان الاستثناء على حقيقته لكان المعنى ما أحييت من السنن إلّا الفروض، ومقام الاعتراف بالتقصير، غير مناسب لذلك. انتهى. ومثل هذا الكلام لا يصدر إلّا عن ذهن مؤوّف، نسأل الله العافية. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ٧١ ـ ٧٢).

(٦) في (ق) العبارة هكذا: «فَلست».

(٧) التوسّل: طلب الوسيلة، وهي ما يتقرب بهِ إلى الشيء.

(٨) في حاشية (د) ما نصه: «الوظائف: جمع وظيفة، وهي ما يقدّر من عمل ورزق ونحو ذلك. وتطلق على الشرط كما في القاموس، ولعلَّه المراد هنا بقرينة استثناء الفروض سابقا، فيكون المراد بها: شرائط الفروض للقبول، دون الأجزاء كمحض الإخلاص، وحضور القلب وغير ذلك، ففي الصحيح: «إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه». وفيه عن أبي جعفر عليه السّلام: «إنّ العبد ليرفع له من صلاته نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها، فما يرفع له إلّا ما أقبل عليه بقلبه، وإنّما أمرنا بالنافلة ليتمّ لهم بها ما نقّصوا من الفريضة». أو المراد بها الآداب الموظفة التي يكون بها المفروض على أكمل الوجوه، كما ورد في الحسن عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّه قال: «للصلاة أربعة آلاف حد»، وفي رواية أخرى: «للصلاة أربعة آلاف باب». وعلى كلّ تقدير فغرضه من ذلك: أن لا يخرج نفسه من حدّ التقصير في فرض ولا ندب. من الشرح». (رياض السالكين ٥: ٧٢).

فُرُوضِكَ[١]، وَتَعدَّيْتُ عَنْ[٢] مقَامَاتِ حُدُودِكَ[٣] إلى حُرُمَاتٍ انْتَهَكْتُهَا[٤]، وَكَبَائِرِ ذُنُوب اجْتَرَحْتُها[٥]، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِها سِتْراً.

وفي هذا المقطع أشار إلى موقف الحياء المقتضي للرحمة من الله سبحانه، ويتعرض إلى ذكر اسباب الحياء، ثم مقام المستحيي وأشار فيه إلى عدة اسباب، منها:

١ ـ ترك الأمر الإلهي.

٢ ـ ارتكاب النهي الإلهي.

٣ ـ التفريط أي تضييع المسؤولية بسبب أنّ خاطر السوء وهوى القلب سوّل وزيّن الخطأ للإنسان، وقد ذكر موارد لهذا التفريط، وهي:

الأول: الصيام، فلا يمكن الاستشهاد به بسبب التفريط المزيل لأثر القبول.

الثاني: التهجّد ليلا، وانه صار كذلك بسبب التفريط.

الثالث: إحياء السنة، وانه صار كذلك بسبب التفريط أيضاً.

والرابع: النوافل؛ فإنه لا قيمة لها مع التفريط.

وطبيعيّ ان لا يعد من التفريط الفروض الشرعية من الصلاة والزكاة وغيرهما، فهي مستثناة من ذلك؛ لأن من ضيّعها بالتفريط يهلك لا محالة.

---

(١) عبارة: «الَّتي مَنْ ضَيَّعَها هَلَكَ، وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ» ساقطة في (ت).

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «وَتَعدَّيْتُ مِنْ».

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَتَعدَّيْتُ مِنْ غَاياتِ حُدُودِكَ».

(٤) في (س): «انتهاك الحرمة: تناولها بما لا يحل، نهكت الثوب ـ بالفتح ـ أنهكته نهكاً: أي لبسته حتى خَلُق، ونهكت من الطعام: بالغت في أكله. ويمكن أن يقال من هذا الفعل: انتهك، بمعنى نهك. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣١).

(٥) في (س): «اجترح: أي اكتسب، والجوارح من السباع والطير: ذوات الصيد، وجوارح الإنسان: أعضاؤه الّذي يكتسب بها». (حاشية ابن إدريس: ٢٣١).

٤ ـ الغفلة عن وظائف الفروض؛ فإنها انما فرضت لينتهي الإنسان بها عن الفحشاء والمنكر، والغفلة عن آثارها تفقد معنويتها فتصبح الفروض ـ كالصلاة ـ حركة فاقدة للروح؛ اذ لا يستتبعها آثارها ووظائفها.

٥ ـ التعدّي في الحدود بانتهاك الحرمات مما لا يحل انتهاكه.

٦ ـ اجتراح كبائر الذنوب واقترافها بعمل الجوارح من اعضاء الجسم.

والله سبحانه لم يقابل هذه الموبقات الّتي توجب الفضيحة بالعقاب العاجل المكشوف، وانما قابلها بالعافية والسلامة، وذلك بالستر عليها وهو خير الساترين.

[٨/٣٢ ـ مقام الاستحياء]:

وَهَذا مَقَامُ مَنِ اسْتَحْيَى لِنَفْسِهِ مِنْكَ، وَسَخِطَ عَلَيْها، ورَضِيَ عَنْك، فَتَلَقَّاكَ[١] بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ[٢]، وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ، وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الخَطَايَا، وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَالرَهْبَةِ مِنْكَ[٣]، وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاهُ، وَأحقُّ مَنْ خَشِيَهُ وَاتَّقَاهُ، فأَعْطِنِي ـ يَارَبِّ ـ مَا رَجَوْتُ[٤] وَآمِنِّي ممَّا[٥] حَذِرْتُ، وَعُدْ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ[٦] رَحْمَتِكَ، إنَّكَ أَكْرَمُ المَسْؤُولِينَ.

---

(١) في حاشية (ج): «وتلقّاكَ ـ س».
(٢) في (ك) العبارة هكذا: «ورَضِيَ عَنْها، فَتَلقَّاكَ بِنَفْس خَاشِعَة».
(٣) في (ك): «وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَرَهْبَة مِنْكَ».
(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ أَطْلَبَ مَنْ رَجَاهُ، وَآمَنَ مَنْ خَشِيَهُ وَاتَّقَاهُ، فاطْلِبنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ».
(٥) كذا في (ق)، وفي غيرها العبارة هكذا: «ما».
(٦) في (ج): «بعايدة»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «بعائدة»، وفي (س): «العائدة: العطف والمنفعة، يقال: هذا الشيء أعود عليك من كذا، أي أنفع، وفلان ذو صفح وعائدة، أي ذو عفو وتعطُّف». (حاشية ابن إدريس: ٢٣١)، والعائدة: المعروف والصلة.

ومقام الحياء هذا يقتضي الرحمة الإلهيّة لما صدر من الخطايا من الإنسان؛ لأنه يعبّر عن الآثار الصادقة للتوبة، ومنها:

١ ـ السخط على النفس بسبب الخطايا التي ارتكبتها.

٢ ـ الرضا بقضاء الله تعالى.

٣ ـ الخشوع في لقاء الله، أي التذلل له تعالى.

٤ ـ الخضوع كذلك، أي التواضع له تعالى.

٥ ـ حمل الخطايا الثقيلة على ظهره.

٦ ـ وقوفه موقف الراغب الراهب، رغبة في قبول التوبة ورهبةً من العقاب العادل.

٧ ـ الرجاء بالعفو من الله تعالى الذي هو أولى من رجاه راج.

٨ ـ الخشية من عقاب الله تعالى، الذي هو أحقّ من يخشى ويتّقى.

ومقام الحياء هذا يقتضي تحقيق رجاء المستحيي وأمنه مما يحذر، وذلك بأن تشمله رحمة الله الواسعة، وهو اكرم المسؤولين في الدعاء.

[٩/٣٢ ـ رحمتان]:

أَللّٰهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ، وَتَغَمَّدْتَنِي[١] بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الفَنَاءِ[٢]، بِحَضْرَةِ الاكْفَآءِ[٣]، فَأَجِرْنِي[٤] مِنْ فَضِيْحاتِ دَارِ البَقاءِ عِنْدَ مَواقِفِ الأَشْهَادِ[٥] مِنَ المَلائِكَةِ المُقَرَّبِيْنَ، والرُسُلِ

---

(١) تغمدتني: شملتني.

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «دار الحياة».

(٣) لم ترد في (ف): «بحضرة الأكفّاء»، وفي (س): «الكَفيء: النظير». (حاشية ابن إدريس: ٢٣١)، والاكفَّاء: جمع كفؤ، وهو المثل والنظير والمساوي.

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «وَأجرني».

(٥) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «فَأَجِرْنِي مِنْ فَضِيْحاتِ دَارِ البَقاءِ، عِنْدَ تَواقُفِ الأَشْهَادِ»، وفي (س): «شهد له بكذا شهادةً: أي أدّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، والجمع: شَهْدٌ كصاحب وصحب، وجمع الجمع: شهود وأشهاد. وأستشهد بكذا: أي أتى بشاهده. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢)، و«مواقف الأشهاد» أي عندما يقف الأشهاد للشهادة.

المُكَرَّمِيْنَ(١)، والشُهَداءِ والصَّالِحينَ(٢). فكم مِنْ(٣) جَارٍ كُنْتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئاتِي(٤)، وَمن ذِي رَحِمٍ(٥) كُنْتُ أَحْتَشِمُ(٦) مِنْهُ فِي(٧) سَرِيراتي(٨)، لَمْ أثِقْ بِهِمْ - ربِّ - فِي السِّتْرِ(٩) عَلَيَّ، وَوَثِقْتُ بِكَ - ربِّ(١٠) - فِي المَغْفِرَةِ لِي، وَأنْتَ أوْلَى مَنْ وُثِقَ بِهِ، وَأَعطَى مَنْ رُغِبَ إليْهِ، وَأَرأَفُ(١١) مَنِ اسْتُرْحِمَ(١٢)، فارْحَمْني.

والإنسان المنيب إلى ربه يفتقر إلى رحمتين: رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة.

أما رحمة الدنيا فهي الستر والعفو والفضل، فلا يفتضح الإنسان في حضور الأمثال والأكفاء، وهذه الفترة تزول بزوال الحياة.

---

(١) في حاشية (ج): «المكرَمين، المكرَّمين - معا».
(٢) في (ف) العبارة هكذا: «والشهداء الصالحين».
(٣) كذا في (ك) (ق)، وفي (ت) العبارة هكذا: «وكم من»، وفي (ف) العبارة هكذا: «فمن»، وفي (س): «من»، ولم ترد فيها: «فكم».
(٤) في (ت): «بسيئاتي».
(٥) في (ك) العبارة هكذا: «فَكَمْ مِنْ جَار كُنْتُ أُكَاتِمُهُ بِسَيِّئاتِي، وَذِي رَحِم»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَمِنْ جَار كُنْتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئاتِي، وَذِي رَحِم».
(٦) في (س): «الحِشمة: الاستحياء، وأحتشمته واحتشمت منه بمعنىً». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢)، واحتشمُ من الحشمة، وهو الحياء، أي كنتُ استحيمنه.
(٧) لم ترد في (ف): «في».
(٨) في (ت): «في سرائري».
(٩) في حاشية (ج): «السَتر، السِتر - معا».
(١٠) لم ترد في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت): «ربّ» هنا.
(١١) في حاشية (ج): «أرأف، أروف - معا»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وأرقّ».
(١٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَأَنْتَ أوْفَى مَنْ وُثِقَ بِهِ، وَأَعْطَى مَنْ رُغِبَ إليْهِ، وَارْحَمُ مَنْ اسْتُرْحِمَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأنْتَ أوْلَى مَنْ وُثِقَ بِهِ، وَأَعْطَى مَنْ رُغِبَ إليْهِ، وأرقُّ مَنْ اسْتُرْحِمَ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وَأنْتَ أوْلَى مَنْ وُثِقَ بِهِ، وَأعْطَى مَنْ رُغِبَ إليْهِ، وأرحمُ مَنْ اسْتُرْحِمَ».

وأما رحمة الآخرة فهي بذلك أولى؛ لأنها دار البقاء، ولأن الفضيحة، فيها على رؤوس الاشهاد والملائكة والرسل والشهداء والصالحين، وقد خصّ في هذا المقطع جمعاً ممّن يرتبط الإنسان بهم بروابط تؤثر في علاقاته بهم، فإن انكشاف حاله لديهم يزيد الفضيحة ألماً، وهم:

١ ـ الجيران، فإن العلاقة الحسنة معهم مثبتة على الثقة المتبادلة، ولولاها لهربوا منه ومن جواره، وهو من أجل ذلك كان يكتم سيئاته.

٢ ـ الارحام؛ فإن رابطة الرحم تجعل الإنسان يحتشم ويستحيي من ان يطلع الأرحام على أسراره الخاصة في حياته؛ فإن العلاقة الاجتماعية مع هؤلاء مثبتة على اساس الثقة أيضاً؛ فلو علموا بخطايا الإنسان الخاصة به لزالت الثقة وانقلبت الصداقة إلى عداوة، ولذلك لم ينكشف لهم على حقيقته؛ لعدم الوثوق بهم في الستر، وكان الملجأ هو الله الذي برحمته ومعونته يعفو عن الخطايا؛ لأنه لا يوثق إلّا به ولايرغب إلا إليه، وهو ارحم من استرحم.

[٣٢/١٠ ـ نعمة الخلق]:

أللّهُمَّ، وأنتَ حَدَرْتَنِي[١] مَاءً مهيناً، منْ صُلْبٍ[٢] مُتَضَائِقِ[٣] العِظَامِ[٤]، حَرِجِ المَسالِكِ[٥] إلى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ سَتَرْتَها[٦]

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ، وأنتَ خلقتني».

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ، فأنتَ أحَدَرْتَنِي مَاءً مهِيناً على صُلْبٍ».

(٣) في (ت): «متطابق»، وفي (ف): «متظايق»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «متطابق».

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وإنَّكَ حَدَرْتَني ماءً مهِيْناً، عَنْ صُلْبٍ مُتَطابِقِ العِظَامِ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وخلقتَني ماءً مهِيْناً، منْ صُلْبٍ مُتَطَابِقِ العِظَامِ»، والمتطابق: المؤتلف والمتّفق، أو من أطبق، أي المغطّى، والصلب: عظمٌ في الظهر ذو فقرات، يبدأ من الرأس وينتهي بالعصعص، و«متضائق العظام» أي متلاصق العظام حتى كأنّها عظمٌ واحد.

(٥) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت): «المسلك»، وفي (س): «مكان حَرجٌ وحَرِج: أي ضيّق». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢).

(٦) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «سبرتها ـ س، كذا ضبطه».

بالحُجُبِ[(١)]، تُصَرِّفُنِي [فيها][(٢)] حَالاً عَنْ حَالٍ، حَتَّى انْتَهَيْتَ بِي إلى تَمامِ الصُّورَةِ، وَأَثْبَتَّ فِيَّ الجَوارِحَ ـ كَما نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ ـ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عَظاماً[(٣)]، ثُمَّ كَسَوتَ العِظَامَ[(٤)] لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأتَنِي خَلْقاً آخَرَ[(٥)] كَمَا شِئْتَ[(٦)].

ويتضمن هذا المقطع الاشارة إلى نعم الله تعالى الّتي سبقت نعمة العفو، ومنها نعمة الخلق الذي مر بمراحل، منها:

١ ـ الماء المهين، وهو منّي الرجل الذي يستنكف ان يراه أحد على ثوبه، فإن هذا الماء يمر بالسير الطبيعي من الصلب المتماسك بالعظام المتكونة في الجسم وحتى المسالك البوليّة على ما في هذه المسالك من ضيق وحرج وستر مشروح في علم التشريح لجسم الإنسان.

٢ ـ اللقاح في الرحم، وينتهي منّي الرجل إلى رحم المرأة الّتي تنتضج فيها البويضة فتلقحها، وبعد هذا اللقاح تطرأ حالات مختلفة على الإنسان حتى تمام الصورة الإنسانية الكاملة بالجوارح والاعضاء، كما صرح بها في القرآن الكريم، وهي:

٣ ـ النطفة، وهي المني وانما سمّي نطفة لقلته.

٤ ـ العلقة، وهي القطعة الجامدة من الدم.

٥ ـ المضغة، وهي القطعة المستحيلة من العلقة.

٦ ـ الهيكل العظمي، وهو القسم الجامد الصلب من بدن الإنسان.

---

(١) في (س): «حجاب الجوف: ما يحجب بين الفؤاد وسائره. أي بين القلب وسائر الجوف. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ق).

(٣) كذا في (ق)، وفي غيرها العبارة هكذا: «عظماً»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «عظاما».

(٤) في (ق) (ت) العبارة هكذا: «العَظْمَ».

(٥) في (ت) زيادة: «فتبارك الله رب العالمينْ»، وهو اشارة إلى ما وردَ في القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١٢ ـ ١٤.

(٦) في (ج) (ت): «شيت»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «شئت».

٧ ـ الخلق الكامل بإكساء اللحم، وهو القسم الرخو من الجسم.

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾[١].

[١١/٣٢ ـ رزق الجنين]:

حَتَّى إذَا احتَجْتُ إلى رِزْقِكَ[٢]، وَلَمْ أسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِ[٣] فَضْلِكَ[٤] جَعَلْتَ[٥] لِي قُوتاً[٦] مِنْ فَضْلِ طَعَامٍ وَشَرَابٍ[٧] أجْرَيْتَهُ[٨] لأمَتِكَ الَّتي أسْكَنْتَنِي جَوْفَهَا، وأوْدَعْتَنِي قَرَارَ رَحِمِهَا. وَلَوْ تَكِلُنِي[٩] ـ يَارَبِّ ـ فِي تِلكَ الحَالاتِ إلَى حَولِي[١٠] أو تَضْطَرُّنِي[١١] إلَى قُوَّتِي[١٢] لَكَانَ الحَوْلُ عَنِّي مُعْتَزِلاً[١٣]، وَلَكَانَتِ

---

(١) القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١٢ ـ ١٤.

(٢) في (ف) العبارة هكذا: «فضلك».

(٣) الغياث: اسم من أغاثة الله، إذا كشفَ شدَّته.

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «رزقك».

(٥) في (ق) العبارة هكذا: «وجعلت».

(٦) في (ق) العبارة هكذا: «قوّةً».

(٧) في (ف) العبارة هكذا: «الطعام والشراب».

(٨) في (ق) العبارة هكذا: «وأجريته».

(٩) في (ت) العبارة هكذا: «ولم تكلني»، وفي (ف) العبارة هكذا: «ولو وكلتني».

(١٠) والحول: الحذق وجودة النظر والقوّة والقدرة على التصرّف، ومثله الحيلة، وقيل: الحيلة مأخوذة من قولهم: حال، أي انقلبَ عن جهتهِ، كأنّ صاحبها يريد أن يستنبط ما يحول عندَ غيرهِ، والعرب تقول: الحيلة أبلغُ من الوسيلة.

(١١) في (ت) العبارة هكذا: «وتضطرني»، وفي (ق) العبارة هكذا: «واضطررتني».

(١٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَمْ تَكِلْنِي يَارَبِّ فِي تِلْكَ الحَالِ إلى حَوْلِي وَحِيْلَتِي وَلَمْ تَضْطَرَّنِي إلى قُوَّتِي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَمْ تَكِلْنِي يَارَبِّ فِي تِلْكَ الحَالِ إلى حَوْلِي وَحِيلَتِي أو تَضْطَرَّنِي إلى قُوَّتِي».

(١٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَوْ وَكلْتنِي يَارَبِّ إلى نفسِي واضطررتني إلى قُوَّتِي لكان الحَوْل =

القُوَّةُ مِنِّي بَعِيدَةً، فَغَذَوتَنِي بِفَضْلِكَ[١] غِذاءَ البَرِّ[٢] اللَّطِيفِ، تَفْعَلُ ذلِكَ بِي تَطَوُّلاً[٣] عَلَيَّ إلى غايَتِي هَذِهِ، لَا أُعْدَمُ بِرَّكَ، وَلَا يُبْطِيءُ بِي حُسْنُ صَنِيعكَ[٤]، وَلَا تَتَأكَّدُ[٥] مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي، فَأَتَفَرَّغَ[٦] لِمَا هُوَ أحْظى[٧] لِي[٨] عِنْدَكَ.

ورحمة الله وسعت الجنين في رحم أُمّه حيث لا حول له ولا قوة، فكان طعامه طعام الأُم وشرابه شراب الام. من دون ان ينقصها او ينقصه شيء في حالته الطبيعية، فهو يتقوت في تلك الحالة وينمو بفضل الله. وقوله: «غذاء البر اللطيف» يشير إلى أنّ طعام الطفل بوسيلة الام هو الطعام المفضل لصحة الطفل، وان ما لا يكون بهذه الوسيلة الطبيعية لا يكون برّاً بالطفل، ولا يكون لطفاً عليه، بل قد يكون عالةً فيما لو فرض حاجة الطفل إلى التغذية من غير هذه الوسيلة كالتغذية من الخارج بواسطة الأنابيب في الحالات المستعصية طبيّاً، فلا يكون في

= عنِّي معتزلاً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَوْ وَكلْتنِي يَارَبِّ إلى نفسِي واضطررتني إلى قُوَّتِي لكان الحَوْل عنِّي مغيّباً»، وفي (ق) العبارة هكذا: «لَكَانَ الحَوْلُ. وَلَوْ وَكلْتنِي في تلك الحال إلى نفسِي واضطررتني إلى قُوَّتِي لكان الحَوْل عنِّي مُعْتَزلاً»، والظاهر أن الناسخ اراد بيان نسخة اخرى فاختلطت بالمتن.

(١) في (ف) العبارة هكذا: «فغديتني بتفضلك».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «فَقُتنِي بفضلك قِيتَةَ البَرِّ»، وقُتنِي: أي أطعمني الغذاء، وهو من القوت: ما يغتذى بِهِ من طعام وشراب، والبرّ: العطوف على العباد ببرهِ ولطفهِ.

(٣) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «تَفْعَلُ بِي ذلِكَ تَطَوُّلاً»، وتطوُّلاً: امتناناً.

(٤) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «صنعك»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَلَا تُبْطِيءُ عنّي صُنعكَ».

(٥) في (ت): «يتأكد».

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَا يُبطِيءُ عنّي حُسْنُ صَنيعكَ، وَلَا يَتَأكَّدُ مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي بك، وَأَتَفَرَّغ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَا يُبْطِيءُ عنِّي حُسْنُ صَنيعكَ، وَلَا تخلصُ مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي، فَأَتَفرَّغ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَلَا يَتَأكَّدُ مَعَ ذَلِكَ يقِينِي فَأَتَفرَّغُ».

(٧) في (س): «رجل حَظيّ: إذا كان ذا حظوة ومنزلة، وقد حظي عند الأمير واحتظى به بمعنىً. وأحظى اسم تفضيل من حظى. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢).

(٨) لم ترد في (ت): «لي».

ذلك لطف لا على الطفل ولا على الأُم، ولا تعرف اهمية الحالة الطبيعة إلّا عند فقدانها، فإن الأشياء تعرف باضدادها.

وهذه الرحمة الإلهيّة استمرت منذ الطفولة في مراحل النمو للجسم البشري حتى الساعة الّتي يدعو فيها الداعي ربه بفضله وإحسانه سبحانه بلا عرض سابق ولا لاحق، وذلك بسبب ان الداعي لا يعدم بر الله سبحانه في حال من الحالات، ولا يبطئ حسن صنيع الله تعالى عمّا يفتقر إليه في آن من الآنات؛ لأن حسن الصنع من رحمة الله فلا يكون في ذلك تأخير لمن يفتقر إليه.

وبالنتيجة: الثقة بالله دائمة ومستمرة على كل حال وفي كل آن، ولايضعف ولا يتأكّد مع انعدام البر، وهو ناظر لصنع الله لأنها ثقة بالحكمة الإلهيّة في ذلك بسبب ان ذلك يدعوا إلى التفرغ والتركيز على ما هو أحظى وأحبّ عند الله كما تقتضيه الحكمة، وهذه الثقة المطلقة تكون بارادة الله تعالى، والتي تجعل الإنسان يعيش آملا في الحياة، من غير تذمّر وأسىً على ما فات، ولا فرحٍ بما هو آتٍ.

[١٢/٣٢ ـ سوء الظن]:

قَدْ مَلَكَ[١] الشَّيْطانُ عِنَانِي فِي سُوءِ الظَّنِّ وَضَعْفِ اليَقِيْنِ[٢]، فأَنَا أَشْكُو سُوءَ مُجَاوَرَتِهِ لِي[٣]، وَطَاعَةَ نَفْسِي لهُ[٤]، وأَسْتَعْصِمُكَ مِنْ مَلَكَتِهِ[٥]، وأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي صَرْفِ كَيدِهِ عَنِّي.

ولا يؤثر في الثقة إلّا سوء الظن الذي هو نابعٌ من ضعف اليقين، وانما يمنع من اليقين الشيطان الرجيم فإنه يستخدم ضعف اليقين في الوسوسة لاغواء

---

١) في (ش) العبارة هكذا: «وَقَدْ مَلكَ».
٢) لم يرد في (ف) العبارة هكذا: «وضعف اليقين»الى قوله: «فلك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام»، الآتي بعد سطور في المقطع ٣٢.
٣) في (ك) العبارة هكذا: «فأَنَا أَشْكُو اليك سُوءَ مُجَاوَرَتِهِ لِي».
٤) لم ترد في (ق): «له».
٥) في (ش) (ت) العبارة هكذا: «من هلكته».

الإنسان، وأول الآثار السلبية في كل من سوء الظن وضعف اليقين: ان يكون الإنسان فاقداً التركيز على الهدف الذي يريد تحقيقه في حياته، ومن الواضح ان التركيز على الهدف هو أول اسباب النجاح في الحياة.

وحيث انه يلزم على الإنسان ان يبتعد عن سوء الظن وضعف اليقين، فيجب ان يستعيذ بالله من المانع الاصلي لهاذين، وهو الشيطان. وقد أشار إلى ثلاثة أُمور يفتقر الإنسان إلى استخدامها ليتجنب الوساوس الشيطانية، وهي:

١ ـ الشكوى من سوء مجاورة الشيطان، فإن الشكوى يوجب الابتعاد ممّن يتشكى منه.

٢ ـ عدم السكون إلى النفس الأمّارة بالسوء، فإن السكون إليها يستلزم عدم الحذر منها.

٣ـ الاستعصام بالله تعالى من ملكة الشيطان، أي احتوائه واستحواذه على الإنسان.

[١٣/٣٢ ـ سهولة الرزق]:

وَأسْأَلُكَ[(١)] أنْ تُسَهِّلَ إلى رِزْقِي سَبِيلاً[(٢)]، فَلَكَ [اللهمّ][(٣)] الحَمْدُ عَلَى ابتِدَائِكَ بِالنِّعَمِ الجِسَامِ، وَإلهَامِكَ الشُّكرَ عَلَى الإحسَانِ وَالإنْعَامِ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَسَهِّل عَلَيَّ رِزقِي، وَأنْ تُقَنِّعَنِي[(٤)]

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «وأسلك في».

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «سبيلي»، وفي حاشية (د) في نسخة يحتمل: «سبلي»، فإن الكلمة غير واضحة، وفي (ك) العبارة هكذا: «وأتضَرَّعُ إليْكَ فِي صَرفِ كيدِهِ عنّي، وأسألك أنْ تُسَهِّلَ إلى رِزْقِي سَبِيْلي»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وأتضَرَّعُ إليْكَ فِي أنْ تُسَهِّلَ إلى رِزْقِي سُبُلي»، وفي (ف) العبارة هكذا: «فأسالك أن تصلي على محمد وآله وسَهِّلَ إلى رِزْقِي الآن سُبُلي».

(٣) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «وأنفعني»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وأقنعني»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وقنعني».

بِتَقديرِكَ لِي، وَأَنْ تُرْضِيَنِي[١] بِحِصَّتِي فيما قَسَمْتَ لِي، وَأَنْ تَجْعَلَ[٢] مَا ذَهَب مِنْ جِسْمِي وَعُمُري[٣] فِي سَبِيلِ طَاعَتِكَ[٤]، إِنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ[٥].

وحيث أنّ الحاجة الماديّة هي إحدى الطرق الّتي يستخدمها الشيطان للاستحواذ على الإنسان، ختم هذا المقطع بالدعاء بسهولة الرزق بأن يكون الطريق إليه طريقاً سهلا من دون صعوبة في تحصيله، فلا ينشغل بال الإنسان بالأمور الماديّة غير الضرورية في الحياة، وقد أشار إلى أنّ طريق الرزق يقع في سلسلة مترابطة من الاسباب والمسببات، وكلها توجب الحمد، وهي:

١ ـ الابتداء بالنعم الجسام كالصحة والسلامة.

٢ ـ إلهام الشكر على الإحسان: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ بفعل ما يحسن من الخير ويستدعي اتصال النعمة.

٣ ـ تسهيل الرزق.

٤ ـ القناعة بما قدّر الله.

٥ ـ الرضا بما لدى الله.

فإنّ كل حلقة من هذه الاسباب والمسببات تتفاعل مع الاُخرى في تحصيل السعادة النفسية للإنسان، وبدونها يكون الإنسان في قلق نفسي وإن اُوتي ما اُوتي من مال الدنيا ونعيمها.

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «فأرضني»، وفي (ق) العبارة هكذا: «وأرضني»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَرضِنِي بِحقي فيما قَسَمْتَ لِي».

(٢) في (ق) (ف) (ت) العبارة هكذا: «وَاَجْعَلَ».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَأنْ تُقنّعني بِمَقدُورِكَ لِي، وَأنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي، وَأنْ تَجْعَلَ مَا يذْهَب لي مِنْ جسمي وعمري»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأنْ تُقنّعني بِمَقدُورِكَ لِي، وَأنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِي، وَأنْ تَجْعَلَ مَا بقي مِنْ جسمي وعمري».

(٤) في (ف) زيادة: «ومرضاتك».

(٥) وهذا آخر الدعاء في (ف) وبعدها: «وكان من دعائه عليه السلام في الاستخارة»الآتي بالرقم ٣٣.

[١٤/٣٢ ـ الاستعاذة من النار]:

أللّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ نَار تَغَلَّظْتَ[١] بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتوعَّدْتَ[٢] بِهَا مَنْ صَدَفَ[٣] عَنْ رِضَاكَ[٤]، وَمِنْ نَار نُورُهَا ظُلْمَةٌ[٥]، وَهَيِّنُهَا أَلِيْمٌ، وَبَعِيْدُها قَرِيبٌ، وَ[٦]مِنْ نَار تَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضاً[٧]، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْ نَار[٨] تَذَرُ العِظَامَ رَمِيماً[٩]، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً[١٠]، وَمِنْ نَارٍ لا تُبقِي عَلَى مَن تَضَرَّعَ إلَيْهَا[١١]، وَلَا تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشعَ لَهَا وَاستَسلَمَ إِلَيهَا[١٢]، تَلْقَى[١٣] سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا

---

(١) في (ق) العبارة هكذا: «تعاقب»، وتغلَّظتَ: تشددتَ.

(٢) في (ق) العبارة هكذا: «وتتوعد».

(٣) في (س): «صدف عنّي: أعرض». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢).

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ نَار تَعاقب بِهَا مَنْ عَصَاكَ، وَتتوعَّد بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ».

(٥) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَأوْعَدْتَ بِهَا عَلَى مَنْ ضَادَّكَ وَصَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، مِنْ نَار نُورُهَا ظُلْمَةٌ».

(٦) لم ترد في (ت): «و».

(٧) العبارة في بعض النسخ هكذا: «بعضٌ».

(٨) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «مِنْ نَار تَأْكُلُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، مِنْ نَار»، ويصول: يحمل ويثب.

(٩) الرميم: اسم لما بلي من العظام، أو تحوَّلَ إلى تراب.

(١٠) الحميم: الماء الحار الشديد الحرارة، وقد وردَ ذكرهُ ووصفهُ في القرآن مراراً، منها قوله تعالى: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾. (سورة الغاشية ٨٨: ٤ ـ ٥).

(١١) في (ك) العبارة هكذا: «مِنْ نَار لا تُبقِي مِنْ نَاب إلَيْهَا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «مِنْ نَار لا تُبقِي على منْ تَضرّع إلَيْهَا».

(١٢) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «عَمَّنْ خَنعَ لَهَا»، وخنعَ: خشعَ وذلَّ.

(١٣) في (ت) العبارة هكذا: «تَلقَّى»، وفي حاشية (د) ما نصه: «تلقّى بتشديد القاف، مسامحة، وقل لها نظير، فان فتح اللام تعبّر عن الشدة».

لَدَيْهَا مِنْ أَلِيْمِ النَّكَالِ[١]، وَشَدِيدِ الوَبَالِ[٢].

استهل هذا المقطع بالاستعاذة من النار ووصفها بما يأتي:

١ ـ نار غليظة غير رقيقة؛ لأنها خلقت عقوبةً للعاصي وتوعّد بها الله سبحانه مَن صدف، أي أعرض عن أوامره ورضاه.

٢ ـ نار تختلف عن نار الدنيا في الآثار والصفات، فإن النار في الدنيا نور، وفي الآخرة ظلمة. وفي الدنيا تكون النار هيّنة، ولكنها لا تكون في الآخرة إلّا أليمة وموجعةً، وما كان من النار في الدنيا بعيدةً يمكن أن يستدفيء بها الإنسان في البرد، ولكنها في الآخرة تكون قريبةً ومحرِقةً. فلا قياس بين النارين، فإنها احدهما رحمة والآخر عذاب.

٣ ـ إنّها نار تأكل بعضها بعضاً، لكثرتها. ويترتب على ذلك أثران، هما: أن يأكل بعضها بعضا لسرعة الإحراق فيها، وان يصول بعضها على بعض، أي يسطو، فلا يكون أي خير مرجوّ من هذه الكثرة، بل الخير في نار الدنيا لقلّته، ولولا القلة لما افاد الإنسان، وكلما كثر الشيء كان إلى فقدان الخير منه اقرب، وكذا المال فإن قليله ينفع في ادارة الحياة وكلما كثر كان وبالا على صاحبه، واولى درجات الوبال أن يفتقر إلى حراسته، خوفاً من سرقته أو ضياعه.

٤ ـ نار شديدة الأثر والضراوة، ومن اثرها انها تذر العظام رميماً وتسقي أهلها حميما، وهو الماء الشديد الحرارة.

٥ ـ نار مستمرة في أثرها من دون انقطاع مهما كانت مواقف التضرّع والاستعطاف؛ لأنها جزاء عادل للعصاة، ونتيجة ذلك انها:

١ ـ لا تبقي على من تضرّع إليها.

٢ ـ لا ترحم من استعطفها.

٣ ـ لا تخفيف في الجزاء فيها.

٤ ـ في غاية الالم والنكال، أي العقوبة.

---

(١) النكال: العقوبة.

(٢) الوبال: سوء العاقبة.

٥ ـ شديدة الوبال، أي سيئة العاقبة.

وكل ذلك لأنها العقاب العادل لمن عصى الله سبحانه عن علم وعمد.

[١٥/٣٢ ـ التعوّذ من عذاب النار]:

وَأعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الفَاغِرَةِ[١] أفْوَاهُهَا[٢] وَحَيَّاتِها[٣] الصَّالِقَةِ[٤] بِأنْيَابِهَا، وَشَرابِهَا الَّذي يُقَطِّعُ[٥] أمْعَاءَ وَأَفئِدَةَ سُكَّانِهَا[٦] وَيَنزِعُ قُلُوبَهُم[٧]. واسْتَهْدِيكَ[٨] لِمَا بَاعَدَ مِنْها وأخَّرَ عنْهَا.

وختم هذا المقطع من عذاب النار بثلاث أُمور يستعاذ منها بصفة خاصة، لفضاعتها وهول تصوّرها، وهي:

١ ـ عقارب النار الفاغرة ـ أي الفاتحة ـ أفواهها للسع من يماسها؛ في أول مواجهة.

---

(١) في (س): «فغر فاه: أي فتحه». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢).

(٢) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «بأفواهها»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «بأفواهها»، وفي حاشية (ج) (د): «أفواهُها، أفواهَها ـ معا».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَمِنْ حَيَّاتِها».

(٤) في (ت) وحاشية (ج) في نسخة: «الصالغة»، وفي (س): «صلق الفحلُ يصطلق بنابه، وذلك صريره: إذا حكَّ بعض أنيابه ببعض وسمع لها صوت، فهو صالق. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢)، وصلق صقلاً: صوّت صوتاً شديداً ـ وفي الصحاح: ١٥٠٩، صريفه بدل صريره.، وفي (رياض السالكين ٥: ١١٤): روي أنَّ في جهنَّم وادياً يدعى «أثاماً»، فيهِ حيّات وعقارب في كلِّ فقارة من ذنب ذلكَ العقرب من السمِّ أربعون قلَّة، كلّ عقرب منهنَّ قدر البغلة الموكفة، تلذغ الرجل فينسى حرَّ جهنَّم من حرارة لدغتها.

(٥) في (ت) العبارة هكذا: «تقطّع».

(٦) في حاشية (د) ما نصه: «وقوله عليه السّلام: «يقطّع أمعاء وأفئدة سكّانها»، من باب إضافة المفردين إلى اسم ظاهر بجعل الأوّل مضافا في النيّة، دون اللفظ، والثاني في اللفظ والنية معا، نحو: غلام وثوب زيد، وهو كثير في كلامهم، نثرا ونظما، وشاهده من الحديث قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: «تحيّضي في علم الله ستة أو سبعة أيّام» وفي كلام العرب نثرا ونظما. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ١١٥).

(٧) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَشَرابِهَا الَّذي يُقَطِّعُ الامْعَاء».

(٨) أستهديك: أي أطلبَ منكَ الهداية.

٢ ـ حيّات النار الصالقة ـ أي المصوّتة بواسطة أنيابها، وذلك بالصرير للأفعى والصفير للاسود.

٣ ـ شراب النار، وأن أثره لا يكون إلّا عقاباً للعصاة على النقيض من شراب الدنيا، فاثر هذا الشراب في الآخرة هو تقطيع الامعاء والافئدة للعصاة الذين يسكنون فيها. ونزع قلوبهم أي قلعها.

ولهول المنظر المتصوّر من هذه الأنواع الثلاثة من عذاب النار يتوجه الإمام عليه السلام إلى الله بطلب الهداية من الله سبحانه للنجاة من النار بصورة عامّة، ومن هذه الأنواع من العذاب بصورة خاصة.

فالله سبحانه هو المسؤول بأن يهدينا ويبعدنا عن النار وعذابها، آمين رب العالمين.

[١٦/٣٢ ـ الأمان من النار]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[١] وأجِرْنِي[٢] مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ، وَأَقِلْنِي عَثَراتِي[٣] بِحُسْنِ إقَالَتِكَ، وَلَا تَخْذُلْنِي يا خَيْرَ المُجِيْرِينَ، إنَّكَ[٤] تَقِي الكَرِيهَةِ وَتُعْطِي الحَسَنَةَ[٥] وَتَفعَلُ مَا تُرِيد، وَأَنتَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ[٦].

والعقاب العادل المتقدم مهما كان سببه، فهو يقتضي طلب الأمان منه قبل فوات الأوان في الدنيا وقبل الانتقال منها إلى الآخرة؛ وذلك بأن يُجرنا الله في

---

(١) لم ترد في (ك): «أللّهُمَّ صلّ على محمّد وآله».

(٢) في (ش): «فأجرْني».

(٣) في (ش): «عثراتك»، وفي (س): «العثرة: الزلّة». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٣).

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «فإنك».

(٥) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «وتعطي الجنّة».

(٦) لم ترد في (ك) (ش) العبارة التالية: «إنَّكَ تَقِي الكَرِيهَةِ وَتُعطي الحَسَنَة وَتَفعَلُ مَا تُرِيد، وَأَنتَ عَلى كُلِّ شيء قَديرٌ».

أمانه بالعفو عن اسباب استحقاقها في الدنيا وقبل حلول يوم الحساب الذي لا يتخلف فيه العقاب.

وقد أشار عليه السلام في هذا المقطع إلى ثلاثة أمور تقتضي الأمان منها في الدنيا قبل الآخرة، وهي:

١ ـ رحمة الله الواسعة الّتي تسع الداعي.

٢ ـ حسن الاقالة للعثرات، والعثرة: ما يستلزم السقوط في الإثم.

٣ ـ عدم الخذلان ممن يستجار به من العذاب.

ثم عقّب ذلك بصفات إلهيّة تقتضي الإجارة والأمان في الدنيا لمن يطلبها من الله سبحانه، وهي أنه تعالى:

١ ـ الواقي، فهو يقي الإنسان من المكروه دون غيره.

٢ ـ المحسن، فهو يعطي الجنة تفضّلا، دون غيره.

٣ ـ المريد، فإذا أراد شيئاً كان.

٤ ـ القادر، وهو على كل شيء قدير.

فهذه الصفات الاربع هي علل لقبول طلب الاستجارة من المستجير المقصّر في اداء دوره في الدنيا قبل فوات الأوان، وهو طلب لا يقدر على الاجابة عليها اثباتا سوى الله تعالى.

[١٧/٣٢ ـ ختم الدعاء]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ إذِا ذُكِرَ الأبْرارُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ ما اخْتَلَفَ اللَّيلُ والنَّهارُ[١]، صَلاةً لا يَنْقَطِعُ مَدَدُها[٢]، وَلَا يُحْصَى عَدَدُها، صَلاةً تَشْحَنُ[٣] الهَواء، وَتَمْلأُ الأرْضَ والسَّماءَ.

---

(١) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وصَلِّ عَلى مُحَمَّد إذِا ذُكِرَ الأبْرارُ، وَصَلِّ عَلى مُحَمَّد ما اخْتَلَفَ اللَّيلُ والنَّهارُ»، ولم ترد في (ك) ما بعدها إلى آخر المقطع.

(٢) في (ش) (ق): «أمدها». ومدد الشيء: ما يمدُّ بِهِ ويزداد ويكثر.

(٣) في (ش): «تسحر»، وفي (س): «شحنتُ السفينة أي ملأتها. مِلاءً لا مزيد عليه. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٢)، وتشحن: تملأ، والهواء: الجوّ ما بين الأرضِ والسماء، =

وصَلّ عَليْهِ وآله[١] حَتَّى يَرْضَى، وَصَل عَليْهِ وآله[٢] بَعْدَ الرِّضَا[٣] صَلاةً لَا حَدَّ لَهَا وَلَا مُنْتَهَى، يَا أرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

وقد ختم الدعاء بالصلوات على محمد وآل محمد، وخص فيها آل محمد باعتبارهم السبب في هذا التوجّه إلى الله سبحانه بهذا الدعاء للأمن من عذاب الآخرة.

وحيث ان رسالة الإسلام الّتي بشّر بها النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وضحّى من أجل تطبيقها أهل بيته الاطهار بما لديهم من نفس ونفيس، هي رسالة خالدة في توجيه البشرية إلى الله سبحانه، فيلزم الصلوات عليهم دائما وفي مختلف المناسبات، وقد أشار إلى بعضها، وهي:

أولاً: إذا ذكر الابرار، لأنّهم القادة لهم.

ثانياً: ما اختلف الليل والنهار؛ لاستحقاقهم استمرار الصلاة عليهم بداومهما.

ثم ذكر صفات الصلوات، بأن تكون:

١ ـ خالدة بخلود الزمان.

٢ ـ كثيرة الكمّ، بحيث لا يمكن أن يحصى عددها.

٣ ـ واسعة، كانتشار الهواء العام في الجو.

٤ ـ شاملة لكل الأمكنة من الأرض والسماء.

٥ ـ حسنة الكيفية، بأن تكون صلاة ترضي الرسول القائد صلى الله عليه وآله.

٦ ـ مستمرة، حتى بعد رضاه صلى الله عليه وآله.

٧ ـ ومن دون حد لابتداء الصلوات.

٨ ـ ومن دون منتهى تنتهي إليه الصلوات.

= وهذا تمثيل لكثرة العدد.

(١) كذا في (ق) (ت)، وفي غيرهما: «صلّى الله عليه».

(٢) كذا في (ق) (ت): «وصلّى الله عليه وآله».

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَصَل عَليْهِ حَتَّى يَرْضَى، وَصَل عَليْهِ مِنْ بَعْدِ الرِّضَا».

[الدُّعاءُ الثالث والثلاثون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِخَارَةِ(١)

الاستخارة:

الاستخارة ـ لغة ـ: طلب الخير من الأمور، وفي مصطلح العصر: طلب الخير من الله سبحانه في أمر يريد الإنسان أن يفعله او يتركه، بالطرق المأثورة من التفؤّل بالمصحف او المسبحة او الرقاع، على ما هو مشروح في كتب العبادة.

ويتضمن هذا الدعاء الاستخارة بالمعنى اللغوي، وهو طلب الخير من الله سبحانه في اختيار أمر من الأمور الّتي يواجهها الإنسان، ويتضمن الدعاء مقاطع هي:

١ ـ سبب الاستخارة.

٢ ـ الآثار الإيجابية المترتبة على الاستخارة.

٣ ـ والاثار السلبية المترتبة على عدم الاستخارة.

٤ ـ نتيجة العمل بعد الاستخارة سواءً كانت النتيجة حسب رغبة المستخير ام لا.

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (٣٤) وفي ملحق (ش) في الصفحة (١٩٤) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثالث والثلاثون وكان من دُعائِهِ عليه السلام في الاستخارة»، وفي (ق) بعنوان: (الثاني والثلاثون)، وتحته عنوان: «في الاستخارة»، وفي (ت) بعنوان: (الثالث والثلاثون)، وتحته عنوان: «في الاستخارة»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دُعائِهِ صلوات الله عليه في الاستخارة»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٣)، بعنوان: «دُعاؤهُ الاستخارةِ».

٣٣/١ ـ أولاً: سبب الاستخارة]:

أللّهُمَّ إنّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ [وَأَسْتَخِيرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْتَعْلِمُكَ مَا لا أَعْلَم، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ مَا لَا أَعْلَمْ، وَأَنْتَ عَلّامُ الغُيُوبِ][1] فصلّ على مُحَمَّدٍ وآله، واقْضِ لَنَا بالخِيْرِ[2]، وَألْهِمْنَا[3] مَعْرِفَةَ الاخْتِيَارِ.

واستفتح الدعاء ببيان السبب في طلب الخير من الله سبحانه، وهو افتقار الإنسان إليه تعالى في حياته بسبب ثلاث حقائق ليس للإنسان فيها خيار، وانما الأمر فيها بيده تعالى، وهي:

١ ـ علمه تعالى الذي هو بكل شيء محيط، ومنه ما بإمكان الإنسان اختياره من الأمور، وما هو الصالح له في العاقبة.

٢ ـ القضاء والقدر، فإنه تعالى إذا قضى أمراً قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[4] فلا رادّ لقضائه تعالى.

٣ ـ الالهام، وهو ما لا يخضع للامور الماديّة من أسباب المعرفة، فلا يكون إلّا منه تعالى، ولولا إلهامه تعالى باختيار ما يكون أصلح بحال الإنسان لبقي الإنسان حائراً في قراراته أو يتخذ قراراً عشوائيا من دون دراسة ووعي للاسباب والنتائج، فيكون خاسراً في الاختيار الصائب.

---

١) ما بين المعقوفتين من (ف).

٢) كذا في (ت) (ق) وحاشية (ج) في نسخة، وفي سائر النسخ: «لي بالخيرة»، وفي (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ اقْضِ لَنَا بالخِيرة»، وفي حاشية (د): «الخيرة: بسكون الياء وفتحها، يقال: هما لغتان بمعنى واحد»، والخيرة: اسم من الاختيار، والاختيار: أخذ ماهو خير، واقض لنا: أي أوجب لنا.

٣) في (ف) العبارة هكذا: «وألهمني»، وألهمنا: ألق في قلوبنا.

٤) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ٤٧.

وهذه الاسباب توجب ان يتوجّه الإنسان بطلب الخير من الله سبحانه دون غيره.

[٢/٣٣ ـ ثانيا: آثار الاستخارة]:

وَاجْعَلْ ذَلِكَ ذَرِيْعَةً[(١)] إلىَ الرِّضَا[(٢)] بِمَا قَضَيْتَ لنا[(٣)]، والتَّسْلِيمِ[(٤)] لِمَا حَكَمْتَ[(٥)]، فَأَزِحْ[(٦)] عَنَّا رَيْبَ الارْتِيَابِ[(٧)]، وَأَيِّدْنَا بِيَقِيْنِ المُخْلِصِيْنَ.

وذكر أولاً من آثار الاستخارة الإيجابية أربعة أمور، هي:

١ ـ الرضا بقضاء الله، فلو عمل الإنسان ما أراده من دون استخارة منه تعالى، فإنه يكون معتمداً على ارادة نفسه لا على قضاء الله.

٢ ـ التسليم لحكم الله، حيث يجد ان ما اختاره الله سبحانه يكون فيه الحكمة التي يجب التسليم لها.

٣ ـ إزاحة الريب؛ إذ بدون الاستخارة يكون في شك وريب في انتخاب ما هو الاصلح، وهذا الترديد في نفسه موجب لتشويش البال، بينما الاستخارة

---

(١) في (س): «الذريعة: الوسيلة». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٤).
(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «الرضى».
(٣) لم ترد في (ك) (ف): «لنا».
(٤) في حاشية (د): «التسليم في الاصل على الجر، عطف على الرضا، وفي رواية على النصب، إما على أخذ «الواو» بمعنى «مع»، وإما على العطف على «ذريعة». السيد باقر الداماد رحمه الله».
(٥) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «الرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ لنا، والتَّسْلِيْمَ لِمَا حَكَمْتَ علينا».
(٦) في (ت): «وأزح»، وفي (س): «زاح الشيء يزيح زيحاً: أي بَعُد وذهب، وأزاحه غيره». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٥).
(٧) في (ت): «أهل الارتياب»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وأرحْ عَنَّا رَيْبَ أهْلِ الارْتِيَابِ»، وفي (ك) (ق) هكذا: «وَأزِحْ عَنَّا رَيْبَ أهْلِ الارْتِيَابِ»، أي أبعد عنّا الشكّ الذي يلقيهِ في نفوسنا أهل الارتياب والشكِ، من أنَّ حكمَكَ قد يفوت بها مصلحة أو يترتّب عليها مفسدة.

توجب اتخاذ قرار لا ريب في نتيجته الحكيمة، وهي الخروج عن موقف الشك والتردد من دون قرار.

٤ ـ يقين المخلصين، فإن الداعي لسلوك مسلك الاستخارة ليس إلّا الخلوص في العبادة، والإخلاص في هذا المسلك يترتب عليه اليقين بأن النتيجة مهما كانت فهي صالحة؛ فإن هذه الآثار الإيجابية تدفع الإنسان إلى سلوك مسلك الاستخارة.

[٣/٣٣ ـ آثار عدم الاستخارة]:

وَلَا تَسُمْنَا(١) بِعَجْزِ(٢) المَعْرِفَةِ عَمَّا تَخَيَّرْتَ(٣)، فَنَغْمِطَ(٤) قَدْرَكَ(٥)، وَنَكْرَهَ مَوْضِعَ رِضاكَ(٦)، وَنَجْنَحَ(٧) إِلَى الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ مِنْ حُسْنِ العَاقِبَةِ، وَأَقْرَبُ إلى ضِدِّ(٨) العَافِيَةِ(٩).

---

(١) العبارة في (ق) (ت) هكذا: «وَلَا تشمنا» من الوشم، وهو وضع علامة على الموشوم، وفي حاشية (د): «وفي رواية: «ولا تسمنا» بكسر السين، من وسمه يسمه، من باب وعد، والاسم: الوسم [......]»، وقوله: «ولا تسمنا»، من وسم يسم: إذا جعلَ فيهِ علامة يعرف بهِ، أي لا تسمنا بمنعِكَ التوفيق عن معرفة المصلحة بالعجز.

(٢) كذا الكلمة في (ت)، وفي غيرها هكذا: «عَجز».

(٣) الكلمة غير واضحة في (ت).

(٤) في حاشية (ج): «غمطه، أي جهله»، وفي حاشية (د): «من باب ضرب وقتل وسمع ـ ١٢ ش»، وفي (س): «غمط عيشه: أي بطره وحقره». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٥)، ونغمطَ: أي نحتقرَ، والقدر: التقدير، أو الخطر والشأن.

(٥) في (ف) العبارة هكذا: «وَلَا تَسُمْنَا عَنْ المَعْرِفَةِ عَمَّا تجرّب، فَيغْظم قدْرَتكَ» [كذا].

(٦) العبارة في (ق) (ت) هكذا: «وَنَكْرَهَ مَواقِعَ قَضِائِكَ». والعبارة في (ك) هكذا: «وَنَكْرَهَ مَوْقِعَ قَضِيَّتِكَ»، وفي (ف) هكذا: «وَنَكْرَهَ مَوضِعَ مشيتِكَ»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «قضائك». والقضيّة: القضاء.

(٧) في (ت) هكذا: «وَنَحْتجَ»، وفي (س): «جنح: أي مال». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٥).

(٨) في (ف) العبارة هكذا: «وأقرب من ضرر»، ولم ترد في (ت) عبارة: «العاقبة وَأَقْرَبُ إلى ضِدِّ».

(٩) لم ترد في (ق) عبارة: «وَأَقْرَبُ إلى ضِدِّ العَافِيَةِ». وضد العافية: البلايا والمحن وجميع المكروهات.

وثانياً: أشار إلى الآثار السلبية الّتي تترتب على عدم الاستخارة، وهي:

١ ـ عجز المعرفة عما فيه الخير من الله؛ فإن ترك الاستخارة وسمة العجز، أي علامة يعرف منها ذلك.

٢ ـ غمط قدر الله، أي احتقار تقديره تعالى للالهام في الاستخارة كي لا يبقى الإنسان متردداً.

٣ ـ كره رضا الله؛ حيث يرى الإنسان ان رضى نفسه بالمصلحة الوقتية اولى من رضا الله الذي يكون ابعد مصلحة من المصالح الوقتية.

٤ ـ الجنوح، أي الميل إلى ما هو أبعد من حسن العاقبة؛ لأن الإنسان يميل إلى المصلحة الوقتية من دون نظر إلى العاقبة فيما يختاره الإنسان لنفسه، ويكون (أقرب إلى ضدّ العافية) وان كانت عافية في الآن الحاضر، ولكنها تكون ضد العافية في العاقبة، والعاقل هو من ينظر إلى العافية التامة الثابتة لا المصلحة الوقتية الزائلة؛ فإن الأمور بعواقبها وخواتيمها.

[٣٣/٤ ـ نتيجة الاستخارة]:

حَبِّبْ[١] إلَيْنَا ما نَكْرَهُ مِنْ قَضَائِكَ[٢]، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا مَا نَسْتَصْعِبُ[٣] مِنْ حُكْمِكَ، وَأَلْهِمْنَا الإنْقِيَادَ لِمَا أوْرَدْتَ عَلَيْنَا[٤] مِنْ مَشيَّتِكَ[٥]، حَتّى لا نُحِبَّ تَأخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلَا تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ[٦]، وَلَا نَكْرَهَ[٧] مَا أحْبَبْتَ، وَلَا نَتَخيَّرَ مَا كَرِهْتَ.

---

(١) في (ق) (ت): «وحبّب».
(٢) القضاء: ما قضى بهِ الله سبحانهُ.
(٣) في (ف) العبارة هكذا: «يستصعب».
(٤) لم ترد «علينا» في (ك).
(٥) المشيئة: ما أرادهُ الله سبحانهُ.
(٦) لم ترد في (ك) عبارة: «حَتّى لَا نحبّ تأخير ماعجّلت، ولا تعجيل ما أخّرت».
(٧) في (ك): «فلا نكره».

إنّ أيّ قرار يتّخذه الإنسان في الاختيار بين الأمور المتاحة له من اختيارات، لابد وأن يتحقق، فإذا أقدم عليها من دون استخارة، بل بهوى النفس، وكانت على خلاف ما توقع، لابد وان تولد في نفسه القلق، مع العلم انه لا يتمكن من تغيير واقع الحال، وهذا بخلاف من يؤمن بالاستخارة؛ فإن نتيجة الاستخارة أُمور:

١ ـ الحب لما يكره من القضاء من دون قلق نفسي.

٢ ـ تسهيل ما يستصعب من الاحكام؛ فإن القلق يزيدها صعوبة.

٣ ـ الانقياد لواقع الحال، والذي هو بمشيئة الله سبحانه لمصلحة أعلى من المصلحة الشخصية الوقتية، بل للمصلحة الدائمة الشاملة للدنيا والآخرة.

فإن حصلت هذه القناعة بأن واقع الحال ليس إلّا نتيجة أسباب تقدمت ولا يمكن تغييرها إلا بتغيير تلك الاسباب، وبالنتيجة تكون الاستخارة هي القبول للامر الواقع، من جهات:

١ ـ حتى لا نحبّ تأخير ما عجّلت؛ فإنّ ما اراد الله تعجيله لمصلحة وان كان مجهولة للإنسان لابد وان يقع مرضياً عند الإنسان.

٢ ـ ولا تعجيل ما أخّرت؛ لأن التأخير كذلك عن مصلحة، وهي عدم تهيؤ اسبابها قبل حلول الوقت المناسب للحل المناسب.

٣ ـ لا نكره ما احببت؛ لأن الحبّ من الله للإنسان أكثر من حب الإنسان لنفسه؛ لعلمه سبحانه بعواقب الأمور.

٤ ـ ولا نتخيّر ما كرهت؛ فإن ما يكرهه الله سبحانه للإنسان انما هو لمصلحة الإنسان.

فتكون نتيجة الاستخارة قبول الأمر الواقع بانه حاصل من اسباب، ولا يتغير هذا الامر إلا بتغيّر الأسباب تلك قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] وصدق الله العلي العظيم.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد ١٣: ١١.

[٣٣/٥ ـ ختام الاستخارة]:

وَاخْتِمْ لَنَا بالَّتِي هِيَ [أَحْسَنُ وَ][١] أحْمَدُ عَاقِبَةً[٢]، وَأكْرَمُ مَصِيراً، إنَّكَ تُفِيدُ الكَرِيمَةَ[٣]، وَتُعْطِي الجَسِيمَةَ[٤]، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٥].

وختم الدعاء بما يتوقعه المستخير في التوجه إلى الله سبحانه، وهي:

حسن الخاتمة في الحياة الدنيا وبعد الممات، ولا يكون ذلك إلا بارادة الله تعالى، فختم ذلك في نقاط:

١ ـ أحمد عاقبة، فقد يتصور الإنسان أنّ ما يقابله من نتيجة الاعمال من الحمد والمدح والأجر والتقدير وما شابه ذلك من النتائج الدنيوية هي العاقبة الحميدة، وهي وان كانت كذلك ـ وعلى الاقل في نظره ـ ولكن ليست احمد عاقبة مطلقاً، بل أحمد العاقبة هي التي تعمّ الدنيا والآخرة.

٢ ـ أكرم مصير، فكم من أُناسٍ اتصفوا بالعظمة والكبرياء والجبروت في الدنيا، فهم كانوا ـ وعلى الاقل من وجهة نظر عبيدهم ـ عظماء، واكرموا في الدنيا بمختلف أنواع الاكرام من قبل اصحاب الدنيا، ولكنهم في محكمة التاريخ لا يزاولون قابعين في الذل والمهانة، لما قاموا بها من اعمال سيئة وبسبب ما استخدموه من وسائل غير مشروعة للوصول إلى الغايات الّتي خططوها لأنفسهم، ولم يكسب لهم ذلك أي احترام في محكمة العدل الإلهيّة فوقعوا في مزبلة التاريخ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ف).

(٢) أحمد: أي أكثر حمداً.

(٣) الكريمة: النفيسة الجيِّدة.

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «وتعطي الحسنة الجسيمة»، والجسيمة: العظيمة.

(٥) لم ترد في (ك) عبارة: «وأنتَ عَلى كلِ شَيءٍ قَديرٌ»، وفي (ف) ورد بعد هذا الدعاء عبارة: «وكان من دعائه عليه السلام عند ختمه القرآن»، وهو الدعاء ٤٢ الآتي.

٣ ـ كرم الله، فالكريم من أكرمه الله بالعدل في نفسه ومجتمعه، والذي يكون للإنسان الذي يدخل التاريخ من ابوابه المشروعة، لا بالقفز من النوافذ.

٤ ـ عطاء الله، ومن اعطاه الله فهو في غنى عن العناوين الخيالية البالية.

٥ ـ ارادة الله، وهي فوق أية إرادة ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

٦ ـ قدرة الله، وهي فوق كل قدرة ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

والمستخير باستمداده العون من الله والسلوك في مسالك العمل المشروعة يكسب ذلك كله عن استحقاق، كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام «من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته»[3] ويؤمّن بذلك الراحة النفسية لنفسه وأُسرته ومجتمعه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٨٢.
(٢) القرآن الكريم، سورة فصلت ٤١: ٣٩.
(٣) الخصال: ١٦٩.

[الدُّعاءُ الرابع والثلاثون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا ابْتُلِي أو رأى مبتلى بِفَضِيْحَة بذنب[(١)]

[٣٤/١ ـ الامتحان يكشف المساوئ]:

أللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَتْرِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَمُعَافَاتِكَ[(٢)] بَعْدَ خُبْرِكَ[(٣)]. فَكُلُّنَا[(٤)] قَدِ اقْتَرَفَ[(٥)] العَائِبَةَ[(٦)] فَلَمْ تَشْهَرْهُ[(٧)]،

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (٣٣) بعنوان: «إذا ابتلي بفضيحة»، وفي (ش) برقم (٣٦) بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام إذا ابتلي أو نظر إلى مبتلى بفضيحة بذنب»، وفي (ج) بعنوان: «الرابع والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام إذَا ابْتُلِي أو رأى مبتلى بِفَضِيْحَة بذنب»، وفي (ق) بعنوان (الثالث والثلاثون) وتحته عنوان: «إذا رأى مبتلى بذنب»، وفي (ت) بعنوان (الرابع والثلاثون) وتحته عنوان: «إذا رأى مبتلى بذنب»، ولم يرد هذا الدعاء في (ف)، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٤)، بعنوان: «دُعاؤهُ إذَا ابْتُلِي أو رأى مبتلى بِذَنْبٍ».

(٢) المعافاة: مصدر عافاهُ الله، إذا وهبَ لهُ العافية وتفضَّلَ عليهِ بإعطاء المعروفِ.

(٣) الخبر: العلم والاختبار.

(٤) في (ك): «وَكُلُّنَا».

(٥) في حاشية (ج) هنا ما نصه: «لام «كلنا» مفتوح كما ترى، والصواب ضمه بالابتداء، وخبره جملة «اقترف»، وجعله منصوبا بفعل يفسره، مثل ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾. (سورة يس ٣٦: ٣٩) بعيد جداً، بل ممتنع، لمكان «قد»، وما حققته في مقايسة الفاء، فليتأمل ذلك».

(٦) في (ت): «العافية»، والعائبة: العيب والخطيئة. أي فعلَ ما يعيبُ.

(٧) الاشتهار: الاظهار.

وَارْتَكَبَ الفَاحِشَةَ فَلَمْ تَفْضَحْهُ، وَتَسَتَّرَ بالمَسَاوِئ[١] فَلَمْ تَدْلُلْ عَلَيْهِ[٢].

إنّ الإنسان ـ بحكم كونه بشراً ـ له مساوئ يحاول الستر عليها عن أعين الآخرين، فهو يحرص على ستر عوراته ما امكنه ذلك؛ عالماً بأن العصمة انما هي لأهلها، ولكنه قد يبتلي، أي يمتحن بالفضيحة أحياناً، أي بكشف المساوي من الذنوب المحرمة شرعا، أو المنهيّ عنها اخلاقياً كل بحسبه؛ فإن حسنات الأبرار سيّئات المقربين[٣].

وهذا الامتحان قد يكون في نفس الإنسان، وقد يكون بما يشاهده من آثار الامتحان في غيره، فإذا انكشفت احدى مساوئه دون غيرها فذلك يكشف عن وجود مساوئ أُخرى له لم تنكشف، وذلك بحكم الطبيعة البشرية المخلوقة ضعيفة في مقابل الأهواء والشهوات الجنسية والنفسية، فالامتحان يكشف سيئة واحدة وتستوجب الحمد على الستر على سائر المساوئ التي لا يعلمها إلّا الله تعالى، ومن آثار هذا الستر: العافية والأمان من تبعات تلك المساوئ التي خبرها الله سبحانه لمعرفته ببواطن الأمور، وهذه المساوئ لا تدخل تحت حصر الطبيعة البشرية، وأشار عليه السلام هنا إلى بعضها:

١ ـ كلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره؛ فإن الكمال لله وحده، والعصمة لأهلها، وقديماً قال الشاعر:

فإن كنت في كل الأمور معاتباً   صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

---

(١) في (س): «المساوي: العُيوب، ومنه قولهم: الخيل تجري على مساويها: أي أنّها وإن كانت بها أوصاب وعيوب، فإنّ كرمها يحملها على الجري». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٦)، و«تستّر»: أي تغطّى واختفى عن الأنظار حال كونهُ متلبساً بالمساويء، فلم تظهر حقيقتهُ.

(٢) في (ك) (ق) (ت) العبارة هكذا: «وَتَستّر بالمَسَاوِيء فَلَمْ تدلّ عليه»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَتَستّر بالمَسَاوِيء فَلَمْ تدلل عليه»، والادلال: الايصال إلى معرفة الشيء أو الشخص.

(٣) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

والعائبة: هي أدنى درجات المساوي الّتي لا يعرفها إلّا أقرب المقربين من الندماء والاقرباء والاصدقاء.

٢ ـ ارتكب الفاحشة فلم تفضحه؛ والفاحشة: ما عظم قبحهُ من الافعال والاقوال، فهي أعلى درجات المساوي الّتي يعرفها الناس على رؤوس الاشهاد من الأصدقاء والأعداء.

٣ ـ وتستّر بالمساوئ فلم تدلل عليه، وبين العافية والفاحشة درجات متفاوتة من المساوئ لا يعلمها إلّا الله تعالى الذي يتفضّل على الإنسان بالستر عليها بحيث يمكن ان تخفى على عامّة الناس.

[٢/٣٤ ـ أنواع المساوئ]:

كَمْ نهيٍ(١) لَكَ [يَا إلهِي](٢) قَد أتَيْنَاهُ، وَأَمرٍ(٣) قَدْ وقَفْتَنَا(٤) عَلَيْهِ فَتَعَدَّيْنَاهُ، وَسَيِّئَةٍ(٥) اكْتَسَبْنَاهَا، وَخطيئَةٍ(٦) ارتكبْنَاهَا(٧)، كُنْتَ المُطَّلِعَ عَلَيْهَا دُونَ النَّاظِرِيْنَ، وَالقَادِرَ عَلَى إعْلَانِهَا(٨) فَوْقَ القَادِرِيْنَ(٩)، كَانَتْ عَافِيَتُكَ(١٠) لَنا حِجَابًا دُونَ أَبْصَارِهِمْ،

---

(١) في حاشية (ج) (د): «نهياً ـ س».
(٢) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).
(٣) في حاشية (ج) (د): «أمراً ـ س».
(٤) في (ك) (ت): «وَقفنا»، وفي حاشية (د) في نسخة: «وقفنا»، وفي (ج): «وقفتنا»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «وقفنا»، وفي حاشية (ج) (د): «أوقفتنا ـ س».
(٥) في (ج): «وسيئةً، وسيئةٍ» بدون علامة.
(٦) في (ج): «وخطيئةً، وخطيئةٍ» بدون علامة.
(٧) في (ك) العبارة هكذا: «كَمْ مِنْ حُرْمَةٍ ـ عَلَى عَيْنِكَ ـ قَد انْتَهَكْنَاهَا، وَخطيئَة مِنْ وَرَاءِ الحُجُبِ قَدْ رَكِبْنَاهَا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «كَمْ مِنْ حُرْمَة ـ عَلَى عَيْنِكَ ـ قَد ركبنَاهَا»، و«عَلَى عَيْنِكَ»: أي على مرأىً منكَ، والحجب: الاستار، والخطيئة: الذنب.
(٨) في (ك): «إعْلَائِهَا».
(٩) أي كنتَ القادر على إظهارها زائداً على القادرين.
(١٠) عافيتُكَ: عفوُكَ.

وَرَدْمًا[١] دُونَ أَسْمَاعِهِمْ.

وقد أشار إلى هذا المقطع إلى أنواع أربعة من المساوئ، هي:

١ ـ المناهي الّتي ارتكبت عصياناً.

٢ ـ الاوامر الّتي تركت تعدّياً.

٣ ـ السيئات التي اقترفت تطاولا وعمداً.

٤ ـ الخطيئات الّتي حصلت عرضاً وخطأً.

وكل هذه المساوئ حصلت للإنسان لضعف طبيعته البشرية، واستحق بها الإنسان العقاب والفضيحة، ولكن الله سبحانه المطلع عليها دون غيره ممّن ينظر إلى الظاهر دون الباطن، فلم يكشفها الله على الناس، والله سبحانه القادر على إعلانها دون غيره؛ لعدم علمهم بها، فهو سبحانه لم يعلنها وسترها، بل على النقيض من ذلك؛ فإن الله سبحانه أراد العافية للإنسان، وذلك بأمرين:

الأول: الحجاب، أي الستر المانع من المشاهدة لابصار الناس.

الثاني: الردم، أي السدّ الموثّق المانع من اسماع الناس.

فلم يتمكن أحد من الناس من الوقوف على هذه المساوئ الشخصية.

[٣/٣٤ ـ آثار الستر]:

فَاجْعَلْ[٢] مَا سَتَرْتَ مِنْ العَوْرَةِ[٣]، وَأَخْفَيْتَ مِنْ الدَّخِيلَةِ[٤] وَاعِظَاً لَنَا، وزاجِراً عَنْ سُوءِ الخُلُقِ، وَاقترافِ الخطيئَةِ، وَسَعْيَاً إلى

---

(١) ردماً: سداً.

(٢) في (ق): «واجعل».

(٣) في حاشية (د) و(س): «العورة: سَوءَة الإنسان وكلّ ما يستحى منه». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٧).

(٤) في (ت): «الرحيلة [كذا]»، وفي حاشية (د): «الدخيلة: العيب والريب»، وفي (س): «الدخل: العيب والريبة، وكذلك الدخل ـ بالتحريك ـ يقال: هذا الأمر فيه دَخل ودَغل بمعنىً. فالدخيلة مصدر كالقطيعة والصريمة. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٧).

التَّوبَةِ المَاحِيَةِ[(١)]، والطَّرِيْقِ[(٢)] المَحْمُودَةِ[(٣)]، وَقَرِّبِ[(٤)] الوَقْتَ[(٥)] فِيْهِ[(٦)]، وَلَا تَسِمْنَا[(٧)] الغَفْلَةَ عَنْكَ[(٨)].

وهذه المساوئ كلها عورة، أي ممّا يستحى منها إذا ظهرت؛ لأنها عيوب داخلية في شخص الإنسان، فهي دخيلة على النفس الضعيفة وليست أصيلة، والستر عليها فضل من الله سبحانه، ويترتب على ذلك آثار، منها:

١ ـ الوعظ، أي التذكير بالواجب وسلوك الصراط المستقيم الذي أمر الله بسلوكه.

٢ ـ الزجر، أي المنع عن سوء الخلق المكتسب بالشهوات النفسانية الدخيلة على طبيعة الإنسان الاصيلة من الصفاء والنقاء من السوء.

---

(١) في (ت): «الناجية»، وفي (ج): «الماحية»، وفي حاشية (ج): «الناجية ـ س»، وفي (ق): «الناجية». وفي (ك) العبارة هكذا: «فاجْعَلْ مَا كَشَفْتَ مِنْ عَوْرَتِهِ، وَأَبْرَزْتَ مِنْ دِخْلَتِهِ، وَأَعْلَنْتَ مِنْ خِفِيَّتِهِ، وَاعِظاً لَنَا مِنْ سُوءِ الخَلْوَةِ وَإِسْرَارِ الخِبْثَةِ، وَأَنِبْ بِنَا إلى التوبة الماحية»، وفي (ش) العبارة هكذا: «فاجْعَلْ مَا كَشَفْتَ مِنْ عَوْرَتِهِ، وَأَبْرَزْتَ مِنْ دِخْلَتِهِ، وَأَعْلَنْتَ مِنْ خِفِيَّتِهِ، وَاعِظاً لَنَا عنْ سُوءِ الخَلْوَةِ وَإِسْرَارِ الخَيْبَةِ، وَأَنِبْ بِنَا إلى التّوبة الماحية»، والعورة: كل مايستحيا منهُ إذا ظهرَ. وأبرزتَ: أظهرتَ. والدّخلة: باطن الأمر. والخفيَّة: الأمر المستتر غير الظاهر. وقوله: «وَاعِظاً لَنَا مِنْ سُوءِ الخَلْوَةِ وَإِسْرَارِ الخِبْثَةِ» أي اجعل ذلكَ سبباً لاتعاظنا عن سوء الاختلاء، بأن نظن أن لا راءٍ ولا سامع، فنعمل كما تهوى أنفسنا، أو أن نسرَّ الخبث ظنا بأنَّ الله لا يعلمُ إسرارنا. وقوله: «وَأَنِبْ بنا» من نابَ: إذا أقبلَ إلى الله، وتابَ إليهِ: إذا رجعَ إلى الله. والماحية: المزيلة.

(٢) في (ك) (ش): «والطريقة»، وفي حاشية (د): «الطريق: السبيل، يذكر ويؤنث»، والمراد هنا: المذهب والمسلَك.

(٣) في (ق) (ت): «المحدود».

(٤) في (ت): «وقُربِ»، وفي (ج): «وقرب، وقرّب» بدون علامة.

(٥) في (ج): «الوقتَ، الوقتِ» بدون علامة.

(٦) في (ش): «وَقُرْبِ الوَقْتَ فِيْهِ»، أي اجعل الوقت في الإنابة والرجوع إليكَ قريباً.

(٧) في (ت): «ولا تشمنا».

(٨) في (ك) (ش): «بالغفلة عنه»، وقوله: «ولا تسمنا»، من وسم يسم: إذا جعلَ فيهِ علامة يعرف بهِ، أي: لا تُعْلِمنا بعلامة الغفلة، والغفلة: التخلية بين العبد وبين الأسباب المؤدية به إلى الهلاك.

٣ ـ التوبة عمّا اقترف من المساوئ الّتي يستحى منها إذا ظهرت، فهي ماحية لها بالرجوع إلى الفطرة.

٤ ـ الطريق المحمودة، وذلك بسلوك الصراط المستقيم؛ فإن كل هدف ينشده الإنسان في الحياة له صراط مستقيم محمود، وصراط أعوج مذموم، وحيث أنّ الغاية لا تبرّر الواسطة، فلا بدّ من سلوك الصراط المستقيم.

وقد ختم هذا المقطع بالدعاء بقرب الوقت من السعي في التوبة الّتي هي أهم آثار الستر؛ فإن الإنسان كلما التبس بسيئة لزمن اطول يكون أشكل رفعاً وأصعب إزالةً من التنبّه إلى ذلك في اقرب وقت ممكن.

وأشد من ذلك ان يبتلي الإنسان بالغفلة عن ذكر الله سبحانه على اثر إصراره على المساوئ، فيسمه الله تعالى بالغفلة، أي يتركه ونفسه حيث يستحوذ عليه الشيطان.

[٤/٣٤ ـ موجبات الستر]:

إنَّا إليْكَ رَاغِبُونَ[١]، ومِنَ الذُّنُوبِ تَائِبُونَ، وَصَلِّ عَلَى خِيرَتِكَ ـ أللّهُمَّ ـ مِن خَلقِكَ مُحَمَّدٍ وَعِترَتِهِ الصَّفوَةِ[٢] مِن بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ[٣]، واجعَلنَا لَهُم سَامِعِينَ مُطِيعِينَ[٤] كَمَا أَمرتَ[٥]

(١) في (ك): «فانا إليك راغبون»، وفي (ش): «فانا إليه راغبون»، وبه ينتهي الدعاء في (ش)، والعبارة من هنا إلى آخر الدعاء لم ترد في (ك) (ش).

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «الصَّفوة، الصِّفوة ـ معا»، وفي (س): «صفو الشيء: خالصه، ومحمّد عليه السلام صفوة الله من خَلقِه، يقال: له صَفوة مالي (وصُفوةُ مالي) وصِفوة مالي، وإن حذفوا الهاء قالوا: صَفْو مالي ـ بالفتح ـ لا غير». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٧).

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «الطاهرين»، وفي (س): «البرية: الخلق». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٧).

(٤) في (ج) (د): «ومطيعين»، وفي حاشية (ج) (د): «مطيعين ـ س».

(٥) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. (سورة آل عمران ٣: ٣١ ـ ٣٢)، وقوله =

[يَا رَبَّ العَالَمِينَ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ غَفُورٌ رَحِيمٌ][١].

وأشار في هذا المقطع الأخير إلى بعض الاسباب الموجبة للستر، وذكر منها:

١ ـ الرغبة إلى الله سبحانه، وذلك بالعمل على تثبيت هذه الرغبة في النفس والمجتمع.

٢ ـ التوبة من الذنوب؛ ليطهر الإنسان من تلك المساوئ الجسدية والروحية.

٣ ـ الصلاة على خيرة الله الذين هم اسباب الهداية لسلوك طريق التوبة، وخصّ منهم محمداً ﷺ الذي هو خاتم الأنبياء، وبه اكمل الله سبحانه رسالة السماء، ثم عترته الطاهرين الذين طبّقوا شريعة جدّهم في حياتهم العملية في النفس والمجتمع، وحافظوا بذلك على الثوابت الإسلامية جيلا بعد جيل.

وختم المقطع من الدعاء بالسماع والطاعة لهؤلاء الخيرة؛ لأنهم أُولوا الأمر الذين أمر الله سبحانه بطاعتهم بقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] فإن طاعة الله سبحانه لا يمكن إلّا بطاعة رسوله الذي أبلغ الرسالة، وطاعة الرسول لا يمكن إلّا بالأخذ بسنّته الشارحة للرسالة قولا وفعلا وتقريراً، والذي بيّنه أهل بيته الكرام في حياتهم العملية، وأهل بيت النبي اعرف بسنّة جدهم.

= تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. (سورة النساء ٤: ٥٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾. (سورة التوبة ٩: ١١٩).

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٢) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ٥٩.

[الدُّعاءُ الخامس والثلاثون]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الرضا إذَا نَظَرَ إلى أصْحابِ الدُّنْيَا[1]

[١/٣٥ ـ أصحاب الدنيا]:

الحَمْدُ للهِ رِضَىً[2] بِحُكْمِ اللهِ، شَهِدْتُ[3] أنَّ اللهَ قَسَمَ[4] مَعَايِشَ[5] عِبَادِهِ بالعَدْلِ، وَأخَذَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بالفَضْلِ[6].

الناس في الأعمار مختلفون، فمن طفل صغير ينمو صبيّاً يافعاً فشابّاً وكهلا ثم شيخاً ينتكس في الخلق، وفي الطبائع والاذواق مختلفون كاختلاف الاشجار في الزهور والأثمار، فكذلك اختلافهم في الارزاق، فهم مختلفون باختلاف الاسباب والمواهب وأنواع العمل التي يستخدمونها للوصول إلى غاياتهم بالتدرّج

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٧)، بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام إذا نظرَ إلى أهلِ الدُّنيا»، وفي (ش) بالرقم (٣١)، بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام إذا نظرَ إلى أصحابِ الدُّنيا»، وفي (ج) بعنوان: «الخامس والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام إذَا نَظَرَ إلى أصْحابِ الدُّنْيَا»، وفي (ق) بعنوان: (الرابع والثلاثون)، وتحته عنوان: «في الرضا»، وفي (ت) بعنوان: (الخامس والثلاثون)، وتحته عنوان: «إذا نظر الى أصحاب الدنيا»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٥)، بعنوان: «دُعاؤهُ في الرضا».

(٢) في (ق) (ت): «نرضى».

(٣) أي علمتُ، وأصلهُ من الشهود، وهو الحضور معَ المشاهدة بالبصر. (رياض السالكين٥: ١٨١).

(٤) في (ك): «قسّم».

(٥) قسَمَ: أفرزَ وحصَّصَ الحصص، والمعايش: جمع معيشة، أي ما يعيشُ بهِ الإنسان.

(٦) في حاشية (ج): «بالفصل ـ س»، والفضل: هو الافضال والاحسان، أي أخذَ على نفسهِ أن يعامل الجميع بالاحسان، وهو معنى ما وردَ: «يا من يعطي من سألهُ، يا من يعطي من لم يسألهُ ومن لم يعرفهُ تحنّناً منهُ ورحمةً».

في مدارج النمو الاقتصادي، كالتدرّج في النمو الجسمي، وأساس كل ذلك قانون السببيّة، فهو اساس عادل لأنّ الله أبى أن يجري الأشياء إلّا بأسباب[١]. واصحاب الدنيا ليسوا بمستثنين من هذا القانون العادل الذي فرضه الله في الحياة، وهذه الحقيقة توجب أُموراً:

الأول: الحمد لله تعالى الذي سنّ الحياة على أُسس مدروسة حكيمة من التدّرج في مدارج الكمال.

الثاني: الرضا بحكم الله؛ فإن عدم الرضا يستلزم ان يفرض على من لم يبلغ الدرجة اللائقة ما لا يطيق من واجبات لم يتهيأ له اسبابها الّتي تؤهّله لما يطلب منه.

الثالث: الشهادة بأنّ قانون العدل هو الحاكم في الحياة لترتب الآثار على أسباب سواءً كانت تحت اختياره ام لا، فإن تلك الآثار لا تتحقق بدون تحقق أسبابها.

الرابع: إن الله عمّم فضله على جميع الخلق بالقدرة على التدرّج في تحصيل تلك الاسباب حتى يترتب عليها النتائج الّتي يتوخّونها؛ فإنه تعالى أخذ، أي سار بالفضل عليهم بالقدرة والصحة والعقل والإرادة والعبرة بالتاريخ لدراسة الاسباب؛ لغرض تحصيل المسببات، بالعلم الذي جعله فريضة.

[٢/٣٥ ـ فتنة الدنيا]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلَا تَفْتِنِّي[٢] بِمَا أعطَيْتَهُمْ[٣]، وَلَا تَفْتِنْهُمْ بِمَا مَنعْتَني[٤]، فَأحْسُدَ خَلْقَكَ، وَأغْمِطَ[٥] حُكْمَكَ.

---

(١) الفصول المهمة في أُصول الائمة ١: ٦٤٧.

(٢) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و»، والفتنة: الامتحان والاختبار، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾. (سورة الأنبياء ٢١: ٣٥).

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «ولا تَفتني بِمَا مَتَّعْتَهُمْ بِهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ولاتَفتني بِمَا مَتَّعْتَهُمْ».

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «ولاتَفتنهم بِمَا مَتَّعْتَني»، وفي (ك) العبارة هكذا: «ولاتَفتنهم بِمَا مَتعْتَني به».

(٥) الغمط ـ هنا ـ: الاستهانة بالحكم والقضاء الإلهي.

ومن ينظر إلى اصحاب الدنيا ممّن يفتقدون ما يتمتع به الاخرون، ينظر إلى الآثار من دون نظر إلى الأسبابها من الكدح والجهد والفكر المبذول في سبيل تحقق تلك الآثار، فيكون في دائرة الامتحان والفتنة حيث يوسوس له الشيطان بتحصل ذلك من دون الاسباب، وقد أشار هذا المقطع إلى بعض موارد الفتنة، وهي:

١ ـ فتنة الفاقد؛ حيث يرى ما يجده غيره، فيتوقع ذلك لنفسه.

٢ ـ فتنة الواجد؛ حيث يرى نفسه في غنى عن غيره ويترفّع على غيره.

٣ ـ حسد الخلق من أصحاب الدنيا لوجدانهم ما يفقده الإنسان؛ جهلاً بأنّ الحسد لا يغيّر من واقع الحال شيئاً.

٤ ـ غمط حكم الله حيث يؤدّي إلى الاستخفاف بحكم الله بانه أبى أن يجري الأمور إلّا بالأسباب.

فإنّ كل نقطة من هذه الموارد، امتحان للإنسان لتهيئة نفسه لما يفتقر إليه من الأسباب الموصلة إلى مبتغاه حسب التدرّج الطبيعي، كالنمو الجسدي، بفارق واحد هو ان النمو الجسدي يكون في الإنسان والنمو الجسمي يكون في النبات، وهذا يحصل بدون اختيار للإنسان والنبات في الاسباب، وهي بالنسبة إلى أُمور الدنيا تقع تحت اختيار الإنسان وقدرته في استخدام ما يمكنه من السبل المشروعة لتحقيق اهدافه، والامتحان انما هو في اختياره الطرق المشروعة للتدرّج إلى مقصده، أو القفز الذي قد لا يوصله إن لم يهلكه، وهذا الاختيار غير حاصل في النمو الجسدي والجسمي.

[٣/٣٥ ـ الشرف والعزة]:

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] أَطِبْ بِقَضَائِكَ نَفْسي[٢]،

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) كذا في (ت)، وفي المشهورة: «وطيّب بِقَضَائِكَ نَفْسَي»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «أَللّٰهُمَّ طبت بِقَضَائِكَ نَفْساً». أي رضيت بما قضيتَ لي.

وَوَسِّعْ بِمَواقِعِ حُكْمِكَ[(١)] صَدْرِي، وَهَبْ لِي الثِّقَةَ لأُقِرَّ مَعَهَا بأنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجرِ إلَّا بالخيرَةِ[(٢)]، واجْعَلْ شُكْرِي لَكَ[(٣)] عَلَى مَا زَوَيْتَ عَنِّي[(٤)] أوْفَرَ[(٥)] مَنْ شُكْرِي إيَّاكَ عَلَى مَا خَوَّلْتَنِي[(٦)]، وَأَعْصِمْنِي مِنْ أنْ أظُنَّ بِذِي عَدَمٍ[(٧)] خَسَاسَةً[(٨)] أو أَظُنّ بِصَاحِبِ[(٩)] ثَرْوَةٍ[(١٠)] فَضْلاً؛ فإنَّ الشَّرِيْفَ مَنْ شَرَّفَتْهُ طَاعَتُكَ، والعَزِيْزَ مَنْ أعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ[(١١)].

يغلب على التصوّر العادي أن الشرف والعزّة لأصحاب الدنيا إنما هو لاستغنائهم عمّا يفتقر إليه غالب الناس، وهذا جهل بما لاصحاب الدنيا من الهموم والغموم في تحصيل الاموال والعناوين، ثم الجهد المبذول في المحافظة على ذلك، وإلى ذلك يشير ما ورد من قولهم: «الناس في الفقر مخافة الفقر»؛ لأن ذلك نابع عن عقدة نفسية بالنقص يجبرونها بما يظهر للآخرين غنى، فهم يفتقرون إلى هذه المظاهر المغرية؛ فإذا علم الإنسان أنه لا تلازم بين اصحاب

---

(١) في (ت): «المواقع حكمك»، ومواقع الحكم: ما تعلقَ بهِ الحكم، أي: وسّع صدري كي لا يشق عليَّ حكمكَ.

(٢) الخيرة: اسم من أخذ الخير أو فعلِهِ.

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَوَسِعْتُ لِمَواقِعِ حُكْمِكَ صَدْراً، وأيْقَنْتُ أنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجرْ لِي إلّا بالخَيرَةِ، فاجْعَلْ شُكْرِي لَكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَوَسِعْتُ لِمَواقِعِ حُكْمِكَ صَدْراً، وأيْقَنْتُ أنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجرْ لِي إلّا بالخَيرِ، فأشكُرُ لَكَ».

(٤) في (س): «يقال: زوى فلان المال عن وارثه: إذا منعه». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٩)، وزويت عني: أي صرفتَ عنِّي.

(٥) أوفرَ: أي أكملَ وأكثرَ.

(٦) في حاشية (ج): «أي ملكتني»، وخوّلتني: أي أعطيتني، وهنا آخر هذا الدعاء في (ش).

(٧) في حاشية (ج): «أي عدم».

(٨) في (ك) (ق) (ت): «خصاصة»، وفي حاشية (ج): «أي بخلاً»، وفي (س): «الخسيس: الدنيء». (حاشية ابن إدريس: ٢٣٩).

(٩) في حاشية (ج): «لصاحب ـ س».

(١٠) في حاشية (ج): «أي غنى».

(١١) أي احفظني من أن تكون موازين الفضل والشرف عندي الثروة، بل اجعلني أعرف بأنَّ الشرف هو بالطاعة، وأن العزّة والرفعة إنمّا هي بالعبادة.

الدنيا وبين الشرف والعزة، علم ان تلك المظاهر ليست أسباب سعادة؛ فإن الفقر فقر سواءً في الدرجة الدنيا أو العليا، والشرف والعزة انما هو في الطاعة وأداء ما هو الواجب في أية درجة كان الإنسان.

فإذا عرف الإنسان قدر نفسه ودرجة مكانته والواجب عليه في تلك الدرجة، وأدّى ما عليه، فإنهُ يترتّب على ذلك آثاراً، منها:

١ ـ طيب النفس بالقضاء الذي قدّر الله تعالى على تلك الدرجة، لتواجد الاسباب فيها.

٢ ـ وسعة الصدر بمواقع الحكم الإلهي حسب تلك الدرجة والاسباب الّتي يترتب عليها مسبباتها.

٣ ـ الثقة بالخير في القضاء الذي هو حسب العدل بقانون السببية.

٤ ـ الشكر على ما خوّله تعالى، أي أعطاه في الدرجة الّتي يستحقها، وأيضاً الشكر على ما زوي ـ أي صرف ـ عنه مما لا يستحقه في الدرجة نفسها؛ لأنها في درجة اخرى لم تتهيأ أسبابها بعد.

٥ ـ العصمة من ظن الخساسة، أي الحقارة للمعدمين الفاقدين للمال.

٦ ـ العصمة من ظن الفضل لصاحب الثروة؛ لأن الثروة في نفسها ليست فضيلة.

وذلك كله لأن الشرف انما هو في الطاعة، أي أداء الواجب الإسلامي في الدرجة الّتي فيها الإنسان، والعزة إنما هي بالعبادة المفروضة على المسلم من عمل الفرد بمسؤوليته الشخصية او العائلية أو الاجتماعية.

[٣٥/٤ ـ الثروة الدائمة]:

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] مَتِّعْنَا[٢] بِثَرْوَةٍ لَا تَنْفَدُ[٣]، وَأَيِّدْنَا بِعِزٍّ

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله، و».

(٢) في (ك): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ ومتّعنا»، ومتِّعنا: أي ابقنا لنستمتع بثروة ـ وهي النماء والكثرة ـ لا فناء لها.

(٣) في (ك) (ت): «لا ينفد».

لَا يُفْقَدُ، وَأَسْرَحْنَا[١] فِي مُلْكِ[٢] الأَبَدِ[٣]، إِنَّكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ[٤] الَّذِي لَمْ تَلِدْ[٥] وَلَمْ تُولَدْ[٦]، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ[٧] كُفْواً أَحَدٌ[٨].

وختم الدعاء بأن الثروة الحقيقية هي الثقة بالنفس وراحة الضمير بأداء الواجب حسب الظروف المتاحة، فإنها ثروة دائمة لا تنفذ قط؛ لأنها تكوّن شخصية الإنسان الملازمة ما دام الحياة. وتمتاز الثقة هذه بأوصاف أشار إليها في هذا المقطع، وهي:

١ ـ المتعة؛ لأنها توجب راحة الضمير، دون الثروة التي يمتلكها اصحاب الدنيا، فإنه يقلقهم فقدان ما يملكون.

٢ ـ أنها دائمة لا تنفذ؛ لأنها جزءٌ من شخصية الإنسان.

٣ ـ وانها عزّ لا ينفذ؛ حيث لا يفتقر إلى اذن من الآخرين.

٤ ـ وهي ملك الأبد؛ لأن الإنسان يملك هذه الثقة، فلا يفتقر إلى اكتسابها من شخص آخر أو تأييدها من قبل آخرين، بينما اصحاب الدنيا عبيد أموالهم، فهم يفتقرون إلى حراستها وبفقدانها يفقدون شخصياتهم؛ فهم يفتقرون إلى أن يؤيّدها غيرهم ممن هو أعلى منهم أو أعرف بماضيهم.

وحيث ان هذه الثقة بالنفس وطهارة العمل وراحة الضمير انما هو بأداء الواجب وأنه لا يكون إلّا بهداية من الله سبحانه، فهو المسؤول في أن يهبها بصفاته الخاصة به التي لا شريك له فيها.

---

(١) أسرحنا: أرسلنا وأطلقنا.

(٢) في (ك) (ت): «ملكك».

(٣) في (ك): «الابد»، وملك الأبد: النعيم الدائم الخالد، أي الجنَّة.

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «إِنَّكَ أَنْتَ الوَاحِدُ الفرد الصَّمَدُ»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «إِنَّكَ الوَاحِدُ الصَّمَدُ».

(٥) في (ك) (ق) (ت): «يلد».

(٦) في (ك) (ق) (ت): «يولد».

(٧) في (ك) (ق) (ت): «له»، وفي حاشية (ج): «له ـ س».

(٨) اقتباس من القرآن الكريم، سورة التوحيد، الرقم ١١٢.

[الدُّعاءُ السَادس والثلاثون]

ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا نَظَرَ إلى السّحَابِ والبرقِ وسَمِعَ صوتَ الرَّعد[1]

[١/٣٦ ـ دور السحاب والبرق في العالم]:

أللّهُمَّ إنَّ هَذَيْنِ آيَتَانِ[2] مِنْ آيَاتِكَ، وَهَذَيْنِ[3] عَوْنَانِ مِنْ أعْوَانِكَ[4]، يَبْتَدِرَانِ[5] طَاعَتَكَ[6] بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ أوْ نقْمَةٍ[7] ضَارَّةٍ، أللهمَّ[8]

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٣٢)، بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام إذا نظرَ إلى السحابِ والرعد»، وفي (ش) بالرقم (٣٥)، بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام إذا نظرَ إلى السحابِ والبرق وسمع صوت الرعد»، وفي (ج) بعنوان: «السادس والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام إذَا نظَرَ إلى السحب والبرق وسمع صوت الرعد»، وفي (ق) بعنوان: (الخامس والثلاثون)، وتحته عنوان: «إذا نظرَ إلى السحَابِ والبرق»، وفي (ت) بعنوان: (السادس والثلاثون)، وتحته عنوان: «إذا سمع صوت الرعد وِالبرق»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٦)، بعنوان: «دُعاؤِهُ إذا نظر الى السحابِ».

(٢) في (س): «الآية: العلامة». (حاشية ابن إدريس: ٢٤١).

(٣) لم ترد في (ك) عبارة: «آيتان من آياتك وهَذَيْنِ».

(٤) في (ش): «وعونان من أعوانك». و«عَوْنَانِ من أعوانك»، أي خادمان من خدمِكَ، نافذان في أمرِكَ، وهو مجاز مرسل. (رياض السالكين ٥: ٢٠٢).

(٥) في (س): «بدرت إلى الشيء أبدُر بُدُوراً: أسرعت إليه، وكذلك بادرت إليه، وتبادر القوم: تسارعوا، وابتدروا السلاح: تسارعوا إلى أخذه». (حاشية ابن إدريس: ٢٤١).

(٦) يبتدران طاعتِكَ: يتسارعان إلى طاعتِكَ.

(٧) نقمة: عقوبة.

(٨) كذا في (ق) (ت)، ولم ترد: «اللهم» في سائر النسخ.

فَلَا تُمْطِرْنَا بِهِمَا[١] مَطَرَ السَّوءِ[٢]، وَلَا تُلْبِسْنَا بِهِمَا[٣] لِبَاسَ الْبَلَاءِ[٤].

السحاب: هو الغيم، سواءً كان فيه ماء أم لا، وأما البرق فهو لمعان السحاب، والرعد صوته، وافتتح الإمام عليه السلام الدعاء بدور كل من السحاب والبرق الذي هو من قدره الله سبحانه في الكون، وذكر لهما ثلاثة وظائف، هي:

١ ـ الآية: وهي العلامة الظاهرة على القدرة العليا الحاكمة في الكون بأسباب ومسببات قدّرها الله سبحانه من قبل في علمه الأزلي.

٢ ـ العون: لأنها الأسباب، وأبى الله ان يجري الأمور إلّا بأسباب[٥]، وبهما يتحقق ما أراده سبحانه.

٣ ـ الطاعة: فهما بحكم أنّهما مقدّران بتقدير إلهي ـ يطيعان الأمر الإلهي في أداء الدور المقدّر لهما، والدور المقدر لهما أمران:

الأول: الرحمة النافعة للزرع في حالة الجدب خاصة، فيكون المطر مطر رحمة.

الثاني: النقمة الضارّة بالمجتمع بالسيول؛ عقاباً يعمّ المجتمع على أثر المعصية باهمال الافراد واجباتهم الفردية أو الاجتماعية، فيكون المطر حينئذ مطر سوء ويلتصق بكل فرد من أفراد المجتمع كاللباس، فيكون بلاءً ومحنة وشدةً وامتحاناً لكل واحد منهم من دون استثناء، لإهمالهم دورهم في أداء المسؤولية، سواءً من كان في القيادة بالتخطيط للوقاية بالطرق الممكنة للحوادث قبل حدوثها، ومن لم يكن في القيادة بالنيّة والأمر بالمعروف أداءً للواجب الإسلامي تجاه المجتمع.

---

(١) لم ترد في (ش): «بهما».
(٢) مطر السوء: مطر الضرر والخراب.
(٣) لم ترد في (ق): «بهما».
(٤) البلاء: المحنة والشدَّة والغمّ.
(٥) راجع: الفصول المهمة في أصول الائمة ١: ٦٤٧.

[٢/٣٦ ـ آثار السحاب والبرق]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(١) أنزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحائبِ(٢) وَبَرَكَتَهَا، وَاصْرِفْ عَنَّا أذَاهَا وَمَضَرَّتَهَا، ولَا تُصِبْنَا فِيهَا بِآفَةٍ(٣)، وَلَا تُرْسِلْ عَلَى مَعَايِشِنَا(٤) عَاهَةً(٥).

وللسحاب والبرق ـ كأغلب الُامور الطبيعية، ان لم يكن كلها ـ آثار إيجابية وسلبيّة، وقد ذكر الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الآثار الواضحة ما يلي:

١ ـ النفع، فإن بركة هذه السحب تعمّ الخلق أجمعين في سلسلة مترابطة، حيث أنها سبب مباشر لتحقق الثروة الزراعية في النبات والخضروات، وعليها تتوقف الثروة الحيوانية في الأنعام والاغنام، وبالنتيجة: يتوقف عليها حياة الإنسان من الصحّة والسلامةً. فتنزل البركة بواسطة هذه السحب على الخلق أجمعين من جماد ونبات وحيوان وانسان.

٢ ـ الاذى؛ فإنّ مضرة السحاب بكثرة الامطار والسيول الّتي تؤثر في تلكؤ العمران وتدمّره، فتسلب الأمن والراحة في المسكن والعمران.

٣ ـ الآفة؛ وهي الاعراض الّتي تصيب الزرع وتفسده بسبب السيول او تعرّض حياة الإنسان للخطر، بسبب الامراض الّتي تتعقّب الآفات الطبيعية.

٤ ـ العاهة، وهي الآفة في المعاش، حيث أن أي خلل في هذه المظاهر الطبيعية تؤثّر على السوق وبالنتيجة على معايش العباد، فتكون سببا في القحط وما

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ك) (ش) (ق) (ت): «السحابة»، وفي (ج): «السحايب»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «السحابة».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «لَا تُصِبْنَا مِنْهَا بآفَة»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ولَاتُصِبْنَا مِنْهَا بآفَة»، والآفة: العاهة والعرض الّتي تفسد ما أصابتهُ.

(٤) في (ت): «معائشنا بها»، وفي (ج): «معايشنا»، والمعايش: جمع المعيشة، وهي ما يتعيّش بها الإنسان من مطعم ومشرب، وما تكون بِهِ الحياة.

(٥) في (ك) (ش): «بها عاهة»، وفي (ق): «فيها عاهة»، والعاهة: الآفة.

شابه من غلاء وارتفاع الاسعار التي تؤثر بالدرجة الأولى على الطبقة الفقيرة على المدى القريب ثم على غيرها من افراد المجتمع على المدى البعيد، وهذه الآثار تؤثر في المجتمع، حيث ان قوام المجتمع يرتبط بها ارتباطاً مباشراً.

[٣/٣٦ ـ الأثر السلبي للسحاب]:

أللّهُمَّ، وَإنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا نِقْمَةً، وأرْسَلْتَهَا سَخْطَةً[١]، فَإنَّا نَسْتَجِيْرُكَ[٢] مِنْ غَضَبِكَ، وَنَبْتَهِلُ[٣] إلَيْكَ فِي سُؤَالِ عَفْوِكَ، فَمِلْ بِالغَضَبِ إلَى المُشْرِكِيْنَ[٤]، وَأدِرْ رَحَى[٥] نَقِمَتكَ[٦] عَلَى المُلْحِدِيْنَ.

وتعرّض في هذا المقطع إلى الآثار السلبية للسحاب والبرق من الأذى والآفة في الأنفس والعاهة في المعايش؛ لأن دفع المضرة أولى من جلب المنفعة، وبحكم قانون السببية التي فرضها الله تعالى في الحياة تستند هذه الآثار السلبية على أسباب توجب النقمة والسخط منه تعالى، وما هو سوى العصيان للأوامر الإلهيّة وإهمال الواجبات في التحصّن والتهيّؤ للطوارئ.

ثم أشار إلى أُمور هامة ولازمة في مواجهة الآثار السلبية، وهي:

١ ـ الاستجارة، أي طلب الأمان منها والخير من الله سبحانه القادر على كل شيء.

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «نِقْمَةً أرْسَلْتَهَا سَخْطَةً». والسخطة: العقوبة.

(٢) في (ك): «نستجير بكَ»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «نستجيرك».

(٣) نبتهل: ندعو بتضرُّع.

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «فَمَيِّلْهَا إلى أهْلِ حَرْبِكَ مِنَ المُشْرِكِيْنَ»، وميّلها: أي حرّفها وحوّلها واصرفها.

(٥) في حاشية (ج): «رحا، رحى ـ معا».

(٦) في (ك) (ش): «نقمتها»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «نَقمَتِكَ»، والمراد: شدّد وطأتك على الملحدين، من قولهم: دارت رحى الحرب، أي اشتدّ القتال.

٢ ـ الابتهال بالعفو عما صدر من المعاصي الموجبة لذلك.

٣ ـ الدعاء بتوجيه هذه الآثار السلبية إلى من هو أولى بها، وخصّ منهم طائفتين، هما:

الأولى: المشركين ممن أثبت شريكاً لله سبحانه في الالوهية.

الثانية: الملحدين ممن مال عن الحق وعبد غير الله تعالى.

فإنّ هاتين الطائفتين أولى بهذه الآثار السلبية من المؤمنين، ما لم يعملوا بما مر به المؤمنون من الواجبات في التحصّن والتهيؤ لمواجهة الطوارئ.

[٤/٣٦ ـ الآثار الإيجابية للسحاب]:

أَللّهُمَّ أَذْهِبْ[١] مَحْلَ[٢] بِلادِنَا بِسُقْيَاكَ، وَأَخْرِجْ وَحَرَ[٣] صُدُورِنَا بِرِزْقِكَ، وَلَا تَشْغَلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ، وَلَا تَقْطَعْ عَنْ كَافَّتِنَا[٤] مَادَّةَ[٥] بِرِّكَ[٦]؛ فَإِنَّ الغَنِيَّ مَنْ أَغْنَيْتَ، وإِنَّ السَّالِمَ مَنْ وَقَيْتَ[٧]. مَا عِنْدَ أَحَدٍ دُونَكَ دِفَاعٌ[٨]، وَلَا بِأَحَدٍ[٩]

---

١) في (ق) (ت): «أذهب اللهم».

٢) في (ك): «أَذْهِبْ أَللّهُمَّ مَحْلَ»، وفي (س): «المحل: الجدبُ، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ». (حاشية ابن إدريس: ٢٤١).

٣) في (ت): «وَخَزَ»، وفي (ج): «وَحَرَ»، وفي حاشية (ج): «وَحْرَ»، وفي (س): «الوحر في الصدر مثل الغِلّ، بوزن فِلس». (حاشية ابن إدريس: ٢٤١)، والوحر: غيظ وحقد، وقيل: وحر الصدر: وساوسهُ وغشهُ.

٤) أي جميعنا.

٥) لم ترد في (ق) (ت): «مادة»، وفي (س): «المادة: الزيادة المتصلة، ومَدّ الله في عُمره ومدّه في غيّه: أي أمهله وطوّل له». (حاشية ابن إدريس: ٢٤١).

٦) في (ش): «مادّة نصرك».

٧) وقيت: حفظتَ.

٨) دفاع: حماية.

٩) في حاشية (ج) هنا: «يأخذ ـ س».

عنْ[1] سَطوَتِكَ[2] إمْتِنَاعٌ، تَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ عَلَى مَنْ شِئْتَ، وَتقضِي بمَا[3] أرَدْتَ فِيْمَنْ أرَدْتَ.

وسرد هذا المقطع الآثار الإيجابية للسحاب والبرق، وهي:

١ ـ دفع الجدب والقحط بسقيا الأمطار الّتي تذهب المحل، أي الجدب.

٢ ـ الرزق، حيث تكون الامطار سبباً لزيادة المحاصيل الزراعية المؤثرة في وفرة المواد الغذائية في الأسواق، فلا يكون موجبٌ لوحر الصدور، أي غضبها بسبب القحط.

٣ ـ ذكر الله سبحانه بالشكر على ما أنعم، فإنه في حالة القحط ينشغل الإنسان عن هذا الذكر بتأمين ما يفتقر إليه.

٤ ـ مادة البر، فإن الإنسان لا يتمكن من الإنفاق ان لم يجد ما ينفق، ويرجع كل ذلك إلى الماء الذي جعل الله كل شيء منه حياً، فالماء هو مادة البر للحياة كلها، واذا انقطعت هذه المادة انقطعت الحياة.

وهذه الآثار الإيجابية تخضع لارادة الله سبحانه الحاكمة على الكون كله، فإليه الملجأ، وآثار ارادته الحاكمة، هي:

١ ـ الغنى، فإن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وعدم الحاجة إلى الآخرين، وليس الغنى غنى المال فقط.

٢ ـ السلامة، فإن السالم من وقاه الله من الآفات والعاهات الّتي تنبع من فقر النفس.

---

(١) في (ق): «من».

(٢) في (ت): «عن سطواتكَ»، وفي (ك) (ش) (ق): «من سطواتكَ»، والامتناع: المنعة والعزة وعدم قبول الضيم.

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَتُمضِي مَا».

٣ ـ الدفاع، أي الحماية بالله من غيره مهما خطّط العدو، فإن يد الله هي العليا.

٤ ـ السطوة، أي قهر الله للأعداء مما لا يمكن ان تقابل بالامتناع، بل لها النفوذ عليهم.

٥ ـ حكم الله، وهو الحكم النافذ بما شاءه تعالى من المصلحة، ولا يستثنى من هذا النفوذ أحد، لأن ارادته لا تردّ.

[٥/٣٦ ـ دعاء الحمد]:

فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى مَا وَقَيْتَنَا(١) مِنَ البَلَاءِ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا خَوَّلْتَنَا(٢) مِنَ النَّعْمَاءِ، حَمْداً يُخَلِّفُ(٣) حَمْدَ الحَامِدِيْنَ وَرَاءَهُ، حَمْداً يَمْلأُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ(٤). إِنَّكَ المَنَّانُ بِجَسِيمِ(٥) المِنَنِ(٦)، الوَهَّابُ لِعَظِيمِ(٧) النِّعَمِ، القَابِلُ يَسِيرَ الحَمْدِ، الشاكِرُ قَلِيْلَ الشُّكْرِ، المُحْسِنُ، المُجْمِلُ، ذُو الطَّوْلِ، لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، إِلَيْكَ المَصِيرُ(٨)

---

(١) وقيْتَنا: حفظتنا.

(٢) في حاشية (ج): «أي أعطيتنا»، وخوَّلتنا: جعلتنا فيه مخوّلين في التصرف فيما أعطيتنا.

(٣) في (ش): «يخلف»، أي يتركَ حمدَ الحامدين خلفهُ.

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «حَمْداً يَمْلأُ أَرْضَك وَسَمَاءك»، وفي (ق) (ت) العبارة هكذا: «حَمْداً يُخَلِّفُحَمْدَ الحَامِدِيْنَ وَرَاهُ، حَمْداً يَمْلأُ أَرْضَهُ وَسَمَاهُ».

(٥) في (ك) (ش): «بجسام».

(٦) المنّان: صيغة مبالغة من المنَّة، وهي النعمة العظيمة.

(٧) في (ك) (ش): «لعظام».

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «الشَاكِرُ قَلِيْلَ الشُّكْرِ، المُحْسِنُ الحميد»، وهو آخر الدعاء في (ك)، وفي (ش) العبارة هكذا: «الشَاكِرُ قَلِيْلَ الشُّكْرِ، المُحْسِنُ، المجيد، المجمل»، وهو آخر الدعاء في (ش). والشكر: هو الثناء على النعمة، سواءً كان باللسان قولا، أو بالأركان عملا، أو بالجنان نيّة. والشكر يستلزم الزيادة كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (سورة إبراهيم ١٤: ٧). والشكر في الأمور للإنسان يحد بالتعادل، فإن ما زاد عن الحد يكون ملَقاً، حيث يتحقق المقصود وهو الرضا من الذي يشكره الإنسان على =

[وَأَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ](١).

وختم الدعاء بالحمد على الآثار الإيجابية الّتي أهمها أمران:

الأول: الوقاية من البلاء والأمن من أنواع الآفات في النفس والعاهات في المعاش، فإن الوقاية خير من العلاج، فإن هذه النعمة لا يقدّرها إلّا من فقد الصحة في النفس والأمن في المعاش.

الثاني: النعمة، وقد أنعم الله تعالى بالصحة والأمان، وهما نعمتان مجهولتان لا يعرف قدرهما إلّا من فقدهما، ونعم الله لا تقدّر ولا تحصى، وأقلها نعمة الهواء الطلق الذي وسعت كل شئ، ولولا ذلك لانقطعت الحياة.

ولا يمكن الوفاء بواجب الحمد تجاه هذين الأمرين إلّا بالاشارة إلى ما شملته الرحمة الإلهيّة منهما، وقد ذكر موردين مما يعمّ العالم كلّه وهما:

١ ـ الأرض من تخوم الأرضين إلى ظاهرها الذي يعيش فيه الإنسان.

٢ ـ السماء، وهو العالم العلوي المحيط بالأرض، والذي يعد سقفا محفوظا للأرض(٢).

= فضله بالجميل الاختياري، فينقضي موضوع الشكر. ولكن لا يمكن للانسان ان يبلغ شكر الله تعالى. لأن الشكر لله سبحانه لا غاية له، حيث لا تعادل بين الشكر والجميل، بل يبقى موضوع الشكر مقتضياً للشكر من دون انقطاع، وفي مناجاة الشاكرين للإمام السجاد [٣/٧٤ ـ موجبات الشكر]، قوله: إِلهي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ آلائِكَ شُكْري، وَتَضائَلَ في جَنْبِ إِكْرامِكَ إِيّايَ ثَنائي وَنَشْري، جَلَّلَتْني نِعَمُكَ مِنْ أَنْوارِ الْايمانِ حُلَلاً، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطائِفُ بِرِّكَ مِنَ الْعِزِّ كِلَلاً، وَقَلَّدَتْني مِنَنُكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْني أَطْواقاً لا تُفَلُّ، فَآلاؤُكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِساني عَنْ إِحْصائِها وَنَعْماؤُكَ كَثيرَةٌ قَصُرَ فَهْمي عَنْ إِدْراكِها، فَضْلاً عَنِ اسْتِقْصائِها، فَكَيْفَ لي بِتَحْصيلِ الشُّكْرِ؟ وَشُكْري إِيّاكَ يَفْتَقِرُ إِلَى شُكْرٍ. فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الْحَمْدُ. وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الْحَمْدُ. وتقدم حديث يقضي بأنّ معرفة هذا، يعدّ شكراً لله تعالى، فراجع ج١، ص١٥ من هذا الكتاب وأيضاً شرح الدعاء (٢٧)..

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٢) قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأنبياء ٢١: ٣٢).

فالرحمة الإلهيّة بالوقاية من البلاء وسبوغ النعمة وسعت هذين الموردين الذين تعمّان العالم كله من السفلي والعلوي بمختلف طبقاتهما الّتي تتحكم فيها الآثار الإيجابية، فلا يكون الوفاء لذلك إلّا بحمد بملء العالم كله؛ وذلك لأن هذه الآثار الإيجابية تتصف بالجسامة والهبة والعظمة، والمؤثر فيها تعالى يتصف بالإحسان وجزيل الصنع والطَّوْل أي الفضل، ومن جانب آخر يتصف حمد الداعي في قبال ذلك بالقلة في الحمد بـ(يسير الحمد) وبالقلة للشكر (قليل الشكر) بالنسبة إلى تلك الآثار الإيجابية الشاملة.

[الدُّعاءُ السَّابِع والثلاثون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر[1]

[١/٣٧ ـ دعاء الشكر]:

الشكر: هو الثناء على النعمة، سواءً كان باللسان قولا، أو بالأركان عملا، أو بالجنان نيّة. والشكر يستلزم الزيادة كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2] ولكن الشكر في الأمور للإنسان يحد بالتعادل، فإن ما زاد عن الحد يكون ملَقاً حيث يتحقق المقصود وهو الرضا من الذي يشكره الإنسان على فضله بالجميل الاختياري، فينقضي موضوع الشكر.

ولا يمكن للإنسان أن يبلغ شكر الله تعالى، لأن الشكر لله سبحانه لا غاية له، حيث لا تعادل بين الشكر والجميل، بل يبقى موضوع الشكر مقتضياً للشكر من دون انقطاع، وقد جاء في هذا الدعاء دليلان:

الأول: ما أشار إليه بقوله:

أللّهُمَّ، إنَّ أحَداً لَا يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً وإنْ أَبعَدَ[3] إلَّا

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢)، وعنوانهُ: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا مَجَّدَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، وفي (ش) بالرقم (٣)، وعنوانهُ: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر»، وفي (ج) بعنوان: «السابع والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر»، وفي (ق) بعنوان (السادس والثلاثون) وتحته عنوان: «في تأدية الشكر»، وفي (ت) بعنوان (السابع والثلاثون) وتحته عنوان: «في التقصير عن الشكر»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٧)، بعنوان: «دُعاؤهُ إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر».

(٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤: ٧.

(٣) كذا في (ك) (ش) (ت)، ولم ترد: «وإنْ أبْعَدَ» في بعض النسخ.

حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إحْسَانِكَ ما يُلْزِمُهُ شُكْراً[١].

فإن الموجب لشكر الله هو إحسانه تعالى على الشاكر، وقبوله الشكر إحسان آخر، فيستلزم شكراً آخر على الإحسان الجديد... وهكذا، فكلّ شكر من الإنسان يكون موضوعاً لإحسان جديد، وكل إحسان يستلزم شكراً آخر، فلا يكون للشكر غاية محدودة بعدد خاص ولا بزمان خاص.

الثاني: ما أشار إليه بقوله:

وَ[٢]لَا يَبْلُغُ[٣] مَبْلَغاً مِنْ طَاعَتِكَ وَإنِ اجْتَهَدَ إلَّا كَانَ مُقَصِّراً دُوْنَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ.

إن استحقاق الله سبحانه للشكر إنما هو بسبب فضله تعالى الواسع على الخلق أجمعين، وهذا الفضل الإلهي الواسع لا نهاية له؛ لشموله كل الخلق من جماد ونبات وحيوان وانسان، ومن ماء وهواء وغيرهما، وحيث إن موارد الفضل الإلهي غير متناهية فيكون الشكر أيضاً غير متناه، وإلى ذلك أشار عليه السلام بقوله:

فَأشْكَرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ، وَأَعْبَدُهُمْ[٤] مُقَصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ.

ونتيجة الدليلين: أنه مهما اجتهد الإنسان في الطاعات يكون مقصّراً في التعادل بين الطاعة وبين الفضل المستحق لها، فيكون أشكر العباد عاجزاً عن شكر الله؛ لأنه لا غاية للشكر، ولذلك أيضاً يكون أعبد الناس مقصّراً في طاعة الله، لأنه لا غاية للفضل الموجب للعبادة[٥].

---

(١) في (ش) (ق) (ت): «من شكرك»، وفي حاشية (ش) في نسخة: «ما يلزمه شكراً».

(٢) كذا في (ق) (س)، وفي سائر النسخ: «أو».

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «منْ احسانك ما يلزمه من شكرك، ولا يبلغ».

(٤) في (ك) زيادة: «لك».

(٥) ونتيجة هذه النسبة عدم التعادل بين موجبات الشكر وقدرة الإنسان على الشكر، ومنه يظهر عجز الإنسان عن أداء واجب الشكر، فلا يمكن تحصيل الشكر على حقيقته، لان الشكر /باللسان ـ مثلاً ـ انما هو بسبب القدرة على الشكر، وهذه القدرة على الشكر تفتقر الى =

[٢/٣٧ ـ قبول الشكر فضل]:

لَا يَجِبُ لأحَدٍ[١] أنْ تَغْفِرَ لَهُ باسْتِحْقَاقِهِ، وَلَا[٢] أنْ تَرْضَى عَنْهُ بِاسْتِيْجَابِهِ[٣]، فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبِطَوْلِكَ[٤]، وَمَنْ رَضِيْتَ عَنْهُ[٥] فَبِفَضْلِكَ.

السبب الاصيل في الشكر هو ان كلّما يصدر من الله سبحانه هو فضل منه، والشكر من جانب العبد لا يوجب أيّ الزام من جانب المولى، فمهما أتى العبد من الطاعات فإنها لا توجب حقا عليه تعالى، لأن العبد مقصّر في أداء ما يوازي فضل الله العميم، فلا يمكن ان يتساويا، فكيف بأن يثبت حقاً على الله؛ اذ أنّ اثبات الحق يستلزم زيادة من جانب العبد، وهذا لا يمكن كما تقدم. وعليه أنّ عمل العباد لا يوجب على الله الرضا كما لا يوجب عليه الغفران، بل ان كلّاً من الرضا والغفران فضل من الله على العباد برحمته الواسعة.

[٣/٣٧ ـ استطاعة الشكر]:

تَشْكُرُ[٦] يَسِيرَ مَا تُشكر بِهِ[٧]، وَتُثِيبُ عَلَى قَلِيلِ مَا تُطَاعُ فِيْهِ،

= شكر آخر، والشكر على هذه القدرة نعمة اخرى تفتقر إلى شكر ثالث.. وهكذا يستمرّ الى مالا نهاية له بالتسلسل. وراجع المقطع الثالث من الدعاء ٧٤ من هذا الكتاب.

(١) في (ك) (ش) زيادة: «منهم».

(٢) في (ك) زيادة: «يَحِقُّ لَهُ».

(٣) باستيجابهِ: بكونه مستوجباً مستحقاً.

(٤) بطولِكَ: باحسانِكَ وقُدْرَتِكَ.

(٥) لم ترد في (ت): «عنه».

(٦) في حاشية (د) ما نصه: «وصفه تعالى بالشكر، قيل: المراد به مجازاته على اليسير من الطاعة بالكثير من الثواب، لأنّه يعطي بالعمل في أيّام معدودة نِعَماً في الآخرة غير محدودة. ومن جازى الحسنة بأضعافها صحّ أن يقال: إنّه شكر تلك الحسنة. وقيل: المراد به قبول اليسير من الطاعة. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ٢٣٨).

(٧) كذا في(ش) (ق) (ت)، وفي (ك): «ما يشكر»، وفي (بعض النسخ): «ما شكرته»، وفي حاشية (ج) (د): «تشكر به ـ س»، وفي حاشية (د) ما نصه: «قال الشارح: قد تواترت النسخ المشهورة من الصحيفة الشريفة بضبط «شكرته» بفتح الشين المعجمة، والكاف، =

حَتَّى كَأَنَّ[١] شُكْرَ عِبَادِكَ الَّذي أوْجَبْتَ عَلَيْهِ ثَوابَهُمْ، وَأعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ أمْرٌ مَلَكُوا اسْتِطاعَةَ[٢] الامْتِنَاع مِنْهُ دُونَكَ، فَكَافيتَهُم[٣]، أوَ[٤] لَمْ يَكُنْ سَبَبُهُ بِيَدِكَ فَجَازَيْتَهُمْ[٥].

ويتضمن هذا المقطع الدليل على ان قبول الشكر فضل من الله سبحانه بأمرين:

الأول: بأنه تعالى وهب الاستطاعة على الشكر للإنسان، ولولا أنه تعالى ملّكهم هذه الاستطاعة على الفعل والترك وجعل لهم هذا الاختيار لما تمكنوا من الشكر اختياراً؛ فإن اعطاء الاختيار هو الفضل الموجب للشكر.

الثاني: أنه تعالى يشكر على اليسير ويثيب على القليل، وما ذاك إلّا من فضله تعالى، حيث لا تكافؤ بين العمل اليسير الذي لا يقتضي ان يقابل به

وتاء الخطاب على البناء للفاعل. فالمعنى: تشكر يسير ما قبلته من العمل، وأثنيت عليه، أي تجازي بالكثير عليه. وما قيل: إنّ المعنى: تشكر يسير الشكر، فليس بظاهر، إلّا أن يضبط «شكرته» بالبناء للمفعول، ولم نقف عليه في شيء من النسخ. وقول بعضهم: المراد أنّه يشكر يسير ما شكره ـ أي شكرناه به، لأنّ شكرنا بأمره، ولأنّ أسبابه والتوفيق له منه فكأنّه هو الشاكر لنفسه ـ لا يخفى ما فيه من التعسّف. وفي نسخة الشهيد رحمة الله: «تشكر يسير ما تشكر به» بالبناء للمفعول في الثاني، وهو أظهر في المعنى، وأنسب لما بعده. (انتهى من الشرح ملخصا)، والحكاية كما ترى غير مطابقة للمحكي عنها، فان الظاهر من هذه النسخة الشهيدية وقوع مثل ذلك في نسخة ابن إدريس رحمه الله». (وراجع: رياض السالكين ٥: ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(١) في (ش): «حَتَّى إذا كَان».

(٢) في (س): «الاستطاعة: الإطاقة. وأطاق الشيء: قدر عليه وعلى تحمّله. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٣).

(٣) في (ك) (ش): «فكافأتهم»، والمكافاة: المُجَازاة.

(٤) في حاشية (د) ما نصه: «كلمة «أو» للإيذان بتساوي الأمرين في الاستقلال بوجه [كلمة لا تقرأ]».

(٥) في حاشية (د) ما نصه: «ويكفي في التفصّي عما يوهمه ظاهر العبارة من [كلمة لا تقرأ، ولعله: «ملكت أمرهم»]: أنّ مراده عليه السّلام عدم استطاعتهم على كفّ أنفسهم عنه بدون ما أوجده سبحانه فيهم من الحياة والآلة والعقل والهمّة إلى غير ذلك من الأسباب التي هي منه سبحانه. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ٢٤٢).

الفضل، فإن القليل من الطاعة لا يستلزم ثواباً، فليس الشكر علي ذلك إلّا من فضل الله الذي جعل الشكر ذريعة للزيادة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] وليست المكافئة بتعادل، بل فضلا وذريعة لزيادة الفضل.

ملاحظة:

جاء ضبط الكلمة: (ما شكرته) في النسخة المشهورة على صيغة الماضي المعلوم، وقال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ) ما نصّه: «وقد تواترت المشهورة من الصحيفة الشريفة بضبط (شكرته) بفتح الشين المعجمة والكاف وتاء الخطاب على البناء للفاعل[2]» ثم ذكر وجوهاً في توجيه ذلك، احسنها ما نقله بقوله: «وفي نسخة الشهيد رحمه الله: (تشكر يسير ما تشكر به) بالبناء للمفعول في الثاني، وهو أظهر في المعنى أنسب لما بعده».

قال الجلالي: وقد جاءت الجملة في رواية ابن مالك في الدعاء الثاني بما نصّه: «تشكر يسير ما يشكر» على صيغة المضارع المجهول من الفعل المعقب لما الموصولة. ولا لبس في المعنى، والمناسبة بين الفعلين المجهولين واضحة في هذه الرواية، وهذه من الموارد الّتي توجب اخراج نصّ محقق موثّق للصحيفة اعتماداً على الروايات الثلاث كما أشرت إليه في الدراسة المنيفة، عسى ان يقيّض لهذه المهمة من يجد في نفسه القدرة والكفاءة، آمين رب العالمين.

[٤/٣٧ ـ سنّة الافضال]:

بَلْ مَلَكْتَ ـ يا إلهي ـ أمْرَهُمْ[3] قَبْلَ أنْ يَمْلِكُوا عِبَادَتَكَ، وَأَعْدَدْتَ ثَوابَهُمْ قَبلَ أنْ يُفيضُوا[4] فِي طَاعَتِكَ[5]، وَذَلِكَ أنَّ

---

(١) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤ : ٧.

(٢) رياض السالكين ٥ : ٢٢٩.

(٣) في (ك) زيادة: «فيه».

(٤) في (س): «أفاضوا في الحديث: أي اندفعوا فيه». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٣)، وأفاض في الأمر: دخل فيه.

(٥) في (ق) (ت): «في شكرك».

سُنَّتَكَ[١] الإفْضَالُ، وَعادَتَكَ الإحْسَانُ، وَسَبِيْلُكَ العَفْوُ. فكُلُّ[٢] البَرِيَّةِ مُعْتَرِفَةٌ[٣] بأنَّكَ[٤] غَيْرُ ظالِمٍ لِمَنْ عَاقَبْتَ، وَشَاهِدَةٌ[٥] بأنَّكَ مُتَفَضِّلٌ عَلَى مَنْ عَافَيْتَ[٦]، وَكُلٌّ[٧] مُقِرٌّ عَلَى نَفْسِهِ بالتَّقْصِيرِ عَمَّا اسْتَوجَبْتَ، فَلَوْلَا أنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ[٨] عَنْ[٩] طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ عاصٍ[١٠]، وَلَوْلَا أنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ البَاطِلَ في مثالِ الحَقِّ[١١] مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيْقِكَ ضَالٌّ[١٢].

وفي هذا المقطع ترقّ عمّا تقدم من الاستطاعة في الشكر اختياراً وامتناعاً؛ وذلك لأن الفضل الإلهي قد عمّ العباد قبل العمل بالتقدير الإلهي للثواب على الاعمال، وقد ملك الله أمر العباد قبل أن يملكوا الاستطاعة ويتمكنوا من العمل، وأعد سبحانه الثواب قبل ان يباشروا بالطاعات، وذلك نابع من الذات المقدسة الّتي هي الرحمة المطلقة، وأشار إلى ثلاث من الصفات الإلهيّة، وهي:

١ ـ الافضال، أي التفضّل بما لا ملزم له من العطاء، وهو سنّة إلهيّة شاملة في الكون.

---

(١) السُنَّة: الطريقة والسيرة.
(٢) في حاشية (ج) (د): «وكلّ ـ س».
(٣) في (ك) (ش) (ق) (ت): «معترفٌ».
(٤) في (ش): «أنك».
(٥) في (ك) (ش) (ق) (ت): «وشاهدٌ».
(٦) في (ت): «من عاقبت».
(٧) في (ت): «فكلّ»، وفي (ك) (ش): «وكلهم».
(٨) في (ش): «يخدعهم»، أي يغشّهم.
(٩) في (ك): «من».
(١٠) في (ك) (ش): «ما عصاك أحد».
(١١) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَوْلَا أنَّهُ يُصَوِّرُ لَهُمْ البَاطِلَ عَلَى صُوْرَةِ الحَقِّ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَوْلَا أنَّهُ يُصَوِّرُ لَهُمْ البَاطِلَ في صُوْرَةِ الحَقِّ».
(١٢) لم ترد في (ت): «ضال».

٢ ـ الإحسان إلى الفضل الحسن في ذاته، وهي عادة تنبع من الذات المتصفة بالحسن..

٣ ـ العفو، أي ترك المؤاخذة على الذنب المستحق للعقاب، وهو من صفات الذات المقدسة.

فإن كلّاً منها من آثار الفضل الإلهي المعروفة قبل تحقق موجباتها في الخلق، ويدل على هذه السنة الإلهيّة النافذة اقرار الخلق من وجوه:

١ ـ بأن العقاب ليس ظلماً؛ لأنه استحقاق على المعصية.

٢ ـ وأن العافية من المكروه ـ دنيوياً كان أو اخروياً ـ فضل منه تعالى.

٣ ـ وان الإنسان مهما حاول في أداء الواجب، فهو مقصّر عن أداء الدور الحقيقي المطلوب منه، والسبب الحقيقي في الانزلاق إلى المعاصي هو الشيطان الرجيم الذي يصورّ الباطل حقاً، فتلتبس الحقيقة على الإنسان، ويضل عن الطريق.

اللهم أرنا الحق حقّاً كي نتبعه، والباطل باطلا كي نتجنّبه، آمين رب العالمين.

[٥/٣٧ ـ الكرم الشامل]:

فَسُبْحَانَكَ[(١)]!! ما أبْيَنَ كَرَمَكَ فِي مُعَامَلَةِ مَنْ أطَاعَكَ أو عَصَاكَ[(٢)]؟ تَشْكُرُ لِلْمُطيعِ[(٣)] ما أنْتَ تَوَلَّيتَهُ لَهُ[(٤)] وَتُمْلِي[(٥)] لِلعَاصِي فِيمَا تَمْلِكُ مُعَاجَلَتَهُ فِيهِ، أعْطَيْتَ كُلّاً مِنْهُمَا مَا لم

---

(١) في (ت): «سبحانك».

(٢) في (ش) العبارة هكذا: «ما أبْيَنَ كَرَمَكَ فِي مُعَامَلَةِ مَنْ عَصَاكَ أو أطَاعَكَ».

(٣) في حاشية (ج) (د): «يشكر المطيع ـ س».

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «على ما أنت توليه»، وفي (ك) العبارة هكذا: «ما أنت توليه».

(٥) في (س): «أملى الله له: أي أمهله وطوّل له». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٣، والإملاء: التأخير والإمهال.

يَجِب لَهُ[١]، وَتَفَضَّلْتَ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا بِمَا يَقْصُرُ[٢] عَمَلُهُ عَنْهُ[٣].

وفي هذا المقطع إشارة إلى أن الفضل الإلهي هو الكرم الحقيقي الشامل الذي لا يدخل فيه شائبة الحب والبغض بالمقاييس الّتي يتصورها الإنسان المادي، فإن الكرم الإلهي شامل لجميع الخلق سواءً في ذلك المطيع والعاصي، فإنّ استحقاق العاصي للعقاب لا يمنع عن هذا الكرم الشامل، ولذلك فهو يشمل الطائفتين:

الأولى: من اطاع الله سبحانه، وهذا الكرم شكر على طاعته بالعمل الذي اتى به، وقوله: (أنت تولّيته له) يعني أنت قمت به لأجله، فيكون المطيع للكرم مورداً ومحلّا.

الثانية: من عصى الله سبحانه، فهذا الكرم لاجل إعطاء الفرصة له للتوبة من معصيته، والله يملك معاجلته ـ أي التسرع في العقاب على المعصية-، فيكون الاهمال كرماً منه تعالى.

وبالنتيجة: يكون كل من المطيع والعاصي قد شمله الكرم الإلهي وان كان كل واحد منهما غير مستحق لهذا الكرم، أما المطيع فلقصور العمل عن ان يتساوى مع الكرم الإلهي؛ فإن أعمال العباد كلها قاصرة عن المكافئة، واما العاصي فلمقام عصيانه.

وقد شملهما معاً الكرم الإلهي بالفضل الواسع وإن قصرت أعمالهما طاعة في المطيع وعصياناً في العاصي.

وأما المطيع:

---

(١) في (ق) (ت): «أعطيت كلاً منهم ما لا يجب له».
(٢) في حاشية (ج) (د): «يقُصر، يقصِر ـ معا، س».
(٣) في (ش): «عَنْهُ عَمَلُهُ».

فإنه لا تكافؤ بين عمل المطيع وبين فضل الله سبحانه، وقد أشار هذا المقطع إلى عدم التكافؤ من نواح ثلاث، هي:

١ ـ مدة العمل من العبد، ومدة الثواب من الله.

٢ ـ قيمة العمل، وقيمة الثواب.

٣ ـ أسباب العمل، وأسباب الثواب.

[٦/٣٧ ـ مدة العمل]:

وَلَوْ كَافأتَ المُطيعَ عَلَى مَا أنْتَ تَوَلَّيْتَهُ[١] لأوَشَكَ[٢] أنْ يَفْقِدَ ثَوابَكَ، وأنْ تَزُوْلَ عَنْهُ نِعمَتُكَ، وَلَكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازَيْتَهُ[٣] عَلَى المُدَّةِ القَصِيْرَةِ الفَانيَةِ بالمُدَّةِ الطَوِيْلَةِ[٤] الخَالِدَةِ، وَعَلَى الغَايَةِ الْقَرِيْبَةِ الزَّائِلَةِ بالغَايَةِ المَدِيدَةِ[٥] البَاقِيَةِ.

فإن مدة العمل من الطاعات الّتي يؤدّيها الإنسان في الحياة، وتختص بقسم قليل من حياته في الدنيا الفانية، فهي مدة قليلة قصيرة إذا ما قيست بالحياة الُاخرى الّتي هي طويلة وخالدة، فلا تكافؤ بين المدّتين، لأن الحياة الدنيا لها غاية هي الموت، وبها تنتهي الحياة الدنيا، والغاية في الحياة الآخرة أزلية باقية مديدة، وكذلك الثواب فيها، فلا تكافؤ بين الطاعة في الدنيا والثواب في الآخرة؛ لانقطاع الطاعات في الدنيا حيث هي دار عمل، ودوام الثواب في الآخرة لخلود الثواب فيها.

---

(١) في (ك) زيادة: «له بالسواء». وتوليتهُ: تقلدتهُ وقمتَ بهِ.

(٢) وفي (س): «قد أوشك فلان: أي أسرع، ووشك البين: سُرعَةُ الفراق». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٣).

(٣) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وأنْ تَزُوْلَ عَنْهُ نِعَمُكَ، وَلَكِنَّكَ جَازَيْتَهُ».

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «جَازَيْتَهُ عَلَى المُدَّةِ القَصِيْرَةِ الفَانيَةِ على المُدَّةِ الطَوِيْلَةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «جَازَيْتَهُ عَلَى المُدَّةِ القَصِيْرَةِ الفَنا بالمُدَّةِ الطَوِيْلَةِ».

(٥) المديدة: الطويلة.

[٧/٣٧ ـ قيمة العمل]: .

ثُمَّ لَمْ تَسُمْهُ[١] القِصَاصَ فِيْمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّذِي تَقوّى[٢] بِهِ عَلَى طَاعَتِكَ.

ولا تكافؤ أيضا بين قيمة العمل الذي يقوم به العبد في الدنيا من الطاعات وبين فضل الله سبحانه على العبد في الدنيا، وقوله: (لم تسمه القصاص) أي لم ترد منه القصاص أي المحاسبة بأن تحسب له من الرزق ما يعادل ما يقوم به من الطاعة، فإن الطاعة عمل لها قيمتها، وما رزقه الله سبحانه عمل له قيمته، ولولا ما رزقه الله من الصحة والسلامة والقدرة والاختيار وما يؤول إليها ويترتب عليها لما تمكّن الإنسان من الطاعة.

والمحاسبة بين قيمة الطاعة وقيمة الرزق تظهر أنّ ما رزقه الله سبحانه اكثر قيمة وأهمية من ناحيتين:

الأولى: أهمية الصحة والسلامة وما شابه من مستلزماتهما على الطاعة؛ اذ لولا الصحة لما تمكن من الطاعة.

الثانية: الوقت، فإن الصحة تمتد وقتها بما قبل البدء بالطاعات من مراحل الطفولية، بل ما قبلها أيضاً، والطاعة لا تكون إلّا في اوائل البلوغ وما بعده.

وبالنتيجة: لا يكون تكافؤ بين طاعة العبد وفعل الله:

أما من حيث الأهمية فلا يمكن أن ننكر اهمية الصحة والسلامة على العمل.

وأمّا من حيث الوقت، فلو فرض التكافؤ في وقت العمل فيبقى ما تقدم على وقت العمل قبل مرحلة البلوغ فضلاً من الله سبحانه غير مكافئ للطاعة.

---

(١) قوله: «لم تسمه»، من وسم يسم: إذا جعلَ فيهِ علامة يعرف بهِ، وتسمه: تلزمهُ وتطالبهُ، و«لم تسمهُ القصاص»: لم تحبس عليهِ من الجزاء مثل ما أكلَ من رزقِكَ.

(٢) كذا في (ك) (ش) (ت)، وفي غيرها: «يقوى».

ولذلك لم يرد الله سبحانه من العبد القصاص ـ أي المحاسبة على الرزق الذي به يتقوّى به على الطاعات-؛ لأن مع المحاسبة يكون العبد مغبوناً لعدم التكافؤ في القيمة الماديّة والروحية بين عمل الإنسان وفضل الله تعالى.

[٨/٣٧ ـ أسباب العمل]:

وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى المُناقَشَاتِ(١) فِي الآلاتِ(٢) الَّتي تَسَبَّبَ(٣) بِاسْتِعْمَالِها إلى مَغْفِرَتِكَ.

وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِ، لَذَهَبَ بِجَمِيعِ(٤) مَا كَدَحَ(٥) لَهُ، وَجُمْلَةِ مَا سَعَى فِيهِ، جَزَاءً لِلصُّغْرَى مِنْ أيَادِيكَ وَمِنَنِكَ، وَلَبَقِيَ(٦) رَهِيناً(٧) بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ.

---

(١) في (ك) (ش): «المناقشة»، وفي حاشية (د): «المناقشات: الاستقصاء في الحساب»، وفي (س): «المناقشة: الاستقصاء في الحساب، وفي الحديث: (من نوقش في الحساب عُذّب)». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٣)، وقال السيد الخرسان: وكان لفظ الحديث في المتن: «في الحساب»، وهو من سهو القلم، لأنّ مصادر الحديث وهي كثيرة لم يرد فيها حرف الجر «في»، بل كلّها بدونه. (راجع موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٨: ٥٨٥)، والمناقشة: الاستقصاء في الحساب.

(٢) الآلات: جمع آلة، وهي الأداة الّتي يعمل بها، يريد عليه السلام بالآلات: الجوارح والقوى الظاهرة والباطنة.

(٣) في (ك): «تسبّل».

(٤) في (ك) (ش): «جميع».

(٥) في (س): «الكدح: العمل والسعي والكسب، يقال: هو يكدح في كذا أي يكدُّ». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٣).

(٦) لم ترد في (ق): «لبقي».

(٧) في (ك) العبارة هكذا: «ما كدح له، ولصارت جملة ما سعى جَزَاءً لِلصُّغْرَى مِنْ مِنَنِكَ، وَلَبَقِيَ رَهْناً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ما كدح له وجملة ما سعى جَزَاءً لِلصُّغْرَى مِنْ مِنَنِكَ، وَلَبَقِيَ رَهْناً».

فَمَتَى كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ثَوابِكَ ؟ لَا ، مَتَى؟!![١]

هَذا[٢] **ـ يا إلهي ـ حَالُ مَنْ أطَاعَكَ، وَسَبِيْلُ مَنْ تَعبَّدَ لَكَ .**

ولا تكافؤ في اسباب العمل بالطاعات الّتي يؤدّيها العبد والفضل الذي يتفضل به الرب، فإنّ الاسباب وان كانت اختيارية للعبد ولكن واهب الاختيار هو الله سبحانه، فإن المناقشة أي الاستقصاء في الحساب للأسباب والالآت الّتي استعملها الإنسان للوصول إلى المغفرة ترجع إلى فضيلة الاختيار، وهي غير اختيارية.

وبالنتيجة: لو حصل شيء من ذلك لما أمكن التكافؤ بين عمل العبد وفضل الرب سبحانه، حيث ان جميع طاعات العبد لا تساوي صغرى منح الله سبحانه على العبد كالصحة والسلامة.

بل يكون الامر بالعكس، فيكون العبد مقصراً رهيناً مديناً بالنسبة إلى ما لم يقم به تجاه سائر النعم الّتي أنعم الله بها عليه من نعمة العقل والقدرة وغيرها.

وعليه: لا يستحق العبد شيئاً من الثواب لمكان تقصيره أو قصوره.

وقوله: «لا ، متى» انكار ابطالي، أي متى كان يستحق ذلك حتى يحتمل التكافؤ، كلا لم يستحق ذلك قط.

[٩/٣٧ ـ وأما حال العاصي]:

فَأمَّا[٣] **العَاصِي أمْرَكَ، والمُواقِعُ**[٤] **نَهْيَكَ، فَلَمْ**

---

(١) أي إذا كان الأمر هكذا، فمتى كان يستحق؟. و«متى» ظرف يكون استفهاماً عن زمان فعل فيهِ أو يفعل، وليس الاستفهام هنا على حقيقتهِ، بل الغرض منهُ استبعاد كونهِ مستحقاً للثواب حينئذ، و«لا» في قولهِ: «لا ، متى» نافية، ومفادها إمّا النفي صريحاً. أو الاحتراز عمّا قد يتوهم من أن الاستفهام على صرافتهِ فجاء بالنفي نصاً على المقصود. وقولهُ: «متى» استفهام انكار مستأنف. (رياض السالكين ٥ : ٢٥٩)، وقد تقدم نظيره في الدعاء الأول، المقطع (١١)، فراجع.

(٢) في (ك): «فَهذهِ»، وفي (ش): «هذهِ».

(٣) في (ك): «وَأما».

(٤) واقع الذنب: ارتكبهُ وخالطهُ.

تُعَاجِلْهُ(١) بِنَقِمَتِكَ(٢)، لِكَي(٣) يَسْتَبْدِلَ بِحَالِهِ فِي مَعْصِيَتِكَ حَالَ الإنَابَةِ إلى طَاعَتِكَ، وَلَقَدْ كَانَ يَسْتَحِقُّ(٤) فِي أوَّلِ مَا هَمَّ(٥) بِعِصْيَانِكَ كُلَّ مَا أعْدَدْتَ لِجَمِيعِ خَلْقِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَجَمِيعُ(٦) مَا أخَّرْتَ(٧) عَنْهُ مِنَ وَقْتِ(٨) إسْتِيجَابِهِ(٩) العَذَابِ(١٠)، وَأبْطَأْتَ(١١) بِهِ عَلَيْهِ مِنْ سَطَوَاتِ(١٢) النَّقِمَةِ(١٣) والعقاب(١٤) تَرْكٌ مِنْ حَقِّكَ(١٥)، وَرِضًى(١٦) بِدُونِ(١٧) وَاجِبِكَ.

وأما العاصي فلا تكافؤ بين ارتكابه للمعصية وبين فضل الله سبحانه أيضاً، وذلك لأمرين:

الأول: إن العدل يقتضي العقاب مباشرة حين العصيان وارتكاب النهي،

---

(١) عاجلهُ في النقمة: أي انتقمَ منهُ وعاقبهُ من غير إمهال.
(٢) في حاشية (ج): «بِنِقْمَتِك، بِنَقِمَتِكَ ـ معا».
(٣) في (ت): «لكن».
(٤) في (ك) (ش) زيادة: «يا إلهي».
(٥) في (ق): «في أول ما يستحق».
(٦) في حاشية (ج) (د): «بجميع ـ س».
(٧) في حاشية (ك): «استحار».
(٨) كلمة: «وقت» من (ك) (ش) (ق)، وفي حاشية (د): «وقت ـ س».
(٩) كلمة: «استيجابه» من (ق) فقط.
(١٠) عبارة: «مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَجَمِيعُ مَا أخَّرْتَ عَنْهُ مِنَ وَقْتِ إسْتِيجَابِهِ العَذَابِ» لم ترد في (ت).
(١١) في حاشية (ج) (د): «وبطّأت ـ س».
(١٢) في (ق): «سطواتك»، والسطوات: جمع سطوة، وهي البطش والأخذ بعنف وشدة.
(١٣) في (ج): «النِقمة»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «النِقمَة، النَقْمَة ـ معا».
(١٤) لم ترد في (ق) (ت): «والعقاب».
(١٥) في (ت) العبارة هكذا: «فَتَرْكت من حَقِّكَ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «فَتَرْكت حَقِّكَ»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «النَّقْمَةِ، فَتَرْكٌ مِنْ حَقِّكَ».
(١٦) في (ق) (ت): «ورضيت»، وفي حاشية (ج): «ورضى، ورضاً».
(١٧) في حاشية (ج) (د): «فتَرْكتَ مِنْ حَقِّكَ، وَرضَيت بِدُونِ وَاجِبِكَ ـ س».

والفضل يقتضي عدم العجلة بالنقمة وامهاله حتى يتمكن من التوبة والرجوع إلى الحق؛ فإنه لولا هذا الإمهال لما تمكن العاصي من ان يستبدل حالة المعصية بالإنابة والرجوع إلى الطاعة، فالفضل الإلهي الشامل لهذا العاصي هو أوضح من حال المطيع.

الثاني: ان العقاب حق إلهي، وتأخيره تأخير للحق بعد تحقّقه، بيان ذلك: ان العاصي بعصيانه قد اقدم عن علم وعمد على المعصية وهو عالم بما اوعد الله سبحانه على العصيان من العقاب، فقد ثبت الحق عليه حين المباشرة بالعصيان، وتأخير استيفاء هذا الحق من صاحب الحق تعالى هو فضل موجب للشكر عليه، حيث انه رضي بما هو أدون وأقل من الواجب، وهو العقوبة حين التلبّس.

[١٠/٣٧ ـ الكرم الحقيقي]:

فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ ـ يا إلهي ـ[١]؟، وَمَنْ أَشْقَى مِمَّن هَلَكَ عَلَيْكَ؟ لا، مَنْ؟!![٢]

فَتَبَارَكْتَ[٣] أَنْ تُوصَفَ إلَّا بالإحْسَانِ، وَكَرُمْتَ[٤] أَنْ يُخَافَ مِنْكَ[٥] إلَّا العَدْلُ[٦].

لَا يُخْشَى جَوْرُكَ عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يُخَافُ إغْفَالُكَ ثَوابَ مَنْ أرْضَاكَ.

---

(١) في (ك) (ش) (ق) (ت) العبارة هكذا: «فَمَنْ أَكْرَمُ ـ يا إلهي ـ مِنْكَ؟».

(٢) «لا، مَنْ؟» أي لا أحد أكرمَ منكَ، ولا أحد أشقى مِمَّن هلكَ عليْكَ، وقد تقدّم نظيره في الدعاء الأول، المقطع (١١)، فراجع.

(٣) في (ك): «تباركت».

(٤) في (ك) (ش) زيادة: «عن».

(٥) لم ترد في (ت): «منك».

(٦) في (ق) (ت): «بالعدل».

فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهب لِي أَمَلِي، وَزِدنِي مِن هُدَاكَ مَا أَصِلُ بِهِ إِلَى التَّوفِيقِ فِي عَمَلِي، إِنَّكَ مَنَّانٌ كَرِيمٌ[1].

فالفضل الشامل من الله سبحانه كرم حقيقي يَعُمّ جميع الناس؛ المطيع والعاصي كلّ حسب حاله، وهذا الكرم الحقيقي لا يكون الا من الله سبحانه الذي لا أكرم منه؛ لأنه يختص بصفات مقدسة، ومنها:

١ ـ الإحسان.

٢ ـ العدل.

٣ ـ الأمن من الجور من قبله.

٤ ـ الأمل في الثواب منه.

ومن توجّه إلى الذات المقدسة فإنه لا يعدم من نقاط يفتقر إليها كل انسان في الحياة، هي:

١ ـ الأمل «هب لي أملي».

٢ ـ الهداية «زدني من هداك»

٣ ـ التوفيق في العمل.

والله وحده المسؤول في تحقيق ذلك كله، إنّه هو المنان الكريم.

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «فصلّ على محمّد وآله... إلى آخر الدعاء».

[الدُّعاءُ الثامن والثلاثون]

وكان من دعائِهِ عليه السلام في الاعتِذارِ مِنْ تَبِعاتِ العِبادِ وَمِنَ التَّقْصيرِ في حُقُوقِهِم وفي فِكاك رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ[1]

[١/٣٨ ـ دعاء الاعتذار]:

أللّهُمَّ إنّي أعْتَذِرُ إليْكَ مِنْ مَظْلُومٍ[2] ظُلِمَ بِحَضْرَتِي[3] فَلَمْ أنْصُرْهُ.

وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسديَ إلَيَّ[4] فَلَمْ أشْكُرْهُ.

وَمِنْ مُسِيىءٍ اعْتَذَرَ إليَّ فَلَمْ أعْذِرْهُ[5].

وَمِنْ ذِي فاقَةٍ سَألَني فَلَمْ أُوثِرْهُ.

---

(١) ورد هذا الدعاء في (ك) بالرقم (٨) وعنوانه: «ومن دعائهِ عليه السلام في الاعتِذارِ»، وفي (ش) بالرقم (١٠) وعنوانه: «ومن دعائهِ عليه السلام في الاعتذارِ من ذنوب ذكرها»، وفي (ج) بعنوان: «الثامن والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام في الاعتِذارِ مِنْ تَبِعاتِ العِبادِ وِمِنَ التَّقْصيرِ في حُقُوقِهِم وفي فِكاك رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ»، وفي (ق) بعنوان (السابع والثلاثون) وتحته عنوان: «في الإعتذار»، وفي (ت) بعنوان (الثامن والثلاثون) وتحته عنوان: «في الخوف من النار»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٢٥)، بعنوان: «دُعاؤهُ في الاعتِذارِ مِنْ تَبِعاتِ العِبادِ».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «إليْكَ أللّهُمَّ أعْتَذِرُ مِنْ مَظْلُوم».

(٣) أي بمشهد منِّي.

(٤) في (ش) العبارة هكذا: «أُزل اليّ»، وأُسْدِيَ إليَّ: أي أُعطيَ لي.

(٥) «لم أعذره»، أي لم أقبل عذرهُ، ولم أرفع اللّوم عنهُ.

[وَمِنْ شَيْخٍ مُؤمِنٍ عَاشَرَنِي[١] فَلَمْ أُوَقِّرْهُ][٢].

وَمِنْ حَقِّ ذِي حَقٍّ[٣] لَزِمَنِي لمؤمنٍ[٤] فَلَمْ أُوَفِّرْهُ[٥].

وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِنٍ[٦] ظَهَرَ[٧] لِي، فَلَم أسْتُرْهُ.

ومِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِي فَلَمْ أهْجُرْهُ.

أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ ـ يا إلهي ـ مِنْهُنَّ ومِنْ نَظَائِرِهِنَّ، إِعْتِذَارَ نَدَامَةٍ يَكُونُ وَاعِظاً[٨] لما[٩] بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ.

يتضمن هذا الدعاء بيان المسؤوليات الاجتماعية الّتي يهملها الإنسان قصوراً أو تقصيراً حيث يحتّم الواجب الإسلامي القيام بها، وحيث قد فات أوان القيام بالمسؤولية، فلم يبق أمام الإنسان سوى التوبة والاعتذار إلى الله سبحانه منها ومن تبعاتها الّتي لا تدخل تحت عدّ وحصر.

وقد أشار في هذا الدعاء إلى موارد منها كانت بمشهد ومرأى من الداعي، وأما ما لم يكن له علم بها او خرجت عن الطاقة، فالعذر فيها معها، والموارد الّتي لم يقم الإنسان فيها بالواجب، هي:

---

(١) في (ت): «عاشرت».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ك) (ق) (ت)، وفي (ش) العبارة هكذا: «ومن شيخ اسلام عَاشَرَنِي فَلَمْ أُوَقِّرْهُ».

(٣) لم ترد في (ق) (ت): «ذي حقّ».

(٤) لم ترد في (ك) و(ش): «لمؤمن».

(٥) في (ت): «فلم أؤفره»، ولعل الكلمة: «أؤثره»، ولم أُوَفِّرْهُ: أي لم أُوفِّهِ إيَّاهُ.

(٦) في (ك) (ش): «مسلم».

(٧) في (ق) (ت): «ظاهر».

(٨) الوعظ: زجر مقترن بتخويف، والمراد: واعظاً لما يكون في المستقبل من أشباه السيئات المذكورة.

(٩) في (ك) (ش): «عمّا».

١ ـ نصر المظلوم.

٢ ـ الشكر على المعروف، والإسداء: هو الاعطاء.

٣ ـ قبول عذر المسيئ.

٤ ـ الايثار للسائل ذي الفاقة، والايثار: هو تقديم الغير على النفس.

٥ ـ توقير ذي الحق اللازم.

٦ ـ ستر عيب المؤمن.

٧ ـ هجر الاثم المعارض.

فإن القصور والتقصير في هذه الموارد واشباهها يفتقر إلى الاعتذار إلى الله حيث فات وقت العمل، ولا ينفع الآن سوى الندامة الصادقة الواعظة الّتي تقي الإنسان من ان يقع في اشباه ذلك في حياته في المستقبل.

[٢/٣٨ ـ الندم على الزلّات]:

فصَلِّ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٢]اجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فِيْهِ[٣] مِنَ الزلَّاتِ[٤]، وَعَزْمِي[٥] عَلَى تَرْكِ مَا يَعْرِضُ لِي مِنَ السّيّئَاتِ[٦]، تَوْبَةً[٧] تُوْجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ، يَا مُحِبَّ التَوَّابِينَ.

وهذه الندامة الصادقة على ما وقع فيه الإنسان من الزلّات المشار إليها لا تؤثر إلّا بتوفيق من الله تعالى، بأن يكون العزم جازماً على ترك السيئات كافة في

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «بتفضّل يا إلهي»، ولعل العبارة: «فتفضّل يا الهي»، وفي (ق) زيادة: «يا إلهي».

(٢) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٣) في (ش): «وقعت به».

(٤) في (ك) زيادة: «وَإعْرَاضِي عَمَّا يَعنُّ لِي مِنَ السَّيِّئَاتِ».

(٥) في حاشية (ج) (د): «وعزمتي ـ س».

(٦) في (ك): «الشبهاتِ».

(٧) لم ترد في (ش) (ت): «توبة».

مستقبل الإنسان، وأن يجعل الله سبحانه هذه الندامة والعزم توبة مقبولة لما سبق، والتوبة المقبولة هي التي توجب محبة الله سبحانه.

وقد ختم الدعاء بالاشارة إلى السبب المقتضي لقبول الاعتذار، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] فإن حبّ التوبة يقتضي قبولها ممّن أتى بها، فإذا كانت الندامة توبة فقد تحقق الموضوع لأنها توجب محبّة الله تعالى.

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٢٢.

[الدُّعاءُ التاسع والثلاثون]

وكانَ مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي طلب العفو والرحمةِ[1]

[١/٣٩ ـ طلب العفو والرحمة]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[2] اكْسِرْ شَهْوَتِي عَنْ كُلِّ مَحْرَمٍ[3]، وأزْوِ[4] حِرْصِي[5] عَنْ كُلِّ مَأْثَمٍ[6]، وَأمْنَعْنِي عَنْ أَذَى كُلِّ مُؤمنٍ وَمُؤمِنَةٍ وَ[7] مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

حيث ان العفو يتعقب إثما يعرفه الإنسان أو سيئة يبتليه بها الشيطان، استفتح لدعاء بالحصانة من الله من الأسباب الغالبة الداعية إلى الآثام أو ما تسبّب إلى لسيئات، وخص منها:

---

١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٩) وعنوانه: «ومن دعائهِ عليه السلام في الاقالة»، وورد في ملحق (ش) في الصفحة (١٩٥) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «التاسع والثلاثون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام في طلب العفو والرحمةِ»، وفي (ق) بعنوان: (الثامن والثلاثون) وتحته عنوان: «في طلب العفو»، وفي (ت) بعنوان: (التاسع والثلاثون) وبدون عنوان آخر، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٣٩)، بعنوان: «دُعاؤهُ في طلب العفوِ».

٢) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

٣) المحرم: الحرام، والممنوع منهُ شرعاً، وفي بعض النسخ: «محرّم» وهو اسم مفعول من حرَّمَ الله الشيء تحريماً: إذا منعَ منهُ. (رياض السالكين ٥: ٣٠٥).

٤) في حاشية (ج): «أي أقبض»، وزويت الشيء: جمعتهُ وقبضتهُ. والحرص: فرط الرغبة والإرادة، وقيل: طلب الشيء بإجتهاد.

٥) في (ق) (ت): «وجهي».

٦) المأثم، هو الذنب، وقيل: الأمر الذي يأثم بهِ الإنسان، أي يقع بهِ في الإثم.

٧) لم ترد عبارة: «مؤمن ومؤمنة و» في (ك).

١ ـ الشهوات، وهي رغبة النفس الإنسانية إلى ما منعت منه من المحرمات.

٢ ـ الحرص على المآثم، أي الذنوب، والزوي: بمعنى التنحية عنها.

٣ ـ الأذى، وهو فعل ما يكرهه الآخرون، وخص منهم أربع طوائف، هم: المؤمن والمؤمنة؛ لتكامل العقيدة فيهما. والمسلم والمسلمة ممن أقرّ بالشهادتين، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[1].

وهذه الأسباب الثلاثة يترتب بعضها على الآخر بالترتيب:

فأولى المراتب هي الشهوة والرغبة، الّتي تزيّنها النفس الامارة بالسوء، وتجعل الإنسان متوجّها إلى ما منع عنه من المحرمات، فإذا تمكن الإنسان من الغلبة على هذه الرغبة التي هي في نفسها غير محرمة لم يقع في إثم.

والمرتبة الثانية: هي الوقوع في المآثم بالحرص عليها بعد ان رغب فيها، وهذه المرتبة تفتقر إلى قوة تنحّي الإنسان عن هذا الحرص، لئلا يقع في المآثم.

والمرتبة الثالثة والأخيرة: هي الوقوع في الذنب الذي يكون أذىً بما يكره الآخرين باختلاف طوائفهم، فإن آثار الذنوب لا تختص بالإنسان وحده بل تتعدى إلى غيره من أفراد المجتمع، فمثلا الكذب محرّم، لو تلبّس به الإنسان لاستحق في نفسه العقوبة على المعصية، ولكن أثره يتعدّى إلى عدم الثقة به في الأسرة، ومن ثَمَّ المجتمع المرتبط به مباشرة، حيث يسلب الثقة عنه ويوجب الأذى لهم من إهمال ما قد يترتب على قوله، وكذلك المجتمع غير المرتبط به؛ فإن الكذب في المعاملة من أهل طائفة أو بلدة تؤثّر على سمعة التعامل مع الآخرين مع أفراد وأهل تلك الطائفة، وأهل تلك البلدة، فيكون الكاذب بحكم الدعاية السيئة قد أساء بالنسبة إلى نفسه وأيضاً بالنسبة إلى المجتمع الذي ينتمي إليه.

[٢/٣٩ ـ العفو عن الناس]:

أللّهُمَّ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ[2] وَانْتَهَكَ مِنِّي مَا

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحُجُرات ٤٩: ١٤.

(٢) في (ت): «حضر عليه»، والحظر: المنع. وعدّاه «بعلى» لتضمّنهِ معنى التحريم، أي حظرته عليه. وفي (س): «الحجر: الحرام يكسر ويضم ويفتح، وقرئ بهنّ في قوله =

حَجَرْتَ(١) عَلَيْهِ، فَمَضَى بِظُلَامَتِي(٢) مَيِّتاً، أَوْ حَصَلَتْ لِي قِبَلَهُ(٣) حَيَّاً، فَأغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَّ(٤) بِهِ مِنِّي، وَأعْفُ لَهُ عَمَّا أَدْبَرَ بِهِ(٥) عَنِّي، وَلَا تَقِفْهُ عَلَى مَا(٦) ارْتَكَبَ فِيّ(٧)، وَلَا تَكْشِفْهُ(٨) عَمَّا اكْتَسَبَ بي(٩)، وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ العَفْوِ عَنْهُمْ(١٠)، وَتَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ [فِي](١١) أَزْكَى صَدَقَاتِ المُتَصَدِّقِينَ، وَأَعْلَى صِلَاتِ(١٢) المُتَقَرِّبِينَ(١٣).

وَعَوِّضْنِي مِنْ(١٤) عَفْوِي عَنْهُمْ عَفْوَكَ، وَمِنْ دُعَائِي لَهُمْ رَحْمَتَكَ، حَتَّى يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِفَضْلِكَ، وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنَّا بِمَنِّكَ.

تعالى: ﴿حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ (سورة الفرقان ٢٥: ٢٢) أي يقول المشركون يوم القيامة إذا رأوا ملائكة العذاب: «حجراً محجوراً» أي حراماً محرّماً، يظنون أنّ ذلك ينفعهم كما كانوا يقولون في الدنيا لمن يخافونه في الشهر الحرام». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٨).

(١) في (ت): «حجزت»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «حجزت».

(٢) الظلامة: اسم لما يطلبهُ المظلوم من الظالم.

(٣) في (ت): «قَبْلَهُ»، وقِبَلَهُ: أي عندهُ، أي ثبتت لي ظلامتي عندهُ حال كونهِ حياً.

(٤) في (س): ««ألمَّ الرجل» من اللمم، وهي صغار الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٨)، و«ألمَّ بالذنب إلماماً»: فعلهُ، و«منّي»: أي من ظلمي.

(٥) أدبرَ بالشيء: ذهبَ به.

(٦) في حاشية (ج) في نسخة: «عمّا».

(٧) لم ترد في (ك) (ت): «فيّ».

(٨) في (ت): «ولا تكشفه على ما اكتسب بي»، ولا تكشفهُ: أي لا تفضحهُ.

(٩) لم ترد في (ك): «بي».

(١٠) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «عنه».

(١١) ما بين المعقوفتين من (ك) (ق) (ت).

(١٢) في (ك): «وصلات»، وهي جمع وصلة، وأصلها: من اتصال الأشياء بعضها ببعض، ثمّ استعملَ في العطاء.

(١٣) في (ق) (ت): «المقرّبين».

(١٤) في (ق) (ت): «عن».

يتضمّن هذا المقطع العفو عن الناس كخطوة عملية لينال الإنسان عفو الله؛ فإن طلب العفو من الله مع عدم العفو عن الناس يكشف عن تحكّم الاسباب الثلاثة من الشهوة والحرص والأذى في نفس الداعي، فلا يكون موجباً للعفو عنه ما دامه متلبساً بها.

وقد أشار في هذا المقطع إلى الآثام الّتي تغلب في المجتمع، فطلب العفو عن كل من تلبّس بها، وهي:

١ ـ اقتراف المحظور «نال مني ما حظَرت» كالغيبة المحرمة.

٢ ـ انتهاك الحرمة «انتهك مني ما حجرت» من التوبيخ والتوهين.

٣ ـ الظلامة، وهي ما يطلبه المظلوم من الظالم حال كونه ميتاً.

٤ ـ الظلامة للداعي عنده حالكونه حياً.

٥ ـ ما ألّم به من البلاء بسبب ظلامتي الّتي يعاقب عليها.

٦ ـ ما ادبر به عنّي من ضياع الحق الذي يعاقب عليه.

٧ ـ أن لا تقفه على ما ارتكب فيّ، أي لا تفاتحه بما ارتكب من المحظور شرعاً.

٨ ـ أن لا تكشفه، أي لا تفضحه بما اكتسب.

وبعد عفو الداعي عن حقوقه المشروعة، فإنه لا يبقى موضوع لهذه الآثام، فلا يستحق من ارتكبها عقاباً بسبب عفو صاحب الحق، ثم عقّب الداعي العفو عنهم بالدعاء لهم بأن يكون العفو صدقة زكيّة تكون صلة المتقربين إلى الله سبحانه، وبذلك يكون الداعي مستحقاً لرحمة الله سبحانه، فإنه أرحم الراحمين، والراحمون يرحمهم الرحمن.

وبالنتيجة، يكون العفو عن الناس سبباً لسعادة الناس المعفو عنهم، وأيضاً سبباً لسعادة الداعي الذي عفى عنهم، فتعمّ السعادة والنجاة الجميع بفضله تعالى.

[٣/٣٩ ـ عفو الناس عن الداعي]:

اللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا[(١)] عَبْدٍ مِنْ عَبِيدِكَ[(٢)] أَدْرَكَهُ مِنِّي دَرَكٌ[(٣)]، أَوْ مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَتِي أذىً، أَوْ لَحِقَهُ بِي[(٤)] أَوْ بِسَبَبِي ظُلْمٌ، فَفُتُّهُ[(٥)] بِحَقِّهِ، أَوْ سَبَقْتُهُ بِمَظْلَمَتِهِ[(٦)] فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[(٧)] أَرْضِهِ عَنِّي مِنْ وُجْدِكَ[(٨)]، وَأَوْفِهِ حَقَّهُ مِنْ عِنْدِكَ، ثُمَّ قِنِي[(٩)] مَا يُوجِبُ لَهُ حُكْمُكَ، وَخَلِّصْنِي مِمَّا يَحْكُمُ[(١٠)] بِهِ عَدْلُكَ، فَإِنَّ قُوَّتِي لَا[(١١)] تَسْتَقِلُّ[(١٢)] بِنَقِمَتِكَ، وَإِنَّ طَاقَتِي[(١٣)]

---

(١) في (ق) (ت): «اللهم، أيّما».

(٢) لم ترد في (ك) عبارة: «من عبيدك».

(٣) الدرك: ما يلحقُ الإنسان من التبعةِ والإثم، وفي (س): «الإدراك: اللحوق، يقال: مشيت حتى أدركته، والدَرَك: التبعة يسكّن ويحرّك، يقال: ما لحقك من دركٍ فعليَّ خلاصه». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٨).

(٤) في (ق) (ت): «أو لحقه فيّ».

(٥) الفوت: بُعد الشيء عن الإنسان بحيث يتعذّر عليهِ إدراكهُ.

(٦) قال السيِّد المدني: الأولى أن نجعل هذهِ الفقرة تأسيساً، بحمل الفقرة السابقة على الفوت بحقِّهِ في دار الدُّنيا، بأن يكون قد مات، أو يكون بعيد الدار فلا يمكن استرداد حقه، أو يكون ضعيفاً عن استرداده، والفقرة الثانية على السبق بالمظلمة إلى الدار الآخرة. أو بحمل «الحق» في الأُولى على غير المظلمة، كحقوق الأُخوة ونحوها، و«المظلمة» في الثانية على الحقِّ الذي ظلمهُ إياهُ من مال ونحوه. (رياض السالكين٥: ٣١٤).

(٧) لم ترد في (ك) عبارة: «فصلّ على محمّد وآله و».

(٨) في (ق): «بوجدك»، والوجد: الغنى والفضل.

(٩) أي قني ما يوجبُ للمظلوم حكمك.

(١٠) في (ت): «تحكم».

(١١) في (ق): «ما».

(١٢) في (ق): «يستقلّ»، وفي (ك): «تستقلّ» و«يستقلّ» معاً.

وفي (س): «استقلّ بالشيء: إذا تحمّله منفرداً، كما يقال: فلان استقلّ بالأمر، أي قام به وحده. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٨).

(١٣) في (ك): «طاعتي».

لَا تَنْهَضُ[١] بِسُخْطِكَ، فإنَّكَ[٢] إنْ تُكَافِنِي[٣] بالحَقِّ تُهْلِكْنِي، وإلَّا تَغَمَّدْنِي[٤] بِرَحْمَتِكَ تُوبِقْنِي[٥].

إنّ الإنسان قد يصاب بالأذى من الآخرين، وهو قد يصيبهم كذلك، سواءً علم بذلك أم لا، وقد أشار هذا المقطع أيضاً إلى ما يطلب من الآخرين، وذكر منها:

١ ـ الدرك، وهو ما يلحق الإنسان من العقوبة.

٢ ـ الأذى، ومس الأذى: إصابته بالمباشرة.

٣ ـ الظلم، وهو التعدي سواءً كان بالمباشرة أو بسبب غير مباشر.

٤ ـ فوات الحق، بأن يكون تفويته لحق الآخرين بحيث يتعذّر عليه الاستدراك.

٥ ـ سبق المظلمة، أي تعجيز الآخرين بحيث لا يمكن إدراك العدالة في الحكم.

فإن هذه الحالات تعرض الإنسان في الحياة سواءً كانت عن قصد وعمد أو عن جهالة وسهو؛ فإنها تستدعي العفو من أصحابها إن عرفوا ذلك، وأمكن ذلك، وفي حالة عدم معرفتهم أو عدم التمكن من ذلك، فينبغي التوجه إلى الله سبحانه بأمرين هما:

الأول: ان يرضيهم الله من وُجْده، أي غناه تعالى.

الثاني: ان يوفّيهم الله حقوقهم من عنده تعالى.

فإن بهذين الأمرين يجبر موارد الإصابة المشار إليها كلها.

وفي حالة الجهل بأصحاب الحقوق وعدم التمكن من جبر الكسر يكون

---

(١) في (ت): «لا ينهض»، وفي بعض النسخ: «تنهض» و«ينهض» معاً.

(٢) في (ك) (ت): «وإنك».

(٣) المكافاة: المجازاة، وأصلهُ بالهمز.

(٤) وإلَّا تغمدني: أي إن لم تتغمدني، وتغمدهُ الله برحمتهِ: غمرهُ وسترهُ بها.

(٥) توبقني: تهلكني.

الداعي نفسه مستحقاً لرحمة الله تعالى بالوقاية عن الحكم العادل والخلاص مما يستلزمه هذا الحكم وهو العقاب، وقد علل استحقاق الرحمة بضعف القوّة، حيث لا يستقل، أي لا يتحمل النقمة والسخط، حيث يستوجبها ما صدر منه، وهو المستلزم للهلاك. ومن ناحية أُخرى، فإن حالته المستعصية تستحق الرحمة الإلهيّة الّتي وسعت كل شيء[1].

[٣٩/٤ ـ عفو الله]:

أللّهُمَّ إنِّي أسْتَوْهِبُكَ ـ يا إلهي[2] ـ ما لَا يُنْقِصُكَ بَذْلُهُ، وأَسْتَحْمِلُكَ[3] ما لَا يَبْهَظُكَ[4] حَمْلُهُ[5]، أسْتَوْهِبُكَ[6] ـ يا إلهي ـ نَفْسِيَ الَّتي لَمْ[7] تَخْلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ، أوْ لِتَطَرِّقَ[8] بِهَا إلَى نَفْعٍ، وَلَكِن[9] أنشأْتَهَا إثْبَاتاً لِقُدْرَتِكَ[10] عَلَى مِثْلِها، واحْتِجَاجاً بِهَا عَلَى شِكْلِهَا[11].

---

(١) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

(٢) لم ترد في (ك) (ق): «يا إلهي».

(٣) في (ت): «ولا أستحملك»، والظاهر أنه شطب على: «لا»، واستحملك: أي أسألك أن تحمل عني ما لا يثقلك حمله.

(٤) في حاشية (ج): «أي يشق عليك».

(٥) بهظهُ الحمل: أثقلهُ، أي أسأَلُكَ أن تسقط عنِّي تبعات آثامي وذنوبي.

(٦) في (ت): «وأستوهبك».

(٧) في بعض النسخ: «لم» و«لا» معاً.

(٨) في (ت): «أو لتطرّف»، وفي حاشية (ج): «لتطرُّق ـ س»، أي لم تجعلهُ طريقاً لغرض يعود إليكَ من دفع ضرٍّ أو جلبِ نفع.

(٩) في (ق) (ت): «لكن» بدون واو.

(١٠) في (ك) العبارة هكذا: «أوْ لِتَتَطَرَقَ بِهَا عَلَى نَفْع، وَلَكِنَّكَ أنْشأْتَهَا إثْبَاتاً لِقُدْرَتِكَ».

(١١) شكلها: أي مثلها في الهيئة وتعاطي الفعل.

وأسْتَحْمِلُكَ مِنْ ذُنُوبِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ[١] عَلَى مَا قَدْ فَدَحَنِي[٢] ثِقْلُهُ، فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٣] هَبْ لِنَفْسِي عَلَى ظُلْمِهَا نَفْسِي، وَوَكِّلْ رَحْمَتَكَ[٤] بِاحْتِمالِ إصْرِي[٥]، فَكَمْ قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ[٦] بالمُسِيئِيْنَ؟!، وَكَمْ قَدْ شَمِلَ عَفْوُكَ الظَّالِمِينَ؟!.

يتضمن هذا المقطع عفو الله سبحانه في أُمور ثلاثة:

الأول: هبة النفس على الظلم الذي ارتكبته النفس، ولا خلاص من ذلك إلّا بأن يهب الله ذلك. وقد خلق الله النفس الإنسانية لمصلحة الإنسان نفسه اثباتاً لقدرته تعالى على الخلق من امثالها، وجعلها حجة على غيرها ممّا شاكلها في الهيئة والصورة «احتجاجاً بها على شكلها» ولم يخلقها الله تعالى لغرض يعود إليه تعالى من دفع ضرّ «تمتنع بها من سوء» ولا لجلب نفع «التطرق بها إلى نفع».

وعليه، فهبة النفس على الظلم الذي صدر ولا يمكن جبره الّا بعفو الله يكون حجة على الآخرين المشاكلين في الهيئة والصورة بقبول التوبة، وهذا مما لا ينقص شيئا من خزائن الله سبحانه إذا تفضل بها على العبد.

الثاني: حمل الذنوب الّتي بهض، أي ثقل حملها، وهي ليست كذلك بالنسبة إليه تعالى؛ لأنه مالك العفو، فحملها عن العبد تحت قدرته.

---

(١) في (ق): «وأستعينك».

(٢) في (ت) العبارة هكذا: «ما قد قدحني»، وفي (ك) (ق) العبارة هكذا: «ما فدحني»، وفي (س): «أمر فادح: إذا عَالَه وبهظه، فدحه الدين: أثقله. أمر فادح: أي شاق. س. فدحني، بمعنى أثقلني». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٨)، وفدحني: أجهدني.

(٣) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٤) في (ك): «لرحمتك».

(٥) في (س): «الإصر: الذنب والثقل». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٩).

(٦) عبارة: «بِاحْتِمالِ إصْرِي، فَكَمْ قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ» لم ترد في (ت).

الثالث: العون على ما اثقل من الذنوب، فالمستعان في ذلك الله سبحانه وحده، دون سواه، ورفع الإصر وهو الحمل الثقيل ـ لا يمكن إلّا برحمته تعالى بالعفو عن النفس على ظلمها بارتكاب الذنوب، والعبد في الحالة الّتي فيها لا خلاص له منها سوى عفو الله برحمته التي وسعت المسيئين والظالمين.

[٥/٣٩ ـ الأسوة الصالحة]:

فصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(١) اجْعَلْني أُسْوَةَ(٢) مَنْ قَدْ أَنْهَضْتَهُ ـ بِتَجاوُزِكَ ـ عَنْ مَصَارِعِ الخَاطِئِيْنَ(٣)، وَخَلَّصْتَهُ ـ بِتَوْفِيقِكَ ـ مِنْ وَرَطاتِ(٤) المُجْرِمِينَ، فأَصْبَحَ طَلِيقَ عَفْوِكَ مِنْ إِسَارِ سُخطِكَ(٥)، وعَتِيقَ صُنْعِكَ مِنْ وَثَاقِ(٦) عَدْلِكَ.

إِنَّكَ إنْ تَفْعَلْ ذَلِكَ [بي](٧) ـ يا إلهي ـ(٨) تَفْعَلْهُ بِمَنْ(٩) لَا يَجْحَدُ(١٠) إِسْتِحْقَاقَ عُقُوبَتِكَ، وَلَا يُبَرِّيُ نَفْسَهُ مِنِ اسْتِيجابِ

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».
(٢) في (س): «آسيته بمالي: أي جعلته فيه أُسوتي. أي مثلي مساوياً لي فيه. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٩)، والأُسوة: القدوة.
(٣) مصارع الخاطئين: موضع سقوط الخاطئين.
(٤) في (س): «الورطة: الهلاك». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٩)، والورطات، جمع ورطة: وهو الهلاك، وأصلها: الوحل تقع فيهِ الغنم فلا تقدر على التخلص، أي بليّات المجرمين الّتي يعسر الخروج منها.
(٥) كذا في (ك)، و(ر): «غضبك». والإسار: ما يشد ويوثق بهِ، كالحبل، وهو هنا استعارة، والسخط: ضد الرضا، وهو الغضب.
(٦) في حاشية (ج): «وِثاق، وَثاق ـ س».
(٧) ما بين المعقوفتين من (ت).
(٨) في (ت) (ق): «يا إلهي ذلك».
(٩) في (ك): «لمن».
(١٠) لا يجحد: لا ينكر.

نَقِمَتِكَ[١]، تَفْعَلُ ذَلِكَ - يا إِلهي - بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ[٢] أَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ، وَبِمَنْ يَأْسُهُ مِنَ النَّجَاةِ أَوْكَدُ مِنْ رَجَائِهِ لِلْخَلاصِ، لَا أَنْ يَكُونَ يأْسُهُ قُنُوطاً[٣]، أَوْ يَكُونَ طَمَعُهُ إِغْتِرَاراً[٤]، بَلْ لِقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ، وَضَعْفِ حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبِعَاتِهِ[٥].

لقد وعد الله قبول التوبة والمغفرة والرحمة بقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٦] والداعي في حالته هذه مصداق لهذه التوبة التي لو شملته لكان مصداقاً وأسوة وقدوة لغيره ممن ألَمَّ بالخطأ والذنب حيث تشمله الرحمة الإلهيّة بالعفو والتجاوز، وهم طوائف، ذكر عليه السلام منها:

١ - الخاطئون، الذين صرعتهم أخطاؤهم، فهم مفتقرون إلى تجاوز الله تعالى عنهم.

٢ - المجرمون، الذين وقعوا في الورطات، وهم مفتقرون إلى تخليصه تعالى بتوفيقه بانقاذهم منها.

فإذا أصبح الداعي في حالته مصداقاً للوعد الإلهي بالغفران والرحمة فإنه سوف يكون اسوة وقدوة لهذه الطوائف بالإنابة إلى الحق، وسوف تشملهم جميعاً رحمة الله الواسعة من وجوه، أشار إلى ثلاث منها:

١ - العفو من الله تعالى.

٢ - التحرّر من إسار الذنوب الموجبة لسخط الله تعالى.

---

(١) في (ك) زيادة: «بل».
(٢) لم ترد في (ت): «منك».
(٣) القنوط: أشدُّ اليأس.
(٤) في ملحق (ش): «أوْ ان يَكُونَ طَمَعُهُ اغْتِرَاراً»، والاغترار: السكون إلى الباطل.
(٥) في (ك): «في جنب تبعاته»، والتبعة: الخصلة الّتي تحدث عقيب الفعل من الخير والشر، واستعمالها في الشرّ أغلب وأكثر.
(٦) القرآن الكريم، سورة النساء ٤: ١١٠.

٣ ـ الخلاص من الحكم العادل في العقاب.

وتعمهّم هذه الرحمة مع العلم باستحقاق العقوبة بوجوب النقمة، والخوف مما يتبعها، وكل ذلك مع الطمع والرجاء للخلاص برحمته الواسعة، فإنه بسبب هذه الرحمة لا يكون قانطاً يائساً بل يكون طامعاً فيها من دون اغترار، أي طمع في الباطل.

وذكر عليه السلام سببين لكون خوفه اكثر من طمعه، هما:

أولاً: قلّة حسناته بالنسبة إلى سيئاته؛ فإن كثرة السيئات توجب الخوف.

وثانياً: ضعف الحجج والاسباب الّتي دعته إلى ارتكابه، والتبعات المترتبة عليها؛ لأنها صدرت منه عن ارادة واختيار.

فهذان السببان يوجبان الخوف، الذي لا يرفعه سوى رحمة الله الواسعة بالعفو.

[٦/٣٩ ـ الحمد على العفو]:

فأمَّا أنْتَ ـ يا إلهِي ـ فَأهْلٌ أنْ لا يَغْتَرَّ بِكَ الصِدِّيقُونَ، وَلَا يَيْأَسَ مِنْكَ المُجْرِمُونَ، لأنَّكَ الرَّبُّ العَظِيمُ الَّذِي لَا يَمْنَعُ[١] أحَداً فَضْلَهُ، وَلَا يَسْتَقْصِي مِنْ أحَدٍ حَقَّهُ.

تَعَالى ذِكْرُكَ عَنِ المَذْكُورِينَ، وَتَقَدَّسَتْ[٢] أسْمَاؤُكَ عَنِ المَنْسُوبِينَ، وَفَشَتْ نِعْمَتُكَ[٣] فِي جَمِيعِ المَخْلُوقِينَ، فَلَكَ الحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

---

(١) في (ت): «لا تمنع».
(٢) في (س): «القُدْس والقُدُس: الطُهر». (حاشية ابن إدريس: ٢٤٩).
(٣) في (ك): «نعمك».

وختم الدعاء بالحمد لله سبحانه الذي شملت رحمته الواسعة الطائفتين المتباينتين، وهما:

١ ـ الصديقون، أي الملازمون للصدق، وهم دون الأنبياء في الفضيلة، وهم لا يغترون برحمته تعالى لعلمهم بعدله وخوفهم من ذلك.

٢ ـ المجرمون، وهم الذين تلبّسوا بالاجرام على أنفسهم فتعدوا حدود الله، وهم لا ييأسون من فضله تعالى؛ لعلمهم بأن الله سبحانه لا يمنع أحداً فضله الواسع، ولا يستقصي الله تعالى حقه من أحد من عباده لرحمته الواسعة، فهم راجون له وطامعون في فضله.

وهذه الحالة، وهي الخوف والرجاء من الاطراف المتباينة في المعرفة حالة خاصة في تعالى، لأنها من صفات الالوهية، فيكون ذكره تعالى وشرفه أعلى من المذكورين بالشرف في هذه الدنيا الماديّة، واسماؤه الحسنى أقدس من المنسوبين إلى الحسب والنسب؛ اذ لا تقاس الماديات والروحانيات بمقاييس واحدة، وبالنتيجة تكون نعمة الله ورحمته واسعة شاملة لجميع المخلوقين من الصديقين وحتى المجرمين، وما بينهما من سائر الخلق أجمعين، فهو تعالى أهل الحمد، ولا يكون الحمد حقيقة إلّا له سبحانه.

[الدُّعاءُ المتمّم للأربعين]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا نعي إليه ميّت أو ذكر المَوْت[1]

[١/٤٠ ـ دعاء ذكر الموت]:

أللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[2] أكْفِنَا طُولِ الأَمَلِ[3]، وقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ العَمَلِ[4] حَتَّى لَا نُؤمِّلَ اسْتِتْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَلَا اسْتِيفَاءَ[5] يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلَا اتِّصَالَ نَفَسٍ بِنَفَسٍ، وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ. وسَلِّمْنَا[6] مِنْ غُرُورِهِ[7]، وَآمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ.

افتتح الإمام عليه السلام هذا الدعاء بالسبب الرئيسي للخوف، وهو طول الأمل،

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٣) وعنوانه: «ومن دعائه عليه السلام في ذكر الموت»، وفي (ش) بالرقم (١٤) وعنوانه: «ومن دعائه عليه السلام في انتظار الموت»، وفي (ج) بعنوان: «الاربعون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام اذا نُعي اليه ميّت أو ذكر المَوْت»، وفي (ق) بعنوان (التاسع والثلاثون) وتحته عنوان: «في ذكر الموت»، وفي (ت) بعنوان (الأربعون) وتحته عنوان: «عند ذكر الموت»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٠)، بعنوان: «دُعاؤهُ إذا ذُكر الموت».

(٢) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله، و».

(٣) طول الأمل: عبارة عن توقّع أُمور دنيوية تستدعي حصولها مهلة في الأجل وفسحة من مستقبل الزمان.

(٤) في (ك) (ش) وحاشية (ج) في نسخة: «الحذر»، أي قصّرهُ عنا متلبسين بصدقِ الحذر من الموت.

(٥) استيفاء الشيء: أخذهُ وافياً، وهو مجاز عن البقاء في اليوم إلى آخر ساعة منهُ.

(٦) في (ك) (ش): «سَلِّمْنَا».

(٧) الغرور: الخديعة، يقال: غرّتهُ الدُّنيا بغرورها، أي خدعتهُ بزينتها.

فلو قام الإنسان بواجبة الملقى على عاتقه في كل لحظة من لحظات حياته بصدق العمل، لما افتقر إلى طول الأمل؛ لأن طول الأمل ينبع عادة من عدم تمامية العمل، على أمل ان يتمّه في المستقبل، وأن ما يقوم به من عمل واجب في لحظة القيام به، فهو عمل تام في هذه اللحظة والمقطع الزمني، وما يأتي بعده عمل تام للمقطع الزمني الآتي، وهكذا. واذا علم الإنسان بذلك فإنه حينئذ، لا يكون عنده فرق بالنسبة إلى أداء الواجب في أية مرحلة يتقدم بالعمل، كالجندي في المعركة الذي يقوم بواجبه سواءً حصل النصر أم لا.

ولذلك ركّز هذا المقطع على قطع مادة طول الأمل من نفس الإنسان لكي يتغلب على الموت في نقاط:

١ ـ الكفاية من طول الامل، بمعرفة الواجب الإنساني في الحياة والقيام بالدور المسؤول عنه.

٢ ـ قصر الامل الطويل، بالعمل الصادق في المرحلة الحالية الّتي يعيشها الإنسان.

٣ ـ السلامة من غروره؛ فإن طول الامل يوجب الاغترار بالحياة، ويستلزم تأخير الواجب عن وقته المحدّد.

٤ ـ الأمان من شروره في الدنيا والآخرة، وأظهرها القلق في حصول ما يأمله في المستقبل، فليس لأحد أن يضمن تحقّق ما يأمله في المستقبل، للطوارئ غير المرتقبة في الحياة.

واذا حصل الوعي الكامل لهذه النقاط فإن الإنسان سوف يقوم بأداء واجبه في الوقت المحدد له من الاوقات:

١ ـ واجب الساعة، يؤدّيها في الساعة من دون تأجيل إلى الساعة الاخرى على أمل استيفائه بعد ساعة.

٢ ـ واجب اليوم، يؤدّيها في اليوم من دون تأجيل إلى يوم آخر على أمل استيفائه بعد يوم.

٣ ـ واجب اللحظة الّتي يتنفس فيها، فإنه سوف يؤدّيه من دون تأخير إلى اللحظة الاخرى.

فإن أداء الواجب في كل مرحلة هو المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان المسؤول تجاه نفسه واسرته ومجتمعه.

[٤٠/٢ ـ ذكر الموت]:

وَانْصِبِ المَوْتَ بَيْنَ أعْيننَا[١] نَصْباً[٢]، وَلَا تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لهُ[٣] غِبّاً[٤].

واجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الأعْمَالِ عَمَلاً[٥] نَسْتَبْطِيءُ[٦] مَعَه لمَصِيرَ إليْكَ، وَنَحْرِصُ[٧] لَهُ عَلَى وَشْكِ[٨] اللَّحَاقِ[٩] بِكَ، حَتَّى

---

(١) في (ك) (ق) (ت)، وفي غيرها: «بين أيدينا».

(٢) نصب الموت، عبارة عن جعلهِ على ذُكرٍ منه، بحيث لا يغيب عن الذهن لحظة.

(٣) في (ك) (ش): «إياه».

(٤) في (س): «الغِبُّ: أن ترد الإبلُ الماء يوماً وتدعه يوماً. وكذا الغِب في الحمى، والغبّ في الزيارة، قال الحسن: في كلّ أسبوع يقال: «زُر غِبّاً تزدد حُبّاً»». (حاشية ابن إدريس: ٢٥١)، وقال السيد الخرسان: والحديث في جملة من المصادر الحديثية تزيد على العشرين ـ كما في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥: ١٦٩ .، وهو كما في مجمع الزوائد ٨: ١٧٥ عن أبي هريرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا هريرة زر غبّاً تزدد حبّاً» وقد رواه غير واحد من الصحابة، وللشيخ محمود أبو رية في كتابه «شيخ المضيرة» كلام حول هذا الحديث تحسن مراجعته ولا يخلو من طرافة. انتهى.

(٥) في (ك) (ش): «مجعلاً»، والجعل هنا بمعنى الإيجاد، ومعناهُ: وفقنا للإتيان بعمل صالح نجعلهُ غرضاً نقصد البلوغ إليهِ وتحصيل ثوابه، بحيث نعدُّ حياتنا في الدُّنيا مبطئة للمصير إلى ثوابِكَ.

(٦) في (ت): «يستبطئ».

(٧) في (ك) (ت): «ويحرص».

(٨) الوشك: السرعة.

(٩) في حاشية (ج): «اللَّحاق، اللِّحاق ـ س».

يَكُونَ المَوتُ(١) مَأنَسَنَا الَّذي نَأنَسُ(٢) بِهِ، وَمَألَفَنَا(٣) الَّذي نَشْتَاقُ(٤) إليْهِ، وَحَامَّتَنَا(٥) الَّتي نحبُّ(٦) الدُّنُوَّ مِنْهَا.

يتضمّن هذا المقطع ذكر الموت الذي هو سبب رئيسي للاقلاع عن طول الامل، كما قال الإمام علي عليه السلام: «أما طول الأمل فينسي الآخرة»(٧) فمن يتذكّر الموت سوف لا يؤخر واجبه، ويكون ذلك بالأمور التالية:

١ ـ نصب الموت كالمثال الذي لا يغيب عن أبصارنا في الدنيا.

٢ ـ الذكر الدائم، بأن لا يكون ذكراً يعتاده الإنسان في حالات خاصة كالذكر عند موت الآخرين، فإنه ذكر منقطع وهو غبّ، أي في وقت دون آخر، ويستلزم الذكر الدائم للموت أُموراً:

١ ـ العمل الصالح الذي يُحصّل التقرب إلى الله.

٢ ـ الحرص على سرعة اللحوق بالله.

٣ ـ الأنس بالموت، بأن يسكن النفس بذلك ولا يستوحش منه، لأداء دوره المطلوب في الحياة.

٤ ـ الاشتياق إلى الموت، فإن الذي يؤدّي واجبهُ ومسؤوليته لا يفرق عنده وقوع الموت في أية لحظة، لأن الموت لا مفرّ منه.

---

(١) لم ترد في (ق): «الموت».
(٢) في (ت): «يأنس».
(٣) المألف: الموضع الذي يألفهُ الإنسان ويحبّهُ.
(٤) في (ك) (ت): «نُسَاقُ».
(٥) في حاشية (ج): «أي خاصتنا»، وحامّة الرجل: خاصتهُ من أهلهِ وولدهِ الذين يشفقون عليهِ ويشفق عليهم، ومنهُ حديث النبي (صلى الله عليه وآله) في دعائه لاهل بيته: «هؤلاء أهل بيتي وحامتي، أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» راجع: «سبيل النجاة في تتمة المراجعات»: ٣٨ ـ ٤١.
(٦) كذا في (ت) (ك) ظاهرا، ويحتمل: «يجب»، وفي (ش): «التي نحبُّ».
(٧) مستدرك الوسائل ١١: ٣٠٥.

٥ ـ كون الموت حامّة، أي من خاصّة الإنسان، فلا يخاف منه، كما لا يخاف من خاصته وأهله وأُسرته، بل يحب الدنوّ من الخاصة.

وكل ذلك من آثار الوعي واليقظة بأن الموت والحياة أمر ثابت لكل شيء في الحياة، من الإنسان والحيوان والنبات؛ فإن كل شيء هالك إلّا وجهه تعالى[1]، فلا يكون هناك موجب للخوف منه ما دام الإنسان واثق من حصوله لا محالة.

[٤٠/٣ ـ الموت المطلوب]:

فإذَا أوْرَدتَهُ[2] عَلَيْنَا وَأَنْزَلْتَهُ بنا[3] فَأَسْعِدْنَا بِهِ زَائِراً، وآنِسْنَا بِهِ قَادِماً، وَلَا تُشْقِنَا بِضِيَافَتِهِ، وَلَا تُخْزِنَا[4] بِزِيَارَتِهِ، وَاجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ رَحْمَتِكَ.

أمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّيْنَ، طَائِعينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِهينَ[5]، تَائِبِينَ غَيْرَ عَاصِينَ وَلَا مُصِرِّينَ[6]، يَا ضَامِنَ جَزاءِ المُحْسِنِيْنَ، وَمُسْتَصْلِحَ[7] عَمَلِ المُفْسِدِيْنَ[8].

---

(١) اقتباس من القرآن الكريم، سورة القصص٢٨، الآية: ٨٨.

(٢) أوردته: أي أحضرتهُ، وأصل الورود: بلوغ الابل الماء وموافاتها إياهُ.

(٣) لم ترد: «بنا» في (ك).

(٤) في (ت): «ولا تحزنّا»، وفي حاشية (ج) (د): «ولا تحزنّا ـ س»، والخزي: الذُّل، والهوان المقارن للفضيحة والانكسار.

(٥) في (ك) (ش): «مُسْتَكْبِرِيْنَ»، وفي حاشية (ج) (د): «مستكرِهين، مستكرَهين ـ معا، س».

(٦) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «تَائِبِينَ غَيْرَ مُصِرِّينَ».

(٧) في (ت) العبارة هكذا: «ومصلحَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ويَا مصلحَ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «ومصلحَ»، وفي حاشية (ج) (د): «ومصلح ـ س».

(٨) في (ك) زيادة: «وَيَاقَابِلَ تَوْبَةِ التوّابِيْنَ»، والمراد: أنه تعالى مصلحَ عمل المفسدين بأن يبدلوا الفساد بالصلاح، وذلكَ إمَّا بالأمر والنهي، أو بحسم مادة الفساد وعدم الإعداد لهُ، وإفاضة التوفيق عليهم بالتوبة.

وبما أنّ الموت حقيقة واقعة لا مفرّ منها ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾[١] فإن الموت المطلوب للإنسان المسؤول يوجب له ما يأتي:

١ ـ السعادة، لأنه موت في حين أداء الواجب.

٢ ـ الزيارة، لأنه قصد للمزور إكراماً.

٣ ـ الأنس؛ لأنه متوقّع الحصول في كل لحظة.

٤ ـ الضيافة، الّتي هي إكرام للزائر من دون شقاء.

٥ ـ عدم الخزي بسبب زيارة الموت في وقت لا يقوم الإنسان فيه بواجبه.

٦ ـ باب المغفرة، فإن المؤمنون سوف يستغفرون له.

٧ ـ مفتاح الرحمة، فيترحم عليه من يبلغه ذلك؛ لما قام به من عمل الخير.

٨ ـ الهداية من غير ضلال ؛ لمعرفة الحق والعمل به.

٩ ـ الطاعة من غير كراهة؛ لمعرفة الواجب بأداء المسؤولية.

١٠ ـ التوبة من غير عصيان يتعقّبها أو إصرار عليه ينقضها.

والموت بهذه الصفات موت سعادة، كما هي حاصلة للشهداء في سبيل الله والمحاربين في ساحة المعركة بين الحق والباطل، وهذا ما أشار إليه سيد الموحدين عن نفسه: «إني آنس بالموت من الطفل بثدي أُمِه»[٢] وراجع ما ذكرناه في شرح النهج[٣]. وأيضا ما أشار إليه سيد الشهداء بقوله: «والله اني لا أرى الموت إلّا سعادة والحياة مع الظالمين الآ برما»[٤] عندما وقف موقف الرافض للظلم في يوم عاشوراء، والذي غيّر مجرى التاريخ الإسلامي بالتأكيد على الثوابت الإسلامية الأصيلة؛ ففي موت كهذا تكون الحياة.

---

(١) القرآن الكريم، سورة العنكبوت ٢٩: ٥٧.

(٢) انظر نهج البلاغة ١: ٤١.

(٣) شرح نهج البلاغة، للمؤلف ١: ١٠٨، شرح الخطبة ٥، المقطع٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٢٤.

[الدُّعاءُ الحادي والأربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي طَلَبِ السِّتْرِ والوقايةِ[1]

[١/٤١ ـ طلب الستر والوقاية]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[2] افْرِشْني[3] مِهَادَ كَرَامَتِكَ[4]، وَأَوْرِدْنِي مَشارِعَ رَحمَتِكَ[5]، واحْلِلْنِي بُحْبُوحَةَ[6] جَنَّتِكَ.

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١١)، وعنوانه: «ومن دعائه عليه السلام في طلب الستر عليه»، وفي (ش) بالرقم (١٢)، وعنوانه: «ومن دعائه عليه السلام في مسألة الستر والوقاية»، وفي (ج) بعنوان: الحادي والأربعون: وكان من دعائه عليه السلام في طلب الستر والوقاية»، وفي (ق) بعنوان (الأربعون) وتحته عنوان: «في الوقاية وطلب الستر»، وفي (ت) بعنوان (الحادي والأربعون) وتحته عنوان: «في طلب الستر والوقاية»، ولم يرد هذا الدعاء في (ف) ، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤١)، بعنوان: «دُعاؤهُ في طلب السترِ»، وفي رياض السالكين (٥: ٣٦٦): المراد بالوقاية: الوقاية من السيئات وتبعاتها، كما وردَ في القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٩.

(٢) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلِّ على مُحَمَّدٍ وآله و».

(٣) في حاشية (ج): «وأفرشني، وافرشني ـ معا».

(٤) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «افْرِشْ لِي مِهَادَ رَحْمَتِكَ». والمهاد: الفراش.

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَأَوْرِدْنِي مَشرعَ كرَامَتِكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأَوْرِدْنِي مَشارعَ كرَامَتِكَ»، والمشرع: مورد الناس للاستقاء. قال السيِّد المدني: «وفي كل من الفقرتين استعارة مكنيَّة تخييلية، فإنَّهُ عليه السلام أضمر في نفسهِ تشبيه الكرامة بالمكان الصالح للقعود فيهِ، والرحمة بالماء العذب... ثمَّ اثبتَ لهما ما بهِ قوام المشبَّه بهِ من لوازمهِ المناسبة، وهو المهاد في الأُولى والمشارع في الثانية». (رياض السالكين ٥: ٣٦٦)

(٦) في (س): «التبحبح: التمكن في الحلول والمقام، وبُحبوحة الدار: وسطها». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٢)، وبحبوحة المكان: وسطهُ والقرار والمحل. وقيل: جنته تعالى في الآخرة: دار ثوابه، وفي الدُّنيا: مقام الرضا والتسليم. (رياض السالكين ٥: ٣٦٧).

[٢/٤١ ـ طلب العفو والمغفرة]:

وَلَا تَسْمني[١] بالرَّدِّ عَنْكَ[٢]، وَلَا تَحْرِمنِي[٣] بالخَيْبَةِ مِنْكَ، وَلَا تُقَاصَّنِي بِمَا اجْتَرَحْتُ[٤]، وَلَا تُنَاقِشْنِي بِمَا اكْتَسَبْتُ، وَلَا تُبْرِزْ مَكْتُومِي[٥]، وَلَا تَكْشِفْ مَسْتُورِي، وَلَا تَحْمِلْ عَلَى مِيزَانِ الإِنْصَافِ عَمَلِي، وَلَا تُعْلِنْ عَلَى عُيُونِ المَلأ[٦] خَبَرِي.

أخْفِ عَنْهم[٧] مَا يَكُونُ نَشرُهُ[٨] عَلَيَّ عَاراً، وَأطْوِ عَنْهُمْ مَا يُلْحِقُنِي[٩] عِنْدَكَ[١٠] شَنَاراً[١١].

[٣/٤١ ـ طلب التشريف والتكريم]:

شَرِّفْ[١٢] دَرَجَتِي بِرِضْوَانِكَ، وَأَكْمِلْ كَرَامَتِي بِغُفْرَانِكَ،

---

(١) في (ج): «تسمني»، وفي حاشية (ج): «تَسِمْنِي ـ س».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «ولا تسمني الردّ». وقوله: «ولا تسمني»، من وسم يسم: إذا جعلَ فيهِ علامة يعرف بهِ، أي لا تسمنا بالمنعِ من معرفتك.

(٣) في (ك) (ق) (ت): «ولا تخزني».

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَا تُعَارِضنِي بِمَا اجْتَرَمْتُ». والمعارضة: المقابلة بالمثل، واجترمتُ: أذنبتُ، من الجرم، وهو الذنب.

(٥) في (ك): «مَكْنُونِي». أي لا تظهر ما أكننتهُ في نفسي وسترتهُ وكتمتهُ عن غيري، من كنَّ الشيء، إذا سترهُ في كنِّهِ وغطَّاهُ.

(٦) في (ق): «الملاء»، وفي (ك): «الاملاء»، والملأ: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدّموهم.

(٧) في (ك) (ش) (ت): «عليهم».

(٨) لم ترد في (ك) (ش): «نشره».

(٩) في (ت): «ما تلحقني به».

(١٠) في (ش): «عندهم».

(١١) في حاشية (ج): «أي عيباً»، وفي (س): «الشنار: العيب والعار». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٣).

(١٢) في (ق): «وشرّف»، وفي (ج) (د): «شرّف»، وفي حاشية (ج) (د): «أَشرِف ـ س».

أنْظِمْنِي[١] فِي أصْحَابِ اليَمِينِ، وَوَجِّهْنِي فِي مَسَالِكِ الآمِنِينَ، اجْعَلْنِي فِي فَوْجِ[٢] الفَائِزِينَ، وَأعْمُرْ بِي مَجَالِسَ الصَّالِحِينَ، آمِّينَ بَّ العَالَمِينَ[٣].

يتضمن هذا الدعاء سلسلة من الأُمور الإيجابية والسلبية في الستر على ما كره، والوقاية مما ينافي ذلك، وابتدأها بالكرامة الممهّدة فرشاً يجلس عليه سكناً شخصياً للإنسان في نفسه، وأنهاها بمجالسة الصالحين الذي يكون مجلساً تماعياً عاماً يشارك فيه افراد المجتمع، وقد تضمّن هذا الدعاء تسعة عشر نقطة لآتي:

١ ـ الكرامة، بالجلوس في المجلس الممهّد لها.

٢ ـ الرحمة، في السلوك في مواردها الّتي يستقى منها شريعة رحمة جارية.

٣ ـ الجنة، الّتي لا يحل بها إلّا من رضي الله عنه.

٤ ـ عدم الرد عن الله، وقوله: «تسمني» بمعنى لا تولني أو لا تجعل لي لامة الرد.

٥ ـ عدم الخيبة، لعدم الظفر بالمطلوب من الله، وهو الستر.

٦ ـ عدم القصاص بما اقترف من الاثم.

٧ ـ عدم المناقشة بما تلبّس به من الاعمال، بالمحاسبة الدقيقة.

٨ ـ عدم إبراز المكتوم من الأعمال والنيات المخفية على الآخرين.

٩ ـ عدم كشف المستور عن الأنظار.

---

(١) يقال: نظمتُ الدرّ نظماً: إذا جعلتهُ وجمعتهُ في سلك، والمعنى: اجمعني معَ أصحاب اليمين.

(٢) في (ك): «في فوز»، وفي (ق): «في قرار».
وفي (س): «الفوج: الجماعة من الناس والجمع أفواج». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٣)، والفوز: من فاز الفائز: الظافر، فالفوز: الظفر بالخير معَ حصول السلامة.

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «واعمر بي مجالس الصالحين، يا إله العَالَمِينَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «واعمر بي مجالس الصالحين، آمين يا رب العَالَمِينَ».

١٠ ـ عدم الحمل، أي الإلزام بميزان الإنصاف، فإن ميزان الإنصاف يستلزم العدل الذي لا يطيقه الإنسان.

١١ ـ عدم إعلان الخبر على المجتمع؛ فإن ذلك يعدم الثقة في الحياة، والحياة بدون الثقة كالموت.

١٢ ـ اخفاء العار مما يلزم منه عيب ومذمة.

١٣ ـ طيّ الشنار، وهو أقبح العيوب.

١٤ ـ شرف الدرجة، برضوان الله تعالى.

١٥ ـ كمال الكرامة، بغفرانه تعالى.

١٦ ـ نظم الإنسان في اصحاب اليمين، بالدخول في جماعة تحققت لهم السعادة واليُمن.

١٧ ـ التوجه في مسالك الآمنين ؛ حيث يجلب السلوك الصحيح لهم الأمن في أنفسهم ثم في المجتمع الذي يعيشون فيه.

١٨ ـ الانتساب إلى فوج الفائزين بخير الدنيا والآخرة.

١٩ ـ الحياة العامرة بالوعي والإيمان بالمشاركة في مجالس الصالحين.

فإن المواد التسعة عشر مرتبطة ارتباطاً وثيقا بإعداد الإنسان المسؤول بأداء دوره في تثقيف شخصيته، وذلك كرامة من الله سبحانه باستخدامه العقل الذي وهبه الله للتمييز بين الحق والباطل، ثم التدرّج بما يستلزم ذلك من الأمور الإيجابية والتنحّي عن الأمور السلبية حتى يتمتع باليمن والفوز، ويعمر قلبه بالوعي والإيمان، إلى أن يصبح عضواً نافعا مشاركاً في المجتمع بأداء دوره الإسلامي المطلوب، مع الصالحين في مجالسهم المنعقدة لخدمة الأمّة في حاضرها ومستقبلها.

ولا يكون ذلك إلّا بالستر على ما يكرهه الإنسان والوقاية مما ينافي أداء المسؤولية المطلوبة.

[الدعاء الثاني والأربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند ختم[1] القرآن [2]

١/٤٢ ـ فضائل القرآن]:

اَللّٰهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَنِي عَلى خَتْمِ[3] كِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُوراً، وَ[4] جَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً[5] عَلى كُلِّ كِتابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ[6]، وَفُرْقاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ وَحَرامِكَ، وَقُرآناً أَعْرَبْتَ[7] بِهِ عَنْ شَرآئِعِ أَحْكامِكَ، وَكِتاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبادِكَ تَفْصِيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ[8] عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وآلِهِ[9] تَنْزِيلاً،

---

1) في (ج) (د): «ختمه»، وفي حاشية (ج) (د): «ختم ـ س».
2) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٧)، بنفس العنوان، وفي (ش) بالرقم (٢٣) بعنوان: «ومن دعائه عليه السلام في ختم القرآن»، وفي (ج) بعنوان: «الثاني والأربعون: وكان من دعائه عليه السلام عند ختمه القرآن»، وفي (ت) بعنوان: «الثاني والأربعون»، وتحته عنوان: «عند ختمه القرآن»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دعائه عليه السلام عند ختمه القرآن»، ولم يرد هذا الدعاء في (ق)، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٢)، بعنوان: «دُعاؤهُ عند ختمه القرآن».
3) في (ت): «ختمة».
4) لم ترد في (ف) : «أنزلته نورا، و».
5) في حاشية (د) و(س): «المهيمن: الشاهد». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٧).
6) في (ت): «قصّصته».
7) في (ج): «أعريت».
8) في (ت): «نزّلته».
9) في (ش) (ف) (ت): «صَلى الله عَلَيْهِ وآلِهِ».

وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدي[(١)] مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ وَالْجَهالَةِ[(٢)] بِاتِّباعِهِ، وَشِفاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهَمِ التَّصديقِ إِلَى اسْتِماعِهِ، وَمِيزانَ قِسْطٍ[(٣)] لا يَحِيفُ[(٤)] عَنِ الْحَقِّ لِسانُهُ، وَنُورَ هُدىً لا يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدينَ[(٥)] بُرْهانُهُ[(٦)]، وَعَلَمَ نَجاةٍ لا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ[(٧)]، وَلا تَنالُ[(٨)] أَيْدِي الْهَلَكاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ.

القرآن كتاب للدراسة والتطبيق في مدرسة الحياة اليومية الّتي يعيشها كل انسان، وختم القرآن يجب ان يقاس بالدرجات المئويّة الّتي يكتسبها من يدرسه بنجاح او تفوّق.

ويستعرض هذا الدعاء النقاط الهامة الّتي يجب ان تتوفر فيمن يدرس القرآن، والاجابة عليها تحدد مدى النجاح في فهم القرآن رسالة وتطبيقاً.

وفي المقطع الأول يستعرض صفات القرآن، وهي:

١ ـ النور؛ لأن القرآن يهدي إلى الصراط المستقيم في الحياة.

٢ ـ المهيمن، أي الحافظ لكل كتاب سماوي أنزله الله من قبل، وذلك لكون القرآن آخرها.

٣ ـ المفضّل من الله تعالى، لكونه آخر الكتب السماوية، والتي بشّرت بخاتم الأديان الإلهية.

---

(١) في (ت): «تهديبه»، وفي (ش): «نهدي»، وفي (ف): «يهدى به»، وفي حاشية (ج) (د): «تهدي به ـ س»، وفي حاشية (ج)، كتب بعده: «صح».

(٢) لم ترد في (ش) (ف): «والجهالة».

(٣) في (ف): «صدقٍ».

(٤) في حاشية (ج): «أي لا يظلم»، وفي (س): «الحيف: الجور والظلم، وقد حاف عليَّ يحيف: أي جار». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨).

(٥) في (ش) (ف): «عن الشبهات».

(٦) في (س): «البرهان: الحجة». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨).

(٧) في حاشية (ج) (د): «سننه ـ س».

(٨) في (ف): «ينال».

٤ ـ الفرقان، فإنه يفرّق بين الحلال والحرام من أُصول الشريعة.

٥ ـ القرآن أي الذي يقرأ علنا، معرباً عن شرائع الأحكام بعد تشريعها.

٦ ـ المفصّل لما أجمل في الشرائع السابقة.

٧ ـ الوحي المنزل على النبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء.

٨ ـ الهادي من ظُلَم الضلالة إلى نور الحق.

٩ ـ شفاء لقلب ينصت له بغرض الفهم، المستلزم للتصديق باستماعه الحق.

١٠ ـ ميزان القسط؛ اذ به يعرف الحق من الباطل، ويكون لسان الميزان هذا عدلا لا يحيف، أي لا يميل يميناً ولا شمالا، بل يكون عدلا من دون ميل.

١١ ـ نور الهدى، أي أنّ القرآن نور الهداية نفسها، بالاضافة إلى أنه نور يهدي إلى الصراط المستقيم في الحياة، كما ذكر أولاً، وبالاضافة إلى أنّ القرآن هو الهادي من ظلم الضلالة، فإن الهداية نفسها تفتقر إلى أُسلوب تطبيقها، وذلك يفتقر إلى القرآن كنور للهداية.

١٢ ـ برهان القرآن وجداني، فإن من يشاهد القرآن يجد أنّه نور لا يطفأ بخلود أحكامه.

١٣ ـ عَلم نجاة لمن أراد النجاة في الدنيا والآخرة يهتدي به من اتبعه ودرسه وعرفه معرفة كاملة.

ويترتب على هذه الصفات أنّ من قصد السنة المستقيمة للقرآن لا يعجل في حياته، وقوله: «قصد سنّته» يعني السنة المتبعة؛ فإن القصد هنا بمعنى الاستقامة.

وبالنتيجة: فمن تعلّق بعروة عصمة القرآن، عصمه القرآن من الهلكات، فلا تناله الأيدي الّتي تستخدم الإنسان لمصالحها الخاصة، وذلك لأنّ القرآن يبث الوعي في الإنسان بأن يتسلّح بالعلم والإيمان، فلا يريد إلّا الحق ولا يتابع إلّا ما يحكم به العقل أو ما يأمر به الشارع الحكيم، فيعيش في حرية من الأيدى الطامعة الّتي لا تعرف إلّا مصالحها؛ فإذا استخدم الإنسان عقله وإيمانه في حرية تامة، كان عضواً نافعاً في المجتمع الذي يعيش فيه على أساس من العدل.

[٢/٤٢ ـ التلاوة والرعاية]:

اَللّٰهُمَّ، فَإِذْ أَفَدْتَنا(١) الْمَعُونَةَ عَلى تِلاوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ(٢) جَواسِيَ(٣) أَلْسِنَتِنا بِحُسْنِ عِبارَتِهِ، فَاْجْعَلْنا مِمَّنْ يَرْعاهُ حَقَّ رِعايَتِهِ، وَيَدينُ(٤) لَكَ بِاعْتِقادِ التَّسْليمِ لِمُحْكَمِ(٥) آياتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الإِقْرارِ بِمُتَشابِهِهِ(٦) وَمُوضَحاتِ(٧) بَيِّناتِهِ(٨).

تلاوة القرآن هي القراءة باللسان، وهي تلازم أمرين:

١ ـ القدرة على النطق، ولا يعرف قدرها إلّا فاقدها كالأخرس، والله سبحانه أفاد العون على النطق.

٢ ـ فهم القرآن بمعرفة حسن عبارته بواسطة جواسي الألسن؛ أي غلظها، ولولا خلق الله مخارج الحروف الّتي تقوم الألسن باحداثها لما أمكن ذلك.

---

(١) في (ج) (د): «أفِدتنا»، وفي حاشية (ج): «الفاء مكسورة كما ترى، ولم يحضرني له وجهاً، والظاهر أنه من سهو القلم». (قال المحقق: وهذا التعليق بخط الشيخ البهائي رحمه الله).

(٢) وفي (س): «التسهيل: التيسير». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨).

(٣) في (ف) (ت): «حواشي»، وفي (ج) (د): «جواسي»، وفي حاشية (ج) (د): «حواشي ـ س»، وفي (س): «الجيس من الرجال: إذا كان عيياً. والجمع: جواسي. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨)، وفي هامش (س) ما نصّه: «في نسخة ابن إدريس: (حواشي) بالحاء والشين المعجمة جمع حاشية. والمراد بها: أطراف الألسنة وحافّاتها، لأنّ مدار التعبير عليها، حكاه المحدّث الجزائري في(نور الأنوار: ١٧٠)».

(٤) في (ف) : «فترين»، ويحتمل: «فتزين» ظاهراً.

(٥) في (ت): «بمحكم»، وفي (ج): «لمحكم»، وفي حاشية (ج): «بمحكم ـ س»، وفي (س): «المحكم من القرآن والحديث: الّذي لا يحتمل التأويل، مثل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمتشابه بخلافه. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨).

(٦) في (ف) : «لمتشابهه».

(٧) في حاشية (ج): «موضِحات، موضَحات ـ معا».

(٨) في (ش): «بيانه».

فهاتان نعمتان من الله سبحانه تستحقان الشكر، وحيث ان شكر أيّ شيء كون بحسبه أشار في هذا المقطع إلى ثلاثة أنواع منه:

١ ـ رعاية القرآن حق رعايته، بدراسة القرآن ومعرفة مفاهيمه الأصيلة.

٢ ـ التسليم لمحكم آياته والتدين بالتعبد به عن اعتقاد وإيمان بالثوابت قرآنية الأصيلة الّتي لا تتغير بتغير الزمن، كالعدالة والشورى وما شابه.

٣ ـ الإقرار بالمتشابه والبيّنات منه؛ ففي حالة التشابه في فهم المفاهيم قرآنية لا يتسرع الإنسان إلى الإنكار أو الأخذ بالرأي القاطع من دون دليل أو رهان، بل لابد من أن يتعامل مع المتشابه تعامله مع البينات الواضحة، ويكون لك بالفزع، أي الرجوع إلى الاقرار به بالرغم من التشابه.

٣/٤٢ ـ القرآن الكامل]:

اَللّهُمَّ، إِنَّكَ اَنْزَلْتَهُ عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ (صلّى الله عليه وآله)[١] جْمَلاً[٢]، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عجَائِبِهِ مُكَمَّلاً[٣]، وَوَرَّثْتَنا[٤] عِلْمَهُ فَسَّراً، وَفَضَّلْتَنا عَلى مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنا فَوْقَ مَنْ مْ يُطِقْ حَمْلَهُ.

وهذا المقطع كالدليل للمقطع السابق؛ فإن الاقرار بالقرآن سواءً كان متشابهاً بيّناً إنما هو بسبب الكمال في القرآن، وما فيه من الإجمال قد فسره النبيّ لأعظم صلى الله عليه وآله، وبذلك كمل الدين وتمت الرسالة بالتبليغ جيلا بعد جيل حتى وصل

---

١) في (ش): «صَلى الله عَلَيْهِ وعلى آلِهِ».
٢) لم ترد في (ف) : «مجملا»، وفي (ت): «محتملاً»، وفي حاشية (ج): «مجمِلا، مجمَلا ـ معا».
٣) في (ش) (ف) (ت): «مجملاً»، وفي حاشية (ج): «مُكْمَلا ـ س».
٤) في (ف) : «ورتبنا».

إلى الإنسان المسلم المعاصر، وقد أشار في هذا المقطع إلى مراحل الرسالة القرآنية، وهي:

١ ـ انزل الله القرآن مجملا على النبيّ ﷺ.

٢ ـ ألهم الله سبحانه النبيّ (علم عجائبه) فأصبح كاملا.

٣ ـ فسّر النبيّ ﷺ القرآن للأجيال المسلمة.

٤ ـ ورث المسلم المعاصر رسالة القرآن المفسرة الكاملة.

٥ ـ امتاز مَنْ درس القرآن بالعلم بالمفاهيم القرآنية.

٦ ـ إن القرآن مصدر قوّة فكريّة للمسلمين.

٧ ـ إن المسلمين يترفّعون بالقرآن على من لم يحمل القرآن بدراسته وتطبيقه في الحياة.

[٤/٤٢ ـ التصديق بالقرآن]:

اَللّهُمَّ، فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنا لَهُ حَمَلَةً، وَعَرَّفْتَنا بِرَحْمَتِكَ(١) شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ(٢) الْخَطيبِ بِهِ، وَعَلى آلِهِ الْخُزّانِ لَهُ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتّى لا يُعارِضُنا(٣) الشَّكُّ في تَصْديقِهِ، وَلا يَخْتَلِجَنا الزَّيْغُ(٤) عَنْ قَصْدِ طَريقِهِ.

يتضمّن هذا المقطع ثلاث حقائق:

الأولى: الإيمان الحقيقي بالقرآن، فإنه يستلزم الإيمان بالغيب وما وراء الطبيعة، وأن النبيّ محمد ﷺ تلقّى القرآن بالوحي، وهذا الجانب الإلهي من القرآن هو الذي يجعله معجزة خالدة، فمجرد حمل القرآن ودرسه ومعرفة شرفه

---

(١) في (ش): «بفضلك».

(٢) في (ت) زيادة: «وآله».

(٣) في (ف): «ولا يعارضنا».

(٤) في (س): «خلجه يخلجه خلجاً أو اختلجه: إذا جذبه وانتزعه. والزيغ: الميل». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨).

وفضله ـ على ما له من الأهميّة ـ لا يكفي إلّا مع الإيمان بكونه دستوراً إلهياً أعلنه الرسول خطيباً بين الناس، وليس من النبيّ صلى الله عليه وآله نفسه.

الثانية: إنّ دور النبيّ محمد صلى الله عليه وآله هو دور الخطيب الذي يعلن بالقرآن، وأن دور آله عليهم السلام هو دور الخزّان للقرآن بتفسيره وحفظه عن التحريف والتصحيف، فلا يمكن الاستغناء عن هذا الدور في سلامة القرآن.

الثالثة: ان الشك في تصديق القرآن ينبع من النظرة الماديّة البحتة إلى القرآن الكريم، وانه يكتفى به من دون بيان النبيّ صلى الله عليه وآله لما أجمل منه؛ فإن نظرة كهذه تدع القرآن مجملا، ويغفل عن دور النبيّ صلى الله عليه وآله في التفسير.

ويستلزم شكاً في تصديق القرآن في مفاهيمه المتشابهة الّتي يجب الرجوع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله في حلّها، بل يستلزم الزيغ عن الطريق المستقيم الذي يدعوا إليه القرآن، وقوله: (قصد الطريق) يعني الاستقامة.

[٥/٤٢ ـ هدى القرآن]:

اَللّهُمَّ صَلِّ[١] عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ[٢]، وَيَأْوِي مِنَ الْمُتَشابِهاتِ إِلَى حِرْزِ[٣] مَعْقِلِهِ[٤]، وَيَسْكُنُ في ظِلِّ جَناحِهِ، وَيَهْتَدي بِضَوْءِ صَباحِهِ، وَيَقْتَدي بِتَبَلُّجِ إِسْفارِهِ[٥]،

---

(١) في (ش): «فصلّ».

(٢) في (س): «الحبل: العهد، والحبل: الأمان، وهو مثل الجوار». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨).

(٣) في (ت): «حريم».

(٤) العبارة في (ف) هكذا: «الْشبِهاتِ إِلَى حرم مَعْقِلِهِ»، وفي (س): «والمعقل: الملجأ. ويطلق كثيراً على البنيان المنيع الحصين. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).

(٥) لم ترد في (ف) عبارة: «وَيَقْتَدي بِتَبَلُّجِ إِسْفارِهِ»، وفي حاشية (ج) (د): «تبلّج أَسفاره، تبلّج إِسفاره ـ معا»، وفي (س): «البلوج: الاشراق، يقال: بلج الصبح يبلجُ ـ بالضمّ ـ أي: أضاء، وابتلج وتبلّج مثله، وكذلك الحق إذا اتضح الصبح، ويقال: أبلج الصبح، إذا أسفر وأضاء». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).

وَيَسْتَضْبِحُ بِمِصْباحِهِ[١]، وَلا يَلْتَمِسُ[٢] الْهُدَى في غَيْرِهِ.

والاهتداء بالقرآن يستلزم اموراً منها:

١ ـ الاعتصام بحبل القرآن في الحياة، دون العادات والتقاليد.

٢ ـ الرجوع في المتشابهات إلى «حرز معقله» أي الحصن المنيع، وهو النبيّ ﷺ الذي سنَّ السنّة الواضحة، وآله عليهم السلام الذين طبقوها في حياتهم وجعلوا النبيّ ﷺ قدوة لهم.

٣ ـ السكون في ظل جناح القرآن، دون الأفكار الدخيلة.

٤ ـ الاستضاءة بضوء المصباح الذي أوجده القرآن في ظلام الجاهلية.

٥ ـ الاقتداء «بتبلّج اسفاره» أي بالضوء الواضح للقرآن، كما يستضاء بالشمس عند الشروق.

٦ ـ الاستصباح بمصباح القرآن في ظلمات الحياة.

وكلّ هذه الامور تستلزم ان يلتمس الإنسان في حياته الهدى من القرآن، فإن القرآن هو أُسّ المقاييس الإلهيّة العادلة في الحياة من الأنظمة الكاملة اجتماعياً واقتصادياً وإدارياً وسياسياً ودستورياً، مما درستها كتب القانون والفقه المقارن بتفصيل، فلا تكون حاجة إلى أيّ مصدر آخر للتشريع سوى القرآن وسنّة الرسول.

[٤٢/٦ ـ القرآن وسيلة]:

اَللّهُمَّ[٣] وَكَما[٤] نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله[٥]

---

(١) في (ش) العبارة هكذا: «وَيَهْتَدي بَضَوْءِ صَباح نهاره، وَيَسْتَضْبِحُ بِمِصْباحِهِ»، وفي (س): «المصباح: السراج، وقد استصبحت به: أوقدته. انتفعت بنوره. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).

(٢) في (س): «الالتماس: الطلب، والتلمّس: التطلّب مرّة بعد أُخرى». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).

(٣) في (ش) زيادة: «صل على مُحَمَّدٍ وآله».

(٤) في (ت): «كما»، بدون واو.

(٥) عبارة: «صلى الله عليه وآله» من (ف) (ت).

عَلَماً[١] لِلَّدلالَةِ عَلَيْكَ، وَأنْهَجْتَ[٢] بِآلِهِ عليهم السلام[٣] سُبُلَ[٤] الرِّضا إِلَيْكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسيلَةً لَنا إِلَى أَشْرَفِ مَنازِلِ الْكَرامَةِ، وَسُلَّماً نَعْرُجُ فيهِ[٥] إِلَى مَحَلِّ[٦] السَّلامَةِ، وَسَبَباً نُجْزى بِهِ[٧] النَّجاةَ في عَرْصَةِ[٨] الْقِيامَةِ، وَذَريعَةً نَقْدَمُ[٩] بِها عَلى نَعيمِ دارِ الْمُقامَةِ.

وقد ادّى النبيّ محمد صلى الله عليه وآله دوره في تبليغ رسالة القرآن بالدعوة إلى الله سبحانه حيث اختاره سبحانه علماً يقتدى به «وانهج بآله» أي أوضح السبيل الّذي يوصل إلى الله سبحانه بآل الرسول عليهم السلام، فقد طبّق آل الرسول عليهم السلام سنة جدهم صلى الله عليه وآله في الحياة واتخذوه قدوة للامة حتى تتخذ الأُمة القرآن وسيلة للعمل الصالح، ويتحقق لها من الآثار:

١ ـ أشرف منازل الكرامة، فتكون خير أمة أخرجت للناس.

٢ ـ السلامة بالتدرّج في مدارج الكمال الّتي تدرس في القرآن.

٣ ـ النجاة في يوم القيامة من العذاب.

٤ ـ الفوز بنعيم دار المقام في الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة.

---

(١) في (س): «العَلم: العَلامة، والعَلَم: الراية». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).
(٢) في (ت): «ونهّجت»، وفي (س): «النهج: الطريق الواضح. و«أنهج طريقاً»: أي طرّق طريقاً. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).
(٣) عبارة: «عليهم السلام» من (ش) (ت).
(٤) في (ت): «سبيل».
(٥) في (ت): «نعرج به»، وفي (ف) : «يعرج فيه».
(٦) في (ش) (ف) : «محلّة».
(٧) في (ش) (ت): «نحوي به»، وفي (ف) : «يُحوى به».
(٨) في (ش) (ف) : «محلّة»، وفي (س): «العرصة: كلّ بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع العراص والعرصات». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٩).
(٩) في (ف) : «يقدم».

كل ذلك انما يتحقق بأن يتخذ الإنسان القرآن وسيلة للعمل الصالح في الدنيا ويعيش انسان مسؤولاً عن نفسه واسرته ومجتمعه لأداء دوره الإسلامي المطلوب في كل مرحلة من مراحل حياته.

[٧/٤٢ ـ من آثار القرآن: التطهير]:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاحْطُطْ بالْقُرْآنِ عَنّا[١] ثِقْلَ الأوزارِ، وَهَبْ لَنا [بِهِ][٢] حُسْنَ شِمآئِلِ الأَبْرارِ[٣]، وَأقْفُ بِنا[٤] آثارَ الَّذينَ قامُوا لَكَ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ[٥]، حَتّى تُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ دَنَس بِتَطْهيرِهِ، وَتَقْفُوَ بِنا آثارَ[٦] الَّذينَ اسْتَضاءُوا[٧] بِنُورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الأَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ، فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِهِ[٨].

والعمل بالقرآن يستلزم آثاراً، منها:

١ ـ الحط من ثقل الاوزار والذنوب، فإن الرؤية الواضحة للمسؤولية الإنسانية تجعل الإنسان يجتنب عن الذنوب.

---

(١) في (ف): «عنا بالقرآن».
(٢) كلمة: «به» من (ش) (ف) (ت).
(٣) في (ش) العبارة هكذا: «وَهَبْ لَنا به حُسْن شِمآيِل الْاَبْرارِ»، وفي (س): «الشمائل: الأخلاق». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).
(٤) في (ت): «وأقفنا»، وفي (س): «قفوت أثره قَفْواً (وقُفُوّاً): أي أتبعته، وقفّيت على أثره بفلان أي أتبعته إياه. واقف بنا آثاره: أي أتبعنا آثاره. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).
(٥) في (ش) العبارة هكذا: «آناءَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ».
(٦) في (ش) (ف): «أثر».
(٧) في (ف): «استصبحوا».
(٨) لم ترد في (ش): «بخدع غروره»، ولم ترد في (ف) عبارة: «وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْاَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِهِ».

٢ ـ حسن شمائل الابرار؛ فإن قصص التاريخ المذكورة في القرآن تبني الشخصية البارزة في المجتمع.

٣ ـ القفوّ والمتابعة لمن قام لله بواجبه ليلاً ونهاراً.

٤ ـ الطهارة من كل دنس، أي الوسخ الفكري والروحي.

٥ ـ متابعة آثار الذين استضاءوا بنور القرآن في التاريخ الإسلامي من النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام والصحابة الكرام.

٦ ـ عدم اللهو، بل الاشتغال بما هو المطلوب منه في كل لحظة من لحظات الحياة، فإن الأمل يلهي عن العمل، فيقطع الإنسان عن عمله بالخداع والغرور.

[٨/٤٢ ـ ومن الآثار: كونه نبراساً]:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ لَنا فِي ظُلَمِ اللَّيالِي(١) مُونِساً، وَمِنْ نَزَغاتِ(٢) الشَّيْطانِ(٣) وَخَطَراتِ الْوَساوِسِ حارِساً(٤)، وَلِأَقْدامِنا عَنْ نَقْلِها إِلَى الْمَعاصي حابِساً، وَلأَلْسِنَتِنا عَنِ الْخَوْضِ(٥) فِي الْباطِلِ مِنْ غَيْرِ ما آفَةٍ مُخْرِساً(٦)، وَلِجَوارِحِنا

---

(١) في (ش) (ت): «الليلِ».

(٢) في (ف): «نزعات».

(٣) في حاشية (ج) (د): «الشياطين ـ س».

(٤) في (ت): «الشياطين»، ولم ترد في (ش): «وَمِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ وَخَطَراتِ الْوَساوِسِ حارِساً».

(٥) في (س): «خاض القوم في الحديث، وتخاوضوا، أي تفاوضوا فيه». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).

(٦) في (ت): «من غير ما حقّه مخرساً»، ولم ترد في (ش) (ف): «وَلأَلْسِنَتنا عَنِ الْخَوْضِ فِي الْباطِلِ مِنْ غَيْرِ ما آفَة مُخْرِساً»، وفي حاشية (د) ما نصه: «كلمة «ما» في قوله: «ما آفة» زائدة، غير مساقة للعمل، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (سورة آل عمران٣: ١٥٩)». (وراجع: شرح السيد الداماد، ورياض السالكين ٥: ١٦١).

عَنِ اقْتِرافِ الآثامِ زاجِراً، وَلِما طَوَتِ[١] الْغَفْلَةُ عَنّا مِنْ تَصَفُّحِ الإعْتِبارِ ناشِراً، حَتّى تُوصِلَ إِلَى قُلُوبِنا فَهْمَ[٢] عَجائِبِهِ، وَزَواجِرَ أَمْثالِهِ الَّتي ضَعُفَتِ الْجِبالُ الرَّواسي ـ عَلى صَلابَتِها ـ عَنِ احْتِمالِهِ.

ومن آثار القرآن أيضاً:

٧ ـ الأُنس في ظلم الليالي، لأنه خير صاحب في الوحدة.

٨ ـ الحارس من نزغات الشيطان الّتي تحرض الإنسان على الفساد.

٩ ـ الحبس للأقدام عن مباشرة المعاصي.

١٠ ـ عقد اللسان عن الخوض في الباطل.

١١ ـ الزجر للجوارح ـ أي الاعضاء ـ عن اقتراف الآثام.

١٢ ـ النشر والإعلان لما به الاعتبار مما قد يغفل عنه الإنسان عادة.

فإنّ هذه الآثار تهيئ الإنسان لفهم عجائب القرآن، والاعتبار بالامثال القرآنية الّتي بها العبرة في الحياة.

وهذه العجائب والزواجر عظيمة لا يطبّقها جميعاً على وصف الكمال إلّا الأوحديّ من المتقرّبين إلى الله تعالى. كما تضعف الجبال الرواسي ـ أي الثوابت ـ على صلابتها عن احتمال ثقلها[٣]، وتحمّل المسؤولية القرآنية تجاه النفس

---

(١) في (ج): «طوِت»، وفي حاشية (ج): «الواو مكسورة كما ترى، وهو من سبق قلم جدّي أو قلم شيخنا الشهيد، وهو على كلٍ إما لالتزام متابعته في كل شيء كما تقدم، وإما لانه لم يعط رؤيته حقها، والصواب الفتح، كما مطّرد في مضانّه». (قال المحقق: وهذا التعليق بخط الشيخ البهائي رحمه الله).

(٢) في (ج): «فهْم»، وفي حاشية (ج): «فَهْم، فَهَم ـ معا».

(٣) قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الحشر ٥٩: ٢١).

والمجتمع حمل روحي تضعف عنه أصحاب القوى الماديّة، ويفتقر الإنسان إلى استعداد روحي عال لتحمّل هذه المسؤولية.

[٩/٤٢ ـ ومن الآثار: كونه متراساً]:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَأَدِمْ بِالْقُرْآنِ صَلاحَ ظاهِرِنا، وَأَحْجُبْ بِهِ خَطَراتِ الْوَساوِسِ(١) عَنْ صِحَّةِ ضَمآئِرِنا، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ(٢) [الخَطايَا عَنْ](٣) قُلُوبِنا، وَعَلائِقَ أَوْزارِنا، وَأَجْمَعْ بِهِ مُنْتَشَرَ(٤) أُمورِنا، وَأَرْوِ(٥) بِهِ في مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ظَمَأَ هَواجِرِنا [وَنوِّرْ بِهِ قَبلَ البَعْثِ سُدفَ قُبُورِنَا](٦)، وَأَكْسُنا بِهِ حُلَلَ الأمانِ(٧) يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ في نُشُورِنا.

ومن آثار القرآن أيضاً:

١٣ ـ صلاح الظاهر بدوام ما يتلى من القرآن.

١٤ ـ صحة الضمير بحجبه عن خطرات الوساوس الشيطانية.

١٥ ـ غسل القلوب من الدرن، أي الوسخ الروحي وما بقي من الاوزار.

١٦ ـ جمع الامر، بالتركيز على الواجب بدل تشتّت الافكار.

---

(١) في (س): «الوسواس».

(٢) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «رين»، وفي (س): «الدرن: الوسخ». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ت).

(٤) في حاشية (ج): «منتَشِرَ، منتَشَرَ ـ س».

(٥) في (ت): «و أزو».

(٦) ما بين المعقوفتين من (ف)، والسدف ـ بالتحريك، كجمل ـ: جمع سدفة بالضمّ، وهي الظلمة، ومنه حديث «وكشفت عنه سدف الرّيب» أي ظلمها. (رياض السالكين ٥: ٤٨١)، وجمع السدف: أسداف بفتح الهمزة جمع سدف كأجمال، وهي الظلم.

(٧) في (ت): «الايمان».

١٧ ـ الريّ من الظمأ في يوم القيامة عند الهواجر، أي اشتداد الحر.

١٨ ـ الأمن يوم الفزع الاكبر في النشور، حيث يفتقر الإنسان إلى ما يكتسي به من حلل الأمان، وهو في ذلك اليوم احوج ما يكون إليها من أي وقت آخر.

[١٠/٤٢ ـ آثار القرآن في الجانب الاقتصادي]:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَاجْبُرْ بِالْقُرْآنِ خَلَّتَنا مِنْ عَدَمِ الإمْلاقِ[١]، وَسُقْ اِلَيْنا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ وَخِصْبَ[٢] سَعَةِ[٣] الأرْزاقِ، وَجَنِّبْنا بِهِ الضَّرآئِبَ[٤] الْمَذْمومَةَ[٥] وَمَدانِيَ[٦] الأَخْلاقِ، وَاعْصِمْنا بِهِ[٧] مِنْ هُوَّةِ[٨] الْكُفْرِ وَدَواعِي النِّفاقِ، حَتّى يَكُونَ لَنا فِي الْقِيامَةِ إِلَى رِضْوانِكَ وَجِنانِكَ[٩] قآئِداً، وَلَنا في الدُّنْيا عَنْ سَخَطِكَ وَتَعَدّي حُدُودِكَ[١٠] ذآئِداً[١١]، وَلِما عِنْدَكَ[١٢] بِتَحْليلِ

---

(١) في (س): «الإملاق: الافتقار». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).

(٢) في (س): «الخِصب ـ بالكسر ـ: ضد الجدب». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).

(٣) لم ترد في (ت): «سعة».

(٤) في (ت): «الضمائر، الضرائب»، وفي (ف): «الصوايب»، وفي (س): «الضريبة: الطبيعة والسجية، الجمع: الضرائب». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).

(٥) في (ش) العبارة هكذا: «وَجَنّبنا بِهِ من الضَّرآئِبَ الْمتقومَةَ».

(٦) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «ومذامّ».

(٧) لم ترد في (ف): «به».

(٨) وفي (س): «الهوّة: الوهدة العميقة، والوهدة: المكان المطمئن، والمطمئن: المنخفض». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٠).

(٩) في (ت): «وجنابك».

(١٠) في (ف): «حدودك وسخطك».

(١١) في (س): «الذيادة: الطرد، يقال: ذُدته عن كذا، وذدت الإبل: سقتها وطردتها». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

(١٢) في (ش) العبارة هكذا: «وَلَنا في الدُّنْيا والآخرة عَنْ سُخطِكَ وَحُدُودِكَ ذآئِداً، وَلنا عَنْدَكَ»، وفي (ت) العبارة هكذا: «وَلَنا في الدُّنْيا عَنْ سخطِكَ وَتعدي حُدُودِكَ ذآئِداً، وَلنا عَنْدَكَ».

حَلالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرامِهِ شاهِداً [وَبِنَا فِي نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ فِي مَقَاصِيرِ جَنَّاتِ عَدْنٍ وَارِداً] (١).

ومن آثار القرآن في الجانب الاقتصادي:

١٩ ـ جبر الخلّة، أي الحاجة والفقر، بدراسة الثوابت الاقتصادية في القرآن الّتي تؤثّر فيما يأتي:

ألف ـ رغد العيش، وهو العيش بهناء وطيب.

ب ـ سعة الأرزاق.

ج ـ مقاطعة الضرائب المذمومة، أي الطبائع الرذيلة المؤثّرة في الحياة سلبيا، كالبخس في الميزان.

د ـ تجنّب الاخلاق الدنيئة في المعاملات كالغش والكذب.

هـ ـ العصمة من هوّة الكفر، وهوة الكفر يتمثل بالذي لا يرى لنفسه إلّا جلب المصلحة بأية وسيلة حصلت.

و ـ العصمة من دواعي النفاق في التعامل مع الآخرين الموجب لشل حركة الاقتصاد في المجتمع.

وهذه الآثار على الاغلب تتعلّق بالجانب الاقتصادي في المجتمع، فإن لها تأثيراً في طيب المعاش؛ فإن التجارة الحرّة المبتنية على الثقة تولّد سيولة في البيع والشراء، وما تفقد الثقة تؤثر في توقّف عملية التجارة في المجتمع، هذا في الدنيا.

وأما في الآخرة: فالالتزام بالثوابت الاقتصادية الاصيلة تستتبع رضوان الله بسبب الالتزام بالحدود الإسلامية من الحلال والحرام؛ فإن الاعمال في الدنيا تكون شاهدة على هذه النتائج في الآخرة.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ف).

[١١/٤٢ ـ آثار القرآن عند الموت]:

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَهَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلى أنْفُسِنا كَرْبَ السِّياقِ، وَجَهْدَ الأنِينِ، وَتَرادُفَ الْحَشارِجِ[١] إذا بَلَغَتِ النُّفُوسُ[٢] التَّراقِيَ[٣] ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾[٤]، وَتَجَلّى[٥] مَلَكُ الْمَوْتِ[٦] لِقَبْضِها مِنْ حُجُبِ الْغُيوبِ، وَرَماها[٧] عَنْ قَوْسِ الْمَنايا بِأَسْهُم[٨] وَحْشَةِ الْفِراقِ[٩]، وَدافَ لَها مِنْ ذُعافِ مرارةِ[١٠] الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذاقِ[١١]، وَدَنا مِنها[١٢] إلَى الآخِرَةِ رَحِيلٌ وَانْطِلاقٌ[١٣]، وَصارَتِ الأعْمالُ قَلائِدَ فِي الأعْناقِ[١٤]، وَكانَتِ

---

(١) في حاشية (د): «الحشارج، جمع حشرج: الغرغرة وتردد النفَس عند الموت»، وفي (س): «الحشرجة: الغرغرة عند الموت وتردّد النفس». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

(٢) في (ش): «النفس».

(٣) في حاشية (ج) في نسخة: «التراق»، وفي (س): «الترقوة: العظم الّذي بين (ثغرة) النحر والعاتق». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

(٤) اقتباس من القرآن الكريم، سورة القيامة ٧٥: ٢٦ ـ ٢٧.

(٥) في (س): «تجلّى أي انكشف». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

(٦) في (ف) زيادة: «عليه السلام»، وفي (ف) زيادة: «صلوات الله عليه».

(٧) لم ترد في (ف): «وَرَماها عَنْ قَوْسِ الْمَنايا بِأَسْهُم وَحْشَةِ الْفِراقِ».

(٨) في (ت) وحاشية (ج) (د) في نسخة: «بسهم».

(٩) لم ترد في (ف): «وَرَماها عَنْ قَوْسِ الْمَنايا بِأَسْهُم وَحْشَةِ الْفِراقِ» هنا، ووردت بعد الجملة التالية. وفي (ق) موارد عديدة من التقديم والتأخير الذي لا يخل بالمعنى، ونحن لا نشير إلّا إلَى ما نحتمل دخالته في المعنى ولو من وجه بعيد، فقط، فتأمل.

(١٠) كلمة: «مرارة» من (ت) فقط.

(١١) لم ترد في (ش) (ج) عبارة: «وَدافَ لَها مِنْ ذُعافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذاقِ» ولكنها وردت في حاشية (ج)، وكتب عليها: «نسخة».

(١٢) كلمة: «منها» من (ت)، وفي غيرها: «منّا».

(١٣) في (ت): «رحيل الفراق»، لم ترد في (ش): «وانطلاق».

(١٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا * ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. (سورة الإسراء١٧: ١٣ ـ ١٤).

لْقُبورُ هِيَ الْمَأْوى إِلَى ميقاتِ يَوْمِ التَّلاقِ.

ومن الآثار النفسية للقرآن على الإنسان: الاستعداد الكامل للموت، للرؤية لواضحة في المسير والمصير، وهو موقف أصعب ما يكون على الإنسان الذي علق قلبه بالمادة والماديات، وأسهل ما يكون على من آمن بـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ جِعُونَ﴾[1].

وحيث ان الإنسان موجود مادّي فهو مهما يحاول التجرّد من الماديات تتأكد ندده الحاجة إلى الاستعانة بالقرآن في هذا الموقف الذي يفتقر إلى التسهيل من الله ي امور، منها:

١ ـ كرب السياق، أي مشقّة السوق إلى الحياة الآخرة.

٢ ـ جهد الأنين مما يتحمّله الإنسان من الجهد في صوته من شدّة الألم.

٣ ـ ترادف الحشارج، أي تتابع الحشرجة، وهي تردد صوت المريض في لقه.

و كل ذلك عند اللحظات الاخيرة من الحياة الدنيا حيث تبلغ إليها النفوس إنسانية التراقي، وهي العظام القريبة من النحر، وهي اللحظات الّتي يقول صحاب المحتضر: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾[2] أي هل أن له عوذة أو رقية نافعة لهذه اللحظة؟ لى سبيل الاستفهام الإنكاري، للعلم بامور:

١ ـ إنّ ملك الموت يقوم بوظيفته في قبض الروح.

٢ ـ إنّ أسهم المنايا صائبة ولن تخطئ أبداً.

٣ ـ إنّ لحظة الفراق الأبدي الموحشة قد حانت.

٤ ـ إنّ كأس الموت المختومة على الذعاف، أي السم. والمدوّفة، أي خليطة لهذا الغرض جاهزة.

) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٦.

) اقتباس من القرآن الكريم، سورة القيامة ٧٥، الآية: ٢٧.

٥ ـ إنّ وقت الرحيل إلى الآخرة قد دنى.

٦ ـ إنّ الاعمال أصبحت معلقة كالقلادة في الأعناق.

٧ ـ إنّ القبور هي المأوى حتى يوم القيامة، حيث يكون الحشر والتلاق. وهذه اللحظة الصعبة لا تهون إلّا بالعلم بالمبدأ القرآني وأنّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾[١] وأنّ لا أمر الّا أمر الله تعالى.

[١٢/٤٢ ـ آثار القرآن في القبر]:

اَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ[٢]، وَبارِكْ لَنا في حُلُولِ دارِ الْبِلى، وَطُولِ الْمُقامَةِ[٣] بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرى، وَاجْعَلِ الْقُبُورَ بَعْدَ فِراقِ الدُّنْيا خَيْرَ مَنازِلِنا، وَأَفْسَحْ لَنا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَلاحِدِنا[٤].

ويفتقر الإنسان إلى آثار القرآن في القبر حيث انه دار البلى منذ مفارقة الروح للجسد، وانها دار باقية لطول المقام فيها حتى يوم النشور ببقاء الجسد تحت أطباق الثرى متغيّراً من حال إلى حال، وآثار القرآن تظهر نتيجة الاعمال الصالحة هناك، ومنها:

١ ـ البركة باستئناس الروح الإنسانية وبركة الاعمال الصالحة في الدنيا.

٢ ـ أنّها خير منزل بعد فراق الدنيا.

٣ ـ الفسحة في ضيق اللحد، وهو الشق الذي يوضع فيه الميت.

---

(١) اقتباس القرآن الكريم، سورة العنكبوت٢٩، الاية ٥٧.

(٢) في (ش): «اَللّهُمَّ فصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ».

(٣) في (ش): «المقام».

(٤) في (ش) (ت): «مداخلنا»، وفي (س): «اللحد بالتسكين: الشقّ في جانب القبر. وألحدت الميت: أي وضعته في اللحد. واسم المكان منه: ملحد، والجمع: ملاحد. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

كل ذلك لأن الروح الإنسانية تشعر بكل ما يشعره الإنسان في الحياة منذ انفصالها ن الجسد بالموت، وبالاضافة إلى ذلك فإنها ترى ما لا يراه الإنسان الماديّ.

١٣/٤١ ـ آثار القرآن في يوم القيامة]:

وَلا تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِ الْقِيامَةِ[١] بِمُوبِقاتِ[٢] آثامِنا، وَارْحَمْ لْقُرْآنِ في مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقامِنا، وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ ضْطِرابِ جِسْرِ[٣] جَهَنَّمَ ـ يَوْمَ الْمَجازِ عَلَيْها ـ زَلَلَ[٤] أَقْدامِنا نَوِّرْ بِهِ قَبلَ البَعْثِ سُدفَ قُبُورِنَا، وَأَلْبسنا بِهِ حُلَلَ الأمانِ يَوْمَ فَزَعِ الأَكْبَرِ في نُشُورِنا][٥]، وَنَجِّنا بِهِ[٦] مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ قِيامَةِ[٧]، وَشَدآئِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّآمَّةِ[٨]، وَبَيِّضْ بِهِ[٩] وُجُوهَنا يَوْمَ سْوَدّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ في يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدامَةِ.

---

(١) كذا في (ف)، وفي غيرها: «حاضري القيامة»، وفي حاشية (د) ما نصه: «حاضر القيامة: إمّا بمعنى الجمع الكثير الذين يحضرون يوم القيامة من قولهم: «للحيّ العظيم والقبيلة الكبيرة» حاضر، وإمّا بمعنى المكان المحضور يوم القيامة. قال الخطابي: ربما جعلوا الحاضر اسما للمكان المحضور فيقولون: نزلنا حاضر بني فلان. فهو فاعل بمعنى مفعول. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ٤٧٩).

(٢) في (ش): «بمواقفِ».

(٣) في (ج): «حرّ»، ولم ترد في (ف): «جسر»، وفي حاشية (ج): «جسر ـ س».

(٤) في (ش): «ذلك».

(٥) ما بين المعقوفتين من (ت)، وورد أيضا في ملحق (ك) عن بعض نسخ الصحيفة، وقد تقدم بعضها في المقطع (٩)، والسدف ـ بالتحريك، كجمل ـ: جمع سدفة بالضمّ، وهي الظلمة، ومنه حديث: «وكشفت عنه سدف الرّيب» أي ظلمها. (رياض السالكين ٥: ٤٨١)، وجمع السدف: أسداف بفتح الهمزة جمع سدف كأجمال، وهي الظلم.

(٦) لم ترد في (ش): «بهِ».

(٧) في (ت): «الطامّةِ».

(٨) في (ت): «القيامةِ»، وفي (س): «كلّ شيء كثير حتى علا وغلب فقد طمَّ يطمّ، يقال: فوق كلّ طامّة طامّة، ومنه سميت القيامة: طامة». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

(٩) كلمة: «بهِ» من (ت).

[١٤/٤٢ ـ طلب الحُسنى من الله]:

[أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمُدَّ لَنَا فِي الحُسْنَى مَدّاً](١) وَاجْعَلْ لَنا في صُدورِ الْمُؤْمِنين وُدّاً، وَلا تَجْعَلِ الْحَياةَ عَلَيْنا نَكَداً(٢).

ويفتقر الإنسان إلى آثار القرآن في يوم القيامة وهو يوم العرض الأكبر للناس وأعمالهم و نتائجها، ومن تلك الآثار:

١ ـ الرحمة في ذل المقام بسبب موبقات الآثام.

٢ ـ الثبات والاستقرار عند اضطراب الجسر الممدود على جهنم للوصول إلى الجنّة؛ لئلا يسقط الإنسان في النار.

فإن في هذا اليوم الذي هو يوم الجواز عليها قد تزلّ الاقدام من هول الموقف، فيوجب سقوط الإنسان في النار.

٣ ـ النجاة من كل كرب، وهو الغم والحزن الشاق في يوم القيامة هذا، حيث أن اهوال هذا اليوم طامة، أي عالية على أيّ هول آخر، وشديدة لشدة الحساب فيه.

٤ ـ بياض الوجه بصالح الاعمال الّتي أمر القرآن بها في الدنيا في هذا اليوم الذي تسودّ فيه وجوه الظلمة، فيكون يوم حسرة وندامة عليهم.

٥ ـ الودّ في صدور المؤمنين حيث ان الارواح جنود مجنّدة، وودّ المؤمن لأخيه يكشف عن التزاماته بمبادئ القرآن لمن يجمعه واياه القرآن الكريم.

وختم هذا المقطع من آثار القرآن في النفس والمجتمع عند الموت وفي

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ف) (ت).

(٢) في (ت): «كَدّاً»، وفي حاشية (ج) (د): «نَكَداً، نَكْداً ـ معا»، وفي (س): «النكد: العسر». (حاشية ابن إدريس: ٢٦١).

الدنيا وفي القبر ويوم القيامة في الحياة الآخرة بقوله: (ولا تجعل الحياة) أي الحياة الآخرة الّتي هي حياة حقيقية أبدية (نكداً) أي تعباً بالمحاسبة على سيئات الأعمال. وكل ذلك بفضل القرآن وآثاره الّتي جعلت الإنسان مسؤولا في حياته وفي تفكيره وعمله تجاه نفسه ومجتمعه.

[١٥/٤٢ ـ الدعاء للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ[١] عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَما بَلَّغَ رِسالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ، وَنَصَحَ لِعِبادِكَ.

وختم الإمام هذا الدعاء بسلسلة من الصلوات على النبيّ محمد صلى الله عليه وآله الذي بلّغ بالقرآن، وكان ذلك سبباً لهداية الإنسان لتحمل مسؤولياته في الحياة تجاه نفسه ومجتمعه، ولولا هذا الدور القيادي الذي قام به الرسول صلى الله عليه وآله لكان الإنسان باقيا في سنن الجاهلية، يعيش كالحيوانات التي همّها علفها، من الحياة حتى الممات.

وخصّ في هذا المقطع خصائص ثلاث له صلى الله عليه وآله، وهي:

١ ـ ابلاغ الرسالة الإلهيّة بالكمال.

٢ ـ إعلان الدعوة (صدع بالأمر) أي جهر بما أُمر به.

٣ ـ نصح العباد، وانما الدين النصيحة.

وهذه الأمور هي مقومات الرسالة الإلهيّة ولا تعادلها إلّا صلوات متعادلة معها، وهي مقوّمات كل رسالة قام بها الأنبياء من سيدنا آدم عليه السلام وحتى آخرهم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله، فقال:

اَللّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ[٢] يَوْمَ الْقِيامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِساً، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً،

---

(١) في (ش) (ت) زيادة: «وآلِهِ».

(٢) في (ت): «صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، ولم ترد في (ش): «صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ».

وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهاً.

[اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، كَمَا أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا مُبْصِرِيْنِ بِنَوِرِ الْهُدى الَّذِي جَاءَ بِهِ، طَاهِرَيْنِ[1] بِعِزِّ الدِّينِ الَّذِي دَعى إِلَيه، مُفْلِحِينَ بِحُجَجِ الْكُتَّابِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيهِ][2].

[اللَّهُمَّ، اِجْعَلْ أُفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وَأَجْزَلَ بِرَكَاتِكَ، الطَّيِّبَاتِ، الْمُبَارَكَاتِ، الزَّاكِيَاتِ، التَّامَّاتِ، عَلَى أَكْرَمِ أنبيَائِكَ عَلَيكَ، وَأَجَلَّ رُسُلِكَ مَنْزِلَةً لَدَيكَ، مُحَمَّدٍ بن عَبْدِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبراهيمَ وَآلِ إبراهيمَ.

وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبراهيمَ وَآلِ إبراهيمَ.

وَارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ كَمَا رَحِمْتَ إبراهيمَ وَآلَ إبراهيمَ.

وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا سَلَّمْتَ عَلَى «إبراهيم» و«نُوْحٍ»[3] فِي الْعَالِمِينَ.

---

(١) كذا في (ف): «طاهرين»، ولعله من سهو القلم، والصحيح: «ظاهرين»، كما في المصباح.

(٢) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط، وأورده الشيخ في مصباحه في دعاء ليلة الاثنين، ونصه: (اللهم صل على مُحَمَّدٍ عبدك ورسولك ونبيك وعلى أهل بيته كما سبقت إلينا به رحمتك، وقرّب إلينا به هداك، وأورثتنا به كتابك ودللتنا به على طاعتك، فأصبحنا مبصرين بنور الهدى الذي جاء به، ظاهرين بعز الدين الذي دعا إليه، ناجين بحجج الكتاب الذي نزل عليه). (مصباح المتهجد، للشيخ الطوسي: ٤٥٢، ح٥٥٨).

(٣) العبارة في (ف) هكذا: «إبراهيم نوح»، و«الواو» زيادة منا، أضفناه للسياق. والظاهر أن سقوطه من سهو القلم، فقد ورد السلام على ابراهيم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (سورة الصافات ٣٧: =

وَأُمْنُن عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا مَنَنْتَ عَلَى مُوسى وهارون(١)، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فِي كُلِّ وَقْتٍ وأَوَانٍ وَعَلَى كُلِّ حالٍ وَزَمانٍ، عَدَدَ مَا صَلِيتَ عَلَى مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيهِ، وَأَضعَافَ ذَلِكَ كُلِّهِ بالأضعَافِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تَشَاءُ وَتُرِيدُ](٢).

وخص في هذا المقطع نبينا محمد صلى الله عليه وآله بصلوات خاصة تجعله أفضل من غيره ممّن سبقه من الأنبياء عليهم السلام، لأنه ما أوذي نبيّ مثل أُوذي صلى الله عليه وآله في سبيل ابلاغ رسالته، وذلك بأمور:

١ ـ جعله أقرب النبيين مجلساً في الرتبة، لكمال رسالته.

٢ ـ أمكنهم شفاعة.

٣ ـ أجلّهم قدراً.

٤ ـ أوجههم جاهاً.

كل ذلك لما في رسالة الإسلام من كونها الخاتمة لرسالات السماء، وان بها كمال الدين وتمام النعمة، ولم يكن لمن سبقه من الأنبياء هذا الكمال في تبليغ الرسالة الكاملة، واقامة حكم الله على الأرض، ولذلك كان أفضل الأنبياء والمرسلين.

---

١٠٩ ـ ١١١)، كما ورد السلام على نوح في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. (سورة الصافات ٣٧: ٧٩ ـ ٨١).

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. (سورة الصافات ٣٧: ١١٤ ـ ١٢٢).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

[١٦/٤٢ ـ طلب التشريف للنبيّ ﷺ]:

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ[١]، وشَرِّفْ بُنْيَانَه، وعَظِّمْ بُرْهَانَه، وثَقِّلْ مِيزَانَه [وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَأَحْسِنْ مَآبَهُ، وَأَجْزِلْ ثَوَابَهُ][٢]، وتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وقَرِّبْ وَسِيلَتَهُ، وبَيِّضْ وَجْهَهُ، وأَتِمَّ نُورَهُ[٣]، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ[٤]، وتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وخُذْ بِنَا مِنْهَاجَهُ، واسْلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ، واجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ[٥]، واحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، واسْقِنَا بِكَأْسِهِ.

وحيث إن النبيّ محمد ﷺ تمكّن ـ من بين سائر الأنبياء ـ من القيام بوظائف النبوة والحكم معاً وكان خاتم الأنبياء، كان استمرار هذا الدين أمراً ضرورياً ليأمن من تحريف الظالمين لمبادئه وافكاره الاخلاقية من العقيدة والشريعة، فقد تضمّن هذا المقطع الدعاء له بأمور تؤكد على استمرارية الرسالة، وهي:

١ ـ شرف البنيان من الثوابت الإسلامية الاصيلة الّتي لا يمكن التعدي عنها كالعدل في الحكم.

٢ ـ عظم البرهان، أي تعظيم الحجة الإسلامية على غيرها.

٣ ـ ثقل الميزان، وهو كناية عن الكفة الراجحة في الحياة.

٤ ـ قبول الشفاعة للأمة؛ لإيمانها بتلك المبادى وان اخطأ بعضهم بالانحراف عنها.

٥ ـ قرب الوسيلة، أي قبول ما يتوسل به إلى الله من العبادات.

---

(١) في (ش) (ت): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ»، ولم ترد في (ف): «صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، و».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٣) في (ش) (ت): «وأتمم نوره».

(٤) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «طريقته».

(٥) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «واجعلنا من أهل ملتهِ».

٦ ـ بياض الوجه، وهو كناية عن الاستبشار بأداء الواجب.

٧ ـ اتمام النور بوصوله إلى كافة أرجاء المعمورة.

٨ ـ رفع الدرجة في الفضيلة التامة.

٩ ـ احياء السنة الّتي سنّها النبيّ صلى الله عليه وآله للمجتمع عملياً، ليتابعها الآخرون.

وهذه الأمور تخصّ النبيّ صلى الله عليه وآله في رسالته، وأما ما يخصّنا كمسلمين بالنسبة لى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد نص هذا المقطع من الدعاء بـ:

١ ـ الوفاة على ملّته الحنيفية السمحاء.

٢ ـ الأخذ بمنهاجه في الحياة وتطبيق سنن النبيّ صلى الله عليه وآله في حياتنا.

٣ ـ سلوك سبيله الذي سلكه في الدعوة في مكة والمدينة حتى الوفاة.

٤ ـ طاعته صلى الله عليه وآله في أقواله؛ فإنّ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1].

٥ ـ الحشر في زمرة المؤمنين برسالته.

٦ ـ الورود على حوضه في يوم القيامة، حيث يرده خيار أُمته وهو حوض الكوثر.

٧ ـ السقي من كأسه من حوض الكوثر. آمين رب العالمين.

وللتفصيل راجع المواد في معجم الاحاديث.

١٧/٤٢ ـ طلب التفضيل للنبيّ صلى الله عليه وآله]:

وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه[2]، صَلَاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا أَفْضَلَ[3] مَا ـأْمُلُ[4] مِنْ خَيْرِكَ [وَبِرِّكَ][5] وفَضْلِكَ وكَرَامَتِكَ، إنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ ـاسِعَةٍ، وفَضْلٍ كَرِيمٍ[6].

---

١) القرآن الكريم، سورة النساء ٤ : ٨٠.

٢) في (ش) العبارة هكذا: «وصل عليه وعلى أهل بيتِهِ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وصل عليه وعلى آلِهِ»، وفي (حاشية ابن إدريس) العبارة هكذا: «اللهم وصل على مُحَمَّدٍ وآلِهِ».

٣) لم ترد في (ش): «أفضل».

٤) في (ف) : «يؤمّل».

٥) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

٦) إلَى هنا ينتهي الدعاء في (ش)، والعبارات التالية أوردها المحقق في هامش (ش) عن =

ولخص هذا المقطع الصلوات على النبيّ محمد ﷺ بكلمة موجزة، وهي ان تكون الصلوات افضل ما يأمل من خير الله وفضله وكرامته، لأنه أفضل الأنبياء، فيكون له افضل الصلوات، وهو تعالى صاحب الرحمة الواسعة والفضل والكرم.

[١٨/٤٢ ـ جزاء الرسالة]:

اللَّهُمَّ أجْزِه بِمَا بَلَّغَ مِنْ(١) رِسَالاتِكَ، وأَدَّى مِنْ آيَاتِكَ(٢)، ونَصَحَ لِعِبَادِكَ، وجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ، أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلَائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ(٣)، وأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ(٤)، والسَّلَامُ عَلَيْه وعَلَى آلِه الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ(٥) ورَحْمَةُ اللَّه وبَرَكَاتُه(٦).

= بعض النسخ المعتمدة لديه.

(١) في (ت): «بلّغ به».

(٢) لم ترد في (ف) (ت): «وأدى من آياتك».

(٣) لم ترد في (ت): «المقربين».

(٤) لم ترد في (ف) : «المصطفين».

(٥) لم ترد في (ف) : «الطيبين الطاهرين».

(٦) في حاشية (ج) (د) هنا ما نصه: «إذا كانت لك حاجة، فاختم القرآن بعد صلاة العصر [و] خذ المصحف وانشره من اوله إِلَى آخره، ثم ارفعه بيدك ما استطعت، وقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَوَجَّهُ إِلَيكَ بالقرآن الْعَظِيمِ، مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، وَفِيهِ إِسْمُكَ الأكبر، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّاتِ، يا سَامِعَ كُلَّ صَوْتٍ، يا جَامِعَ كُلَّ فَوّتٍ، ويا بَارِئَ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، يا مِنْ لَا تَغْشَّاهُ الظُّلْمَاتِ، وَلَا تَشْتَبِهُ عَلَيه الأصوات، أَن تصلي على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وأن تعطي محمداً أفضل ما سُئلت له، وأفضل ما أنت مسؤولٌ له إِلَى يوم القيامة، ياذا الجلال والاكرام. وأن تغفر لي وترحمني وترزقني الجنة». وهذا مكتوب في (د) بخط الشهيد قدس سره، وفي (ج) بخط الشيخ البهائي قدس سره. وروى الميرزا حسين النوري الطبرسي في مستدرك الوسائل (٤: ٣٠١ ـ ٣٠٣، الباب ٣١، باب جواز الاستخارة بالقرآن بل استحبابها، وكراهة التفأل، ح٤٧٤٤) عن البحار، ما نصه: روى بعض الثقات عن الشيخ الفاضل الشيخ جعفر البحريني (رحمه الله) انه رأى في بعض مؤلفات أصحابنا الإمامية، انه روي مرسلا عن الصادق (عليه السلام) قال: ما لأحدكم إذا ضاق بالأمر ذرعاً، ان لا يتناول المصحف بيده، عازماً على أمر يقتضيه من عند الله، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثلاثا، والاخلاص ثلاثاً، وآية الكرسي ثلاثاً، و«عنده مفاتح الغيب» ثلاثاً، والقدر =

وختم الدعاء بأنّ هذه الصلوات المتسلسلة لنبينا محمد صلى الله عليه وآله انما هي لما قام به من الدور النبوي الرشيد في حمل مشعل الرسالة الإسلامية لهداية البشرية، وقد حدّدها بما يلي:

١ ـ بلّغ من رسالات الله.

٢ ـ أدّى من آيات الله.

ثلاثاً، والجحد ثلاثاً، والمعوذتين ثلاثاً، ويتوجه بالقرآن قائلا: اللهم إني أتوجه إليك بالقرآن العظيم، من فاتحته إِلَى خاتمته، وفيه اسمك الأكبر، وكلماتك التامات، يا سامع كل صوت، يا جامع كل فوت، ويا بارئ النفوس بعد الموت، يا من لا تغشاه الظلمات، ولا تشتبه عليه الأصوات، أسألك ان تخير لي بما أشكل علي به، فإنك عالم بكل معلوم غير معلّم، بحق مُحَمَّدٍ، وعلي وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي السجاد، ومُحَمَّدٍ الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومُحَمَّدٍ الجواد، وعلى الهادي، والحسن العسكري، والخلف الحجة من آل مُحَمَّدٍ عليه وعليهم السلام، ثم تفتح المصحف، وتعد الجلالات التي في الصفحة اليمنى، ثم تعد بقدرها أوراقا، ثم تعد بعددها أسطرا من الصفحة اليسرى، ثم تنظر آخر سطر تجده كالوحي فيما تريد، إنْ شاء الله تعالى. انتهى. ونقل أيضاً في الحديث (٤٧٤٥) عنه ما نصه: وجدت بخط جدّ شيخنا البهائي، الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن الحسين الجباعي قدس الله أرواحهم، نقلا من خط الشهيد، نور الله ضريحه، نقلا من خط محمد بن أحمد بن الحسين بن علي بن زياد، قال: أخبرنا الشيخ الأوحد محمد بن الحسن الطوسي إجازة، عن الحسين بن عبيد الله، عن أبي محمد هارون بن موسى التلعكبرى، عن محمد بن همام بن سهيل، عن محمد بن جعفر المؤدب، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن عثمان بن عيسى، عن سيف، عن المفضل بن عمر، قال: بينما نحن عند أبي عبد الله (عليه السلام)، إذ تذاكرنا أم الكتاب، فقال رجل من القوم: جعلني الله فداك، انا ربما هممنا بالحاجة، فنتناول المصحف فنتفكر في الحاجة التي نريدها، ثم نفتح في أول الورقة فنستدل بذلك على حاجتنا، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «وتحسنون؟!، والله ما تحسنون». قلت: جعلت فداك، وكيف نصنع؟ قال: «إذا كان لأحدكم حاجة، وهمّ بها، فليصل صلاة جعفر، وليدع بدعائها، فإذا فرغ من ذلك، فليأخذ المصحف ثم ينو فرج آل محمد عليهم السلام بدءاً وعوداً، ثم يقول: اللهم إن كان في قضائك وقدرك أن تفرّج عن وليك وحجتك في خلقك، في عامنا هذا أو في شهرنا هذا، فأخرج لنا آية من كتابك نستدل بها على ذلك، ثم يعد سبع ورقات، ويعد عشرة أسطر من خلف الورقة السابعة، وينظر ما يأتيه في الأحد عشر من السطور، فإنه يبين لك حاجتك، ثم تعيد الفعل ثانية لنفسك. انتهى.

٣ ـ نصح لعباد الله.

٤ ـ جاهد في سبيل الله.

فهو جدير بكل ما للكلمة من معنى، بنيل أفضل الجزاء الذي يعطيه الله تعالى ويخصّه بمن يقوم بذلك في هذا السبيل؛ لكونه قد أدّاها رسالة كاملة في الدين والدنيا مع التشريع والحكم، وهؤلاء هم:

١ ـ الملائكة المقرّبون؛ لدورهم في ابلاغ الوحي الالهي.

٢ ـ الأنبياء المرسلون المصطفون من الله سبحانه لاداء دورهم الرسالي إلى البشر، وحيث ان النبيّ محمد ﷺ كان أفضل الأنبياء، فهو جدير بأفضل الجزاء.

[الدُّعاءُ الثالث والاربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا نَظَرَ إلَى الهِلاَلِ[1]

دعاء الهلال:

يستعرض هذا الدعاء المنهاج الشهري الذي يحاول الإنسان المسلم تطبيقه في كل شهر من العام.

ففي المقطع الأول: يستعرض آثار القمر من بداية الهلال، وهي الولادة الطبيعية للهلال في بداية كل شهر.

وفي المقطع الثاني: ما تتطلبه هذه الولادة الجديدة في الحياة.

وفي المقطع الثالث: المسؤوليات المترتبة على هذه الولادة الجديدة على الإنسان المسلم.

[١/٤٣ ـ آثار الهلال]:

أيُّهَا[2] الخَلْقُ المُطِيْعُ لِرَبِّهِ[3]، الدَّائِبُ[4] السَّرِيْعُ، المُتَرَدِّدُ

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٨) بنفس العنوان، وفي (ش) بالرقم (٢٤) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الثالث والأربعون: وكان من دعائه عليه السلام اذا نظر إِلَى الهلال»، وفي (ت) بعنوان: (الثالث والأربعون) وتحته عنوان: «اذا نظر إِلَى الهلال»، وفي (ق) بعنوان (الحادي والأربعون) وتحته عنوان: «اذا نظر إِلَى الهلال»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دعائه صلوات الله عليه إذا نظر إِلَى الهلال»، وفي (حاشية إبن إدريس) برقم (٤٣)، وبعنوان: «دعاؤه إذا نظر إِلَى الهلال».

(٢) قال الشيخ البهائي (رحمه الله) في الحديقة الهلالية: خطابه عليه السلام للقمر ربما يعطي بظاهرِهِ كونهُ ذا حياة وإدراك، ولااستبعاد في ذلكَ؛ نظراً إِلَى قدرة الله. (الحديقة الهلالية: ٢٢).

(٣) كلمة: «لربّه» من (ك) (ق) (ت).

(٤) في (ت): «الذائب»، وفي (ش) (ف) : «الدائم»، والدائب: الدائم الحركة المجدّ المستمر.

فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ[١]، المُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْبِيرِ[٢].

آمَنْتُ بِمَنْ[٣] نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وأوْضَحَ بِكَ البُهَمَ[٤]، وَجَعَلَكَ آيةً مِنْ آياتِ مُلْكِهِ، وَعَلَامَةً مِنْ عَلَامَاتِ سُلْطَانِهِ، فأمْتَهَنَكَ[٥] بالزِّيَادَةِ والنُّقْصَانِ، وَالطُّلُوعِ والأُفُولِ[٦]، والإنَارَةِ والكُسُوفِ[٧]، فِي كُلِّ ذَلِكَ[٨] أنْتَ لَهُ[٩] مُطِيعٌ، وَإِلَى إرادَتِهِ سَرِيعٌ.

فسُبْحَانَه![١٠] مَا أعْجَبَ مَا دَبَّرَ[١١] فِي أُمُورِكَ[١٢]، وَألْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأنِكَ.

---

(١) إشارة إلَى ما وردَ في القرآن الكريم، سورة يس٣٦: ٣٩.

(٢) في (ت) العبارة هكذا: «المُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْوِيْرِ»، وفي (ك) (ق) العبارة هكذا: «والمُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْوِيْرِ»، قيل: المراد من فلكِ التدبير: فلك القمر، والمراد بتصرفهِ فيهِ: دورانهُ فيهِ.

(٣) في (ت): «لمن».

(٤) في (س): «البهيم: الأسود، يقال: ليل بهيم، أي أسود، والبهمة: السوداء، والجمع: بُهم، مثل ظلمة وظُلم». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٣)، والبهم: المجهولات، وقد تطلق على الأمور المشكلة.

(٥) كذا في (ت) (ك) (ش)، وفي (ف): «مُنْهَتِكٌ»، وفي (س): «امتهنت الشيء، أي ابتذلته ولم أصنه عما ابتذلته فيه. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٣)، من المهنة، بمعنى الاستخدام.

(٦) الأُفول: الغيبة.

(٧) الكسوف: الخسوف، وهو زوال ضوء القمر كلياً أو جزئياً.

(٨) في (ش) (ق): «وفي كل ذلك».

(٩) لم ترد في (ف): «له».

(١٠) كذا في (ك) (ق) (ت)، وفي غيرها العبارة هكذا: «سبحانَه».

(١١) التدبير: الفعل عن فكر ورويّة، وهو هنا مستعار، لتقديرهِ سبحانهُ على حسب إرادتهِ؛ لتنزّههِ سبحانهُ عن الفكرة والرويّة. (رياض السالكين ٥: ٥٢٣).

(١٢) كذا في (ت)، وفي غيرها العبارة هكذا: «أمرك».

جَعَلَكَ(١) مِفْتَاحَ شَهْرٍ حـادثٍ لأمرٍ حَادِثٍ(٢).

في هذا المقطع أشار إلى الآثار الّتي يشاهدها كل انسان في مطلع كل شهر من شهور السنة، وهي:

١ ـ الهلال، وهو خلق من مخلوقات الله تتحكم فيه إرادة الله بالأسباب الّتي حكّمها في الكون.

٢ ـ مطيع لإرادته سبحانه، بالسير على ما قدّره تعالى له تقديراً.

٣ ـ سريع؛ فإن هذه السرعة محسوسة خلال تسعة وعشرين يوماً وثُلُثَ يوم، دون سائر الكواكب من السيارات.

٤ ـ متردد في المنازل المقدّرة منزلة بعد أُخرى حتى يتمّ بدراً ثم ينزل حتى يكون محاقاً.

٥ ـ متصرّف، أي له أثر طبيعيّ في الفلك، أي مدار النجوم الّتي يدبرها الله سبحانه.

٦ ـ منوّر الظلم، فهو واسطة في تنوير الأرض عند مغيب الشمس.

٧ ـ موضح البهم، والبهم: جمع بهمة، وهي ما يصعب ادراكه.

٨ ـ آية ملك الله سبحانه الحاكم على الكون.

٩ ـ علامة سلطان الله تعالى على العالم العلوي.

وهذه الآثار وان كانت آثار الكمال ولكنها ليست كمالا مطلقاً، بل ان اختلاف هذه الآثار يعتبر امتهاناً لتوارد الصفات المضادة، وقد أشار إلى ثلاث منها:

١ ـ الزيادة والنقصان.

٢ ـ الطلوع والافوال.

٣ ـ الإنارة والكسوف.

---

(١) في (ق): «وجعلك».

(٢) الحادث: المُتَجَدِّد، أي أنَّ حدُوث الشهر لأجل إمضاء أمر حادث.

فإن اختلاف هذه الصفات وان لم توجب عيباً في ذات القمر لكنها توجب ذلك من وجهة نظر الناظر إليه في الحالات المختلفة، كما أنّ آثار الكمال أيضاً ليست كمالا لذات القمر، بل هي ملازمة له لا تنفك عنه، فإن الكمال المطلق أن يكون بالنسبة إلى الناظر إليه كذلك دائماً على حالة واحدة، والاختلاف نقصٌ وامتهان.

والكمال المطلق للقمر هو الطاعة لأمر الله، والسرعة كما اراد الله بالتدبير الدقيق الذي قدّرة الله في نظام دقيق حاكم على الكون، يسير القمر فيه كمصباح جديد لشهر جديد، يؤدّي فيه دوراً جديداً في كل شهر من الشهور على مرّ الأعوام والسنين، وهو نظام يقتضي العجب في التدبير والصنع، ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[١] وهو على كل شيء قدير.

ولمزيد معرفة ذلك راجع الحديقة الهلالية للشيخ البهائي (قدس سره)[٢].

[٢/٤٣ ـ الولادة الجديدة للقمر]:

فأَسأَلُ الله رَبِّي وَرَبَّكَ، وَخَالِقِي وَخَالِقَكَ، وَمُقدِّرِي وَمُقدِّرَكَ، وَمُصَوِّرِي وَمُصَوِّرَكَ: أنْ يصَلّيَ[٣] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٤]، وَأَنْ يَجْعلَكَ هِلَالَ بَرَكَةٍ لَا تَمْحَقُهَا[٥] الأَيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لَا تُدَنِّسُهَا[٦] الآثَامُ.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النمل ٢٧: ٨٨.

(٢) الحديقة الهلالية شرح دعاء الهلال من الصحيفة السجادية تأليف المحقق الكبير العلامة الشيخ محمد بن الحسين العاملي المعروف بالشيخ البهائي (٩٥٣ ـ ١٠٣٠هـ)، طبع بتحقيق السيد علي الموسوي الخراساني في مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بمناسبة الذكرى المئوية الثالثة لوفاة العلامة المجلسي (قدس سره) (١١١٠هـ) في ربيع الأول ١٤١٠هـ، في مطبعة: مهر ـ قم.

(٣) في (ش) (ف) (ت): «تصلي».

(٤) في (ق): «أن يصَلّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»، ولم ترد في (ك): «فأَسأَلُ الله ربّي وربك، وخالقي وخالقك، ومقدّري ومقدّرك، ومصوّري ومصوّرك أن يصَلّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ».

(٥) في (ف) (ت): «لا يمحقها»، وتمحقها: أي تذهب ببركتها وتنقصها.

(٦) في (ت): «لا يدنسها»، والدنس: الوسخ، والآثام: جمع إثم، وهو المعصية والخطيئة، =

هِلَالَ أمْنٍ[(١)] مِنَ الآفَاتِ[(٢)]، وَسَلامَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ[(٣)]، هِلَالَ سَعْدٍ لَا نَحْسَ فِيهِ، وَيُمْنٍ[(٤)] لَا نَكَدَ مَعَهُ، وَيُسْرٍ لَا يُمَازِجُهُ عُسْرٌ، وَخَيْرٍ لَا يَشُوبُهُ[(٥)] شَرٌّ.

هِلالَ أمْنٍ وإيمَانٍ[(٦)]، وَنِعْمَةٍ وَإحْسَانٍ، وَسَلامةٍ وَإسْلامٍ[(٧)].

وحيث ان الهلال مخلوق بتقدير العزيز الحكيم، فيكون شأنه شأن كل المخلوقات ـ بما فيها الإنسان ـ فإنّ أمرها بيد خالقها الذي هو على كل شيء قدير، فالله سبحانه يتصف بصفات يجمعها، هي:

١ ـ الربوبية، فهو تعالى يربّي الإنسان من حالة إلى اخرى كلما يتقدم في الحياة بالأسباب الطبيعية لهذه التربية، وكذلك بالنسبة إلى القمر الذي ينتقل من حالة إلى حالات اخرى، حددها أصحاب الفلك بثمانية وعشرين منزلة، أوّلها السرطان، وآخرها: الرشاء، والمحسوس لكل ذي باصرة اولها: الهلال، وآخرها: المحاق.

وتدنيس الآثام للقلبِ: أن يوجد في القلبِ الطاهر المنوَّر ظلمة تتراكم فتنقلب إِلَى رين وطبع، والمراد: نزاهة لا توسّخها الخطايا.

(١) في (ك): «أمنة». والأمنة: الأمن، وهو طمأنينة النفس وعدم الخوف من المكروه.

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وأن يجعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَة لَا تَمْحَقُهَا الأَيَّامُ، وَطَهَارَة لَا تُدَنِّسُهَا الآثَامُ، هِلَالَ أمنة مِنَ الآفَاتِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وأن يجعَلَكَ هِلَالَ أمن مِنَ الآفَاتِ» والآفات: جمع آفة.

(٣) في (ق): «من الشبهات».

(٤) في (ق) العبارة هكذا: «هِلَالَ سَعْد لَا نَحْسَ فِيهِ، وَلَا نَكَدَ مَعَهُ»، وفي (س): «اليُمن: البركة». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٣)، والنكد: العسر والشدَّة.

(٥) أي لا يخالطهُ.

(٦) في (ك): «وأيمان».

(٧) لم ترد في (ك): «وسلامة واسلام»، ولم ترد في (ف) : «هِلالَ أمْن وإيمَان، وَنِعْمَة وَإحْسَان، وسلامة واسلام».

٢ ـ الخلق، فهو تعالى خلق الإنسان من ماء مهين حتى اصبح إنساناً عاقلا يؤدّي دوره في الحياة، وخلق القمر من مادة غير معروفة للعلم معرفة كاملة، ولكنها تشبه في ظاهرها الماء المهين للإنسان، حتى اصبح فلكاً يؤدّي دوره في الحياة الطبيعية.

٣ ـ التقدير، فالله تعالى قدّر للإنسان مسيره في الحياة حتى آخر لحظة يكون فيها مصيره بالموت، وكذلك خلق القمر وجعل له مسيرة مضبوطة بدقة متناهية في الحياة الطبيعيّة حتى آخر لحظة يكون فيها مصيره كمصير سائر الكواكب وهو الفناء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[(١)]، ويكون ذلك عند نهاية العالم.

٤ ـ التصوير، فقد خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة وأكملها ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٢)] وكذلك صوّر القمر في صور الهلال حتى يتشكل بصورة البدر ليلة كماله وتمامه.

وبالجملة: يتحكم الرب في مصير كل من الإنسان والهلال، فهو الرب لهما والخالق لهما والمقدّر لهما والمصوّر لهما بواسطة الاسباب الطبيعيّة الّتي أبى الله ان يجري الأمور إلّا بها.

والله سبحانه وحده هو المسؤول بأن يجعل هذه الولادة الطبيعية للقمر بالهلال ولادة تعود بالخير على الطبيعة بكل ما فيها من الإنسان وغيره من الموجودات، وذلك من وجوه:

١ ـ البركة المستمرة، الّتي لا تمحقها الأيام.

٢ ـ الطهارة الدائمة، الّتي لا تدنّسها وساخة الآثام.

٣ ـ الأمن العام، الذي تطرد الآفات والطوارىء.

٤ ـ السلامة من الآثام الروحية والماديّة.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الانفطار٨٢: ٢.

(٢) القرآن الكريم، سورة التغابن ٦٤: ٣.

٥ ـ السعد، الذي لا يتخلل فيه نحس.

٦ ـ اليُمن، الذي لا نكد فيه، أي لا شدة مشوبة فيه.

٧ ـ اليسر، الذي لا يمازجه عسر، مزجاً لا يمكن فصلها عنه.

٨ ـ الخير، الذي لا يشوبه اختلاط مع الشرّ.

ويجمع وجوه الخير هذه: الإيمان والعمل الصالح.

وقد أشار إلى أثر ذلك كله في الحياة بثلاثة أُمور متلازمة، هي:

الأول: «الأمن والإيمان» فإن الإيمان بالله تعالى يستلزم العمل على مقتضاه، والعمل كذلك يستلزم الأمن النفسي الذي يؤثر على الأمن في الأسرة، وذلك بدوره يؤثر على الأمن في المجتمع ككل، إذ أنّ أمن المجتمع يتوقف على أمن خلاياه الّتي هي الأُسرة، وأمن الأُسرة يتوقف على أمن أفراده الذين هم أعضاؤه، ولا يكون ذلك إلّا بالعمل على ما يقتضيه الإيمان.

الثاني: «النعمة والإحسان» وهذا ما يقوم به الجانب الاقتصادي في أي مجتمع.

فالله سبحانه أنعم على العباد بنعم كثيرة حتى توفرت النعمة للبعض بحيث أدّى إلى أن يستخدم ما يوهبه الله من مواهب في الحياة في سبيل رفاهيته، وجعل في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، فيجب ان يقوم هذا الإنسان المنعم عليه بدوره في الإحسان على غيره من السائل والمحروم؛ أداءً لشكر النعمة الّتي وهبه الله تعالى.

الثالث: «السلامة والإسلام» وهذا ما يتقوّم به العقيدة الإسلامية، وأثرها في سلامة النفس الإنسانية، فإن الإسلام هو تسليم الأمر إلى الله سبحانه في كل الأمور بالحركة حسب ما يأمر به الله الإنسان في الحياة، وهذا يجلب للإنسان سلامة النفس؛ لأنه يقوم بأداء دوره المطلوب في كل لحظة متوكلا على الله سائراً برؤية واضحة في تحقيق ما يصبوا إليه، فيكون في سلامة الضمير سواءً فاز بما

يصبوا إليه ام لا، ويؤثر سلامة الضمير على سلامة النفس وبالتالي على سلامة المجتمع، والله المستعان.

[٣/٤٣ ـ المسؤولية الجديدة]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] اجْعَلْنَا مِنْ أرْضَى[٢] مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ، وأزْكَى مَنْ نَظَرَ إلَيْهِ، وَأَسْعَدَ[٣] مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيْهِ، وَوَفِّقْنَا فِيْهِ[٤] لِلتَّوْبَةِ، وَاعْصِمْنَا فيهِ[٥] مِنَ الحَوْبَةِ[٦]، وَاحْفَظْنَا

---

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله و».

(٢) أرضى: أفعل تفضيل من رضي، ومثلهُ «أسعد»، و«أزكى»: أي أصلح.

(٣) وفي حاشية (د) ما نصه: «المروي في أكثر النسخ من الصحيفة الشريفة: فتح الدالّ من «أسعد»، ووقع في بعضها كسرها، وهو الظاهر، ووجه النصب أنّه بتقدير: «واجعلنا أسعد من تعبّد لك فيه»، فيكون من باب عطف جملة على جملة، أو هو معطوف على محلّ «من أرضى»، كقوله: فإن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معدّ فلتزعك العواذل.
ولك جعله معطوفا على المفعول الثاني الذي هو متعلق الظرف في الحقيقة، لأنّ مفعولي «الجعل» بمعنى التصيير أصلهما مبتدأ وخبر، فمتعلّق الظرف في الحقيقة «الكون» المقدّر العامل فيه، فالتقدير: واجعلنا كائنين من أرضى من طلع عليه، والنكتة في سؤال جعله «أسعد من تعبّد» دون جعله من جملة الأسعدين، لحرصه على كثرة العبادة وقبولها لاستلزام الأسعدية ذلك. والله أعلم. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ٥٣٢).
وفي حاشية (د) أيضاً ما نصه: «قال الشيخ البهائي في الحديقة الهلاليّة: الضمائر المجرورة في قوله عليه السّلام «وأسعد من تعبّد لك فيه» إِلَى آخره راجعة إِلَى الهلال بمعنى الشّهر، وليس كذلك المرفوع في «طلع عليه» والمجرور في «نظر إليه»، ففي الكلام استخدام، من قبيل قول البحتري:
فسقى الغضا والساكنيه وإن هم شبّوه بين جوانحي وضلوعي
ولعلّه لا يقدح في تحقّق الاستخدام كون إطلاق الهلال على الشّهر مجازا، لتصريح بعض المحققين من أهل الفنّ بعدم الفرق بين كون المعنيين حقيقيين أو مجازيّين أو مختلفين، وإن قصره بعضهم على الحقيقيين. على أنّ كون الإطلاق المذكور مجازا محل كلام. انتهى من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٥: ٥٣٣ ـ ٥٣٤).

(٤) لم ترد في (ش) (ت): «فيه».

(٥) لم ترد: «فيه» في (ك).

(٦) الحوبة: الخطيئة والإثم.

[فِيهِ](١) مِنَ مُبَاشَرةِ(٢) مَعْصِيَتِكَ(٣)، وَأَوْزِعْنَا(٤) فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ(٥)، وأَلْبِسْنَا فِيهِ(٦) جُنَنَ(٧) العَافِيَةِ(٨)، وَأَتْمِمْ(٩) عَلَيْنَا(١٠) باسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيهِ المِنَّةَ(١١)، إِنَّكَ المَنَّانُ الحَمِيْدُ(١٢)، المُبدِئُ المُعِيدُ(١٣)، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ(١٤).

وخصّ هذا المقطع الأخير بما تقتضيه الولادة الطبيعية للهلال من مسؤوليات جديدة للإنسان المسلم في حياته، وقد أشار منها إلى:

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق)، وفي حاشية (ج) في نسخة: زيادة: «فيه»، وراجع: العبارة في (ش).

(٢) في (س): «مباشرة الأُمور: أن تليها بنفسك». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٣).

(٣) في (ش) العبارة هكذا: «وأعصمنا فِيْهِ مِن معصيتك»، ولم ترد في (ك): «وَاحْفَظْنَا مِنَ مباشرة معصيتك».

(٤) أوزعنا: ألهِمنا وألقِ في روعنا وأولعنا، وفي (س): «استوزعت الله شكره فأوزعني: أي استلهمته فألهمني». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٣).

(٥) في (ك) (ت) زيادة: «النعمة»، ولم ترد في (ف) عبارات: «وَوَفِّقْنَا فِيْهِ لِلتَّوْبَةِ، وَاعْصِمْنَا فيه مِنَ الحَوْبَةِ، وَاحْفَظْنَا فيه مِنَ مباشرة معصيتك، وَأَوْزِعْنَا فيه شُكْرَ نِعْمَتك».

(٦) لم ترد في (بعض النسخ): «فيه».

(٧) في (ف) : «ثوب» بدل «جنن»، وفي (ش): «خير» بدل «جنن»، وفي حاشية (ج): «خير ـ س»، وفي (س): «الجُنّة: ـ بالضم ـ ما استترت به من سلاح، والجُنّة: السترة، والجمع: الجُنن». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٣)، والجنن: جمع جُنّة، وهي الستر وما يتوقّى بهِ، والمراد: ألبسنا ما يدفع عنّا المضرّات.

(٨) في (ك) زيادة: «وعَرِّفْنَا خَيْرَ العَاقِبَةِ»، ولعل ما تقدم من (ش) (ج) مرتبط بهذه الفقرة.

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «وَأمنن». وأَمْنُنْ عَلَيْنَا: أي أحسن بنا.

(١٠) في (ق) زيادة: «نعمتك»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وأتممه علينا».

(١١) لم ترد في (ف) (ق) عبارة: «فِيْهِ المِنَّةَ».

(١٢) في (ش) العبارة هكذا: «وأمنن عَلَيْنَا باسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيْهِ المِنَّةَ، إنَّه المَنَّانُ الحَمِيْدُ».

(١٣) عبارة: «المبدئ المعيدُ» من (ت) فقط.

(١٤) في (ت) العبارة هكذا: «وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله وسلّم كثيرا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله وسلّم»، ولم ترد في (ك) عبارة: «وصلّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطيبين الطاهرين».

١ ـ رضى الله سبحانه، فيما يقوم به الإنسان من عمل على وجه الأرض الذي يطلع عليه الهلال.

٢ ـ الصلاح، بأن يكون الإنسان أزكى، أي أصلح من نظر إلى الهلال.

٣ ـ السعادة، بقبول العبادات والطاعات وأعمال الخير.

٤ ـ التوفيق للتوبة، مما صدر منه من الآثام والذنوب.

٥ ـ العصمة من الحوبة، أي الخطيئة الّتي يبتلي بها الإنسان.

٦ ـ الحفظ عن المعصية، بالمباشرة لما هو منهيّ عنه جهلا أو علما.

٧ ـ الشكر للنعم الّتي أنعم الله بها على الإنسان، وأقلّها نعمة الحياة.

٨ ـ العافية من المضرات، الّتي تعرض على الإنسان في النفس والبدن.

٩ ـ الاتمام للمنة، أي النعمة الثقيلة باستكمال الطاعة، أي جعلها كاملة مقبولة عند الله تعالى؛ فإن ما يأتى به الإنسان من الطاعات مهما كانت كبيرة بالنسبة إلى الإنسان بحسب جهده وفكره وطاقته، فهي قليلة وخفيفة في الميزان الحقيقي بالنسبة إلى نعم الله تعالى الكبيرة، الّتي لا تعدّ ولاتحصى، وأقلها نعمة الحياة ونعمة الهواء الطلق الذي يستنشقه في كل لحظة، والتي بدونها لا يمكن ان تستمر الحياة، ولا يعرف قدرها إلّا من يفقدها.

[الدُّعاءُ الرابع والأربعون]

وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ[1]

[١/٤٤ ـ الدعاء لحلول شهر رمضان]:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ[2]، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، لِنَكُونَ لإحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِيَجْزِيَنَا عَلى ذَلِكَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ.

افتتح الإمام عليه السلام دعاءه بالنسبة إلى حلول شهر رمضان بالحمد مقدمة ثم تدرّج في مقاطع أشار فيها إلى فضائل شهر رمضان وفضل ليلة القدر، ومسؤوليّات الصائم والطاعات في الشهر ونتائجها، ورجاء القبول من الله.

وذكر أيضاً مدرسة رمضان وبيّن فيها مواهب الرب ومسؤوليّات العبد.

وختم الدعاء عليه السلام ببيان أهمية تأثير المدرسة الرمضانية لتزكية المسلم روحياً طوال السنة.

وأشار عليه السلام في المقدمة إلى ضرورة حمد لله تعالى مؤكّداً على ثلاث نقاط رئيسية حول الحمد، وهي:

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (١٩)، بنفس العنوان، وفي (ش) بالرقم (٢١)، بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الرابع والأربعون: وكان من دعائه عليه السلام اذا دخل شهر رمضان»، وفي (ت) بعنوان: (الرابع والأربعون) وتحته عنوان: «اذا دخل شهر رمضان»، وفي (ق) بعنوان (الثاني والأربعون) وتحته عنوان: «في دخول شهر رمضان»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دعائه عليه السلام اذا دخل شهر رمضان»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٤)، وبعنوان: «دُعاؤُهُ اذا دخل شهر رمضان».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «بحمده».

١ ـ سبب الحمد، وهو الهداية؛ إذ لولا هدايته تعالى إيّانا للحمد لما تحقق ذلك منّا، ولما كنّا أهلا للحمد.

٢ ـ أثر الحمد على شخصية الحامد، وهو أن يصبح من الشاكرين، وصفة الشكر على الإحسان من خصائص الإنسان.

٣ ـ جزاء الحمد، وان الله وعد جزاء الإحسان بالإحسان[١]، وان نتيجة الحمد يكون هو الجزاء من الله سبحانه على الشكر والذي هو إحسان منه تعالى على الإنسان.

[٢/٤٤ ـ سبل الهداية]:

وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي حَبَانَا[٢] بِدِينِهِ[٣]، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ[٤]، وَسَبَّلَنَا[٥] فِي سُبُلِ إحْسَانِهِ، لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَى رِضْوَانِهِ.

حَمْداً يَتقبَّلُهُ[٦] مِنَّا، وَيَرْضَى بِهِ عَنَّا.

في المقطع الثاني أشار الإمام عليه السلام إلى سبل الهداية، وأنها لا تنحصر بحدّ، ولكنه ذكر بالخصوص عدة نقاط رئيسيّة، هي:

١ ـ الهداية للدين، فلو لم يكن هناك «دين إلهي» لعاش البشر في الفوضى ولعمّت حياته شريعة الغاب.

٢ ـ الهداية بالإسلام، وهو ملة ابراهيم حنيفاً، الذي به كمال الدين وتمام النعمة.

---

(١) اقتباس من القرآن الكريم، سورة الرحمن ٥٥: ٦٠.

(٢) في (س): «حباه يحبوه: أي أعطاه، والحباء: العطاء». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٧)، والحباء: الإعطاء بغير عوض.

(٣) في (ف) (ت): «حيّانا بنبيّه»، وفي (ك) زيادة: «وَزَيَّنَنَا بِيَقِينِهِ».

(٤) في (ك) زيادة: «وَرَفَعَنَا بِإجَابَةِ دَعْوَتِهِ».

(٥) سبّلنا: أي سبّل لنا وسيّرنا.

(٦) في (ك) (ف): «يقبله».

٣ ـ حرية الاختيار، حيث «سبّلنا في سبيل إحسانه» وهذه الحرية في الاختيار انما هي «بمنّه» تعالى.

ومهما حاول العبد اداء الواجب في الحمد فإنه يكون مقصراً؛ لعظم النعمة، فلا يبقى أمامه من خيار سوى الدعاء بأنّ حمدنا «حمداً يتقبّله» الله تعالى «منّا» فإنه بدون قبوله ورضاه عنا لا يكون الحمد ذا أثر.

[٣/٤٤ ـ شهر رمضان]:

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ(١) تِلْكَ(٢) السُّبُلِ شَهْرَهُ(٣) شَهْرَ(٤) رَمَضَانَ(٥) شَهْرَ الصِّيَامِ(٦)، وَشَهْرَ(٧) الْاسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهورِ(٨)، وَشَهْرَ التَّمْحِيصِ(٩)، وَشَهْرَ الْقِيامِ، الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآن هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالْفُرْقَانِ(١٠).

وفي المقطع الثالث أشار عليه السلام بالخصوص إلى أن من تلك السبل الّتي تقتضي الحمد هي شهر رمضان، ووصفه بأوصاف يفتقر كلّ منها إلى شرح مستقل، وهي:

---

(١) في حاشية (ج) (د): «في ـ س».

(٢) في (ف): «ذلك».

(٣) لم ترد في (ش) (ت): «شهره».

(٤) لم ترد في (حاشية ابن إدريس): «شهر».

(٥) لم ترد في (ك) (ف): «شهر رمضان».

(٦) في (ك) زيادة: «وَشَهْرَ التَّهجُّدِ والْقِيَامِ».

(٧) في (ق): «شهر»، بدون واو.

(٨) في (ك): «الطهر».

(٩) في (س): «التمحيص: الابتلاء والاختبار». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٧)، والتمحيص: تخليص الشيء من العيوب، وهو هنا: التزكية والتطهير.

(١٠) لم ترد في (ف): «هدى للناس وبينات من الهدى والْفُرْقان»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَشَهْرَ الْقُرْآنِ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْفُرْقَان»، وفي (س): «فرقت بين الشيئين أفرُق فَرقاً وفُرقاناً، والمراد بالمصدر هنا اسم الفاعل، أي فارقاً. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٥٨)، وإنما سمي القرآن فرقاناً، لأنهُ يفرقُ بين الحقِ والباطل.

١ ـ شهر الله «شهره» تعالى[١].

٢ ـ شهر الصيام؛ لوجود فريضة الصوم فيه.

٣ ـ شهر الإسلام؛ لأن بدء الوحي كان فيه.

٤ ـ شهر الطهور؛ حيث ان شهر رمضان هو شهر يطهر فيه روح الصائم من الذنوب.

٥ ـ شهر التمحيص والامتحان لمن يفضّل طاعة الله على شهوات النفس.

٦ ـ شهر القيام؛ لأداء الواجب والطاعات.

٧ ـ شهر القرآن؛ حيث أُنزل فيه القرآن.

٨ ـ شهر البينات؛ لأنه حافل بالأحداث التاريخية المبيّنة لحقائق الدين ونصر الله للمسلمين.

٩ ـ شهر الهدى؛ لأن وسائل الهداية في هذا الشهر متيسّرة أكثر مما في غيره من الشهور.

١٠ ـ شهر الفرقان بين الحق والباطل، لوضوح الحق في هذا الشهر.

[٤/٤٤ ـ فضيلة شهر رمضان]:

فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ[٢] عَلَى سَائِرِ[٣] الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ[٤] مِنَ الحُرُمَاتِ الْمَوْفُورَةِ[٥]، والْفَضَائِلِ[٦] المَشْهُورةِ، فَحَرَّمَ فِيهِ مَا أَحَلَّ

---

(١) كما جاء في خطبة النبيّ (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان من قوله: «أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب...». (بحارالانوار ٩٦: ٣٥٦، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام).

(٢) في (ك): «فضله».

(٣) في حاشية (ج): «أي باقي».

(٤) في (ف) : «بما جعل فيه»، والعبارة في (ق) غير واضحة، ولعلها: «بما جعل فيه له».

(٥) في (ف) : «المعروفة»، وفي (ك) (ش): «الموقوتة». والموقوت: المقدَّر المحدود.

(٦) في (ش): «والفضايل».

فِي غَيْرِهِ إِعْظَاماً[١]، وحَجَرَ فِيهِ[٢] الْمَطاعِمَ والْمَشَارِبَ إِكْرَاماً، وَجَعَلَ لَهُ وَقْتاً بَيِّناً، لَا يُجِيزُ جلّ وعزّ[٣] أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلَا يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ.

وفي المقطع الرابع أشار عليه السلام إلى فضيلة الشهر بأنّ الله أبان فضله على سائر الشهور بـ «الحرمات الموفورة والفضائل المشهورة» واكتفى عليه السلام بشهرتها عن ذكرها. وستأتي الاشارة إلى بعضها في المقاطع التالية.

واكتفى الإمام عليه السلام هنا بالاشارة إلى ثلاث نقاط تحدد حريّة الإنسان لتكوين روح «التقوى» في الصائم، وهي:

١ ـ تحريم ما أحل من «المطاعم والمشارب» من الأفعال.

٢ ـ التحديد الكامل للوقت، بحيث لا يجيز الله عزوجل التقديم والتأخير في الصوم، وفي هذه التربية الروحية والجسدية تثمر التقوى الّتي هي الغاية من الصيام، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٤].

واما الفضائل المشهورة فهي طافحة في تراث أهل البيت عليهم السلام ونكتفي منها بعشرة كاملة:

(١ ـ ٣) جاء في رواية الشيخ الصدوق رحمه الله في عيون اخبار الرضا في مفتتح خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان الأوصاف التالية:

«أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته

---

(١) لم ترد في (ش): «إعظاما».

(٢) في (ت): «وحجز»، وفي (ف) زيادة: «عن»، والحجر: المنع.

(٣) لم ترد في (ش) (ف): «جل وعز»، وفي (ق) (ت) بدل «جل وعز»: «تعالى»، وفي (ك) بدل «جل وعز»: «فيه».

(٤) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٨٣.

أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب. . .»[١].

وأبرز هذه الاوصاف هي:

وصف الشهر:

الف ـ بأنه شهر الله.

ب ـ وانه أفضل الشهور.

ج ـ وأنه شهر ضيافة الله.

وهذه فضائل بارزة لشهر رمضان على سائر الشهور.

(٤ ـ ٦) ـ روى الصدوق في الأمالي عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ انه قال:

«لو علمتم ما لكم في شهر رمضان لزدتم لله تعالى شكراً؛ إذا كان أوّل ليلة منه غفر الله عزوجل لُامتي الذنوب كلّها سرّها وعلانيتها، ورفع لكم ألفي ألف درجة، وبنى لكم خمسين مدينة. . .» ثم عدّد فضائل كل يوم من شهر رمضان[٢].

وفي هذا الحديث ثلاثة فضائل أُخرى وملخصها:

ألف ـ المغفرة.

ب ـ مضاعفة الدرجات من الواحد إلى المليون درجة.

ج ـ وبناء خمسين مدينة.

وهذا الأخير تمثيل للبناء الروحي الذي يكون للصائم، ففي بداية الشهر يفتقر إلى أيّام تمهيدية لا تتعدى خمسة أو أربعة أيام، لكي يصل إلى حقيقة الصيام، ثم في كل يوم باعتبار الليل والنهار تبنى نفسية الصائم روحياً كبناء مدينتين حصينتين حتى تنتهي إلى خمسين، وفيها إشارة إلى كمال البناء في آخر أيام رمضان.

---

(١) بحارالانوار ٩٦: ٣٥٦.

(٢) بحار الانوار ٩٦: ١٨٤ ـ ١٨٥، عن الأمالي.

(٧ ـ ١٠) ورواية الصدوق وفي العيون باسناده عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان فضائل شهر رمضان خاصة:

ألف ـ شهر رمضان هو الشهر الذي انزل الله تعالى فيه القرآن.

ب ـ وفيه يفرّق بين الحق والباطل، كما قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[١].

ج ـ وفيه اختار الله النبي محمد صلى الله عليه وآله لتبليغ رسالة الإسلام.

د ـ وفيه ليلة القدر، الّتي هي خير من ألف شهر»[٢].

ونكتفي بهذه العشرة الكاملة من فضائل شهر رمضان.

[٥/٤٤ ـ ليلة القدر]:

ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ[٣] لَيَالِيهِ عَلى لَيَالِي[٤] أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاهَا: «لَيْلَةَ الْقَدْرِ»، تَنَزَّلُ[٥] الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ[٦]، [سَلَامٌ، هِيَ سَلَامٌ مِنْ كُلِّ أمرٍ][٧]، سَلَامٌ دَائِمُ الْبَرَكَةِ[٨] إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ[٩] عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ[١٠] قَضَائِهِ[١١].

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٨٥.

(٢) بحار الانوار ٩٦: ٣٧٠، وراجع ج١ ص٨ الهامش ٢ من هذا الشرح.

(٣) في حاشية (ج) (د): «في ـ س».

(٤) لم ترد في (ك) (ش): «ليالي»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «ليالي».

(٥) في (ف): «ينزل».

(٦) لم ترد في (ف): «فيها باذن ربهم مِنْ كُلِّ أَمْر».

(٧) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «تَنَزَّلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ، سَلَامٌ مِنْ كُلِّ اَمْر سَلَامٌ دَائِمُ الْبَرَكَةِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «تَنَزَّلُ فِيهَا الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ، سَلَامٌ مِنْ كُلِّ اَمْر دَائِمة الْبَرَكَةِ».

(٩) اقتباس من القرآن الكريم، سورة القدر، الرقم: ٩٧.

(١٠) لعل الكلمة في (د): «في».

(١١) لم ترد في (ك) (ش) (ف): «على من يشاء من عباده بما أحكم من قضائه».

وخص في هذا المقطع بالذكر أهم فضائل شهر رمضان، وهي اختصاصه بليلة القدر، حيث فضّلها الله على الف شهر، أي ما يعادل (٨٢) عاماً تقريباً، ويقارب (٣٠/٠٠٠) ثلاثون الف ليلة، وأشار إلى السر في هذا التفضيل غير المعتاد، في نقاط هي:

١ ـ تنزّل الملائكة والروح فيها، فالرحمة الإلهيّة تنزل على البشر بواسطة الملائكة والروح، وهو خلق أعظم من جبرئيل عليه السلام.

٢ ـ ان الليلة هي ليلة سلام من الله، ولا يكون السلام منه إلّا «دائم البركة» بقبول التوبة والغفران.

٣ ـ فيها التقدير «والقضاء المحكم» لما يجري في ذلك العام على من يشاء الله بحكمته.

وهذه الأُمور محدودة زمنيّا إلى طلوع الفجر، ليتسابق المؤمنون فيها إلى رحمة الله والراغبون في فضله، ولولا هذا التحديد لما كانت ليلة القدر سبباً للتكامل.

وروايات أهل البيت في فضل ليلة القدر كثيرة، شرحتها في المعجم، ومنها: ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام انه قال: «يقدّر في ليلة القدر كل شيء يكون في السنة إلى مثلها من قابل من خير أو شرّ أو خاتمة او معصية أو مولود أو أجل أو رزق، فما قدّر في تلك الليلة وقضي فهو من المحتوم، ولله فيه المشيئة»[١].

[٦/٤٤ ـ مسؤوليّات الصائم]:

أللّهُمَّ صَلِّ[٢] عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[٣] أَلْهِمْنَا[٤] مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ، وإِجْلَالَ حُرْمَتِهِ، والتَّحَفُّظَ مِمّا حَظرْتَ فِيهِ[٥].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٥٨.

(٢) في (ف): «فصلّ».

(٣) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله و».

(٤) في (ك) (ش): «فألهمنا».

(٥) في (ف) العبارة هكذا: «وإحْلَالَ حُرْمَتِهِ، والتَّحَفُّظَ بِما حَظرْتَ فِيهِ»، وحظرت: منعتَ.

وَأَعِنَّا عَلى صِيَامِهِ بِكَفِّ الجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ[١]، واسْتِعْمَالِهَا فِيهِ[٢] بِمَا يُرْضِيكَ[٣]، حَتَّى لَا نُصْغِي بِأَسْمَاعِنَا إِلَى لَغْوٍ[٤]، وَلَا نُسْرِعَ[٥] بِأَبْصَارِنَا إِلَى لَهْوٍ[٦]، وَحتى لَا نَبْسُطَ[٧] أَيْدِيَنَا إِلَى مَحْظُورٍ[٨]، وَلَا نَخْطُوَ بِأَقْدَامِنَا إِلَى مَحْجُورٍ[٩]، وَحَتّى لَا تَعِيَ[١٠] بُطُونُنَا إِلَّا[١١] مَا أَحْلَلْتَ، وَلَا تَنطِقَ اَلْسِنَتُنَا إِلَّا بِمَا مَثَّلْتَ[١٢]، وَلَا نَتَكَلَّفَ[١٣] إِلَّا مَا يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ[١٤]، وَلَا نَتَعَاطى إِلَّا الذي يقِي مِنْ عِقَابِكَ[١٥].

---

(١) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «معصيتك».

(٢) لم ترد في (ك) (ش) (ق) (ت): «فيه».

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ت) العبارة هكذا: «فيما يرضيك».

(٤) في (س): «لغا يلغو لغواً: أي قال باطلاً». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٧).

(٥) في حاشية (ج) في نسخة: «نشرع».

(٦) في (س): «لهوت بالشيء ألهو لهواً: إذا لعبت به. وقد يطلق اللهو على اللعب بالآلات المطربة. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٧).

(٧) في (س): «يدٌ بَسط: أي مطلقة، وقد يكون بسط اليد بمعنى مدّها إِلَى الشيء للأخذ وللبطش. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٧).

(٨) لم ترد في (ف) : «وَحتى لَا نَبْسُطَ اَيْدِيَنَا إِلَى مَحْظُور»، في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَلَا نَسْرَحَ بِاَبْصَارِنَا فِي لَهْو، وَلَا نَبْسُطَ اَيْدِيَنَا إِلَى مَحْظُور» وسرح الرجل بصرهُ: أرسلها ولم يكفّها عن الحرام.

(٩) في (ق): «إِلَى فجور».

(١٠) في (س): «الوعاء واحد الأوعية، يقال: أوعيت الزاد والمتاع: إذا جعلته في الوعاء. فوعا الوعاء الزاد يعيه، فالزاد موعوّ. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٨)، أي تحوي وتحفظ.

(١١) في (ق): «إِلَى».

(١٢) في (ش): «وَلَا تَنطِقَ بَاَلْسِنَتُنَا إلّا بمَا مَثَّلْتَ»، أي لا تتحدّث إلّا بما أمرت.

(١٣) في (ف) : «يتكلف».

(١٤) في (ك) زيادة: «وَيُنْئِي مِنْ عِقَابِكَ»، وَيُنْئِي، أي يُبعد.

(١٥) في (ش) العبارة هكذا: «وَلَا نَتَعَاطَى إلّا الذي يقِي عِنْ عِقَابِكَ»، وفي (ق) العبارة هكذا: =

ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّهُ(١) مِنْ رِيَاءِ(٢) الْمُرَائِينَ، وَسُمْعَةِ الْمُسمِّعِينَ(٣) [حَتّى](٤) لَا نُشْرِكَ(٥) فِيهِ أَحَداً دُونَكَ، ولَا نَبْتَغِي(٦) بهِ(٧) مُرَاداً سِوَاكَ(٨).

في المقطع السادس أشار الإمام عليه السلام إلى أهم مسؤوليات الصائم في شهر رمضان، وعددها كالآتي:

١ ـ معرفة فضل شهر رمضان؛ فإن المسؤوليات التالية بدون معرفة لا تكون ذات أثر، وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك في المقطع الخامس.

٢ ـ إجلال حرمة شهر رمضان ومجرد المعرفة لا تكفي ان لم تكن مقرونة بالعمل، والاجلال بالحرمة.

٣ ـ التحفّظ من المحظورات، ومنها: المفطرات المشروحة في كتب الفقه، وان كانت لا تنحصر بها، كما سنفصله في بيان المسؤوليات فيما يلي.

٤ ـ الصيام بإعانة الله سبحانه، ولولا فضله تعالى بالصحة والسلامة لما أمكن لنا الصيام.

= «وَلَا نَتَعَاطَى إلّا الذي يقِي مِنْ عندك عِقَابِكَ»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَلَا نَتَعَاطَى إلّا مَا يُنئِي عِنْ عِتَابِكَ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَلَا يَتَعَاطَى إلّا مَا يُنأى مِنْ عِقَابِكَ»، وَيُنْأى، أي يكون نائيا وبعيدا من عقابك.

(١) لم ترد في (ق): «كله».

(٢) في (ج): «رئاء».

(٣) في (ق) (ت): «المستمعين»، وفي حاشية (ج) (د): «المستمعين ـ س».

(٤) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٥) كذا في حاشية (ج)، وفي (ج): «نَشرَكُ».

(٦) العبارة في (ف) هكذا: «ينبغي».

(٧) كلمة: «به» من (ف) فقط.

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ عنْ رِيَاءِ الْمُرَائِينَ، وَسُمْعَةِ الْمُسمعِينَ، حتى لَا نَشْرَكَ فِيهِ أَحَداً دُونَكَ، ولَا نَبْتَغِي مُرَاداً سِوَاكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ عنْ رِئَاء الْمُرَائِينَ، وَسُمْعَةِ الْمُسمعِينَ، لَا نَشْرَكَ فِيهِ أَحَداً دُونَكَ، ولَا نَبْتَغِي به مُرَاداً سِوَاكَ».

٥ ـ كفّ الجوارح عن المعاصي، فإن الصيام ليس هو مجرّد الامتناع عن الأكل والشرب فقط، بل الامتناع عن كل المحرمات الفعلية والقولية.

٦ ـ استعمال الجوارح فيما يرضي الله، فالعمل الصادر من الإنسان بأعضائه كلها يجب أن يكون في طريق رضى الله.

٧ ـ عدم الاصغاء إلى اللغو، والتربية الروحية في الصوم تجعل الإنسان مهتماً بواجباته ومعرضاً عن اللغو سماعاً وإيجاداً.

٨ ـ عدم الاسراع للنظر إلى اللهو، فإن اللهو ان كان عن غير تعمد لا يؤاخذ عليه، أما المتعمد بالاسراع إلى النظر، فإنه يعني عدم التثقيف الروحي وقلّة التربية الروحية.

٩ ـ عدم بسط الأيدي إلى المحظور؛ فإذا بسط الصائم يده إلى محظور سواءً كان ذلك عن عمد ام لا، فذلك يكشف عن عدم التكامل الروحي فيه بالصيام.

١٠ ـ عدم التخطّي إلى محجور، فلو تقدم الصائم خطوة إلى ما حجره الشرع، سواءً بالفعل أو القول، فإن ذلك يكون كاشفاً عن عدم التربية الروحية الصومية.

١١ ـ أكل الحلال، فالبطون الّتي تعي كلّما اشتهت من ملاذّ الطعام والشراب، سواءً أحلّه الله تعالى أم لا، فهي غير صادقة في صيامها، والمراد الاجتزاء بأكل الحلال الواقعي وعدم الاكتفاء بالحلال الظاهري في هذا الشهر.

١٢ ـ التكلم بما أمر الله به، وذلك هو صوم اللسان والنطق في خصوص ما يرضي الله من الطاعات والعبادات، وهذا يستلزم مراقبة اللسان في هذا الشهر اكثر من غيره من الشهور، وذلك بالتجنّب عما قد لا يكون فيه رضى الله من القول.

١٣ ـ تحصيل الثواب، بالقيام بما يدني من الله من الاعمال الصالحة والقربات والخيرات والمبرّات.

١٤ ـ الوقاية من العقاب، باجتناب ما يوجب عقاب الله تعالى من المعاصي

والمساوئ، وبما أنّ الاعمال منها ما تقي من العقاب، ومنها ما لا تقي، فمسؤولية الصائم هو عدم تعاطي ما يوجب العذاب والعقاب.

١٥ ـ الخلوص من الرياء والسمعة؛ فإن الاعمال الصالحة ـ مهما كانت ـ شأنها ذلك، وهو يوجب بطلان العبادة كما قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾[١].

١٦ ـ عدم الشرك في الأعمال، والشرك ـ كما هو معروف ـ هنا: هو الشرك الخفيّ، باظهار ما يرضي الآخرين سوى الله سبحانه.

١٧ ـ ارادة رضى الله سبحانه وحده.

وهذه المسؤولية الاخيرة هي الجامعة المانعة؛ حيث أنه إذا تدرّج الصائم في اعماله وكان عمله لله، وفي الله وحده، لا سواه، كان صائماً على حقيقة الصوم، ودون ذلك مراتب يرجع البتّ في قبولها إلى الله سبحانه.

[٧/٤٤ ـ الطاعات]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِفْنَا[٢] فِيهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ[٣] بِحُدُودِهَا الّتِي حَدَّدْتَ، وَفُرُوضِهَا الّتي فَرَضْتَ، ووظائِفِهَا الّتي وَظَّفْتَ[٤]، وَأوقاتِها[٥] الّتي وَقَّتَّ.

وَأنْزِلْنَا فِيها[٦] مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِها[٧]، اَلْحافِظِينَ

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٦٤.

(٢) في (ف) (ق): «ووقّفنا»، وفي (ت): «ووفّقنا».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «اللهمّ وفّقنا فيه للمحافظة عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «اللهمّ وفّقنا فيه لمَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ».

(٤) لم ترد في (ت) كلمة: «وظفّت»، ولم ترد في (ك) (ش) (ف) عبارة: «وفروضها الّتي فرضت ووظائفها الّتي وظفّت».

(٥) في (ك): «ووقوتها».

(٦) في (ك) (ش): «وانزلنا فيه».

(٧) في (ف): «بمنازلها».

لأَرْكَانِهَا[١]، المُؤَدِّينَ لَهَا فِي أوقَاتِهَا[٢] عَلَى مَا سَنَّهُ[٣] عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمّدٌ صَلواتك عَلَيْهِ وَآلِهِ[٤]، فِي رُكُوعِهَا[٥] وَسُجُودِهَا وَجَمِيعِ فَوَاضِلهَا[٦] عَلَى أَتَمِّ الطَّهُورِ[٧] وَأَسْبَغِهِ[٨]، وَأَبْيَنِ الْخُشُوعِ وَأبْلَغِهِ.

وَوَفِّقْنَا فِيهِ لأَنْ نَصِلَ[٩] أَرْحَامَنَا بِالْبِرِّ وَالصِّلَةِ، وأَنْ نَتَعَاهدَ[١٠] جِيرَانَنَا بِالإِفْضَالِ وَالْعَطِيَّةِ، وَأَنْ نُخَلِّصَ[١١] أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ[١٢]، وَأَنْ نُطَهِّرَهَا[١٣] بِإِخْرَاجِ الزَّكَواتِ[١٤].

وَأَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا[١٥]، وَأَنْ نُنْصِفَ[١٦] مَنْ ظَلَمَنَا، وَأَنْ

---

(١) في (ف) : «لأوقاتها».

(٢) لم ترد في (ف) : «المُؤَدِّينَ لَهَا فِي أوقَاتِهَا».

(٣) سنَّهُ: بيَّنَهُ وأجراهُ.

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «سَنَّهُ مُحَمَّدٍ عَبدُكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم»، وفي (ك) العبارة هكذا: «سَنَّهُ مُحَمَّدٍ عَبدُكَ وَرَسُولكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «سَنَّهُ عَبدُكَ وَرَسُولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلّم»، وفي (ش) العبارة هكذا: «سَنَّهُ مُحَمَّدٍ عَبدُكَ وَرَسُولكَ».

(٥) في (ش) زيادة: «وركودها».

(٦) في (ك): «فرائضها»، ولم ترد في (ف) : «وجميع فواضلها»، وفي حاشية (ج): «أي زياداتها».

(٧) في (ت): «الظهور»، وفي حاشية (ج) (د): «الطَّهور، الطُّهور ـ معا».

(٨) في حاشية (ج): «أي أتمه»، أي أكمله.

(٩) في (ك) (ش): «نُبلّ». ونُبِلّ بمعنى نَصِل، ومنهُ الحديث: «بلّو أرحامكم ولو بالسلام»، أي صلوها.

(١٠) في (ك) (ش): «نتعّهد».

(١١) في (ف) : «يخلص»، وفي (حاشية ابن إدريس): «نخلص».

(١٢) خلص الشيء: صفّاهُ وميَّزهُ عن غيرهِ، والتبعات: جمع تبعة، وهي ما يتبع المال من الحقوق.

(١٣) في (ت): «وأن نظهرها».

(١٤) في (ت): «الزكاة».

(١٥) هاجرنا: قطعنا.

(١٦) في (ق) (ت): «وننصف».

نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا، حَاشا[١] مَنْ عُودِيَ فِيكَ وَلَكَ[٢]، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيهِ، وَالْحِزْبُ[٣] الَّذِي لَا نُصَافيهِ[٤].

وفي المقطع السابع خص الإمام عليه السلام من مسؤليات الصائم: الطاعات المستحبّة في هذا الشهر العظيم، وعدّها كالآتي:

١ ـ الصلاة في أوّل الوقت، فإذا كانت الصلوات اليومية الخمس مفروضة في اوقاتها المشروحة في الفقه، فإنّ أدائها في أول الوقت أمر مستحب، والتوفيق من الله تعالى بأدائها «بحدودها» من الشرائط «وفروضها» من الواجبات من الاجزاء والاركان، «ووظائفها» من الأذكار الواجبة فيها والادعية، وادائها في «أوقاتها» الزمنية المحدودة والمشروحة في الفقه.

٢ ـ الاقتداء بالسنة النبوية المطهرة في التدرّج في «منازل» التكامل الروحي في الصلوات الخمس؛ وذلك بحفظ «اركانها» وأدائها «في اوقاتها» سواءً «في ركوعها وسجودها» بل في «جميع فواضلها» من الحالات المتخلّلة بين الاركان كالقنوت والقيام وما شابههما، فإن لكل حالة من تلك الحالات ما ورد من الأدعية المروية والسنن النبوية مما فصّلتها كتب الفقه والادعية.

٣ ـ الطهارة التامة، وهي قوام الصلاة كما قال صلى الله عليه وآله: «لا صلاة إلّا بطهور»[٥] ولكن من مسؤوليات الصائم ان يؤدّيها على «أتمّ الطهور».

وقد فصّلت كتب الفقه الأغسال المستحبة في هذا الشهر الفضيل في

---

(١) في (ش): «حاشاي»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «إلّا»، وهو استثناء من مراجعة من قاطعناهُ، اي إلّا من قاطعناه من أجل الله كأعداء الله.

(٢) لم ترد في (د): «ولك»، والعبارة في (ف) هكذا: «حاشى من عدوّ لك وفيك»، وفي (ت) (ق) هكذا: «حاشى عدوّ لك وفيك».

(٣) في (ك) (ق) (ت): «والحرب»، وفي حاشية (ج) (د): «والحرب ـ س».

(٤) لم ترد في (ف): «فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيهِ، وَالْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافيهِ»، وفي (ك): «الذي لا نفاديه». أي لا نتحاماهُ.

(٥) المحاسن ١: ٧٨.

المناسبات المختلفة وخاصة في ليالي القدر وليالي الذكريات وليالي العشر الأخير، فلتراجع.

٤ ـ الخشوع البالغ، ومن مسؤوليات الصائم في أداء الصلوات الخمس: الخشوع البالغ فيها على وجه يكون «أبين» على الصائم في هذا الشهر من غيره من الشهور، وذلك بتخصيص وقت أزيد للعبادة في هذا الشهر وأطول للتعبد فيه زيادة على غير شهر رمضان.

٥ ـ صلة الأرحام، فهي وان كانت واجبة على المسلم، ولكنها من الطاعات الّتي تقتضي مزيد الاهتمام بها في شهر رمضان.

٦ ـ تعاهد الجيران؛ فإذا كان النبيّ ﷺ يعتبر حدّ الجوار اربعين داراً، فتعاهدهم بـ«الافضال والعطية» يتأكد في هذا الشهر.

٧ ـ تطهير الأموال، فإنّ مسؤولية الصائم هو تطهير جسمه بالصوم، وكذلك بالطاعات كتطهير امواله بالصدقة على الفقراء والمعوزين في هذا الشهر.

٨ ـ إخراج الزكوات، والزكاة المفروضة واجبة، ولكنها في شهر رمضان تعد من الطاعات والقربات المؤكدة.

٩ ـ مصالحة الأعداء، والصلح من أهداف الإسلام بصورة عامة، ولكنه يعد في شهر رمضان من الطاعات، وذلك بالرجوع إلى كل من هجر من الأخوة أو من عاداه، لحملهم على المصالحة.

١٠ ـ انصاف الظالم، فإن المظلوم بتجاوزه حقه قد يصبح متكبراً أنانيّاً، فيكون متعديا من هذه الجهة، فلابد من انصاف الظالم بالوقوف على ما يستحقه، ومن انصاف الظالم: النصح له وتعذيره بالجهل والتعامل معه بسماحة الإسلام ومبادئه الإنسانية.

١١ ـ السلم مع العدو، والسلم هدف الإسلام العالي، والإسلام هو الذي اتخذ السلام شعاراً له، والرجوع إليه فى هذا الشهر الفضيل طاعة.

١٢ ـ عداوة الشيطان الذي هو مبدأ الشرّ، بل هو بمنزلة الأم لكل الشرور

والعدة لكل غرور، واستثنى عليه السلام ذلك من المسالمة مع العدو بقوله: (حَاشَا مَنْ عُودِيَ فِيكَ وَلَكَ؛ فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لَا نُوَالِيهِ، وَالْحِزْبُ الَّذِي لَا نُصَافِيهِ)، فإن عداوة الشيطان ليس إلّا طاعة وتقرباً إلى الله سبحانه.

وقد قال الإمام عليه السلام إشارة إلى هذه الطاعات الاثني عشر بأنها وان كانت واجبة في كل الأيام ولكنها في خصوص شهر رمضان تكون طاعة بالاضافة إلى الزمان، وهي مطلوبة من الإنسان المسلم على كل حال.

[٤٤/٨ ـ نتيجة الطاعات]:

وَأَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فيه[١] مِنَ الأَعْمَالِ[٢] الزَّاكِيَةِ بِمَا تُطَهِّرُنَا به مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَعْصِمُنَا فِيهِ ممَّا[٣] نَسْتَأْنِفُ[٤] مِنَ الْعُيُوبِ[٥]، حَتَّى لَا يُورِدَ[٦] عَلَيْكَ أحَدٌ[٧] مِنْ مَلَائِكَتِكَ[٨] إِلَّا دُونَ[٩] مَا نُورِدُ[١٠] مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ لَكَ[١١]، وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَةِ إِلَيْكَ[١٢].

ثم أشار عليه السلام في المقطع الثامن إلى أثر الطاعات المتقدمة على الصائم،

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) (ق): «فيه».
(٢) في (ق): «بالأعمال».
(٣) في (ق) (ت): «فيما».
(٤) في (ت): «تستأنف».
(٥) في (ك) (ش)العبارة هكذا: «بِمَا يُطَهِّرُنَا مِنَ الذُّنُوبِ، وَيَعْصِمُنَا فِيمَا نَسْتَأْنِفُ مِنَ الْعُيُوبِ»، وفي (س): «الاستيناف: الابتداء في الشيء مرة أُخرى. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٨).
(٦) في (ت): «لا نورد».
(٧) في بعض النسخ: «أحد عليك».
(٨) في (ق): «من الملائكة».
(٩) في (ت): «الأدنون».
(١٠) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «إلّا دُونَ مَا يُورِدونَ عَنَّا».
(١١) لم ترد في (ش): «لك».
(١٢) هذا المقطع بأكمله لم يرد في (ف).

والتي يكشف وجودها في الإنسان عن قبول الطاعات، وعدمها عن عدم القبول، وقد لخّصها عليه‌السلام في نقاط ثلاث، هي:

١ ـ التقرب إلى الله بالاعمال الزاكية.

٢ ـ الطهارة من الذنوب بالتوبة الصادقة.

٣ ـ العصمة عن العيوب بحصول الكمال الروحي والمناعة الروحية ضد الخطيئة.

وهذه نتائج طبيعية لأبواب الطاعة وأنواع القربة، فإن فقدانها يكشف عن عدم الطاعة، والله العاصم.

[٩/٤٤ ـ الدعاء بالقبول]:

اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ[١] مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَى وَقْتِ فَنَائِهِ، مِنْ مَلَكٍ قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْتَهُ[٢] أنْ تصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٣] وَأَهِّلْنَا[٤] فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ[٥] مِنْ كَرَامَتِكَ،

---

(١) في (ك) العبارة هكذا: «اللّهُمَّ إنا نسألك بحق هذا الشهر وَحُرْمَتِهِ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبِحَقِّ من تعبد لك فيه...»، وفي (ش) العبارة هكذا: «اللّهُمَّ إنا نسألك بحق هذا الشهر وَ حَقّ من تعبد لك فيه...».

(٢) في (ك) بعد قوله: «اختصصته» العبارة التالية: «أَنْ تُجَنِّبَنَا الإلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَالْإغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالْعَمَى عَنْ سُنَّتِكَ، وَالِانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وفي (ش) العبارة التالية: «أَنْ تُجَنِّبَنَا من الْإلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَالإِغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالْعَمَى عَنْ سُنَّتِكَ، وَالانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وهذه نص المقطع (١٠) الآتي.

(٣) في (ف) ورد بعد هذا قوله في المقطع التالي: «وأَنْ تُجَنِّبَنَا الإلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ...».

(٤) في (ف) العبارة هكذا: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وأهّلنا»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «اللّهُمَّ أهّلنا»، وفي (س): «أهّلك الله للخير تأهيلاً: جعله أهلاً له أو أهلاً به أي آنساً به. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٦٨)، وأهّلنا، أي اجعلنا أهلاً لما وعدتَ أولياءك.

(٥) في (ق) العبارة هكذا: «وَأَهِّلْنَا لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ فِيهِ».

وَأَوْجِبْ لَنَا فِيهِ[١] مَا أَوْجَبْتَ[٢] لأَهْلِ الْمبالغةِ فِي طَاعَتِكَ[٣]، وَاجْعَلْنَا[٤] فِي نَظْمِ[٥] مَنِ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الأَعْلَى[٦] بِرَحْمَتِكَ[٧].

ثم عقّب الإمام في هذا المقطع الطاعات الكثيرة بسلسلة من الدعاء؛ فإن شهر رمضان هو ربيع الدعاء، ويكون الصائم فيه أقرب إلى الله تعالى من سائر الشهور، وخص المقطع التاسع بالدعاء بقبول الطاعات؛ فإن طاعات العبد مهما كانت، فإنها لا تصل إلى ما تستحق اطلاق عنوان الطاعة عليها، لولا قبوله تعالى، ويكون منّاً لا تقرّباً، وكذلك حقوق الوالدين؛ فإن الولد مهما قام بطاعة والده لا يكون مؤدّياً للواجب، ومن هنا قال ﷺ لأحدهم: «أنت ومالك لأبيك»[٨]، وكذلك حقوق الأم، وفيها قال ﷺ: «الجنة تحت

---

(١) لم ترد في (ك) (ش): «فيه».
(٢) لم ترد في (ق): «وَأَوْجِبْ لَنَا فيهمَا»، والعبارة في (ق) هكذا: «وَأَوْجِبْت لأهل المبالغة في طاعتك».
(٣) في (ك) العبارة هكذا: «ما أوجبت لاهل الاصطفاء لطاعتك» وفي «الرضوية» العبارة هكذا: «ما أوجبت لاهل الاستقصاء لطاعتك»، وأهل الاستقصاء: هم من بذلَوا جهدهُم في فعلهِم وعبادتهِم.
(٤) في (ف) : «واجعله».
(٥) أي أجعلنا في جماعة من استحقَ الرفيعَ الأعلى، أو أجعلنا في صفهم. وقال السيد علي خان: النظم: التأليف وضمّ الشيء إلى آخر، والمنظوم يقال: نظم من اللؤلؤ أي منظوم منه. قال الجوهري: وأصله المصدر، ويقال لجماعة الجراد نظم، وفي الأساس: جاءنا نظم من جراد ونظام منه: أي صف. (رياض السالكين ٦ : ٧٠).
(٦) الرفيع: فعيل بمعنى فاعل، من رفع: ككرم، رفعة: أي شرف وعلا، وارتفع، فهو رفيع. أي المقام الرفيع الأعلى، والمراد به أعلى مراتب الجنّة ودرجاتها. (رياض السالكين ٦ : ٧٠)، وفي بعض الموارد: «الرفيق الأعلى»، والرفيق الأعلى: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين.
(٧) هذا المقطع ورد في (ك) (ش) (ف) بعد المقطع التالي.
(٨) الكافي ٥: ١٣٥.

أقدام الأمهات»[١] فطاعتها لازم لما لها من الحقوق، وطاعة العبد بالنسبة إلى رب الأرباب في نفسها من مقتضيات القبول، وليست علّة تامّة له، ولذلك افتقر إلى القبول من الله سبحانه.

ومن هنا أقسم الإمام عليه السلام على الله بحقوق لها حرمة عند الله بقبول الأدعية الّتي سيذكرها، وخص بالذكر بعض الحقوق الثابتة، وهي:

١ ـ حقّ شهر رمضان العظيم الذي خصّه الله تعالى بالفضائل.

٢ ـ حقّ المتعبّدين في هذا الشهر «من ابتداء الشهر» في التاريخ و«الى وقت فنائه» في التاريخ.

٣ ـ حقّ الملائكة المقربين.

٤ ـ حقّ الأنبياء المرسلين.

٥ ـ حقّ العباد الصالحين الذين اختصهم الله بالعبادة.

وأقسم عليه السلام على الله تعالى بهذه الحقوق على قبول الطاعات، وخص بالذكر منها:

١ ـ الصلاة على محمد وآله.

٢ ـ التوفيق من الله لأن يصبح أهلا لقبول الكرامة من الله تعالى.

٣ ـ الجزاء بما أوجبه تعالى لأهل المبالغة في الطاعة من الثواب الجزيل.

٤ ـ الرحمة، بأن يدخلنا في «من استحق الرفيع الاعلى» من درجات لتكامل الروحي برحمته.

[١٠/٤٤ ـ الدعاء باجتناب المعاصي]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٢]، وَجَنِّبْنَا الإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ،

---

(١) في مستدرك الوسائل، للميرزا حسين النوري الطبرسي ١٥: ١٨٠ ـ ١٨١، الحديث ١٧٩٣٣، عن القطب الراوندي في لب اللباب: عن النبي (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات». وقال (صلى الله عليه وآله): «تحت أقدام الأمهات، روضة من رياض الجنة».

(٢) عبارة: «وَأَهِّلْنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَوْجِبْ لَنَا فِيهِمَا أَوْجَبْتَ لأَهْلِ =

وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، والشَّكّ فِي دِينِكَ، وَالْعَمَى عَنْ سَبيلِكَ، والإغْفَالِ[(١)] لِحُرْمَتِكَ، وَالإنْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[(٢)].

وبعد الدعاء بقبول الطاعات يشير في هذا المقطع العاشر إلى الدعاء باجتناب المعاصي، وخصّ بالذكر منها:

١ ـ الالحاد في توحيد الله؛ وهو اعلى درجات العصيان.

٢ ـ التقصير في تمجيد الله، فإذا كان التمجيد في نفسه مستحباً والقصور عنه مغفوراً، فالتقصير مع العلم يكون معصية.

٣ ـ الشك في الدين، وذلك بعد ظهور الآيات والبيّنات.

٤ ـ العمي عن سبيل الله بعد وضوح الدلالات، للجاهل المقصّر دون القاصر.

٥ ـ الاغفال لحرمة الله بالتعمد في ذلك، من دون الغفلة.

٦ ـ الانخداع للشيطان بعد الإنذار المتكرّر من الواحد القهار.

وهذه جماع المعاصي الّتي تفتقر إلى الدعاء للاجتناب عنها.

[١١/٤٤ ـ طلب العفو]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإذا[(٣)] كَانَ لَكَ فِي كُلِّ[(٤)]

= الْمبالغةِ فِي طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي نَظْمِمَنِ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الأَعْلَى بِرَحْمَتِكَ. اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ»ساقطة من (ت).

(١) الإغفال: ترك الشيء إهمالاً من غير نسيان.

(٢) لم يرد في (ك) (ش) هذا المقطع هنا، وورد هذه الفقرة إلى آخرها بعد قوله: «اختصصته» المتقدم في المقطع (٩)، ولفظه: «أن تجنبنا الإلحاد في...» إلى آخر ما أوردناه آنفا. والعبارة في (ف) هكذا: «أنَ تَصلّي عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأن تجَنِّبَنَا الإلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، والإغفال لحرمتك والتعدي بحدودك».

(٣) في (ف) (ت): «وإن».

(٤) لم ترد في (ت): «كلّ».

لَيْلَة مِنْ لَيَالِي شَهْرِنَا هَذَا رِقَابٌ يُعْتِقُهَا عَفْوُكَ أو يَهَبُها صَفحُكَ[١]، فَاجْعَلْ[٢] رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ[٣]، وَاجْعَلْنَا لِشَهْرِنَا مِنْ خَيْرِ أَهْل وَأَصْحَاب[٤].

وحيث ان من تلوّث بإحدى هذه المعاصي يفتقر إلى العفو، أشار عليه السلام في المقطع الحادي عشر إلى ضرورة العفو في شهر رمضان؛ حيث أنه شهر التوبة والغفران، والشهر شهر الله، والصائمون هم في ضيافة الله، وهم يرجون عفو الله فيه، فدعا الإمام عليه السلام أن «يجعل الله رقابنا» من «رقاب يعتقها عفو الله أو يهبها صفحه»؛ فإذا تحققت هذه المرحلة من العفو فقط فحينئذ يصبح الصائم «خير أهل وأصحاب» لشهر رمضان.

مدرسة رمضان:

ان الهدف الأسمى من مدرسة رمضان هو التقوى، وذلك بتقديم ثلاثة أمور:

١ ـ التكامل الروحي.

و ٢ ـ مواهب الرب.

و٣ ـ مسؤوليات العبد.

وخص الإمام عليه السلام بالذكر كل منها بمقطع خاص، فقال عليه السلام في ذيل ما تقدم:

---

(١) لم ترد في (ف) : «أو يهبها صفحك».

(٢) في (ت): «واجعل».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «شَهْرِنَا هَذَا رِقَاباً يُعْتِقُهَا عَفْوُكَ مِنَ الْعَذَابِ، فَاجْعَلْ رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «شَهْرِنَا هَذَا رِقَاباً يُعْتِقُهَا عَفْوُكَ ويهبها صفحك، فَاجْعَلْ رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ».

(٤) العبارة في (ت) هكذا: «واجعل رقابنا من خير أهل وأصحاب»، ولم ترد في (ق) من قوله: «اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإذا كان لَكَ فِي...»، إِلَى قوله: «... مِنْ خَيْرِ أَهْل وَأَصْحَاب».

[١٢/٤٤ ـ التكامل الروحي]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] امْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ إِمِّحَاقِ[٢] هِلَالِهِ، وَأَسْلَخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ انْسِلَاخِ[٣] أَيَّامِهِ، حَتَّى يَنْقَضِيَ[٤] عَنَّا[٥] وَقَدْ صَفَّيْتَنَا[٦] مِنَ الخَطِيْئَاتِ[٧]، وَأَخلصْتَنا[٨] فِيهِ مِنَ السَّيْئَاتِ.

أشار عليه السلام في هذا المقطع إلى التدرج في مدارج التكامل الروحي في شهر رمضان للحصول على أعلى الدرجات فيها، وخصّ بالذكر منها ما يلي:

١ ـ محق الذنوب، وهي اعلى الدرجات، حيث يتزامن مع «امّحاق هلاله» في الثلاث ليال الأخيرة.

٢ ـ سلخ التبعات تدريجياً في ثلاثين مرحلة ـ على الاغلب ـ مع انسلاخ أيامه من الهلال حتى السلخ.

٣ ـ الطهارة من الخطيئات والتخلّص من السيئات، وهي أعلى درجات التكامل بكمال الشهر.

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على مُحَمَّدٍ وآله»، والعبارة في (ك) هكذا: «اللهم امحق»، وفي (ش) هكذا: «اللهم وامحق».

(٢) في (ك): «انمحاق»، وفي (ش): «امّحاق»، وفي حاشية (ج) (د): «امحاق، محاق ـ معا»، والمحق: ذهاب الشيءحتى لا يبقى منه أثر، وانمحاق الهلال: استتارهُ في آخر الشهر.

(٣) الانسلاخ: الانقضاء.

(٤) في (ت): «تنقضي».

(٥) لم ترد في (ت): «عنا».

(٦) في (ف) : «وضعتنا».

(٧) في (ت): «الخطايا».

(٨) في (ك): «ونقّيتنا»، وفي (ش) (ف) : «وخلصتنا».

[١٣/٤٤ ـ مواهب الرب]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِنْ مِلنَا فِيهِ فَعَدِّلْنَا[١]، وَإِنْ زُغْنَا فيه[٢] فَقَوِّمْنَا، وَإِنِ اشْتَمَلَ[٣] عَلَيْنَا عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ فَأَسْتَنْقِذْنَا منه[٤].

وأشار عليه السلام إلى أن ذلك لا يمكن إلّا بمواهب الرب سبحانه، وخص بالذكر ثلاثة شائعة منها، وهي:

١ ـ التعديل عند الميل، حيث تغلب هوى النفس الامارة.

٢ ـ التقويم عند الزيغ، حيث تجيش الشهوات الحيوانية.

٣ ـ الإنقاذ من الشيطان، حيث يسيطر الشيطان الرجيم.

ولايمكن الاستعانة على ذلك إلا بمواهب من الله الرحيم.

[١٤/٤٤ ـ مسؤوليات العبد]:

اللّهُمَّ اشحَنْهُ[٥] بِعِبَادَتِنَا إيّاكَ[٦]، وَزَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ[٧]، وَأَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَى صِيَامِهِ، وَفِي لَيْلِهِ عَلى الصَّلاةِ[٨]

---

(١) العبارة في (ك) هكذا: «اللّهُمَّ ان عَنَدنا فيه فعَدّلنا»، وفي (ش): «اللّهُمَّ ان عدنا فيه فعدلنا»، وعَنَد عن الطريق: مال وعدل. وعدّلنا: أي سوّنا على الطريق، والكلام اِستعارة تبعية.

(٢) في (ك): «عنه»، والزيغ: الميل عن الاستقامة، والتقويم: التعديل.

(٣) اشتملَ: أحاطَ واستحوذَ.

(٤) في (ش): «فاستنقذنا»، ولم ترد في (ك) (ش): «منه»، وهذا المقطع بأكمله ورد في (ف) بعد المقطع التالي.

(٥) الشحن: الملء، أي إملأ أيام الشهر بعبادتنا وطاعتنا لَكَ.

(٦) لم ترد في (ك) (ش): «إياك».

(٧) لم ترد في (ك) (ش): «لك»، وفي (ف) العبارة هكذا: «اللهم فزيّن أوقاتنا بطاعتنا لك وعبادتنا إياك».

(٨) في (ش) زيادة: «لك».

وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ وَالْخُشُوعِ لَكَ[(١)]، والذلّة بَيْنَ يَدَيْكَ[(٢)]، حَتّى لَا يَشْهَدَ نَهَارُهُ علينا بِغَفْلَةٍ، وَلَا لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ[(٣)].

وأشار عليه السلام في هذا المقطع إلى مسؤوليات العبد في هذا الشهر، وخص بالذكر منها ما يلي:

١ ـ العبادة.

٢ ـ الطاعة.

٣ ـ صيام النهار.

٤ ـ الصلاة في الليل.

٥ ـ الخشوع لله.

٦ ـ الذلّة بين يدي الله تعالى.

كل ذلك باعتدال من غير افراط أو تفريط «حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة» عن مسؤولية الصائم، «ولا ليله بتفريط» للواجب الذي يتحمله الصائم تجاه نفسه وعائلته ومجتمعه، فمن نجح في ذلك من دون افراط او تفريط فقد تخرّج من مدرسة رمضان بنجاح.

[١٥/٤٤ ـ سائر الشهور والأيّام]:

اللّهُمَّ وَاجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ[(٤)] كَذَلِكَ مَا عَمَّرْتَنَا[(٥)]، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ

---

(١) لم ترد في (ف): «لك».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَفي لَيْلَتِهِ على قِيامِهِ بِالصَّلاةِ لَكَ، وَالتَّضرُّعِ اِلَيْكَ، وَالْخُشوعِ بَيْنَ يَدَيْكَ».

(٣) التفريط: التقصير والتضييع.

(٤) في (ك) زيادة: «وَمَا نَأْتَنِفُ مِنَ الأعْوَامِ»، ونأتنف: أي نستقبل.

(٥) في (ش): «ما عمرنا».

هُمْ[١] ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾[٣]، وَمِنَ الذينَ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٤].

وختم الإمام عليه السلام بالمقطع الأخير مؤكداً على ان التخرّج من مدرسة رمضان تجعل الصائم مؤهّلا للمسؤولية الروحية في سائر الشهور والايام حتى يصبح الصائم من عباد الله الصالحين، وخصّ من صفات عباد الله الصالحين ما يلي:

١ ـ يرثون الفردوس، ولهم ـ دون غيرهم ـ الخلود فيه من مواهب الرب.

٢ ـ انهم يرجعون إلى بارئهم برجوعهم إلى الحق والحقيقة.

٣ ـ يسارعون في الخيرات ويصبحون أعضاء صالحين لبناء المجتمع الصالح نتيجة لتحمّل مسؤولياتهم.

[١٦/٤٤ ـ ختام الدعاء]:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآله[٥] فِي كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ[٦] أَوَانٍ[٧]، وَ [صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآله][٨] عَلى كُلِّ حَالٍ[٩] [وَزَمَانٍ][١٠] [وَصَلِّ

---

(١) في (ف): «وهم».

(٢) اقتباس من القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ١١، ولم ترد الايتين بعدها في (ك) (ش) (ف). والمقطعان (١٤ و١٥) لم يردا في (ت).

(٣) لم يرد في (ق): «و».

(٤) القرآن الكريم، سورة المؤمنون ٢٣: ٦٠ و٦١، ولم ترد هاتين الايتين في (ك) (ش) (ف).

(٥) في (ش): «وعلى آل مُحَمَّدٍ».

(٦) لم يرد في (ق): «كلّ».

(٧) الأوان: الحين، وهو الزمان.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

(٩) في (ق): «في كل حال».

(١٠) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ][١] عَدَدَ مَا صَلَّيْتَ عَلى مَنْ صَلَّيْتَ عليه[٢]، وأَضْعَافَ ذَلِكَ كُلِّه، بِالأَضْعَافِ[٣] الَّتي لَا يُحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ[٤].

وحيث أن هذا الدعاء هو من دروس أهل البيت عليهم السلام فقد ختم الدعاء بالصلاة على محمد وأهل بيته في كل وقت وأوان، وعلى كل حال، لأنهم الاصل في التوجه إلى مدرسة رمضان الروحية، والتي تجعل الصائم مسارعا في الخيرات مدى الحياة.

وختم الدعاء بالنتيجة العامة المرجوّة من مدرسة رمضان، وهي إعداد الإنسان الصالح في المجتمع ليتحمّل المسؤولية تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه «في كل أوان وعلى كل حال»، فلا يختص نتيجة هذا الاصلاح الجذري في النفس بخصوص شهر رمضان، بل يكون جذرياً في قلب الصائم ومؤثراً في حياته الفكرية والعملية على الدوام، ومن الله القبول.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ق) فقط.
(٢) لم ترد في (ك) (ش): «عليه».
(٣) في (ش): «في الاضعاف».
(٤) في (ت): «لما يريد».

[الدُّعاءُ الخامس والأربعون]

وكان مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان[1]

---

(١) ورد هذا الدُّعاء في (ك) بالرقم (٢٠) بنفس العنوان، وفي (ش) بالرقم (٢٢) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «الخامس والأربعون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان»، وفي (ت) بعنوان: (الخامس والأربعون) وتحته عنوان: «فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دُعائِهِ عليه السلام فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان»، ولم يرد هذا الدعاء في (ق)، وورد في (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٥)، بعنوان: «دُعاؤُهُ فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان»، وفي حاشية (د) ما نصه: «قال بعض أصحابنا: وقت الدعاء لوداع شهر رمضان آخر ليلة منه، وفي سحرها أفضل، أو في آخر يوم منه. وفي التوقيعات الواردة عن صاحب الأمر صلوات الله عليه في جواب المسائل التي سأله عنها محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، سأله عن وداع شهر رمضان متى يكون؟ فقد اختلف أصحابنا فيه، فبعضهم يقول: يقرأ في آخر ليلة منه، وبعضهم يقول: في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوال، فخرج التوقيع بما نصّه: «العمل في شهر رمضان في لياليه، والوداع في آخر ليلة منه، فإن خاف أن ينقص الشهر جعله في ليلتين»، انتهى. وقال السيد الجليل علي بن طاووس قدّس الله روحه: اجتهد في وقت الوداع على إصلاح السريرة، فالإنسان على نفسه بصيرة، وتخيّر لوقت الوداع أصلح أوقاتك من آخر ليلة منه كما روّينا، فإن فاتك في آخر ليلة ففي أواخر نهار المفارقة له والانفصال عنه، فمتى وجدت نفسك في تلك الليلة أو ذلك اليوم على حال صالحة في صحبة شهر رمضان فودّعه في ذلك الأوان وداع أهل الصفاء والوفاء، واقض من حقّ التأسّف على مفارقته وبعده ما فاتك من شرف ضيافته، وفوائد رفده، وأطلق من ذخائر دموع الوداع ما جرت به عوائد الأحبّة إذا تفرّقوا بعد الاجتماع، انتهى. قلت: وقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: أنّه أمر بوداع شهر رمضان في آخر جمعة منه، وهو ما رواه الشيخ جعفر بن محمّد الدوريستي رحمه الله في كتاب «الحسنى» بإسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله في آخر جمعة من شهر رمضان، فلما بصر بي قال لي: يا جابر، هذه آخر جمعة من شهر رمضان فودِّعه وقل: «اللّهمّ لا تجعله آخر العهد من صيامنا إيّاه، فإن جعلته، فاجعلني مرحوما ولا تجعلني محروما». فإنّه من قال ذلك ظفر بإحدى الحسنين، =

[١/٤٥ ـ دعاء وداع رمضان]:

أللّهُمَّ(١) يا مَنْ لَا يَرْغَبُ فِي الْجَزَآءِ، وَيَا مَنْ لَا يَنْدَمُ(٢) عَلَى الْعَطَآءِ، وَيَا مَنْ لَا يُكَافِئُ عَبْدَهُ(٣) عَلَى السَّوَاءِ(٤)، مِنَّتُكَ(٥) ابْتِدَاءٌ، وَعَفْوُكَ تَفَضُّلٌ، وَعُقُوبَتُكَ عَدْلٌ، وَقَضَاؤُكَ خِيَرَةٌ(٦).

إنْ(٧) أَعْطَيْتَ لَمْ تَشُبْ(٨) عَطَاءَكَ بِمَنٍّ(٩)، وَإنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنْعُكَ تَعَدِّياً.

تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ وَأَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ، وتُكَافِيءُ مَنْ حَمِدَكَ وَأنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ، تَسْتُرُ عَلى مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَهُ، وَتَجُودُ عَلى مَنْ لَوْ شئْتَ(١٠) مَنَعْتَهُ، وَكِلَاهُمَا أَهْلُ مِنْكَ(١١) لِلْفَضِيحَةِ وَالْمَنْعِ،

= إمّا ببلوغ شهر رمضان من قابل، أو بغفران الله ورحمته. وعلى هذا فينبغي وداعه في آخر جمعة منه وآخر ليلة منه، جمعا بين الروايات. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ١٠٦ ـ ١٠٨).

(١) لم ترد في (ك) عبارة: «أللّهُمَّ».
(٢) في (ف) (ت): «ولا يندم».
(٣) في (ت): «عنده».
(٤) في (ت): «السوء»، والسواء: مصدر بمعنى الاستواء، أي أنهُ لا يكافيء عبدهُ على عمله بالسوية، بل يضاعف للمحسن ويعفو عن المسيء.
(٥) في (ت): «مننك»، وفي (ك) (ش) (ف): «هبتكَ».
(٦) قضاؤك خير: أي حكمكَ اختيار.
(٧) في (ت): «بأن».
(٨) في (ت): «لم يشب»، وفي (س): «الشوب: الخلط». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٥)، وتشب: تخلط وتمزج.
(٩) في (ت): «منٍّ»، والمنّ: التعيير وتكدير النعمة.
(١٠) في (ك): «أردتَ».
(١١) في حاشية (ج) في نسخة: «منك أهل».

غير أنَّكَ[١] بَنَيْتَ[٢] أَفْعَالَكَ عَلَى التَّفَضُّلِ، وَأَجْرَيْتَ قُدْرَتَكَ عَلَى التَّجَاوُزِ[٣]، وَتَلَقَّيْتَ مَنْ عَصَاكَ بِالْحِلْمِ، وَأَمْهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ[٤]، تَسْتَنْظِرهُمْ[٥] بِأَنَاتِكَ[٦] إِلَى الإِنَابَةِ[٧]، وَتَتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ[٨]، لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ[٩]، وَلا[١٠] يَشْقَى بِنِعْمَتِكَ[١١] شَقِيُّهُمْ إِلَّا عَنْ طُولِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِ[١٢]، وَبَعْدَ تَرَادُفِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ[١٣]، كَرَماً مِنْ عَفْوِكَ[١٤] يَا كَرِيمُ[١٥]، وَعَائِدَةً[١٦] مِنْ عَطْفِكَ، يَا حَلِيمُ.

استفتح الدعاء بسلسلة من الصفات الإلهيّة الّتي لابّد وأن تلتقى بمفاهيم

---

(١) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَكِلَاهُمَا مِنْكَ اَهْلُ الْفَضِيحَةِ وَالْمَنْعِ، إلّا أَنَّكَ...».

(٢) في (ت) العبارة هكذا: «تثبت».

(٣) أي جعلتها جارية مستمرة على العفو.

(٤) في (ش) (ت) العبارة هكذا: «وَاَمْهَلْتَ مَنْ قَصَدَ نَفْسه بِالظُّلْمِ»، أي أنظرتَ من ظلمَ نفسهُ ولم تعاجلهُ بالانتقام لظلمه نفسه.

(٥) في (ت) العبارة هكذا: «يستنظرهم»، وفي (ك): «تَسْتَطْرِدُهُمْ».

(٦) الأناة: اسم من تأنّى في الأمر، أي تمهَّلَ وتمكَّثَ ولم يعجل، واطّرد الامر: تبع بعضه بعضا.

(٧) الإنابة: التوبة والرجوع إلى الله.

(٨) تترك معاجلتهم: تمهلهم ولا تعجل عليهم إلى حين الرجوع إليكَ بالتوبة.

(٩) في (ف): «عاجلهم».

(١٠) في (ف) (ت) وحاشية (ج) في نسخة: «ولئلا».

(١١) في (ك) (ت): «بنقمتك».

(١٢) في (ف): «إليهمَ»، أي: لان لا يهلكَ عليكَ هالكهم ولا يشقى بنعمتِكَ شقيهم إلّا بعد طول الإعذار ـ أي المبالغة في العذر ـ إليهِ.

(١٣) في (ف): «عليهمَ».

(١٤) في (ك) (ش) (ف) (ت): «من فعلكَ».

(١٥) لم ترد في (ش): «يا كريم».

(١٦) في (ت) العبارة هكذا: «وعائذة»، والعائدة: كل نفع يرجع إلى الإنسان من شيء.

الإنسان المادى، حيث ان المقاييس الماديّة تقتضي ان يكون لكل فعل ردّ فعل معاكس، ولكن هذا المقياس المادي لا ينطبق بالنسبة إلى الصفات الإلهيّة، سواءً فيها السلبيّة او الإيجابية، وقد ذكر الإمام في هذا المقطع اموراً، منها:

١ ـ أنه تعالى لا يرغب في الجزاء؛ لأن كلّما يقوم به الإنسان من الطاعات واعمال الخير يعود نفعه إلى نفسه ومجتمعه، فهو يجلب النفع إلى نفسه في آخر المطاف؛ فإن السلام السائد في المجتمع يعود نفعه على الإنسان نفسه لا محالة.

٢ ـ لا يندم على العطاء؛ لأن ذلك فضل ورحمة من الله سبحانه.

٣ ـ لا يكافئ على السواء؛ أي لا يجازي سبحانه العمل الصالح بما يساويه من الجزاء، بل بما هو اكثر مما يستحق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1].

٤ ـ منّتك ابتداء، أي نعمتك مبتدأ قبل استحقاقها.

٥ ـ عفوك تفضّل، فلا يلزم عليه تعالى شيء.

٦ ـ عقوبتك عدل، وهو نتيجة لما بدر من الإنسان مما يوجب العقوبة.

٧ ـ قضاؤك خيرة؛ فإن ما يحكم به هو الخير العائد على الإنسان في نفسه ومجتمعه.

٨ ـ لم تشب عطائك بمنّ، كما تقتضيه المصلحة الماديّة في الحياة.

٩ ـ لم يكن منعك تعدياً، بل لحكمة تقتضي المنع.

١٠ ـ تشكر من شكرك، مع أن الشكر واجب عليه؛ مكافأة لما أنعمت عليه، فلا يقتضي الشكر على أداء الواجب.

١١ ـ تكافئ من حمدك، مع أن الحمد نتيجة الاذعان بالاستحقاق، فلا يفتقر إلى مكافئة وجزاء.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٦٠.

١٢ ـ تستر على القبائح، مع ان ارتكاب القبائح يقتضي الفضيحة، ولكن الله ستار العيوب فهو يستر على العاصي مع استحقاقه العقوبة.

١٣ ـ تجود على الإنسان مع عدم أي التزام به؛ اذ لو شاء تعالى منعه عن لعطاء لفعل، لأنه يستحق المنع.

١٤ ـ التفضل، وهو اساس كل أفعاله تعالى؛ لأن الفضل هو من رحمته، وهي من صفاته المقدسة.

١٥ ـ التجاوز، وهو أساس القدرة المطلقة ومن صفاته الذاتية تعالى.

١٦ ـ الحلم عمّن عصى، مع استحقاقه العقوبة حتى يتمكن من الإنابة والرجوع إلى الصواب.

١٧ ـ الإمهال للظالم على نفسه حتى يتمكن من التوبة والرجوع إلى الحق.

١٨ ـ عدم المعاجلة في العقاب والعذاب، وقد ذكر لذلك أسباباً، ذكر منها:

الأول: ان يكون هلاك الهالك وشقاء الشقي بعد الوقت الكافي للمراجعة والاعتذار إلى الله سبحانه.

الثاني: ان يكون ذلك بعد تتابع الحجة على الإنسان بما يمكّنه من التوبة ومنحه الوقت الكافي لذلك.

الثالث: ان يكون ذلك كرماً من الله سبحانه في إعطاء الفرصة للتوبة.

الرابع: ان يكون ذلك عائدة، أي نفعاً يعود على الإنسان من عطف الله، أي شفقته تعالى على الإنسان الضعيف في غلبة شهوات النفس الأمارة بالسوء عليه.

وهذه الصفات الّتي لا تقاس بأي مقياس مادّي تمهّد لقبول التوبة الّتي مكّن الله العباد منها.

[٢/٤٥ ـ باب التوبة]:

أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ باباً إِلَى عَفْوِكَ، وَ[١] سَمَّيْتَهُ: التَّوْبَة[٢]، وَجَعَلْتَ عَلى[٣] ذلِكَ الباب[٤] دَلِيلاً مِنْ وَحْيِكَ، لِئَلَّا يَضِلُّوا عَنْه، فَقُلْتَ تبارك اسمك[٥]: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا[٦] عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ[٧] يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٨].

فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ[٩] ذلك[١٠] الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ[١١]؟!.

لقد فتح الله سبحانه طريقاً للرجوع إلى الصواب لمن أخطأ الصراط المستقيم، وهو طريق العفو والمغفرة، وجعل له باباً هو التوبة، ولهذا الباب

---

(١) لم ترد في (ت): «و».
(٢) في (ش) (ف) العبارة هكذا: «فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ باباً اِلى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَة».
(٣) في (ت): «إلى».
(٤) لم ترد في (ك): «الباب».
(٥) في (ت): «تباركت أسماؤك»، ولم ترد في (ك) (ش): «تبارك اسمك».
(٦) في حاشية (ج) (د): «نَصوحا، نُصوحا ـ معا»، وفي (س): «التوبة النصوح: الصادقة». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٥).
(٧) في (ج): «الآية»، ولم يرد فيها تمام الآية، ووردت تمام الاية في حاشية (ج) (د) إلى قوله: «قدير».
(٨) القرآن الكريم، سورة التحريم٦٦: ٨، ووردت الاية في (ك) (ش) إلى قوله: «الانهار».
(٩) لم ترد في (ف): «دخول».
(١٠) لم ترد في (ك) (ش): «ذلك».
(١١) العبارة في (ت) هكذا: «بعد فتحه وإقامة الدليل عليه».

مفتاحاً يدلّ عليه هو القرآن الكريم، الذي هو الوحي المنزل على سيد البشر لهداية الناس إلى الصراط المستقيم؛ لئلا يضلوا عنه بعد إقامة الدليل من الوحي الإلهي.

وقد أرشدنا الوحي القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بسبب ما صدر من الخلاف لأوامره ونواهيه ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أي يكون باطن التائب كظاهره وأفضل، وقد تضمنت هذه الآية الكريمة آثاراً للتائب في الدنيا والآخرة أشرت إليها في أوضح البيان في تفسير سورة التحريم، وهي بالإجمال:

أولاً: الغفران في الدنيا: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

ثانياً: جزاء التوبة بالجنان في الآخرة: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾.

ثالثاً: نور الهداية: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ﴾.

رابعاً: راحة الضمير بأداء الواجب وتصحيح الخطأ في الحياة، حيث يدعوا التائبون: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾. وفي ذلك إشارة إلى أن المعصية ليست موروثة ـ كما عليه الاعتقاد المسيحي ـ بل الخطيئة مكتسبة من العبد، والتوبة عنها يؤدّي إلى راحة الضمير وتمام النور الذي وهبه الله بخلق العقل في الإنسان.

وطبيعيّ أن لا يكون للإنسان أيّ عذر بعد فتح هذا الباب للعالمين والإرشاد إليه بالوحي المبين.

[٣/٤٥ ـ مفاتيح العفو الإلهي]:

وَأَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ[١] عَلى نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ، تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِم لَكَ[٢]، وَفَوْزَهُمْ بِالوفادَةِ عَلَيْكَ والزيادة مِنْكَ[٣]، فَقُلْتَ تَبارَكَ اسْمُكَ وَتَعالَيْتَ[٤]: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ

---

(١) في (س): «السوم في البيع: طلبُه زيادة عن الثمن الّذي هو ثمن البيع. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٥)، والسَّوم: مصدر سام البائع البضاعة إذا عرضها للبيع وذكر ثمنها.

(٢) العبارة في (ت) هكذا: «في متاجرتك».

(٣) في (ف) العبارة هكذا: «وَفَوْزَهُمْ بِالزيادة عليك».

(٤) العبارة في (ت) هكذا: «فقلت تباركت أسماؤك»، وفي (ك) و(ش) (ف) العبارة هكذا: «تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِكَ، وَفَوْزَهُمْ بِالزِّيَادَةِ عَلَيْكَ، فَقُلْتَ: . . .».

أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[١]، وقُلْتَ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ[٢] لِمَن يَشَآءُ﴾[٣]، وقُلْتَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ[٤] لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٥]، وَمَا أَنْزَلْتَ مِنْ نَظَائِرِهِنَّ فِي القُرآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الحَسَنَاتِ[٦].

وبالإضافة إلى جعل باب التوبة مفتاحاً للحصول على العفو الإلهي قد جعل الله سبحانه مفاتيح أُخرى زيادة في الفضل على ذلك، وكأنها معاملة تجارية يتحكّم فيها قانون العرض والطلب والبيع والشراء، فالمساوم من يعرض الشيء للبيع بثمن خاص، ويحاول ترغيب المشتري في اقتناء ذلك بأنواع المرغّبات.

والله سبحانه جعل الفوز والنجاة في الحياة وبعد الممات تجارة يعود ربحها إلى الإنسان نفسه، بازاء ما يقوم به من دور مسؤول في الحياة.

وقد أشار في هذا المقطع إلى موارد من القرآن الكريم تنص على مضاعفة الحسنات؛ فإن المضاعفة زيادة في السوم لغرض أن ينتفع بها التائب والعامل بالواجب، ومنها:

١ ـ الإحسان في سورة الأنعام: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٧] فإن المضاعفة بالعشرات.

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٦٠، وعبارة: «وهم لا يظلمون» لم ترد في (ت).
(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «يضعّف».
(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٦١، ووردت الاية في (ش) إلى قوله: «مئة حبة»، ولم ترد الآية في (ف).
(٤) في حاشية (ج) في نسخة: «فيضعّفه».
(٥) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٤٥، وهذه الاية لم ترد في (ك) (ش) (ف).
(٦) العبارة في (ت) هكذا: «من تضاعف الحسنات»، ولم ترد في (ك) (ش) (ف) عبارة: «من تضاعيف الحسنات».
(٧) القرآن الكريم، سورة الأنعام ٦: ١٦٠.

٢ ـ الإنفاق، حيث قال في سورة البقرة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[١]، فإن المضاعفة حينئذ سبع مئة أو أكثر.

٣ ـ القرض، في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٢] فإن المضاعفة غير محدودة بعدد، والكثير عند الله لا يحصى كما في الحديث[٣].

وهذه الادوار المسؤولة في الحياة من الإحسان والإنفاق والقرض هي مفاتيح الغفران وقبول التوبة، وقد أكّدت عليها الآيات القرآنية المذكورة، وما لها من مظاهر في آيات أخرى وأحاديث نبوية تؤكد على ما لها من آثار في الدنيا والآخرة، وراجع مظانها في «معجم الأحاديث».

[٤٥/٤ ـ الشكر والدعاء]:

وَأَنْتَ الَّذِي دَلَـلْتَهُمْ بقولك مِنْ غَيْبِكَ[٤] وترغيبك[٥] الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلى مَا لَوْ سَتَرْتَهُ عَنهُم لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصارُهُمْ، وَلَمْ تَعِهِ أَسْمَاعُهُمْ، وَلَمْ تلحقهُ أَوْهَامُهُمْ[٦]، فَقُلْتَ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٦١.

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٤٥.

(٣) راجع: البحار ٦٨: ٢٤٦.

(٤) الكلمة غير واضحة في (ت)، في حاشية (ج) (د) في نسخة: «من عندك».

(٥) لم ترد في (ف): «وترغيبك».

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «وَأَنْتَ الَّذِي دَلَّلْتَهُمْ مِنْ غَيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ على مَا لَوْ سَتَرْتَهُ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصارُهُمْ، وَلَمْ تَضْمَنْهُ أَسْمَاعُهُمْ، وَلَمْ تَغُصْ عَلَيهِ أَوْهَامُهُمْ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَأَنْتَ الَّذِي دَلَّلْتَهُمْ مِنْ غَيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلى مَا لَوْ سَتَرْتَهُ لَمْ تُدْرِكْهُ أفهامهُمْ، وَلَمْ يلحقهُ أَوْهَامُهُمْ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأَنْتَ الَّذِي دَلَّلْتَهُمْ مِنْ غَيْبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ على مَا لَوْ سَتَرْتَهُ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصارُهُمْ، وَلَمْ تصمهُ أَسْمَاعُهُمْ، وَلَمْ تَغُصْ عَلَيهِ أَوْهَامُهُمْ»، وتغص، من غاص يغوص: إذا تعمق لدرك الشيء، والأوهام: جمع وهم، وهو ما يقع في القلب من الخاطر.

لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١] وقُلْتَ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، وقُلْتَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣]، فسمّيتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وتركَهُ استكباراً، وَتَوَعّدتَ عَلَى تَرْكِهِ دُخُولَ[٤] جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[٥]، فَذَكَرُوكَ بِمَنِّكَ، وَشَكَرُوكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَوْكَ بِأَمْرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلَباً لِمَزِيدِكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ[٦]، وَفَوْزُهُمْ بِرِضَاكَ.

وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقاً مِنْ نَفْسِهِ، عَلى مِثْلِ[٧] الَّذِي دَلَلْتَ[٨] عَلَيْهِ عِبَادَكَ مِنْكَ، كَانَ مَوْصُوفاً بِالإِحْسَانِ وَمَنْعُوتاً بِالإِمْتِنَانِ وَ[٩]

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة٢: ١٥٢، ووردت الاية في (ش) إلى قوله: «أذكركم»، وفي حاشية (د) ما نصه: «الآية المذكورة في سورة البقرة والتلاوة: «فاذكروني» بالفاء، وفيه دليل على جواز حكاية الجملة المقرونة بالفاء من كلامه تعالى بحذف الفاء. وهذه المسألة أطنب فيها الشيخ بهاء الدين السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب الأصولي، وقرّر: أنّه يجوز في مثل ذلك إثبات الفاء وسائر حروف العطف وحذفها. من الشرح». (رياض السالكين ٦: ١٤٣).

(٢) القرآن الكريم، سورة إبراهيم١٤: ٧، ووردت الاية في (ش) إلى قوله: «لأزيدنّكم».

(٣) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠، ووردت الاية في (ش) إلى قوله: «أستجب لكم».

(٤) في (ت): «بدخول».

(٥) في (س): «الدخور: الصغار والذل». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٥).

(٦) في (ك) (ف) العبارة هكذا: «استجب لكم، وَقُلْتَ: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ فَذَكَرُوكَ، وَشَكَرُوكَ، وَدَعَوْكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «استجب لكم، وَقُلْتَ: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾، وَذَكَرُوكَ، وَشَكَرُوكَ، وَدَعَوْكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ». والآية من القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٤٥.

(٧) لم ترد في (ف) : «مثل».

(٨) في (ت): «مثل ما دللت».

(٩) في (ج): «الواو»، كتب عليها في حاشية (ج): «نسخة».

مَحْمُوداً بِكُلِّ لِسَانٍ[١].

ومن مفاتيح التوبة والادلة على الصراط المستقيم: كلٌ من الشكر والدعاء، حيث رغّب الله سبحانه فيهما ليستكمل الناس حظّهم منهما بما لا تدركه الأبصار ولم تحفظه الاسماع ولن تدركه الأوهام؛ فإن مفاتيح التوبة هذه فضلٌ من الله سبحانه، فهي في دلالتها ليست محسوسة حتى يمكن النظر إليها؛ او تدرك حسياً، وانما جعلت أدلة ومفاتيح بوحي من الله سبحانه وإرشاد من رسوله ﷺ. وقد خص منها في هذا المقطع أموراً، هي:

١ ـ ذكر الله سبحانه، بقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٢] فإنه بذكر الله تطمئن القلوب[٣].

٢ ـ الشكر، بقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤] فإن بالشكر تزيد النعم.

٣ ـ الدعاء، بقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥] فإن الدعاء هو مفتاح القبول.

والثابت في موقف التائب استخدام هذه الأمور الّتي أمر الله بها سبحانه، واشار إليها في الدعاء بقوله:

١ ـ فذكروك بمنّك.

٢ ـ وشكروك بفضلك.

٣ ـ ودعوك بأمرك.

وهذا الموقف هو موقف الطالب للنجاة من غضب الله سبحانه، والفوز برضاه تعالى، ولم يتمكن التائب من الوقوف في هذا الموقف وطلب هذا الطلب

---

(١) لم ترد في بعض النسخ: «بكلّ لسان»، والعبارة في (ت)هكذا: «عَلَيْهِ عِبَادَكَ مِنْكَ، كَانَ مَحْمُوداً».

(٢) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٥٢.

(٣) كما ورد في القرآن الكريم.

(٤) القرآن الكريم، سورة إبراهيم ١٤: ٧.

(٥) القرآن الكريم، سورة غافر ٤٠: ٦٠.

إلّا بسبب ان الله هو الذي دل على هذه الأمور الموصلة إليها، وهو الجدير بالحمد على تيسير هذه الوسائل للعصاة الراغبين في التوبة.

وقد ختم الإمام المقطع بما يقرّب للإنسان المادّي وجوب هذا الحمد فيما كان من الأمور الماديّة، فلو استخدم مخلوق هذه الوسائل ودلّ عليها مخلوقاً مثله عليها لاستحق الحمد في العالم المادى، فكيف لا يكون كذلك في العالم الروحي؟!

[٥/٤٥ ـ الحمد لله وحده]:

فَلَكَ الْحَمْدُ[١] مَا وُجِدَ فِي حَمْدِكَ مَذهَبٌ، وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ تُحْمَدُ بِهِ[٢]، وَمَعْنىً يَنْصرِفُ[٣] إِلَيْهِ.

يَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى عِبَادِهِ بِالإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَغَمَرَهُمْ[٤] بِالْمَنِّ والطَّوْلِ[٥]، مَا أفْشى[٦] فِينَا نِعْمَتَكَ[٧]، وَأَسْبَغَ[٨] عَلَيْنَا مِنَّتَكَ[٩]، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ ؟!.

---

(١) في حاشية (د) ما نصه: «الفاء من قوله: «فلك الحمد» فصيحة، أي إذا كان الأمر كذلك فلك الحمد. و«ما» في الفقرتين مصدريّة زمانيّة، أي مدّة وجدان مذهب في حمدك ومدة بقاء لفظ للحمد، والمذهب هنا: يجوز أن يكون مصدرا ميميّا وأن يكون بمعنى الطريق، وعلى الوجهين فنسبته إلى الحمد مجاز عقلي. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ١٥٠).

(٢) في (ت): «تحَمَّدْتَهُ»، وفي (ك): «يحْمَدُ بِهِ»، وفي (ف): «يحْمَدُ بِها».

(٣) في (ت): «يتصَرَّفُ إليه»، ويحتمل: «ينصَرَفُ إاليه»، أو: «ننصَرِفُ إليه»، وفي (ك) (ش): «يصْرَفُ».

(٤) في (ت): «وعائلهم»، وفي (ك) (ش) (ف): «وعاملهمْ»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «وعاملهمْ».

(٥) الطول: الفضل والعطاء والقدرة، والمنّ: النعمة.

(٦) أفشى: أظهرَ.

(٧) في (ك) (ش): «نعمك».

(٨) أسبغَ: أفاضَ وأوسعَ.

(٩) في (ك) (ت): «مننك».

هَدَيْتَنَا لِدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَمِلَّتِكَ الَّتِي[(١)] ارْتَضَيْتَ، وَسَبِيلِكَ الَّذِي[(٢)] سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا [مَا يُوجِبُ][(٣)] الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ[(٤)]، وَالْوُصُولَ إِلَى كَرَامَتِكَ.

ورحمة الله الواسعة المشتملة على الكون كله تستوجب الحمد لله، ولكن لا يمكن تحديد هذا الحمد باللفظ؛ لأن كلّما يتصوّره الإنسان للتعبير عن هذه الرحمة الواسعة يعدّ قاصراً، فلا محيص سوى الحمد على ما فيه من اجمال، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى الاجمال بثلاثة أنواع منه:

١ ـ الحمد في أي زمان كان فيه طريق للحمد.

٢ ـ الحمد في أي زمان كان للحمد لفظ يحمد به.

٣ ـ الحمد في أي زمان كان للحمد معنى يرجع إليه الحمد بأي لفظ حصل، وفي أيّة لغة كان.

وعليه، فالاجمال في الحمد بالأنواع الثلاثة يكون أقرب ما يمكن أن يقدمه الإنسان المادي من الحمد.

ثم تضمّن هذا المقطع الأسباب الموجبة للحمد، وذكر منها:

١ ـ الإحسان.

٢ ـ الفضل.

٣ ـ المنّة، وافشائه بين الناس.

٤ ـ الطول، أي الإنعام.

---

(١) في (ت): «الّذي».

(٢) في (ك) (ت): «التي».

(٣) ما بين المعقوفتين من (ك) (ف).

(٤) في (ك): «وَبَصَّرْتَنَا مَا يُوجِبُ الزُّلْفَةَ إِلَيْكَ»، وفي (ش): «وَبَصيرتَنَا مَا يُوجِبُ الزُّلْفَةَ إِلَيْكَ»، وفي (س): «أزلفه: قرّبه، والزلفة والزُلفى: القُربة والمنزلة العالية». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٥)، وَبَصَّرْتَنَا... الخ: أي عرّفتنا القربة والمنزلة لديكَ لنطلبها.

٥ ـ البر، أي فعل الخير الذي خصّ الله الإنسان به في بناء الحضارات دون سائر المخلوقات.

٦ ـ الهداية إلى الدين الذي اصطفاه الله للإنسانية والملّة المرتضاة من قبله، وطريق الحياة الّتي سهّلها للعباد.

٧ ـ التعريف بالزلفة، أي التقرب إلى الله سبحانه بعمل الخير والطاعة حتى يكون الإنسان على رؤية واضحة للوصول إلى كرامة الله والتي هي الكرامة في الدنيا بطهارة الضمير وتاريخ الحياة الطاهرة، وفي الآخرة بالجزاء الجزيل.

[٦/٤٥ ـ خصائص شهر رمضان]:

أللّهُمَّ، وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صفايا[(١)] تِلْكَ الْوَظَائِفِ، وَخَصَائِصِ[(٢)] تِلكَ الْفُرُوضِ، شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ[(٣)] مِنْ جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ، وَآثَرْتَهُ[(٤)] عَلى كُلِّ أَوْقَاتِ السنة[(٥)] بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ والنور، وضاعفت[(٦)] فيه من الإيمان، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ، ورَغَّبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَأَجْلَلْتَ[(٧)] فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ[(٨)] الَّتي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

---

(١) لم ترد: «صفايا» في (ك) (ف).

(٢) في (ش): «وخصايص».

(٣) في (ت): «وتحريته» والكلمة غير واضحة.

(٤) آثرتهُ: فضَّلتهُ.

(٥) في (ف): «على كل الأوقات».

(٦) في حاشية (ج) في نسخة: «وضعّفت».

(٧) في (ك) (ف): «وأحللت».

(٨) في (ت): «وأحللت»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَآثَرْتَهُ عَلى كُلِّ الاَوْقَاتِ بِمَا اَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَام، وَأَحْلَلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَآثَرْتَهُ عَلى كُلِّ الاَوْقَاتِ لِمَا اَنزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَفَرَضْتَ فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ، وَجعلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ».

ويتضمن هذا المقطع خصائص شهر رمضان كفريضة واجبة ووظيفة مطلوبة من كل مكلف في كل عام، وأشار إلى عدة خصائص لهذا الشهر، منها:

١ ـ الاختصاص بالفضيلة على سائر الشهور.

٢ ـ اختيار شهر رمضان دون غيره للفريضة والطاعة.

٣ ـ تفضيل شهر رمضان بايثاره على كل أوقات السنة.

وعن الاسباب الموجبة لهذه الخصائص ذكر:

١ ـ انزال القرآن، الذي هو نور هداية في الحياة في شهر رمضان.

٢ ـ مضاعفة ثواب الطاعات، الّتي هي آثار الإيمان في هذا الشهر.

٣ ـ فرض الصيام في هذا الشهر دون غيره من الشهور.

٤ ـ الترغيب بالقيام فيه، وخاصة صلاة الليل والأعمال المستحبة في الشهر كله.

٥ ـ وجود ليلة القدر، الّتي هي خير من ألف شهر، في هذا الشهر الفضيل خاصة.

فإنّ هذه الأسباب متلازمة مع اختصاص الشهر بالفضيلة دون غيره من سائر الشهور.

[٧/٤٥ ـ خصيصة الأمّة الإسلامية]:

ثُمَّ آثَرْتَنَا بِهِ عَلى سَائِرِ الأُمَمِ، وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أَهْلِ المِلَلِ، فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَقُمْنَا بعونك[١] لَيْلَهُ، مُتَعَرِّضِينَ[٢] بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ لِمَا عَرَّضْتَنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ[٣]، وَسَبَّبْتَنَا إِلَيْهِ[٤] مِنْ مَثُوبَتِكَ[٥].

---

(١) في (ت): «بقوتك»، ولم ترد: «بعونك» في (ك) (ف)، وفي (ش): «بقولك».

(٢) أي متصدّين وطالبين.

(٣) في (ف): «نعمتك».

(٤) كذا في (ك) (ت)، وفي المشهورة: «وتسبّبنا إليه»، وفي (ش): «وسببتنا له»، وفي (ف): «وشيدتنا اليه»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ونسبتنا»، وقوله: «سببتنا»: أي وصَّلتنا.

(٥) في (س): «الثواب: جزاء الطاعة، وكذا المثوبة». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦).

وَأَنْتَ الْمَلِيءُ[١] بِمَا رُغِبَ[٢] فِيهِ إِلَيْكَ[٣]، الْجَوَادُ[٤] بِمَا سُئِلتَ[٥] مِنْ فَضْلِكَ، اَلْقَرِيبُ إِلَى مَنْ حَاوَلَ[٦] قُرْبَكَ.

وصوم شهر رمضان من خصائص الامة الإسلامية فإن أصل الصيام كان مفروضاً في الأُمم السابقة من اليهود والنصارى على اختلاف العادات، من تتابع الصيام ثلاثة أيام بلياليها، هذا من حيث المقدار. ومن تغيير زمن الصيام من الصيف إلى الربيع حسب ما يقرره الكهنة والقساوسة، في حين ان الإسلام أقرّ أصل الصيام فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[٧] ولكن خصّ الأُمة بالعدد والزمن بشهر رمضان المبارك مستثنياً الليالي من الصيام، ومحبّذاً فيها القيام، وجعل الشهر المبارك دورة تربوية سنوية لإعداد الإنسان مؤهّلا في السير نحو الكمال النفسي، ويشهد بذلك قلّة الجرائم في البلاد الإسلامية في هذا الشهر الذي يتربى فيه الإنسان ويتقرب فيه إلى الله سبحانه، لأن الله تعالى «آثر» المسلمين، أي اكرمهم بشهر رمضان.

وأشار هذا المقطع إلى الخصائص الّتي لم تكن في الأُمم الاخرى وذكر منها:

١ ـ إيثار المسلمين بشهر رمضان، أي إكرامهم خاصة بالصيام والقيام بالوصف الآتي.

٢ ـ اصطفاء المسلمين، أي اختيارهم لفضل هذا الشهر «دون أهل الملل» الاخرى بما سبق.

---

(١) في (ك): «المليّ»، أي المضطلع القادر على ذلكَ.
(٢) في (ت): «بما رغبت».
(٣) في (ش) (ف): «إليك فيه».
(٤) في (ت): «والجواد».
(٥) في (ف): «شئت».
(٦) في (س): «حاولت الشيء: أردته». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦).
(٧) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ١٨٣.

٣ ـ صيام نهار رمضان بأمره تعالى الواجب الذي لا يتخلّف عنه.

٤ ـ قيام ليالي رمضان من دون صيام بتحبيذه تعالى من دون الزام.

٥ ـ التعرّض لرحمة الله تعالى، أي التصدي لها بواسطة الصيام والقيام.

٦ ـ التسبب إلى المثوبة، أي التوصل إليها.

وهذه الخصائص الّتي تفضّل الله بها سبحانه على الأمّة ترفع الإنسان بزيادة الأمل في التوبة؛ لأن هذا التفضيل نابع من صفات الرحمة الذاتية له تعالى، وقد أشار في ذيل هذا المقطع إلى ثلاثة منها:

١ ـ الملي، أي الغني المقتدر بتحقيق «ما رغب فيه» الله تعالى من المثوبة والرحمة.

٢ ـ الجواد بإعطاء «ما سُئل» من الفضل على العباد.

٣ ـ القريب إلى كل من «حاول» الوصول إلى قربه تعالى.

[٨/٤٥ ـ وَداع رمضان]:

[إلِهي](١) وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مُقَامَ حَمْدٍ(٢)، وَصَحِبَنَا(٣) صُحْبَةَ مبْرُورٍ(٤)، وَأَرْبَحَنَا(٥) أَفْضَلَ أَرْبَاحِ(٦) الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقنَا(٧) عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ، وَإنْقِطَاعِ مُدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَدَدِهِ(٨)، فَنَحْنُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من حاشية (ج) في نسخة.

(٢) في (ش): «مقام جدّ».

(٣) في حاشية (ج) (د): «وصحبتنا ـ س».

(٤) في (ت): «مبرورة»، وفي (ك) (ش) (ف) : «سرور»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «سرور».

(٥) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «واربحتنا».

(٦) في (ت): «رِباحَ»، وفي (ج): «أرباحَ»، وفي حاشية (ج) ما نصه: «مفتوح الحاء المهملة كما ترى، وهو جمع «ربح»، وإعرابه الكسر بالاضافة، وجعله بدلا من «أفضل» تعسّفٌ بيّنٌ». (قال المحقق: وهذا التعليق بخط الشيخ البهائي رحمه الله).

(٧) في (ت): «ثم فارقنا»، وفي (ك): «فارقتنا».

(٨) الوفاء: بلوغ التمام.

مُوَدِّعُوهُ وِدَاعَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا[١]، وأَوْحَشْنَا إِنْصِرافُهُ عَنَّا، وَلَزِمَنَا لَهُ الذِّمَامُ[٢] المَحْفُوظُ، وَالْحُرْمَةُ الْمَرْعِيَّةُ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِيُّ.

وحيث أن هذا الدعاء ذكره الإمام عليه السلام في وداع شهر رمضان فقد تكفل هذا المقطع الاشارة إلى الجو الروحاني الذي خلّفه هذا الشهر الفضيل في نفسية الإنسان الصائم بالتجرد عن الماديات والتي في مقدمتها الأكل والشرب ليتقرب إلى الجو الروحاني بالقرب إلى الله سبحانه بالطاعات؛ فإن هذه «الصحبة» بين الصائم وشهر الصيام صحبة زائر عزيز لمدة شهر واحد تعود زيارته بالخير والبركة على المزور وتتصف بصفات الخير من الحمد والبر والربح لافضل الارباح في الحياة، وهي الحياة الروحية الّتي بدونها تكون الحياة حياة شريعة الغاب، فيكون من الصعب مفارقة هذه الصحبة العزيزة، شأن أي فراق لمسافر ينتهي دور السفر عند تمام وقته لاستيفاء الغرض منه في الوقت المحدد وانقطاع مدته؛ لأن بانتهاء المدة ينتهي الدور المفروض ادائه وفاء لعدده، حيث ان الواجب قد استكمل عدداً، وحيث ان الفراق مع هذه الاوصاف من استيعاب الغرض المطلوب من رمضان أمر لا مفر منه، أشار المقطع إلى كيفية الوداع الّتي تكشف عما خلفته الزيارة من اثر عميق في نفسية الإنسان الصائم، منها:

١ ـ وداع مَنْ عزّ فراقه؛ للأثر الروحي الذي خلّفه رمضان في نفسية الإنسان.

٢ ـ وداع مَنْ غمّ انصرافه وأوحش؛ للرغبة في المزيد من العطاء الروحي.

٣ ـ لزوم الذمام، أي العهد المحفوظ بالحركة على ما يقتضيه هذا العطاء الروحي الذي خلفته مدرسة رمضان في طول العام، حتى أداء (الحرمة المرعيّة) للأوامر الإلهيّة ورعاية (الحق) الإلهي الذي من شأنه ان يقضى.

---

(١) لم ترد في (ك) (ش): «وغمّنا».

(٢) في (ف) : «الزام»، وفي (س): «الذمام: الحُرمة». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦)، والذمام: العهد: سمي بهِ؛ لأنَّ الرجل يذمُّ على إضاعتهِ.

[٩/٤٥ ـ سلام الوداع]:

فَنَحْنُ قَائِلُونَ[١]:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الأَكْبر[٢]، وَيَا عِيْدَ أَوْلِيَائِهِ [الأَعْظَمِ][٣].

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوب مِنَ الأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْر فِي[٤] الأَيَّامِ والسَّاعَاتِ.

السَّلَامُ عَلَيْكَ من شَهْر قرُبَتْ[٥] فِيهِ الآمال[٦]، ونُشرَتْ[٧] فِيهِ الأعمالُ[٨].

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِين[٩] جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَأفجَعَ[١٠] فَقْدُهُ

---

(١) في (ك): «ونحن قائلون»، وفي (ش): «فنحن القائلون».

(٢) كذا في(ت) (ف) ، وفي (ك) (ش): «الأكرم»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «الأكرم».

(٣) ما بين المعقوفتين من (ك) (ش) (ج) (ت).

(٤) كذا صحح في بعض النسخ، وكانت الكلمة في (ك) هكذا: «من».

(٥) في (ش): «فرّقت».

(٦) الآمال: جمع أمل، وهو ما يأمله الإنسان في الحياة، والمراد: ان الفوز بالجنة والرضوان قد قرّبت في شهر رمضان.

(٧) في (ش): «ويسّرت»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ويسرت ـ س».

(٨) في (ك) العبارة هكذا: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْر قُرِّبَتْ فِيهِ الأموال، ويُسِّرَتْ فِيهِ الأعمالُ، وَنُشِرَتْ فِيْهِ الآمَالُ»، ونشر الآمال، عبارة عن بثّها وبسطها؛ لكثرة ما يعمل فيها من أعمال البرّ.

(٩) في (س): «القرين: الصاحب، وقرينة الرجل: زوجته». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦).

(١٠) حاشية (ج) (د) في نسخة: «وفجّع»، وفي (س): «الفجيعة: الرزية، وقد فجعته المصيبة، أي أوجعته، وكذلك التضجيع، وتضجّعت له: أي توجّعت». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦)، وفي هامش حاشية ابن إدريس، ما نصه: «في نسخة ابن إدريس: (فجع) بدون همزة، وهو المسموع. (لوامع الأنوار العرشية ٥: ١٠٨)».

مَفْقُودَاً، ومرجوّ آلَمَ فِرَاقُهُ(١).

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ أليفٍ آنَسَ(٢) مُقْبِلاً(٣) فَسَرَّ، وَأوْحَشَ مُنْقَضِياً فَمَضَّ(٤).

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرٍ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ(٥).

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَصَاحِبٍ سهّلَ سُبُلَ الإِحْسَانِ(٦).

يتضمن سلام الوداع سلسلة من التسليمات عددها (١٨) سلاماً، يتعرض فيها إلى صحبة رمضان وآثار رمضان وما يتعلق برمضان من خصائص وآثار عامة وخاصة.

وافتتح سلام الوداع بما يخص صحبة رمضان واصفاً له بأنّه:

شهر الله الأكبر، وقد خصه الله بخصائص لا توجد في غيره من الشهور،

---

(١) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِين جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَفَجَّعَ فَقْدُهُ مَفْقُودَاً»، ولم ترد هذه الفقرة في (ف).

(٢) في (ك): «من أليف أنيس آنس»، وفي (ك): «من أليف آنس».

(٣) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «مَقيلاً»، وكتب تحته ما نصه: «كذا ضبطه، وكتب تحته: «صح».

(٤) في (ج) (د): «فمضّ»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «فأمضّ»، وفي (ك): «وَأَوْحَشَ مُدْبِراً فَمَضَّ»، وفي (ش): «وَأَوْحَشَ مُدْبِراً فَمَضى»، وفي (س): «المضض: وجع المصيبة». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦). و«مَضَّ»، أي آلم وأحزنَ. وهذه الفقرة لم ترد في (ت).

(٥) لم ترد هذه الفقرة في (ش).

(٦) في (ش): «وصاحب سهّل سبيل الاحسان»، شبَّهُ عليه السلام بمصاحب لطرق الإحسان، لكثرة تحقّق الإحسان فيه.

وأهمها الصيام الذي هو تهذيب روحي للإنسان، فهو عيد لاوليائه تعالى حيث يتقربون فيه إلى الله سبحانه، فهو:

١ ـ أكرم مصحوب من الأوقات في السنة كلها، وخير شهر في أيامه وساعاته، حيث لكل منها دعوات خاصة تعتبر دروساً عملية لتهذيب النفس.

٢ ـ شهر تقرن فيه آمال العباد بقبول التوبة، وتنشر أي تكثر فيها الطاعات وأعمال الخير.

٣ ـ قرين جلّ قدره موجوداً؛ لما يترتب على وجوده من الحث على أعمال الخير (وأفجع فقده مفقوداً)، وطبيعي أن يؤلم فراقه حيث ينقطع بفقده الطاعات الخاصة بهذا الشهر، فإنه شهر (مرجوّ) فيه قبول الطاعات، وطبيعيّ أن يؤلم فراقه حيث ينقطع الرجاء الخاص بهذا الشهر.

٤ ـ أليف، أي أنيس للصالحين؛ فإن اقبال رمضان كان ساراً، وطبيعيّ ان يكون انقضاؤه موحشاً.

٥ ـ مجاور بالقرب، كالجوار إثر جواره في رقة القلوب وخشوعها وقلّة الذنوب من أهلها.

٦ ـ ناصر للمؤمنين؛ حيث كان عوناً لهم على الشيطان وكان صاحباً سهّل سبل الإحسان من الإنسان في الطاعات الّتي هي إحسان على النفس، وأعمال الخير الّتي هي إحسان على المجتمع.

[١٠/٤٥ ـ من آثار شهر رمضان]:

السَّلامُ عَلَيكَ مَا أَكْثَرَ[١] عُتَقَاءَ اللَّهِ فِيكَ، وَمَا أَسْعَدَ[٢] مَنْ رَعى حُرْمَتَكَ بِكَ[٣].

---

(١) في (ت): «يا أكبر».

(٢) في (ت): «ويا أسعد».

(٣) في (ف): «راعى حرمتك»، وفي (ك): «راعى حرمتك بك»، وفي (ش): «رعى حرمتك».

السَّلامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلذُّنُوبِ(١)، وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ(٢).

السَّلامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ(٣).

٧ ـ كثرة عتقاء الله في رمضان، وطبيعيّ أن يسعد من رعى حرمة الشهر وفاز بالعتق من الذنوب واستحق الحياة المرضية نفسياً واجتماعياً.

٨ ـ محو الذنوب في هذا الشهر الفضيل بقبول التوبة فيه، ويكون ذلك ستراً للعيوب التي ارتكبها الإنسان بسبب محوها، أو ستر العيوب من غيرها مما لا يعّد ذنباً.

٩ ـ طول الشهر على المجرمين، حيث ان المجرم الممارس للمآثم من غير توبة يرى ان الزمن الذي يستغرقه شهر رمضان زمناً طويلا؛ لأنه يمنعه من ارتكاب المآثم الذي غرّه الشيطان بها، وعلى العكس يكون لشهر رمضان في صدور المؤمنين أنسا وراحة واجلالا؛ لما له من الآثار الروحية في النفس والمجتمع.

[١١/٤٥ ـ خصائص اُخرى]:

السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ(٤) الأَيَّامُ.

السَّلامُ عَلَيْكَ(٥) مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ(٦).

---

(١) في (ت): «من الذنوب».

(٢) في (ت) جاء بعد هذه الفقرة ما يلي: «السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الأَيَّامُ...» الى آخر المقطع (١١).

(٣) في (ت): «بما رغبت».

(٤) في (س): «شيء نفيس: أي يتنافس فيه ويرغب، ونَفُسَ الشيء ـ بالضم ـ ينفسه: أي صار نفيساً. ونافسه مثل ضاربه، أي لا تعد نفسها نفيسة عنده». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٦).

(٥) لم ترد في (ك) (ش): «السلام عليك».

(٦) في (ت) العبارة هكذا: «السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الأَيَّامُ، من شهرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لَا تُنَافِسُهُ الأَيَّامُ وَهُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ =

السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحَبَةِ، وَلَا ذَمِيمِ الْمُلَابَسَةِ(١).

السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدْتَ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ(٢).

السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ بَرَماً(٣)، وَلَا مَتْرُوك صِيَامُهُ سَأَماً(٤).

السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَمَحْزُونٍ عَلَيْهِ قبلَ فَوْتِهِ(٥).

السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا، وَكَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ(٦) بِكَ عَلَيْنَا(٧).

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلى لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هي خَيرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(٨).

سَلَامٌ»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «مسّلمٌ، سَلَامٌ ـ س»، وكتب تحته ما نصه: «كذا بخطه وضبطه».

(١) لم يرد هذا السلام في (ف)، والملابسة: المخالطة.

(٢) في (ت): «الخطايا»، والدنس: الوسخ، والخطيئات: جمع خطيئة، وهي الذنب والإثم، أو ما تعمَّدَ منهما.

(٣) في (ت): «تبرّما»، وفي (ف): «بشر»، وفي (س): «البرم ـ بالتحريك ـ: مصدر قولك بَرِم به ـ بالكسر ـ: إذا سئمه، وتبرّم به مثله، وأبرمه: أي أملّه وأضجره». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٧)، والبرم: الضجر، والسأم: الملل.

(٤) لم ترد في (ت): «سأما».

(٥) في (ف): «بعد وقته»، وفي (ك) (ش): «بعد فوته»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «بعد فوته».

(٦) في (ك): «قد أقبض» بدل «أفيض».

(٧) هذه الفقرة لم ترد في (ت) هنا.

(٨) في (ك) (ش) (ف): «جعلها الله خيرا من ألف شهر» وورد بعده في (ك): «السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلى فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَاهُ، وَعَلى بَرَكَتِكَ الّتي سُلِبْنَاه»، وورد بعده في (ش): «السَّلَامُ =

السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أحْرَصْنَا(١) بِالأَمْسِ عَلَيْكَ، وَأَشدَّ(٢) شَوْقَنَا غداً(٣) إِلَيْكَ(٤).

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلى فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَاهُ، وَعَلى ماضٍ من بَرَكَاتِكَ سُلِبْنَاه(٥).

[أَللّهُمَّ، إِنَّا أَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِه، ووَفَّقْتَنَا بِمَنِّكَ لَهُ(٦) حِينَ جَهِلَ الأَشْقِيَاءُ وَقْتَهُ(٧)، وحُرِمُوا لِشَقَائِهِمْ فَضْلَهُ](٨).

[أَنْتَ وَلِيُّ مَا آثَرْتَنَا بِه مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وهَدَيْتَنَا لَه مِنْ سُنَّتِهِ(٩)،

= عَلَيْكَ وَعَلى فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَاهُ، وَعَلى ما من بَرَكَتِكَ الّتي سُلِبْنَاه»، وهذه الفقرة سترد بعد سطر.

(١) في (ك): «أحرصناها».
(٢) في (ك): «وما أسبغ» بدل: «أشد»، وما أسبغ، أي ما أتمَّ.
(٣) في (ك) (ش) (ت): «اليوم».
(٤) في (ف) العبارة هكذا: «السَّلامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أحْرَصَنَا بِالْأَمْسِ عَلَيْكَ، وَأَشدَّ تشَوْقَنَا اليوم إِلَيْكَ»، وفي (ك) وردت بعد هذه العبارة ما يلي: «أللّهُمَّ إنّا اَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَوَفَّقْتَنَا بِمَنِّك لَهُ حِينَ جَهِلَ الْاَشْقِيَاءُ وَقْتَهُ، وَحُرِمُوا ـ لِشَقَائِهِمْ ـ فَضْلَهُ، اَنْتَ وَلِيُّ مَا آثَرْتَنَا بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَهَدَيْتَنَا لَهُ مِنْ سُنَّتِهِ، وَقَدْ تَوَلَّيْنَا صِيامَهُ وَقِيَامَهُ عَلى تَقْصِير وَأَدَّيْنا مِنْ حَقِّكَ فِيْهِ قَلِيْلاً مِنْ كَثِيْر»، وفي (ش) وردت بعد هذه العبارة ما يلي: «أللّهُمَّ اِنّا اَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَوَفَّقْتَنَا بِمَنِّك، اَنْتَ وَلِيُّ مَا آثَرْتَنَا بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَهَدَيْتَنَا لَهُ مِنْ سُنَّتِهِ، وَقَدْ تَوَلَّيْنَا صِيامَهُ وَقِيَامَهُ عَلى تَقْصِير، وَأَدَّيْنا مِنْ حَقِّكَ فِيْهِ قَلِيْلاً».
(٥) في (ك) العبارة هكذا: «وَعَلى بَرَكَتِكَ الَّتِي سُلِبْنَاهَا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَعَلى ما من بَرَكَتِكَ الَّتِي سُلِبْنَاه»، وهذا السلام لم يرد في (ف).
(٦) في (ف): «له بمنك».
(٧) في (ف): «فيه».
(٨) ما بين المعقوفتين من (ج) (د) (ف) (س) (ت)، وفي (ت) ورد بعد هذه العبارة ما يلي: «أللّهُمَّ فلك الحمد..» وهو المقطع (١٢) التالي.
(٩) في (ف): «سننه»، وفي حاشية (ج) (د): «سننه ـ س».

وقَدْ تَوَلَّيْنَا بِتَوْفِيقِكَ صِيَامَهُ وقِيَامَهُ عَلَى تَقْصِيرٍ، وأَدَّيْنَا فِيهِ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ][١].

١٠ ـ شهر لا تنافسه الأيام؛ لأن الله خصّه بخصائص فريدة دونها؛ وأهمها فرض الصيام وليلة القدر ونزول القرآن.

١١ ـ شهر السلام، أي السلامة من الآفات المعنوية والرذائل الاخلاقية بالتثقف بثقافة الإسلام.

١٢ ـ شهر غير كريه المصاحبة؛ حيث أن الكراهة تكون بسبب خاص، ولا سبب لكراهة شهر رمضان؛ فإن كل انسان يؤمن برسالة رمضان يكون متقرباً بالخير، ولا يكره الخير إلّا أهل الشرّ ودعاته من اتباع الشيطان، وبالطبع لا يكون هذا الشهر (ذميم الملابسة) وهي شدة الصحبة وقوّتها.

١٣ ـ شهر البركات؛ لأنه الشهر الذي يغسل فيه (دنس الخطيئات) لقبول التوبة فيه.

١٤ ـ شهر لا برم فيه، أي لا يضجر فيه أصحاب الخير، ولذلك لا يتركون الصيام فيه سأماً، أي ملالة، بل امتثالا لأمره تعالى في الصيام وعدمه.

١٥ ـ شهر مطلوب، ينتظر حلوله كل من يريد التقرب إلى الله سبحانه قبل وقته بالاستعداد له، ومأ اكثر العادات في الاستعداد له، ولهذا السبب فهو محزون عليه قبل انقضاء زمنه؛ حيث يفوت بذلك زمن الطاعة فيه.

١٦ ـ شهر الخير بالصحة، كما في الحديث: «صوموا تصحوا» ولقبول الطاعات فيه، ويستلزم ذلك صرف السوء من الآفات الماديّة والمعنوية. وبالاخصّ اهم الخيرات في هذا الشهر، وهو ليلة القدر الّتي هي خير من ألف شهر، وللتفصيل راجع المادة في المعجم.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ج) (د) (ف) (س)، وورد بعده في (ف) وبعض النسخ، قوله: اللهم اسلخنا بانسلاخ...، وهو المقطع ١٥ من هذا الدعاء.

١٧ ـ شهر الاشتياق، وذلك بشدة الحرص من المسلم الواعي لدور هذا الشهر في إعداد العضو الصالح في المجتمع، ولذلك يكون (أشد شوقاً) لهذا الشهر بالمستقبل كما كان أشد حرصاً على الانتفاع من لحظاته في الماضي.

١٨ ـ شهر الفضيلة والبركة حيث فضّله الله سبحانه بهما في كل لحظة من اللحظات فيه، وطبيعي ان تنقطع هذه الفضيلة الخاصة بانقضاء هذا الشهر الفضيل، فتكون البركات المستمرة فيها مسلوبة بعدها، وان كانت رحمة الله الشاملة لغير هذا الشهر الفضيل واسعة، ولكن البركات الخاصة بهذا الشهر تنقضي بانقضائه.

وقد تكفلت كتب الأدعية سلسلة من نصوص تعتبر دروساً للأيام والليالي من هذا الشهر الفضيل تطلب من مظانها.

[١٢/٤٥ ـ القصور والتقصير]:

أللّهُمَّ فَلَكَ الحمد إقْرَاراً بِالإِسَاءَةِ، وَاِعْتِرَافاً بِالإِضَاعَةِ[١]، وَلَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عَقْدُ[٢] النَّدَمِ، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا صدقُ الإِعْتِذَارِ.

فَأجُرْنَا[٣] عَلى مَا أصابنَا فيهِ مِنَ التَّفْرِيطِ أَجْراً نَسْتَدْرِكُ[٤] بِهِ الْفَضلَ الْمَرْغُوب فِيهِ، وَنَعْتَاضُ[٥] بِهِ من أنواع الذُّخْرِ

---

(١) في (ك) (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ فَلَكَ إقْرارُنَا بِالإِسَاءَةِ، وَاِعْتِرَافُنَا بالاضاعة». والإضاعة: الإهمال.

(٢) في (ك) و(ش): «عقدة»، وفي حاشية (ج): «أي اعتقاد»، والعقدة: موضع العقد، وهو ماعقدَ عليهِ وما يمسكِ الشيء ويوثّقهُ.

(٣) في حاشية (ج) (د): «فآجِرنا ـ س»، وفي حاشية (د): «لعل الضم اشارة الى أن نسخة ابن إدريس جامعة للوجهين».

(٤) كذا في (ت)، وفي غيرها: «يُستدرك».

(٥) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «ونعتاض، ويعتاض ـ س»، اعتاض: أخذ العوض، وفي حاشية (د): «يعتاض، بالياء في نسخة ابن إدريس، وبفتح النون في الأصل».

الْمَحْرُوصِ[١] عَلَيْهِ[٢]، وَأَوْجِبْ لَنَا عُذْرَكَ عَلى مَا قَصَّرْنَا فِيهِ مِنْ حَقِّكَ، وَأَبْلُغْ بِأَعْمَارِنَا[٣] مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا[٤] بَلَّغْتَنَاهُ فَأَعِنَّا عَلى تَنَاوُلِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَأَدِّنَا[٥] إِلَى الْقِيَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ[٦] مِنَ الطَّاعَةِ، وَأَجْرِ لَنَا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ مَا يَكُونُ دَرَكاً[٧] لِحَقِّكَ فِي[٨] الشَّهْرَيْنِ من شُهُورِ الدهرِ[٩].

وحيث أنّ أداء الواجب عادة لا يخلو من قصور أو تقصير، خصّ هذا المقطع بطلب العفو مما حصل من ذلك في شهر رمضان، مستفتحاً بالحمد لله

---

(١) في (ت): «المحروض»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «المحروص، المحروض ـ معا».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَلَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عُقْدَةُ النَّدَم، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا تَصَرُّفُ الاعْتِذَارِ، فَآجِرْنَا عَلى مَا أُصبنَا بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ اَجْراً يُسْتَدْرَكُ بِهِ الْمُفَضَّلُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ، وَنَعْتَاضُ بِهِ اِحْرَازَ الذُّخْرِ الْمَحْرُوصِ عَلَيْهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَلَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عُقْدَةُ النَّدَم، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا تَصَرُّفُ الِاعْتِذَارِ، فَآجِرْنَا عَلى مَا أصبنَا بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ اَجْراً نستبدلُ بِهِ الْمُفَضَّلُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ، وَنَعْتَاضُ بِهِ من أنواع الذُّخْرِ الْمَحْرُوصِ عَلَيْهِ».

(٣) في (ش): «من أعمارنا».

(٤) في حاشية (ج) في نسخة: «وإذا».

(٥) في حاشية (ج) في نسخة: «وأدّني»، وفي (ت): «وأدنا»، أي: أقرب.

(٦) في حاشية (ج) (د): «وَأَدّنِي اِلَى الْقِيَام بِمَا نَسْتَحِقُّهُ ـ س، كذا بخطه».

(٧) الدرك: اسم من أدركتَ الشيء، إذا لَحقتهُ ووصلتَ إليهِ.

(٨) في (ج): «من»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «وفي».

(٩) في حاشية (ج) في نسخة: «الدهور»، والعبارة في(ك) هكذا: «وَأَدِّنَا اِلَى الْقِيَام بِمَا تَسْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَاَحِزْ لنَا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ مَا يَكُونُ دَرَكاً بِحَقِّكَ فِي الشَّهْرَيْنِ وَفِي شُهُورِ الدُّهُورِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَأَدِّنَا اِلَى الْقِيَام بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَاَحِزْ لنَا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ مَا يَكُونُ دَرَكاً لِحَقِّكَ فِي الشَّهْرَيْنِ وَفِي شُهُورِ الدهرِ»، والعبارة في(ت) هكذا: «وَأَدنَا اِلَى الْقِيَام بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَأَجر لنَا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ مَا يَكُونُ دَرَكاً لِحَقِّكَ فِي سائر الشُّهُورِ»، وقوله: «أحز»، من حاز يحوزُ: إذا جمع.

على توفيق أداء ما أمكن، مع الإقرار بالاساءة على ما حصل من قصور أو تقصير، واعترافاً بالاضاعة لصفات الكمال المطلوبة في العبادات، وقد ذكر لهذا الاقرار أموراً تؤكد على طلب العفو، أهمها:

١ ـ الندم الحقيقي بعقد القلب على ذلك.

٢ ـ الاعتذار الصادق باللسان.

وبعد تقديم ما يتمكن منه العبد عهداً قاطعاً على نفسه لله بالقلب واللسان يحصل الأمل بالقبول بأمور:

١ ـ الاجر والثواب بسبب الاقرار بالتفريط والتقصير، لكي يكون استدراكاً للفضل المرغوب فيه ممّا فات من الفضل، ويكون عوضاً للذخر الذي يحرص عليه المعترف.

٢ ـ إيجاب العذر، أي اثباته بقبوله مع ما حصل من التقصير في حق الله تعالى.

٣ ـ إطالة العمر لبلوغ شهر رمضان آخر، بأن تبلغ اعمارنا شهر رمضان القادم.

٤ ـ القيام بما يستحقه شهر رمضان المقبل من الطاعة، وقوله: (أدنّا) بمعنى أوصلنا إلى ذلك.

٥ ـ صالح العمل الذي يكون خيراً لنفس الإنسان والمجتمع بما يكون استدراكاً لحق الله التام في الشهرين: الماضي والمقبل معاً؛ فإن العمل الصالح الذي يقوم به في أي شهر من (شهور الدهر) يكون دركاً، أي ما يستدرك به ما فات من حقوق الله سبحانه بسبب القصور أو التقصير في شهر رمضان الماضي والمقبل؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات[1].

---

(١) اقتباس من القرآن الكريم، سورة هود ١١، الآية: ١١٤.

٤٥/١٣ ـ كفارة الذنوب]:

أللّهُمَّ، وَمَا أَلْمَمْنَا(١) بِهِ فِي شَهْرِنَا هَذَا مِنْ لَمَمٍ أو إثم(٢)، أَوْ وَاقَعْنَا(٣) فِيهِ مِنْ ذَنْبٍ، واكتَسَبْنَا(٤) فِيهِ مِنْ خَطِيئَةٍ عَنْ تَعَمُّدٍ مِنَّا، أَوْ عَلى نِسْيَانٍ ظَلَمْنَا فيهِ(٥) أَنْفُسَنَا، أَوِ انْتَهَكْنَا بِهِ(٦) حُرْمَةً مِنْ غَيْرِنَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاسْتُرنا(٧) بِسِترِكَ، وَاعْفُ عَنَّا بِعَفْوِكَ، وَلَا تَنْصِبْنَا فِيهِ لأَعْيُنِ الشَّامِتِينَ، وَلَا تَبْسُطْ عَلَيْنَا فيه أَلْسُنَ الطَّاعنينَ(٨)، وَاسْتَعْمِلْنَا بِمَا يَكُونُ حِطَّةً(٩) وَكَفَّارَةً لِمَا أَنْكَرْتَ مِنّا فِيهِ(١٠)، بِرَأْفَتِكَ الَّتِي لَا تَنْفَدُ(١١)، وَفَضْلِكَ الَّذِي لَا يَنْقُصُ(١٢).

وهذا المقطع يتضمن الدعاء بأن يجعل الله سبحانه أعمال الإنسان كفارة للمنكرات التي صدرت من الصائم في شهر رمضان؛ فإن الكفارة تغطي المنكرات أي تسترها، وقد عدّ من المنكرات:

---

(١) في (ش): «هممنا»، وألممنا: باشرنا وأحطنا، وهو الفعل من اللمم: أي مقاربة الذنب.

(٢) لم ترد في (ك) (ش): «أو اثم»، واللمم: صغار الذنوب.

(٣) في (ت): «أو أوقعنا».

(٤) في (ك): «أَوْ وَاقَعْنَا فِيهِ مِنْ ذَنْب، أَوْ كَسَبْنَا».

(٥) في (ك): «أَوْ عَلى نِسْيَان ظَلَمْنَا بِهِ»، وفي (ش): «أَوْ عَن نِسْيَان ظَلَمْنَا بِهِ».

(٦) في (ت): «فيه».

(٧) في (ك) (ش) بدل عبارة: «صلّ على محمّد وآله واسترنا»: «فاستره».

(٨) كذا في (ت)، والعبارة في المشهورة هكذا: «ألسن الطاغين»، وفي (ك) العبارة هكذا: «ولا تبسط فيه علينا ألسن الطاعنين»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ولا تبسط علينا ألسن الطاعنين».

(٩) الحطة: اسم من استحطَ، وأصلها: الحط، وهو إنزال الشيء من علوّ، ومعناهُ: ما يوجب لنا حطّ الذنوب ومغفرتها.

(١٠) في (ك) (ش): «أنكرت منه».

(١١) أي لا تفنى ولا تنقطع.

(١٢) في (ش) العبارة هكذا: «الذي لا ينقضي».

١ ـ اللمم، وهو المعاصي الصغيرة الّتي كفارتها الاستغفار.

٢ ـ الاثم، وهو المعصية الكبيرة وفي تعريفها وعددها خلاف، والمتيقّن منها: هو ما أوعد الله عليه العقاب بالنار.

٣ ـ الذنب، وهو كل فعل يستوخم عقباه.

٤ ـ الخطيئة، أي السيئة، وهو ما لا يكون عن قصد وعمد.

٥ ـ الظلم للنفس، سواءً عن تعمّد بالعصيان أو نسيان.

٦ ـ انتهاك الحرمة الواجب مراعاتها بالنسبة إلى الآخرين، كاحترام الصغير للكبير لكبره وما شابه.

فإن هذه المنكرات تؤثّر على نفس الإنسان أولا، ثم على المجتمع الذي يعيش فيه وتستوجب الكفارة لها؛ اذ لولا ما يستره سبحانه ولولا عفوه يكون الإنسان معرّض لأمرين:

الأول: نصب أعين الشامتين؛ حيث ان الشامت ـ وهو من يفرح بالمصيبة النازلة ـ يجعل الإنسان المبتلى بهذه المنكرات نصباً ينظر إليه شامتاً له على ما ارتكبه.

الثاني: هدفاً يبسط فيه ألسن الطاعنين، فيوسّع لسانهم في التشنيع والطعن.

ولا يكون المخرج من هذين الأمرين إلّا بأن يستعمل الله سبحانه الإنسان بالاعمال الخيرية الصالحة الّتي تكون حطة، أي وضعاً للمنكرات عنه، وكفارة أي ستراً لها عن الاعين والألسن، وذلك تحت قدرة الله سبحانه، برأفته الّتي هي أشد من الرحمة، ولاتنقص؛ اذ لا نفاد لرحمته تعالى ولا نقصان لفضله على جميع المخلوقات.

[١٤/٤٥ ـ جبران ما فقد]:

أللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ[١] اجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا،

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

بَارِك لَنَا فِي يَوْمِ عيدِنَا وفطرنا[١]، وَاجْعَلْهُ مِنْ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ[٢] عَلَيْنَا، أجْلَبُهُ[٣] لِعَفْوٍ، وَأمْحَاهُ[٤] لِذَنْبٍ، وَاغْفِرْ[٥] لَنَا مَا خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا وَمَا عَلَنَ.

وحيث أنّ انقضاء شهر رمضان أمر طبيعي لا مفرّ منه، فقد خصّ هذا المقطع من الدعاء بسرد ما يكون جبراً، أي موجباً لرأب الصدع الذي يؤثر في نفس الإنسان جرّاء حالة فقدان هذا الشهر الفضيل؛ فإن هذا الفقدان بالنسبة إلى من يعرف قدر هذا الشهر يعتبر مصيبة، أي الشدة النازلة؛ لأنها لا يمكن ان تجبر بزيادة الزمن عليه، وعقّب ذلك بما يلي:

١ ـ البركة في يوم العيد، الذي هو يوم الفطر، حيث يتعقّب ذلك رمضان مباشرة، والبركة في هذا اليوم تكون متّصلة بشهر رمضان مباشرة، فيعتبر جبراً لما يفتقده الصائم من الشهر الفضيل.

٢ ـ الخير في هذا اليوم الجديد الذي يعود في كل عام مرة واحدة بعد الشهر الفضيل منه؛ قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «وانما لم يقل: خير أيام مرّت علينا؛ لأنه أراد جنس اليوم لعمومه من جهة وصفه بصفة عامة، هي قوله: (مرّ علينا) فإن المرور ليس مما يخص واحداً من الأيام»[٦].

٣ ـ العفو، فيكون هذا اليوم أجلب للعفو، أي سائقاً إليه.

٤ ـ محو الذنب، فيكون هذا اليوم مزيلاً لأثر الذنب.

٥ ـ الغفران للذنوب والمنكرات الّتي صدرت من الإنسان (ما خفي وما علن) منها.

---

١) في (ت): «في يوم عيد فطرنا»، ولم ترد في (ك) (ش): «وفطرنا».
٢) لم ترد في (ش): «مرّ».
٣) وردت الكلمة في (ت) هكذا: «أحلبه».
٤) في (ت): «وأفجاه».
٥) في (ت): «فأغفر».
٦) رياض السالكين٦: ١٨١.

فإنّ هذه الأمور ـ بلاشك ـ تكون جبراً لما قد يفقده الإنسان من بركات هذا الشهر الفضيل.

[١٥/٤٥ ـ تزامن الجبران مع الفقدان]:

أللّٰهُمَّ أسْلَخْنا[١] بِانْسِلَاخِ[٢] هَذَا الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا، وَأَخْرِجْنَا بِخُرُوجِهِ مِنْ[٣] سَيِّئاتِنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ أسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ، وَأجزَلهم قِسْماً فِيهِ، وأَوْفَرهمْ حَظّاً مِنْهُ[٤].

ومن الجبران لفقدان فضل شهر رمضان الذي خصّ به هذا المقطع أن يتزامن سلخ الشهر، وهو آخر يوم منه، مع زمن الفقدان من دون فصل أو تأخير، ويستلزم ذلك:

١ ـ انسلاخ الإنسان من الخطايا، بأن يكون آخر خطيئة تصدر منه.

٢ ـ خروج الإنسان من السيئات متزامناً مع خروج شهر رمضان.

٣ ـ سعادة الإنسان بالشهر الفضيل، بل يكون أسعد أهله، وخصّ من أسباب السعادة أمرين:

الأول: كثرة النصيب من العمل الصالح والثواب فيه، بأن يكون أجزل الناس قسماً، أي حصّة من العمل الصالح المستوجب لكثرة الثواب عليه.

الثاني: وفرة الحظ، أي كماله في هذا الشهر بسبب التوفيق للأعمال الخيرية.

---

(١) في حاشية (ج): «أُسلُخنا ـ س»، أي انزعنا معَ مضيّ هذا الشهر من خطايانا.

(٢) في (ف) : «اللهم أسلحنا بالسلاح».

(٣) في (ك) (ش): «عن».

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «وَاجْعَلْنَا مِنْ أسْعَدِ اَهْلِهِ، وَأجزلهم قسما وأَقَرَّهُمْ حظّاً منه»، وفي (ك) (ش) العبارة هكذا: «وَاجْعَلْنَا مِنْ أسْعَدِ اَهْلِهِ بِهِ، وَاَوْفَرِهِمْ قِسْمَاً فِيهِ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَاجْعَلْنَا مِنْ أسْعَدِ اَهْلِهِ بِهِ، وَاَوْفَرِهِمْ قِسْمَاً بِهِ».

فإن التزامن في نفسه جبر لفقدان الشهر؛ لتعاقب احداهما الاُخرى مباشرة.

[١٦/٤٥ ـ الهبة بالمثل]:

أللّهُمَّ، وَمَنْ رَعَى حقّ[١] هَذَا الشَّهْرَ حَقَّ رَعَايَتِهِ، وَحَفِظَ حُرمتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، وقامَ بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا[٢]، وَاتَّقَى ذُنُوبَهُ حَقَّ تُقَاتِهَا، أَوْ تَقَرَّبَ إِلَيْكَ بِقُرْبَةٍ أَوْجَبَتْ[٣] رِضَاكَ لَهُ، وَعَطَفَتْ رَحْمَتَكَ[٤] عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ[٥] مِنْ وُجْدِكَ[٦]، وَأَعْطِنَا أَضْعَافَهُ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّ فَضْلَكَ لا يَغِيضُ[٧]، وَإِنَّ خَزَائِنَكَ لَا تَنْقُصُ[٨]، بل تفيضُ[٩]، وَإِنَّ مَعَادِنَ إِحْسَانِكَ لَا تَفْنَى[١٠]، وَإِنَّ عَطَاءَكَ[١١] لَلعَطَاءُ[١٢] المُهنّا[١٣].

---

(١) في حاشية (ج): «حقّ ـ س».

(٢) في (ف) : «وأبقى حدوده حق إبقائها» ولم ترد فيه: «واتقى ذنوبه حق تقاتها».

(٣) في حاشية (ج) (د): «أوجبتَ ـ س».

(٤) في (ف) (ت): «وعطفت برحمتك».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَمَنْ رَعَى حُرْمَةَ هَذَا الشَّهْرَ حَقَّ رَعَايَتِهَا، وَحَفِظَ حُدُودَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، اَوْ تَقَرَّبَ اِلَيْكَ بِقُرْبَة أَوْجَبْتَ رِضَاكَ لَهُ بِهَا، وَعَطَفْتَ بِرَحْمَتِكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا بِمِثْلِهِ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَمَنْ رَعَى حُرْمَته حَقَّ رَعَايَتِه، وَحَفِظَ حُدُودَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، أَوْ تَقَرَّبَ اِلَيْكَ بِقُرْبَة أَوْجَبْتَ رِضَاكَ لَهُ بِهَا، وَعَطَفْتَ بِرَحْمَتِكَ عَلَيْهِ، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ».

(٦) في (ف) : «من حدودك»، والوجد: الغنى.

(٧) في (س): «غاض الماء يغيض غيضاً، أي قلّ ونضب، وغاض ثمن السلعة، أي نقص». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٧)، أي لا ينضبُ ولا يقلُّ أو ينقص، من غاضَ الماء: إذا نضبَ وغار.

(٨) في (ت): «لا ينقص».

(٩) لم ترد في (ش) (ف) (ت): «بل تفيض»، وفي حاشية (د) ما نصه: «الظاهر هو التاء، كما في أكثر النسخ، ولعل الياء من تصحيف غيره، طاب ثراه».

(١٠) في (ت): «لا تنفى ـ ظ» والكلمة غير واضحة.

(١١) في (ج): «عطاك».

(١٢) في (ت): «العطاء».

(١٣) لم ترد في (ش) (ف) : «وإنَّ عَطَاءَكَ للعَطَاءُ المُهنّا»، وفي حاشية (ج) (د): «العطاء المهنّأ ـ س»، ولم ترد في (ش) (ك): «وإنَّ عَطَاءَكَ للعَطَاءُ المُهنّا»، وفي (ك) العبارة =

ومن موارد الجبران لفقدان شهر رمضان: الهبة للإنسان بمثل ما يوهب للصالحين الذين رعوا حرمة شهر رمضان الماضي؛ فإن الصالحين الذين أدّوا واجبهم تجاه هذا الشهر العظيم كثيرون، وهم لادائهم الواجب يستحقون الفضل منه سبحانه على أعمالهم الصالحة من الطاعات وفعل الخيرات، والله قادر على ان يهب مثل ذلك لمن فقد هذا الفضل في هذا الشهر، وقد أشار عليه السلام إليهم وبيّن أدوارهم، وهم:

١ ـ من رعى هذا الشهر العظيم حق رعايته بالطاعات والصلوات وفعل الخيرات.

٢ ـ من حفظ حرمة رمضان حق حفظها كذلك، بالاستعداد لها والعمل فيها.

٣ ـ من قام بحدود الشهر حق قيامها من المقدمات وما يستلزمها من الآثار.

٤ ـ من اتقى الذنوب حق تقاتها، بالوقاية عنها وتجنّب مواضع الشبهة فيها.

٥ ـ من تقرّب إلى الله بأعمال الخير الّتي توجب رضا الله، وعطف أي ثنى الرضا بالرحمة الإلهيّة.

فإن هؤلاء جميعاً يستحقّون الفضل من الله سبحانه لخلوص نياتهم وصلاح أعمالهم التي قاموا بها.

فيكون هبة مثل ذلك لمن فقد شهر رمضان جبراً لفقده، فإن الهبة انما هي من وُجد الله تعالى، أي غناه الذي لا منتهى له، وعلل ذلك بأُمور:

١ ـ فضله تعالى الذي لا يغيض ولا يقل.

٢ ـ خزانة الله تعالى الّتي لا تنقص بل تفيض للكثرة اللامتناهية.

٣ ـ معادن إحسانه تعالى الّتي لا تفنى.

٤ ـ ان عطاءهُ تعالى ليس عطاء مقايضة، بل هو عطاء لغرض العطاء وحده، وهو المهنّا لمن حصل عليه.

= هكذا: «وَإنّ خَزَائِنَكَ لَا تَنْقُصُ، وَإنَّ مَعَادِنَ إحْسَانِكَ لَا تقوى». من قوي المطر: اذا احتبس، أو من القيّ، وهو قفر الارض والخلأ.

قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «واللام من قوله: للعطاء، لام ابتداء، وفائدتها تأكيد مضمون الجملة ومدخولها في الاصل المبتدأ»[١].

وقال أيضاً: «ووقع في نسخة ابن ادريس: (وان عطاءك العطاء المهنا) بتجريد الخبر من لام الابتداء»[٢].

[١٧/٤٥ ـ من موارد الجبران]:

أَللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ[٣]، وَاكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أُجُورِ مَنْ صَامَهُ أَوْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ[٤].

ومن موارد جبران فقدان رمضان: ان يكتب الله تعالى بفضله للداعي مثل اجور الصائمين في شهر رمضان المقابل وما بعده من الشهور إلى يوم القيامة، فيكون للفاقد فضل رمضان بسبب توبته مثل أُجور ثلاثة أصناف من الصائمين والمتعبدين، وهم:

الأول: من صام وتعبّد في شهر رمضان الماضي الذي فقد الإنسان كمال فضله.

الثاني: من صام وتعبّد قبل شهر رمضان الماضي من الشهور.

الثالث: من يصوم ويتعبّد بعد شهر رمضان الماضي من الشهور الآتية الّتي لا يعرف عددها سوى الله سبحانه؛ لأنها تستمر إلى يوم القيامة.

---

(١) رياض السالكين ٦: ١٨٦.

(٢) رياض السالكين ٦: ١٨٦.

(٣) لم ترد في (ك) (ش) عبارة: «صلّ على محمّد وآله».

(٤) لم ترد هذه الفقرة في (ت)، وفي حاشية (د) هنا ما نصه: «أكثر الفاظ الدعاء وخصوصا هذه الفقرة لا يساعد التوديع في آخر ليلة من شهر رمضان ولا في آخر يوم منه، مع أنّ المأثور في أكثر الروايات هو ذلك، ولعل التأويل هناك أن تحمل الفاظ الدعاء على مجاز المشارفة».

فإذا لم يكن في ذلك جبراً لما افتقده الداعي، فلا جابر له سوى الشفاعة في يوم القيامة.

[١٨/٤٥ ـ التوبة في العيد]:

أللّهُمَّ إنَّا[١] نَتُوبُ إلَيْكَ فِي يَوْمِ[٢] فِطْرِنَا ـ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤمِنِينَ[٣] عِيْدَاً وَسُرُوراً، وَلأهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعاً ومُحْتَشَداً[٤] ـ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أذْنَبْنَاهُ[٥]، أوْ سُوءٍ أسْلَفْنَاهُ، أو خَاطِرِ شَرٍّ[٦] أَضْمَرْنَاهُ[٧]، تَوْبَةَ مَنْ لَا يَنْطَوِي[٨] عَلَى رُجُوعٍ إلَى ذَنْبٍ، وَلَا يَعُودُ[٩] بَعْدَهَا فِي خَطِيئَةٍ[١٠]، تَوْبَةً نَصُوحاً[١١]، خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِ والارْتِيابِ، فَتَقَبَّلْها مِنَّا، وَأرْضَ بها[١٢] عَنَّا، وَثَبِّتْنا عَلَيْهَا[١٣].

---

(١) في (ك) (ش): «وَإنا».
(٢) لم ترد في (ف) : «يوم».
(٣) في (ش): «للمؤمن».
(٤) في (ك) زيادة: «وَلِمُحمَّد صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ ذُخراً وَمَزِيْداً». والمحتشد: محل الاحتشاد والاجتماع.
(٥) في (ت): «أدنيناه».
(٦) في (ت): «خاطر سوء».
(٧) في (ك): «أو خطرة شرّ أضمرناها، وَعَقِيدَةِ سُوء إعْتَقَدْنَاهَا». والخطرة: ما تعرضُ في الفكر.
(٨) انطوى على شيء: إذا اشتملَ عليهِ قلبهُ وضميرهُ.
(٩) في (ت): «ولا نعود».
(١٠) في (ت): «وخطيئة»، والعبارة في (ك) (ش) هكذا: «ولا عود في خطيئة»، والعود: الرجوع: إلى الشيء بعد الانصراف، ولم ترد في (ف) عبارة: «تَوْبَةَ مَنْ لَا يَنْطَوِي عَلَى رُجُوع إلَى ذَنْب، وَلَا يعود بعدها فِي خَطِيئَة».
(١١) في حاشية (ج): «نُصوحا، نَصوحاً ـ معا».
(١٢) كذا في (ك) (ش) (ت)، ولم ترد: «بها» في سائر النسخ.
(١٣) في (ف) هنا زيادة، ونصها: «واجْعَلْنَا عِنْدَكَ مِنَ التَّوَّابِينَ الَّذِينَ أَوْجَبْتَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ، وقَبِلْتَ مِنْهُمْ مُراجَعَةَ طَاعَتِكَ، يَا أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ». وهو ما ياتي في المقطع (١٩)، وبه ينتهي الدعاء في (ف).

يخص هذا المقطع التوبة في يوم الفطر المتعقب لشهر رمضان، كأثر محسوس من آثار مدرسة رمضان التربوية.

فإن يوم الفطر هو عيد للمؤمنين جعله الله لهم سروراً لجميع الامة الإسلامية، فهم يجتمعون في هذا اليوم، ويحتشدون: أي يجتمعون لأمر واحد، هو إعلان وحدة المسلمين على أساس مبادئ الإسلام بالاحتفال بما يسرّ المسلمين جميعاً كرمز وشعار سنوي.

وكذلك يعلنها التائب عيداً شخصياً لنفسه كما هو عيد للامة جمعاء؛ وذلك بإعلان التوبة عن:

١ ـ كل ذنب أذنبه من محرّم نهى عنه الشارع.

٢ ـ كل سوء أسلف من محرّم أو مكروه أو رذائل الاخلاق.

٣ ـ كل خاطر شر أُضمر ممّا يخطر في القلب.

وهذا الإعلان للتوبة إنما يكون صادقاً عند تواجد الصفات التالية فيها:

١ ـ توبة من لا ينطوي ذهنه على الرجوع إلى ذنب في المستقبل.

٢ ـ توبة من لا يعود بعد هذه التوبة في خطيئة أُخرى.

٣ ـ توبة نصوحاً خالصة من الشك والارتياب في التوبة او نواياها.

فيستحق التائب بذلك فضله تعالى بالقبول والرضا والثبات على التوبة ما دام حيا.

[١٩/٤٥ ـ نتيجة التوبة]:

أللّهُمَّ ارْزُقْنا(١) خَوْفَ عِقَابِ الوَعِيْدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ المَوْعُودِ، حَتَّى نَجِدَ(٢) لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ بِهِ، وَكَآبَةَ مَا نَسْتَجِيركَ مِنْهُ(٣)، واجْعَلْنَا

---

(١) في (ك) (ش): «وارزقنا».

(٢) في (ت): «تجد».

(٣) في (ت): «ما نستجير منه»، وفي (ك) العبارة هكذا: «حَتَّى نَجِدَ لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ، وَكَآبَةَ مَانَسْتَجِيْرُ بِكَ مِنْهُ».

عِنْدَكَ مِنَ التَّوابِينَ الذِينَ أوْجَبْتَ لَهُمْ[١] مَحَبَّتَكَ، وقَبِلْتَ مِنْهُمْ مُرَاجَعَةَ طَاعَتِكَ، يا أعْدَلَ العَادِلِينَ[٢].

وهذا المقطع يشير إلى بعض آثار التوبة الهامة في حياة التائب، هي:

١ ـ الخوف من العقاب والوعيد الذي وعد الله سبحانه على الذنوب.

٢ ـ الشوق إلى الثواب الموعود الذي وعد الله سبحانه على الطاعات.

٣ ـ وجدان لذة الدعاء؛ فإن الدعاء مناجاة مع الله الذي يحبّ التوابين.

٤ ـ الكآبة، أي الحزن مما يستجار منه، أي يطلب الحفظ مما يوجب الكآبة له.

وهذه الآثار للتوابين الذين وعد الله سبحانه قبول توبتهم، وتتلخّص في أمرين:

الأول: المحبة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[٣].

الثاني: قبول التوبة لمن رجع إلى الطاعة في قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[٤].

وهذان الأمران وعد من الله تعالى، وهو لا يخلف وعده.

[٢٠/٤٥ ـ دعاء الصالحين]:

أللّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنْ آبائِنَا وأُمَّهَاتِنَا وَأهْلِ دِينِنَا جَمِيعاً، مَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَمَنْ غَبَرَ[٥] إلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

---

(١) في (ك): «عليهم».

(٢) تقدم من (ف) بعض ما هنا في آخر المقطع السابق.

(٣) القرآن الكريم، سورة البقرة ٢: ٢٢٢.

(٤) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ١٠٤.

(٥) في (ت): «ومن عتد»، وفي (س): «غبر الشيء يغبر: أي بقي، والغابر: الماضي، والغابر: المستقبل، وهو من الأضداد». (حاشية ابن إدريس: ٢٧٧)، وغبر: أي بقي، وقد يستعمل فيمن مضى، وهو من الاضداد.

وخص هذا المقطع بنتيجة للتوبة الّتي ترجع إلى المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان، وخص منها طوائف، هم:

١ ـ الآباء؛ لحقوق الابوّة.

٢ ـ الُامهات؛ لحقوق الامومة.

٣ ـ أهل الدين جميعاً ممن سلف ومضى بالموت؛ لادوارهم في حفظ التراث الديني كلّ حسب امكانه.

٤ ـ من غبر، أي بقيَ على قيد الحياة إلى يوم القيامة[1]؛ لتطبيق الإسلام في حياتهم، والاعتزاز بأُصولهم الإسلامية؛ فإن التوبة الصادقة تستلزم ان يكون لها اثر في الحياة، والأثر في حياة التائب نفسه يستلزم الاثر في المجتمع أيضاً.

[٢١/٤٥ ـ الصلوات على النبي وآله]:

أللّهُمَّ صَلِّ[2] على مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا[3] وآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ على [مَلَائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ، وصَلِّ عَلَيه وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى][4] أنْبِيَائِكَ المُرْسَلِينَ[5]، وصَلِّ عَلَيه وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ على عِبَادِكَ الصَّالِحينَ وأفضلَ مِنْ ذَلِكَ يا ربَّ العالمين، صَلاةً تَبْلُغُنَا[6] بَرَكَتُها، وَيَنَالنَا[7] نَفْعُهَا [وَيَغمُرُنا بُشرَهَا][8]، وَيُسْتَجابُ لَهَا[9] دُعَاؤنَا[10].

---

(١) غبر: أي بقي، وقد يستعمل فيمن مضى، وهو من الاضداد.

(٢) في (ت): «فصلّ».

(٣) لم ترد في (ت): «نبينا».

(٤) ما بين المعقوفتين لم يرد في (ت).

(٥) في (ت) زيادة: «وصَلِّ عَلَيه وَآلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ على مَلَائِكَتِكَ المُقَرَّبِينَ».

(٦) في (ت): «يبلغنا».

(٧) في (ت): «وتنالنا».

(٨) ما بين المعقوفتين من (ك) (ش) وحاشية (ج) في نسخة.

(٩) في (ك) (ت): «بها»، وفي (ش): «لنا».

(١٠) في (ك) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَصَلِّ على مُحمَّد نَبِيِّنَا كَمَا صَلَّيْتَ على مَلَائِكَتِكَ =

إنَّكَ أكْرَمُ مَنْ رُغِبَ إليهِ(١)، وَأكفَى مَنْ تُوُكِّلَ عَلَيْهِ(٢)، وأعْطَى(٣) مَنْ سُئِلَ مِنْ فَضْلِهِ، وَأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وختم الدعاء بالصلوات على محمد نبينا ﷺ وآله عليهم السلام للدور النبوي الشريف القائد في توجيه الإنسان المسلم في حياته إلى رعاية التربية الإسلامية في مختلف الحالات الّتي يمر بها الإنسان من الطاعة والعصيان وتثقيف الإنسان بآداب التوبة في كل هذه المراحل.

وحيث انه ﷺ خاتم الأنبياء ورسالته خاتم الشرائع فالصلوات عليه يجب ان تعادل الصلوات عليهم جميعاً وزيادة، وقد سردها هذا المقطع بهذه الصورة:

١ ـ الصلوات على الملائكة المقربين.

٢ ـ الصلوات على الأنبياء المرسلين.

٣ ـ الصلوات على العباد الصالحين.

وأما الزيادة، فأجملها هذا المقطع بأنّ الصلوات عليه (أفضل من ذلك) بأن يكون:

١ ـ صلاة (تبلغنا بركتها) لأنه ﷺ لا يفتقر إليها، فإنه عين البركة.

٢ ـ صلاة (ينالنا نفعها) لأنه ﷺ لا ينتفع بها، بل النفع عائد إلينا بالاقتداء به.

٣ ـ صلاة (يستجاب دعاؤنا) بفضل تلك الصلوات، فقد ورد قبول الدعاء المصحوب بها، وراجع المادة في معجم الاحاديث.

والله سبحانه هو منبع الكرم والكفاية والفضل والقدرة، وبه ومنه القبول.

= المُطَهَّرِينَ، وَأنْبِيَائِكَ المَرْضِيِّينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، صَلاةً تَبْلُغُنا بَرَكَتُها، وَيَنالُها نَفْعُها، ويَغْمُرُنَا يُسْرُهَا، وَيُسْتَجابُ بِهَا دُعَاؤنَا»، وفي (ش) العبارة هكذا: «أللّهُمَّ وَصَلِّ على مُحمَّد نَبِيِّنا وعلى آله كَمَا صَلَّيْتَ على مَلائِكَتِكَ المُطَهَّرِينَ، وَأنبياءكَ المَرْضِيِّينَ وَعِبادِكَ الصَّالِحينَ، صَلاةً تَبْلُغُنَا بَرَكَتُها، وَيَنَالنَا نَفْعُها، ويَغْمُرُنا بُشْرُهَا، وَيُسْتَجابُ لنَا دُعَاؤنَا».

(١) في (ش): «إنَّكَ أكْرَمُ مَنْ رغِبنا إليهِ».

(٢) لم ترد في (ك) (ش): «وأكفى من توكل عليه».

(٣) أعطى: اسم تفضيل من أفعل، أي أكثر عطاءً.

[الدُّعاءُ السادس والأربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في يوم الفطر إذا انصرف من صلاته قام قائماً ثمّ استقبل القبلة وفي يوم الجمعة، فقال:[1]

[٤٦/١ ـ صفات إلهيّة]:

يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ العِبَادُ، وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لَا تَقْبَلُهُ[2] البِلادُ، وَيَا مَنْ لَا يَحتَقِرُ أَهْلَ الحَاجَةِ إلَيْهِ[3]، ويا من لا يُخَيِّبُ[4] المُلِحِّينَ عَلَيْهِ[5]، وَيَا مَنْ لَا يَجْبَهُ[6] بِالرَّدِّ أَهْلَ

---

(١) وردَ هذا الدُّعاء في (ك) برقم (٣٥) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام الجَامِعُ فِي التَّحْمِيْدِ إِذَا اجْتَهَدَ»، وفي (ش) برقم (٣٧) بعنوان: «ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي التَّحْمِيْدِ إِذَا اجْتَهَدَ وكان يدعوا به في يوم الفطر اذا انصرف يوم الجمعة يقوم ويستقبل القبلة ويقول...»، وفي (ج) بعنوان: «السادس والأربعون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام في يوم الفطر اذا انصرف من صلاته قام قائما ثمّ استقبل القبلة، وفي يوم الجمعة، فقال...»، وفي (ت) بعنوان: (السادس والأربعون) وتحته عنوان: «في يوم الفطر والجمعة»، وفي (ف) بعنوان: «وكان من دُعائِهِ عليه السلام اذا فرغ من صلاة العيدين واستقبل القبلة، واذا فرغ من صلاة يوم الجمعة، قعد قاعدا واستقبل القبلة وقال ما يقال في يومي العيدين»، وفي (ق) بعنوان (الثالث والأربعون) وتحته عنوان: «في يوم الفطر»، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٦)، بعنوان: «دُعاؤهُ يوم الفطر»، والإجتهاد: بلوغ الجهد والطاقة والمشقة.

(٢) في (ق) (ف) (ت): «لا يقبله».

(٣) لم ترد في (ت): «إليه».

(٤) في (ت): «لا يحيب».

(٥) لم ترد في (ك) (ش) (ف) عبارة: «ويا من لا يخيب الملحين عليه»، وفي (س): «الإلحاح: مثل الإلحاف، تقول: ألحَّ عليه بالمسألة: إذا كرّر المسألة». (حاشية ابن إدريس: ٢٨٠).

(٦) في (ت): «لا يحبه».

الدَّالَّةِ(١) عَلَيْهِ(٢)، وَيَا مَنْ يَجْتَبِي(٣) صَغِيْرَ مَا يُتْحَفُ بِهِ(٤)، وَيَشْكُرُ يَسِيْرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ، وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى القَلِيْلِ، وَيُجَازِي عليه(٥) بالجَلِيْلِ(٦)، وَيَا مَنْ يَدْنُو(٧) إلى مَنْ دَنَا مِنْهُ، وَيَا مَنْ يَدْعُو إلى نَفْسِهِ مَنْ أعرضَ عَنْهُ(٨)، ويَا مَنْ لا يُغيرُ النِّعْمَةَ(٩)، وَلَا يُبَادِرُ بالنَّقِمَةِ(١٠)، وَيَا مَنْ يُثمرُ الحَسَنَةَ(١١) حَتَّى يُنَمِّيَهَا(١٢)، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعَفِّيْهَا(١٣).

---

(١) في (ق) (ف): «الملحّين».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَيَا مَنْ لَا يَخيّبُ الملحّين عَليه، وَيَا مَنْ لَا يَجْبَهُ بالرَدِّ أَهْلَ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ»، والدالّة: اسم من أدلَّ على صديقهِ: إذا انبسطَ معهُ واجترأ عليهِ، أي لا يستقبل بالردِّ المنبسطين معهُ ثقة بعملهم أو برضاهُ سبحانهُ عنهم.

(٣) في حاشية (ج) (د): في نسخة: «لا يجتوي صغيرَ»، و«يجتوي» من اجتوى المكان: إذا كره الإقامة فيه، وقال في مجمع البحرين (١: ٩٢): اجتويت البلد: كرهت المقام فيه وإن كنت في نعمة.

(٤) لم ترد في (ف): «وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَغِيْرَ مَا يُتْحَفُ بِهِ وَيَشْكُرُ يَسِيْرَ مَا يُعْمَلُ لهُ»، وفي (س): «اجتباه: أي اصطفاه». (حاشية ابن إدريس: ٢٨٠)، ويجتبي: أي يختار ويصطفي، وما يتحفبهِ: ما يخصص بهِ من الأعمال الخالصة وان كانت صغيرة.

(٥) كلمة: «عليه» من (ت) (ق).

(٦) لم ترد في (ش) عبارة: «وَيَا مَنْ يَشْكُرُ عَلَى القَلِيْلِ، وَيُجَازِي عليه بالجَلِيْلِ»، وقوله: «وَيُجَازِي عليه بالجَلِيْلِ»، أي يكافيء بالعظيم على القليل.

(٧) دنوّ الله تعالى وقربهِ من العبد هو بالافضال عليهِ والإحسان إليهِ، لا بالمكان.

(٨) كذا في (ك) (ق) (ت)، وفي غيرها: «من أدبر عنه».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «ويا من يُبطئ بالنعمة»، وفي (ش) العبارة هكذا: «ويا من لا يغير بالنعمة»، والمراد: أنَّ الله لا يقطع النعمة عندَ عصيان العبد، بل ينبّه العاصي بالأخذ بالسنين ونقص من الثمرات كما فعل بآل فرعونَ. (راجع القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٣٠).

(١٠) في حاشية (ج) في نسخة: «النقمة، بكسر النون مع اسكان القاف، أو فتحها مع كسرها»، ولا يبادر: أي لا يسرع بالعقاب، بل يمهل المذنب لعلَّهُ يرجع ويتوب.

(١١) في (ك): «بالحسنة»، وثمَّرَ: نمَّى وكثَّرَ.

(١٢) في (ش): «حتى ينتهي»، وَالنماء: الزيادة والكثرة.

(١٣) في (س): «العفا: التراب، والعفا: الدروس والهلاك، والإعفاء مثله». (حاشية ابن إدريس: ٢٨٠)، وعفَّى الشيء: محاهُ وأذهبَ أثرهُ.

افتتح الدعاء بسلسلة من النداءات بصفات إلهيّة يتوجه الإنسان بها إلى ربه بالتوجيه إلى الخير مما يفتقر إليه من التوجيه المعنوي الاسبوعي في كل يوم جمعة، والسنوي في كل عيد فطر:

١ ـ من يرحم من لا يرحمه العباد؛ لأن رحمته ذاتية ورحمة العباد ماديّة نابعة عن مصالحهم.

٢ ـ من يقبل من لا تقبله البلاد نفسها؛ حيث لا يمكن من ان يعيش فيها لأسباب تخصّه، أو لا يقبله أهلها لأسباب تخصّهم.

٣ ـ من لا يحتقر أهل الحاجة إليه، لأن المحتِقر يحتاج إلى الفخر على من يحتقره، والله غنيّ عن العالمين.

٤ ـ من لا يخيّب الملحّين عليه آمالهم فيه، من المغفرة والرحمة والإحسان وما شابه مما يفتقره الإنسان أيّاً ما كان.

٥ ـ من لا يجبه بالرد ـ أي لا يستقبل بمكروه ـ أهل الدالّة، أي من هو في دلال ويفتخر باعماله الخيرية.

٦ ـ من يجتبي ـ أي يختار ـ صغير ما يتحف به من الاعمال على اثر عمل كبير.

٧ ـ من يشكر على القليل على انه عمل كثير يستحق الشكر، ولا يستقلّه.

٨ ـ من يجازي بالجليل من الأجر والجزاء اكثر ممّا يستحق العامل.

٩ ـ من يدنو ويتقرب إلى من دنا منه مع عدم الحاجة إلى ذلك.

١٠ ـ من يدعوا إلى نفسه من أدبر عنه رحمة عليه من الضلالة.

١١ ـ من لا يغيّر النعمة على قوم مع العصيان المستحق للتغيير.

١٢ ـ من لا يبادر بالنقمة، أي العقوبة بل يمهل العاصي؛ لاجل التوبة والإنابة.

١٣ ـ من يُثمر الحسنة حتى ينمّيها، ويجعل الحسنة ذات ثمرة عائدة

على المحسن ممّن يحسن إليه، فتتكاثر وتنموا؛ فإن الإحسان يدعوا إلى الإحسان.

١٤ ـ من يتجاوز عن السيئة حتى يعفّيها؛ فإن السيئة تمات بترك ذكرها والتجاوز عنها.

وهذه الصفات في منبعها إلهيّة؛ لأنها لا تنفك عن الذات المقدسة، وتشمل الإنسان المادي المفتقر إلى الرحمة الإلهيّة، فتوجب ان يتوجّه في دعائه إلى الله تعالى الغني عن المادة والماديات.

[٢/٤٦ ـ صفات المخلوقات]:

إنْصَرَفَتِ(١) الآمال دُونَ مَدَى كَرَمِكَ بالحَاجَاتِ(٢)، وَإمْتَلأَتْ بِفَيْضِ(٣) جُودِكَ أوْعِيَةُ الطَّلِبَاتِ(٤)، وَتَفَسَّخَتْ(٥) دُونَ بُلُوغِ نَعْتِكَ الصِّفَاتُ(٦).

فَلَكَ العُلُوُّ الأعْلَى فَوْقَ كُلِّ عَالٍ، وَالجَلَالُ الأمْجَدُ فَوْقَ كُلِّ جَلَالٍ.

كُلُّ جَلَيْلٍ عِنْدَكَ(٧) صَغِيْرٌ، وَكُلُّ شَرِيْفٍ فِي جَنْبِ شَرَفِكَ حَقِيْرٌ.

---

(١) في حاشية (ج) في نسخة: «انصرمتِ».

(٢) في (ك) العبارة هكذا: «انصرمت دون مدى كرمك الحاجات»، وفي (ش) العبارة هكذا: «انصرم دون مدى كرمك بالحاجات»، والانصرام: الانقطاع. والمدى: الغاية، أي انتهت الحاجة قبل انتهاء كرمِكَ، إذ لا غاية لكرمِكَ.

(٣) في (ك) (ش): «ببعض».

(٤) أي امتلأت ظروف الطّلبات ببعضِ جودِكَ، وهذهِ استعارة تخييليَّة.

(٥) في (ت): «وتفسّحت».

(٦) أي عجزت الصفات أن تستوعب نعتكَ وصفتكَ كما أنتَ أهلهُ.

(٧) في (ك): «عند جلالك»، والجلال: التنزيه عن كل ما للمكنات من الصفات المحدثة، وعظم القدر والشأن، والأمجد: الأعز والأشرف من كلِّ عز وشرف.

خَابَ الوَافِدُونَ(١) عَلَى غَيْرِكَ(٢)، وَخَسِرَ المُتَعَرِّضُونَ(٣) إلَّا لَكَ، وَضَاعَ المُلِمُّوْنَ(٤) إلَّا بِكَ(٥)، وَأجْدَبَ(٦) المُنْتَجِعُونَ(٧) إلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ [وَأَخْفَقَ المُتَعَرِّضُونَ إلَّا لَكَ، لأنَّكَ ذُو غَايَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ الرَّاغِبِينَ](٨).

وصفات مخلوقات العالم كلّه ـ على النقيض من الصفات الإلهيّة ـ ويجمعها الحاجة إلى المبدأ الأول والذات المقدسة الإلهيّة الّتي وسعت رحمته كل شيء(٩) ـ وقد عدّ منها في هذا المقطع ما يلي:

١ ـ ان آمال كل شيء في الحياة في سيرها التكاملي تتحرك من الحاجة إلى الكمال، وهي ترجع بقضاء حاجاتها الّتي كانت تأمل قبل الوصول إلى غاية كرم الله سبحانه؛ لأن كرمه لا حدّ ولا غاية له، فالإنسان الذي له حاجات تعبر عن عجزه، يتوجّه إلى الله سبحانه وتنصرف آماله، أي ترجع قبل أن تصل إلى مدى غاية كرمه مقضيّة بالحاجات الّتي يطلبها.

٢ ـ ان ظلمات الحياة تمتلئ بفيض جود الله تعالى؛ اذ لولا فيض جوده

---

(١) الوافد: المسترفد الذي ينزل على الإنسان طالباً للحاجة.

(٢) في (ق): «بغيرك».

(٣) المتعرِّضُونَ: المتصدُّونَ الطالبونَ للفضلِ.

(٤) في (ت): «المسلمون».

(٥) أي هلَكَ النازلون إلّا من نزلَ بِكَ.

(٦) في (ت): «وأحدب».

(٧) لم يرد في (ف): «عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ المُتَعَرِضُونَ إلّا لَكَ، وَضَاعَ المُلِمُّوْنَ إلّا بِكَ، وَأجْدَبَ المُنْتَجِعُونَ»، وفي (س): «انتجعت فلاناً إذا أتيته تطلب معروفه. والعرف والمعروف: العطاء. س.». (حاشية ابن إدريس: ٢٨٠)، والمنتجع: طالب الكلأ والماء، ويتوسّع فيهِ فيُراد بهِ طلب المعروف.

(٨) ما بين المعقوفتين من (ف) فقط.

(٩) كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾. (القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ١٥٦).

على المخلوقات لما كان لأي شيء وجود؛ لأنه تعالى شأنه هو حقيقة الوجود، وأي شيء آخر في الكون مخلوق بارادته، فهي مخلوقات اصبحت ظرفاً ووعاءً لجوده تعالى.

٣ ـ ان كل ما في الوجود من المخلوقات لا يمكنها وصف الذات المقدسة على الحقيقة؛ لأن الصفات تفسّخت، أي عجزت دون بلوغ نعت الذات.

٤ ـ ان كل عال في الكمال رتبة هو دون علوّ الذات المقدسة؛ لأنّ العلو الأعلى له تعالى، دون غيره.

٥ ـ ان كل جلال وعظمة، فهو حقير دون جلال الذات المقدسة؛ لأن الجلال الأمجد له تعالى، دون غيره.

٦ ـ كل جليل وعظيم، فهو صغير في جنب الله؛ لحاجته إلى الله سبحانه في الخلق.

٧ ـ كل شريف، فإنه حقير في جنب شرف الله؛ لأن شرفه بحاجة إلى الله سبحانه في الوجود.

٨ ـ كلّ وافد إلى غير باب الله تعالى خائب ولن يظفر بما يطلب؛ لأنه طلب محتاج من محتاج مثله.

٩ ـ كلّ متعرض إلّا إلى الله خاسر؛ لأنه قصد بطلبه إلى محتاج مثله.

١٠ ـ كلّ ملمّ وقاصد إلّا إلى الله تعالى ضائع في طريقه؛ لأنه لم يسلك الصراط المستقيم.

١١ ـ كلّ منتجع، وهو من يطلب المعروف كمن يطلب الثروة الزراعية من الكلأ والعشب؛ فإنه يصيبه الجدب، أي انقطاع الامطار وفساد الزراعة باستثناء من انتجع باب فضل الله تعالى.

وهذه صفات المخلوقات عامة من الموجودات والمخلوقين من البشر خاصة، التي يجمعها الحاجة الّتي هي المقومة لكل الممكنات، وعلى النقيض من ذلك الصفات الإلهيّة التي هي ذاتية في واجب الوجود.

[٣/٤٦ ـ صفات واجب الوجود]:

بَابُكَ مفتوح للرَّاغِبِيْنَ[١]، وَجودُكَ مُبَاحٌ لِلسَّائِلِيْنَ، وَإغَاثَتُكَ[٢] قَرِيْبَةٌ مِنَ المستغيثينَ[٣].

لَا يخيب منكَ[٤] الآمِلُونَ، وَلَا يَيْأسُ[٥] مِنْ عَطَائِكَ المُتَعَرِّضُونَ[٦]، وَلَا يَشْقَى بِنَقِمَتِكَ المُسْتَغْفِرُونَ.

---

(١) لم يرد في (ف) : «بَابُكَ مفتوح للرَّاغِبِيْنَ».

(٢) في حاشية (د): «الظاهر ان فتحة حرف العطف وقعت غير موقعها، بعيدة عنها قليلا، فيترائى أنها على الهمزة وتركت كسرة الهمزة مسامحة». (قال المحقق: وهذا التعليق بخط الشيخ البهائي رحمه الله).

(٣) لم ترد في (ف) : «وَاغَاثَتُكَ قَرِيْبَةٌ مِنَ المستغيثينَ».

(٤) في (ف) : «الديك».

(٥) في (ف) : «ولا يخفق»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «ييئس، في النسخة الهمزة لا غير... كلمات لا تقرأ»، وفي حاشية (د) ما نصه: «قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾. (سورة الرعد١٣ : ٣١) أي يعلم، وهي لغة قوم من النخع، قيل: إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لأنه بمعناه، لأن اليائس من الشيء عالم بأنه لا يكون، وعليه قول سحيم بن وثيل: ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم. واليأس: القنوط. وقد يئس من الشيء ييأس، وفي لغة: «ييئس» بالكسر فيهما. قال الجوهري: وهو شاذ. وفي القاموس: يأس ييأس كمنع يمنع وكيضرب شاذ. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٤ : ١٢٥).

(٦) في (ك) العبارة هكذا: «بَابُكَ فُتُح للرَّاغِبِيْنَ، وَوُجْدُكَ مُبَاحٌ لِلسَائِلِيْنَ، وَغَايَتُكَ قَرِيْبَةٌ مِنَ الدَّاعِيْنَ، لَا يَخِيْبُ عَلَيْكَ الآمِلُونَ، وَلَا يَخْفِقُ مِنْ عَطَائِكَ المُتَعَرِّضُونَ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «بَابُكَ قد فُتح للرَّاغِبِيْنَ، وَوُجْدُكَ مُبَاحٌ لِلسَائِلِيْنَ، وَغَايَتُكَ قَرِيْبَةٌ مِنَ الدَّاعِيْنَ، لَا يَخِيْبُ عَلَيْكَ الآمِلُونَ، وَلَا يَحقّقُ مِنْ عَطَائِكَ المُتَعَرِّضُونَ»، وفُتُحٌ ـ بضمتين ـ: الباب الواسع المفتوح، ويقابلهُ الغُلُق. وهو فُعُلٌ بمعنى المفعول. والراغب: المبتهل والضارع والسائل. والوجد: مصدر، جمع وجَاد، وهو منبع الماء. والغاية ـ في الإنسان ـ: نهاية القدرة والطلب، وحيث أنَّ الله سبحانهُ لا غاية لقدرتهِ، فالمراد: انَّ اجابتكَ قريبة من الداعين. وخفق: أي غاب، أي لا يغيب عن عطائِكَ سائلٌ، أي لا تنسى ولا تغفل عن إعطاء من سألَكَ.

رِزْقُكَ مَبْسُوطٌ[١] لِمَنْ عَصَاكَ، وَحِلْمُكَ[٢] مُعتَرِضٌ[٣] لِمَنْ نَاوَاكَ[٤].

واما صفات واجب الوجود فهي على النقيض من صفات الممكنات، الّتي هي عامّة في المخلوقات بما فيها جميع المخلوقين من البشر في العالمين، وقد عدّ من هذه الصفات هنا:

١ ـ باب الله مفتوح للراغبين، للتوبة والرجوع إليه من دون حاجب من الكهنة وأضرابهم.

٢ ـ جود الله مباح للسائلين، من دون حاجة إلى الاستئذان للانتفاع من المنابع الطبيعية.

٣ ـ اعانته الله قربية من المستغيثين، الذين يسلكون سبيل الاستغاثة بشروطها.

٤ ـ لا يخيب الآملون من الله؛ لعلمهم بأن لله تعالى حكمة في قراراته العادلة المتوقفة على اسبابها.

٥ ـ لا ييأس المتعرّضون لعطاء الله من التأخير؛ لعلمهم بما يقتضيه حكمته تعالى.

٦ ـ لا يشقى المستغفرون بنقمة الله، أي عذابه؛ لعلمهم باستحقاق ذلك من جانب وقبول التوبة من جانب آخر.

---

(١) مبسوطٌ: موسّع.

(٢) في (ف) : «وسخطك».

(٣) في (ك) (ش) (ق) (ت): «معرَّضٌ»، وفي (ف) : «متعرض»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «معوّض»، «متعرّض ـ س».

(٤) في حاشية (د): «ناواه مناواة: عاداه، قال الجوهري: اصله الهمز، لانه من النوء، وهو النهوض»، وناواكَ: عاداك. والمعرَّض: خلاف المصرّح، ويستعمل غالباً في الكلام.

٧ ـ رزق الله مبسوط لجميع الخلق حتى من عصاه، فلم يسلب الله الهواء الطلق الممّد للحياة من احد حتى من العصاة مثلا.

٨ ـ حلم الله معترض؛ أي متصد لمن ناواه تعالى، أي عاداه في امتثال اوامره والانتهاء عن نواهيه.

وهذه الصفات كلها من الذات الكاملة بالكمال المطلق ويتقرب بها الإنسان السالك في مدارج السلوك إلى الكمال.

[٤/٤٦ ـ حال المسيئين]:

عَادَتُكَ الإحْسانُ إلىَ المُسِيئِيْنَ، وَسُنَّتُكَ[١] الإبْقَاءُ عَلَى المُعْتَدِيْنَ، حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرجُوعِ[٢]، وَصَدَّهُمْ[٣] إمْهَالُكَ عَنِ النُّزُوعِ[٤]، وَإنَّمَا تَأنَّيتَ بِهِمْ[٥] لِيَفِيْئُوا[٦] إلىَ أمْرِكَ، وَأمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ السَّعَادَةِ خَتَمْتَ لَهُ بِهَا، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الشَّقَاوَةِ[٧] خَذَلْتَهُ لَهَا[٨].

---

(١) السنة: الطريقة، والمراد هنا: الحكمة.

(٢) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت): «عن النُّزُوع»، وأناتكَ: إمهالك وحلمكَ في إنظارهم، وعدم معاجلتكَ لهم صرفهم عن الكفّ عن العدوانِ.

(٣) صدهم: صرفهم ومنعهم.

(٤) في (ك) (ش) (ق) (ف) (ت): «عن الرجوع»، وفي (س): «النزوع: نزعت الشيء: أي قلعته، ونزعت إلى كذا: أي اشتقتُه، ونزع عن الأُمور نزوعاً: انتهى عنها». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١).

(٥) في (ق): «تأنيتهم»، والعبارة في (ت) هكذا: «وأيمانا بينهم ليفيئوا» كذا ظاهرا وهي غير واضحة.

(٦) ليفيئوا: ليرجعوا، وفي (س): «فاء يفيء فيئاً: رجع وعاد». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١).

(٧) في (ف): «الشقاء»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «السماع: الشقاء»، وفي حاشية (د) ايضا: «الظاهر ان اقحام لفظة «السماع» هنا للدلالة على ان هذه النسخة غير مضبوطة في الصحيفة، بل هي ملتقاة من السماع».

(٨) في (ق) (ف) (ت): «خذلته بها»، وخذلتهُ لها: تركتهُ للشقاء.

كُلُّهُمْ صَائِرون[١] إلىَ حُكْمِكَ[٢]، وَأُمُورُهُمْ آئِلَةٌ[٣] إلى أمْرِكَ، لَمْ يَهِنْ[٤] عَلَى طُولِ مُدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ، ولَمْ يُدْحِضْ[٥] لِتَرْكِ[٦] مُعَاجَلَتِهِمْ بُرْهَانُكَ.

وأشار هذا المقطع إلى تعارض آثار الصفات الإلهيّة في الذات المقدسة، وردّ الفعل في حال المخلوقين المسيئين منهم، فإن الله سبحانه ـ بمقتضى الذات ـ من عادته الإحسان إلى جميع المخلوقين بما فيهم المسيئين، وكذلك انّ سنة الله سبحانه وطريقته حكمته بالنسبة إلى المعتدين في طريق الصواب الابقاء عليهم، وليس إهلاكهم بالعذاب لكي يكون ذلك سبباً للتوبة والهداية.

واما المسيئون في اعمالهم على أنفسهم، ومن ثم على المجتمع، فرّد الفعل منهم كما يظهر من حالهم العكس من ذلك، وقد أشار إلى آثار حالهم بأمرين:

١ ـ الغرور بسبب أناته تعالى، أي تمهّله في العقاب، فلم يستفيدوا من الفرصة للرجوع إلى الله تعالى.

٢ ـ عدم النزوع عن المعصية؛ لأن امهال الله لهم صدّهم عن ذلك، مع ان الإمهال لم يكن للصد، بل لإتاحة فرصة التوبة، فقد اختاروا الأناة والامهال حسب أهوائهم؛ فإن الله انما تأنّى بهم ليفيئوا، ويرجعوا لأمر الله، وإنما أمهلهم ثقة بأنّ ملكه تعالى دائم ولا يفوته العقاب فيما إذا لم يستفد العبد من فرصة التوبة.

---

(١) في (ك) (ف) : «صائر».
(٢) في (ك) العبارة هكذا: «خَذَلْتَهُ بهَا، كُلُّهُمْ صَائِرون إلىَ حُكْمِكَ».
(٣) في (س): «آل: رجَع وعاد». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١).
(٤) من الوهن: وهو «الضعف»، وفي حاشية (د): «مِن وَهَنَ يَهِنُ وَهْنَاً، من باب وعد: ضعف، فهو واهن. و«على» بمعنى: «مع»».
(٥) في (س): «دحضت رجله تدحض دحضاً: زلقت، ودَحَضت الشمس عن كبد السماء: زالت، ودحضت حجته دحُوضاً: بطلت». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١)، وقوله: «لم يدحض»: أي لم يبطل.
(٦) في (ت): «لبرك»، والكلمة غير واضحة.

والنتيجة الثانية: هي اختيار الإنسان ما له الرغبة فيه من عمل صالح يوجب السعادة في النفس والمجتمع، أو اختيار العمل غير الصالح الذي يوجب الشقاء له كذلك، ويكون عاقبته الخذلان في الدنيا والآخرة.

فإن كلا من الأناة والامهال كان فرصة للإنسان المسيئ بأن يغيّر حاله إلى ما هو أحسن له، وكان الاختيار بيده في الدنيا. وأما في الآخرة حيث يكون يوم الجزاء والحساب، فيؤخذ كلّ انسان بما قدّمه من خير أو شر، لأن امور جميع المسيئين والمحسنين (آئلة) أي راجعة إلى أمره تعالى بعد استنفاد المدة التي اعطاهم الله اياها لتكون فرصة للعمل والتوبة، وبعد ان أقام لهم الحجة والبرهان في الحياة الدنيا.

[٥/٤٦ ـ الحجّة القائمة]:

حُجَّتُكَ(١) قَائِمَةٌ لا تُدحَض(٢)، وَسُلْطَانُكَ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ(٣)، فالوَيْلُ(٤) الدائِمُ لِمَنْ جَنَحَ(٥) عَنْكَ، والخَيْبَةُ الخَاذِلَةُ(٦) لِمَنْ خَابَ(٧) مِنْكَ، والشَّقَاءُ الأشْقَى لِمَنِ اغْتَرَّ بِكَ(٨).

---

(١) في (ت) (ق): «حججك».

(٢) في (ك): «لا تحول»، وفي حاشية (ش): «لا تدحض»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «لا تدحض ـ صح»، و«لا تحول» من حال يحول حولاً: إذا ذهبَ ومضى وتغيَّرَ، ومنهُ الاستحالة، وفي (ف) العبارة هكذا: «حجتك يد الحجة قبلك قائمة» [كذا]، وراجع الهامش السابق.

(٣) في (ك) (ت) العبارة هكذا: «لَمْ يُدْحَضْ لِبرّك [كذا] مُعَاجَلَتهمْ بُرْهَانُكَ. حُجَجُكَ قَائِمَةٌ، وَسُلْطَانُكَ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ».

(٤) وفي (س): ««ويل» كلمة مثل «ويح»، إلّا أنّها كلمة عذاب، و«ويح» كلمة رحمة». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١)، والويل: كلمة تعجب أو كلمة تنبيه على الخطأ. أو العذاب والهلاك والهوان والخزي.

(٥) جنحَ: عدلَ ومال.

(٦) في (ك) (ش) (ف): «الخَالِدَة».

(٧) الخيبة: الحرمان وانقطاع الأمل.

(٨) في (ف) زيادة: «بل»، واغترَّ بِكَ: أي اطمأنَ بامهالِكَ فاجترأ على ارتكابِ المعاصي.

مَا أكْثَرَ تَصَرُّفَهُ[١] فِي عَذَابِكَ[٢]، وَمَا أطْوَلَ[٣] تَرَدُّدَهُ فِي عِقَابِكَ[٤]، وَمَا أبْعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الفَرَجِ، وَمَا أقْنَطَهُ مِنْ سُهُولَةِ المَخْرَجِ[٥]! عَدْلاً[٦] مِنْ قَضَائِكَ، لَا تَجُورُ[٧] فِيْهِ، وَإنْصَافاً مِنْ حُكْمِكَ لا تَحِيْفُ[٨] عَلَيْهِ.

فَقَدْ ظَاهَرْتَ[٩] الحُجَجَ، وَأبَلَيْتَ[١٠] بالإعْذَار[١١]، وَقَدْ تَقَدَّمْتَ بالوَعِيْدِ[١٢]، وتَلَطَّفْتَ في التَّرْغِيْبِ[١٣]، وَضَرَبْتَ[١٤]

---

(١) أي تقلّبه في عقابِكَ، وهذا تعّجب مِن حالة مَن عدل عن الله بأنَّ تصرّفهُ عجيبٌ، وهكذا الحال في الفقرتين التاليتين.

(٢) في (ت): «عداتك».

(٣) في (ف) : «وأكثر».

(٤) في (ك) العبارة هكذا: «مَا أكْثَرَ تَصَرُّفَهُ فِي عقابك»، وفي (ش) زيادة: «ومَا أطْوَلَ تَرَدُّدَهُ فِي عقابك».

(٥) القنوط: اليأس، والمخرج: المخلص.

(٦) عدلاً: مفعول مطلق، أي تعدل عدلاً، وهكذا: «إنصافاً».

(٧) في (ت): «لا يجوز».

(٨) في (ت): «لا يحيف»، والحيف: الظلم والجور.

(٩) ظاهرت: تابعتَ.

(١٠) في (س): «بلوته بلواً: جرّبته واختبرته، وابتلاه الله بلاءً وأبلاه إبلاءً حسناً، وابتلاه: أي اختبره، والتبالي: الاختبار، وقولهم: «لا أُباليه»، أي لا أكترث له، وأبليت الثوبَ، أي لبسته حتى بلي وعدم». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١).

(١١) كذا في (ق)، وفي (ج) (س) (ت): «الأعذار»، أي بيّنت الأدلّة الّتي تقوم بالعذر عندَ عقاب العصاة.

(١٢) أي ترفقتَ في بيان المحاسن والفضائل ليرغب فيهِ الراغب.

(١٣) في (ق) (ت): «بالترغيب»، وفي (ك) العبارة هكذا: «وَأبَنْتَ الإعْذَارَ، وَتَقَدَّمْتَ بالوَعِيْدِ، وتَلَطَّفْتَ بالتَّرْغِيْبِ، وبالَغْتَ في التَّرْهِيْبِ»، وَأبَنْتَ الإعْذَارَ، أي بيّنت الأدلّة الّتي تقوم بالعذر عندَ عقاب العصاة. والترهيب: التخويف والتحذير.

(١٤) في (ت): «وضرّبت».

الأمْثَالَ، وأطَلْتَ الإمْهَالِ، وَأخَّرْتَ وَأنتَ مُسْتَطِيْعٌ للمُعَاجَلةِ[١]، وَتَأنَّيْتَ وَأنْتَ مَلِيءٌ بالمُبَادَرةِ[٢].

لَمْ تَكُنْ[٣] أنَاتُكَ[٤] عَجْزاً، وَلَا إمْهَالُكَ[٥] وَهْناً، وَلَا إمْسَاكُكَ[٦] غَفْلَةً، وَلَا إنْتظَارُكَ[٧] مُدَارَاةً، بَلْ لِتَكُونَ[٨] حُجَّتُكَ أبْلَغَ[٩]، وَكَرَمُكَ أكْمَلَ[١٠]، وإحْسَانُكَ أوْفَى[١١]، وَنِعْمَتُكَ أتَمَّ[١٢].

والحجة الإلهيّة على المخلوقين قائمة لا تفقد حجيتها بطول الزمن في الأناة والامهال؛ لأن الحجة ثابتة بثبوت سلطانه تعالى على العالم كله، فلا يزول السلطان كما لا تزول الحجة، بعد ان استنفذت كل الطرق المتاحة للإنسان للاهتداء بها، وقد رفضها عن علم بقيام الحجة عليها.

---

١) المعاجلة: المباغتة وعدم الإمهال.
٢) تأنّيت: تمكّثت ولم تعجل وأنتَ متمتّع بالقدرة على المبادرة.
٣) في (ت): «ولم يكن».
٤) في (ق) (ف) : «ولم تكن أناتك»، والأناة: التأنّي والتمكُّث.
٥) في (ك): «ولا تغمّدك»، وفي (ش) (ف) : «ولا تعمّدك»، والتغمُّد: الستر وتغطية العيوب، والوهن: الضعف، أي لم يكن إمهالكَ ضعفاً.
٦) الإمساكَ: الكف.
٧) في (ك): «إنظارك»، والانتظار: الامهال، والمداراة: الملاينة والملاطفة، أي لم يكن امهالُكَ اتّقاء لشرِّ المذنبين.
٨) في (ت): «بل ليكون».
٩) في (ك) (ف) : «الأبلغ». والأبلغ: الأبين والأوضح، وهو اقتباس من سورة الأنعام٦ : ١٤٩.
١٠) في (ق) (ت): «أجمل»، في (ف) : «الأكمل».
١١) في (ف) : «الأوفى».
١٢) في (ك) العبارة هكذا: «وَتَأنَّيْتَ وَأنت مَلِيء بالمُبَادَرةِ ولَمْ يَكُنْ أنَاتُكَ عَجزاً، وَلَا إمهالُكَ وَهْناً، وَلَا إمْسَاكُكَ غَفْلَةً، وَلَا إنْتظَارُكَ مُدَارَاةً، بَلْ لِتَكُونَ حُجَّتُكَ الأبْلَغُ، وَكَرَمُكَ الأكْمَلَ، وإحْسَانُكَ الأوْفَى، وَنِعْمَتُكَ الأتَمَّ»، وفي (ف) العبارة هكذا: «وَتَأنَّيْتَ وَأنْتَ مَلِيء بالمُبَادَرةِ ولَمْ يَكُنْ أنَاتُكَ عَجزاً، وَلَا تعمدكَ وَهْناً، وَلَا إمْسَاكُكَ غَفْلَةً...الخَ».

وقد سرد في هذا المقطع مظاهر أُخر من الرفض وآثارها في الأُمور التالية:

١ ـ الويل الدائم، وهو العذاب الاليم لمن جنح ـ أي مال ـ عن طريق الله.

٢ ـ الخيبة الخاذلة، وهي فوت الظفر بالمطلوب لمن خاب من الله.

٣ ـ الشقاء الأشقى لفقدان السعادة لمن اغتر وظن الأمن بالله من دون التوبة.

٤ ـ التصرّف؛ أي التقلّب في عذاب الله من حالة لاخرى بكثرة.

٥ ـ التردد في عقاب الله بالرجوع فيه مرة بعد اخرى بكثرة.

٦ ـ البعد من الفرج وانكشاف الغم، فهو بعيد المدى.

٧ ـ القنوط، أي اليأس من الخروج من الجزاء الذي يعانيه.

فإن كل آثار الرفض هذه انما اكتسبها الإنسان المسيئ لنفسه برفضه الحجة قبل حلول الحكم، وهذا هو ما سنّه القانون، فإن القانون هو سن الحكم قبل حدوثه، وبذلك يختلف عن الدكتاتورية الّتي تحكم حين حصول الحكم من دون سبق إعلان أو إنذار.

وقد أشار في هذا المقطع إلى مظاهر العدل الإلهي في القانون بانه قضاء لا جور فيه، بل هو مبتن على الإنصاف في الحكم، أي القسط من دون ميل إلى ظلم، منها:

١ ـ تظاهر الحجج؛ فإن الحجج الظاهرة هي الرسل، والحجة الباطنة هي العقل؛ فإن الحجج تتابعت.

٢ ـ ابلاء الاعذار، أي أداء الحجة بالكتب السماوية والسنن النبوية.

٣ ـ الوعيد على فعل المنكرات.

٤ ـ الترغيب في عمل الطاعات.

٥ ـ ضرب الأمثال في الامم السالفة.

٦ ـ إطالة الإمهال؛ لإطالة الفرصة للتوبة.

٧ ـ تأخير العقاب مع استطاعة العجلة فيه.

٨ ـ التأنّي، أي المكث مع القدرة على المبادرة.

٩ ـ الأناة من غير عجز في القدرة.

١٠ ـ الإمهال من غير وهن وضعف.

١١ ـ الامساك في غير غفلة.

١٢ ـ الانتظار من غير مداراة لاتقاء شرّ.

كل هذه المظاهر في الحجة القائمة انما هي لتكون الحجة أبلغ على من أعرض عنها من المسيئين، وذلك من كمال الكرم واستيفاء الإحسان وتمام النعمة.

[٦/٤٦ ـ أبديّة الحجّة]:

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ تَزَلْ(١)، وَهُوَ كَائِنٌ وَلَا تَزَالُ(٢)، حجتُكَ أجَلُّ(٣) مِنْ أنْ تُوصَفَ(٤) بِكُلِّهَا(٥)، وَ(٦) مَجْدُكَ أرْفَعُ مِنْ أنْ يُحَدَّ(٧) بِكُنْهِهِ(٨)، وَنِعْمَتُكَ أكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَى بأسرِهَا(٩)، وإحْسانُكَ أكثَرَ مِنْ أنْ تُشْكَرَ(١٠) عَلَى أقلِّه.

---

(١) في (ت): «ولم يكن يزل»، وفي (ف): «ولم يزل»، أي أنَّ مظاهرة الحجج والتقدّم بالوعيد وغير ذلكَ مما تقدَّمَ، كل ذلكَ كان والحال أنَّكَ لم تزل كائناً، أي ثابتاً. أي أنتَ أزليّ وأبديّ في كلِّ ما تقدَّمَ منكَ من الألطاف.

(٢) في (ت): «وهو كائن لا يزال»، وفي (ف): «ولا يزال».

(٣) في (ك) العبارة هكذا: «وَهُوَ كَائِنٌ بَعْدُ وَلَا تَزَالُ، نعمتك أجَلُّ»، وفي (ش) العبارة هكذا: «كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ وَلَا يَزَالُ، عظمتُكَ أجَلُّ»، وفي (ق) العبارة هكذا: «كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا يَزَالُ، حجّتُكَ أجَلُّ».

(٤) في (ف): «يوصف».

(٥) في (ك) العبارة هكذا: «بَلْ لِيَكُونَ حُجَّتُكَ أبْلَغُ، وَكَرَمُكَ أجْمَل، وإحْسَانُكَ أوْفَى، وَنِعْمَتُكَ أتَمّ، كُلُّ ذَلِكَ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ، وَهُوَ كَائِنٌ لَايَزَالُ، حجَّتُكَ أجَلُّ مِنْ أنْ يُوصَفَ بِكُلِّهَا»، أي أنَّ حجتكَ أجلّ وأعظم من أن تُوصف بكل وصفها؛ فإنها أعلى من أن يمكن وصفها لأحد.

(٦) في (ت): «أو».

(٧) كذا في (ك) (ش) (ق) (ف)، وفي المشهورة: «من أن تحد»، وفي (ت) الكلمة غير واضحة.

(٨) في حاشية (ج): «أي غايته»، أي بحقيقته ونهايته.

(٩) لم ترد في (ف): «وَنِعْمَتُكَ أكْثَرُ مِنْ أنْ تُحْصَى بأسرِهَا».

(١٠) في (ت): «من أن يشكر».

وقد قَصّر بِي[(١)] السُّكُوتُ عَنْ تَحْمِيْدِكَ، وَفَهَّهَنِي[(٢)] الإمْسَاكُ عَنْ تَمْجِيْدِكَ[(٣)]، وقُصَارَاي[(٤)] الإقرارُ بالحُسُورِ[(٥)] عَنْ تَحْمِيدِكَ[(٦)] بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ[(٧)]، لا رَغبَةً[(٨)] - يا إلهي - بَلْ عَجْزاً[(٩)].

وكما أن الحجة الإلهيّة لا تفقد حجيتها بطول الزمن بالأناة والإمهال، كذلك لا تفقد حجيتها على مدى الدهر، فهي حجة أبدية في الحياة الدنيا والآخرة.

بيان ذلك: ان الحجج المتظاهرة الّتي تقدم ذكرها في المقطع السابق (كانت ولم تزل) وهي ثابتة أزلية، ولا تزال كذلك؛ لأنها حجة أبدية.

---

(١) في (ت): «وقد قَصُرَ في»، وقوله: «قصر بي أن افعل كذا»، وكذا«قصاراي أن أفعل كذا»: أي غاية جهدي وآخر أمري وما اقتصرُ عليهِ، هو ذلك.

(٢) في (ق) (ت): «وأفحمني»، وفي (ق): «وأقحمني»، وفي (ف): «وبهرني»، وفي حاشية (ج) (د): «وَفِهِهَنِي - س»، وفي حاشية (د): «الفههة في الحجة: العجز عن النطق، العي عن النطق»، وفي (س): «الفهة والفهاهة: العيّ في النطق بالحجة، قال الشاعر: فلم تلفني فهاً ولم تُلفِ حجتي * ملجلجة أبغي لها من يقيمها». (حاشية ابن إدريس: ٢٨١).

(٣) في (ق): «عن تحميدك»، والتمجيد: التعظيم والثناء.

(٤) في حاشية (د): «وَقصاراي: أي غاية الإقرار»، وفي (س): «قصارك أن تفعل كذا بالفتح أي غايتك وأخِر أمرك». (حاشية ابن إدريس: ٢٨٢).

(٥) في (ت): «بالجسور»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «السكوت»، وفي (س): «حسر البعير يحسر حسوراً: أعيا». (حاشية ابن إدريس: ٢٨٢).

(٦) كذا في حاشية (ج): في نسخة. وفي (ك) (ش): «تمجيدِكَ»، ولم ترد في (ف): «وقصارايَ الإقرارُ بالحُسُورِ عَنْ تَحمِيدِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ».

(٧) لم ترد في (ت): «عَنْ تَحْمِيدِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ».

(٨) كذا في (ك) (ش)، وفي (ف) (ت) زيادة: «عنك».

(٩) في (ك) العبارة هكذا: «وَنِعَمُكَ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْصَى بِعَدِّهَا، أَوْ تُشْكَرَ عَلَى أَقَلِّهَا، وَقَصْرِي السُّكُوتُ عَنْ تَحْمِيْدِكَ بِمَا تَسْتَحِقُّهُ، وَنَهْيَتِي الإِمْسَاكُ عَنْ تَمْجِيْدِكَ بما أَنْتَ أَهْلَهُ، لَا رَغْبَةً عَنْهُ، بَلْ عَجْزاً»، وفي (ش) العبارة هكذا: «وَنِعَمُكَ أكثر مِنْ أَنْ تُحْصَى بِكلِّهَا وتُشْكَرَ عَن أَقَلِّهَا، وَقصاراي السُّكُوتُ عَنْ تَحْمِيدِكَ والاعتراف بالعجز عَنْ تَمْجِيْدِكَ بما أَنْتَ أَهْلَهُ، لَا رَغْبَةً عَنْهُ يا إلهي، بَلْ عَجْزاً».

ومن مظاهر الحجة الأبدية الأزلية الّتي هي من صفات الذات المقدسة، وكذا سائر صفات الذات وآثارها:

١ ـ إنّ الحجة الإلهيّة أجلّ من ان توصف بكلّها، أي توصف بالحجية الكاملة؛ فإن الأبدية الذاتية لا يوصف إلّا بها.

٢ ـ إنّ مجد الله تعالى أرفع من ان يحدّ بكنهه، لقصور العقل الإنساني المادي من درك الذات.

٣ ـ إنّ نعم الله تعالى أكثر من ان تحصى بأسرها، وكل افراد النعم لا تدخل تحت حصر وعد.

٤ ـ إنّ إحسان الله تعالى اكثر من ان يشكر على أقله، فكيف يمكن ان يشكر على جميع موارد الإحسان؛ فإن وجود أي مخلوق على وجه الأرض أو السماوات العليا إحسان من الله، يرجع ولو بوسائط يكون إحسانا على الإنسان نفسه.

وبالنتيجة: فلا يكون الإنسان قادراً على حمد الله حق حمده؛ لأن الصمت والسكوت قاصر عن ذلك؛ لعدم امكانه أداء حقه، والامساك عن تمجيد الله (فَهَهٌ) أي عيٌّ، ومعه لا يتمكن الإنسان من التمجيد، فيمسك عن ذلك.

وقصارى ما يمكن للإنسان فعله، أي غاية ما يتمكن منه هو الاقرار بالحسور، أي الاعياء عن التمجيد والتحميد، لا رغبة عنهما، بل اعترافاً بالعجز عن القدرة على التحميد والتمجيد حقاً.

[٧/٤٦ ـ حالة الداعي]:

فَهَا أَنَا ذا[١] أؤُمُّكَ[٢] بالوفَادَةِ، وَأسْأَلُكَ حُسْنَ[٣] الرِّفَادَةِ[٤]،

---

(١) في (ك) (ش) (ت) زيادة: «يَا إِلهِي».

(٢) في (ت): «أمّك»، وفي (ف): «أؤمل»، أي أقصدكَ لطلب فضلك وثوابِك.

(٣) لم ترد في (ف): «حسن».

(٤) في (ش): «وأسألك أن تحسن الوفادة»، ولم ترد في (ق): «وَأسْأَلُكَ حُسْنَ الرِّفَادَةِ»، والرفادة: الإعانة والعطاء.

فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ(١) اسْمَعْ نَجوَايَ(٢)، واستجِبْ دُعَائِي(٣)، وَلَا تَخْتِمْ يَوْمِي(٤) بِخَيْبَتِي(٥)،

وَلَا تَجْبَهْنِي(٦) بالرَّدِ فِي مَسْأَلَتِي(٧)، وَأَكْرِمْ من(٨) عِنْدكَ مُنْصَرَفِي(٩) وإليكَ مُنْقَلَبِي(١٠)، إنَّكَ(١١) غَيْرُ ضَائِقٍ(١٢) بما تُرِيْدُ(١٣)، وَلَا عَاجِزٍ عَمَّا تُسأَلُ(١٤)، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ(١٥)، [وَبِكُلِّ شَيءٍ خَبِيرٌ عَلِيمٌ بَصِيرٌ](١٦)، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

---

(١) لم ترد في (ك) (ش) (ف) عبارة: «صلّ على محمّد وآله و».

(٢) في (ك): «فاسمع نجائي»، وفي (ش): «فاسمع نجواي»، والنجاء: الإسرار بالأمر إلى صديق ونجيٍّ، وهو مصدر من ناجاهُ مناجاة ونجاءً: سارَّه، والمعنى: أي تقبَّل دعائي لَكَ سرّاً.

(٣) في (ش): «استجب دعاي»، ولم ترد في (ف) عبارة: «واستجِبْ دُعَائِي».

(٤) في (ت): «ولا تختم شهري ويومي».

(٥) في (ت): «بخيبةٍ»، وفي (ك): «وَلَا تَخْتِمْ يَوْمِي لِخَيْبَتِي»، وفي (ش): «وَلَا تَخْتِمْ يَوْمِي بِخَيَّتِي بِخَيْبَة»، وفي (ف) : «وَلَا تَخْتِمْ بِخَيْبَتِي»، وفي (ق): «وَلَا تَخْتِمْ شهري وَيَوْمِي بِخَيْبَةٍ»، والخيبة: الحرمان والخسران.

(٦) من جبههُ بالمكروه: إذا لقيهُ بهِ، والأصل فيهِ: ضرب الجبهة بالمنع وصرف السائل محروماً من طلبتهِ.

(٧) في (ق) (ت): «بردّ عن مسئلتي»، وفي (ش): «عن مسئلتي».

(٨) في (ت): «أكرم من»، بدون واو.

(٩) المنصرف: المنقلب، بمعنى الإنصراف.

(١٠) لم ترد في (ك) (ش) (ف) : «وإليك منقلبي».

(١١) في (ق) (ت): «وأنك».

(١٢) من ضاق عليهِ الأمر: إذا اشتدَّ عليهِ وشقَّ ولم تسعهُ القدرة.

(١٣) في (ش): «لما تريد»، وفي (ق) (ف) (ت): «عمّا تريد».

(١٤) في (ق) (ف) : «عما تشاء»، وفي (ت): «عما يشاء».

(١٥) هذا هو آخر الصحيفة السجادية في النسخة: (ف) ، وكتب بعدها ما نصه: : «تمّت الصحيفة الكاملة عن الإمام علي بن الحسين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأجداده الطاهرين، والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا مُحَمَّدٍ النبيّ وآلِهِ وسلَّم».

(١٦) ما بين المعقوفتين من (ق) (ت).

إلّا باللهِ العَليِّ العَظِيمِ[١].

وختم الدعاء بحالة الداعي الّتي تقتضي شمول الرحمة الإلهيّة له، حيث انه يؤم الله سبحانه وحده بالوفادة، والوفود على الكريم يقتضي شمول الكرم له، وهو في حالته هذه يسأل حسن الرفادة والاعانة بالنجاة من حالة الإساءة على نفسه ومجتمعه كي يطهر ويصبح محسناً، ولا طريق له إلى ذلك سوى الدعاء إلى الله سبحانه، قائلا:

١ ـ اسمع نجواي، والنجوى: السرّ الذي يخاطب به.

٢ ـ استجب دعائي، كما أمر تعالى بقوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٢].

٣ ـ لا تجبهني بالرد في مسألتي. والجبه بالمكروه: المنع.

٤ ـ اكرم من عندك منصرفي، بالخروج من حالة المسيئ بالاكرام بقبول التوبة.

٥ ـ اليك منقلبي بالرجوع إلى الله تعالى دون غيره.

وهذه النقاط من الدعاء تنطبق عليها الأوصاف الإلهيّة المتقدمة؛ فإنه تعالى غير ضائق بما يريد ولا عاجز عما يُسئَل، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) لم ترد في (ش) (ق) (ت): «ولا حول ولا قُوَّةَ إلّا باللّه العَليِّ العَظِيمِ».

(٢) القرآن الكريم، سورة غافر٤٠: ٦٠.

[الدعاءُ السابع والأربعون]

وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في يوم عرفة[1]

[١/٤٧ ـ دعاء يوم عرفة]:

اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمينَ، أللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَديعَ[2] السَّماواتِ وَالْاَرْضِ، ذَا[3] الْجَلالِ وَالإِكْرامِ، رَبَّ الأَرْبابِ، وَإِلٰهَ كُلِّ مَأْلُوه[4]، وَخالِقَ كُلِّ مَخْلُوق، وَوارِثَ كُلِّ شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

(١) ورد هذا الدعاء في ملحق (ك) بالرقم (٤٨) بنفس العنوان، وفي ملحق (ش) في الصفحة (١٩٧) بنفس العنوان، وفي (ج) بعنوان: «السابع والأربعون: وكان من دُعائِهِ عليه السلام في يوم عرفة»، وفي (ت) بعنوان: (السابع والأربعون) وتحته عنوان: «في يوم عرفة»، ولم يرد هذا الدعاء في (ق)، وفي (حاشية ابن إدريس) بالرقم (٤٧)، بعنوان: «دُعاؤهُ يوم عرفة». ويوم عرفة هو التاسع من ذي الحجة الحرام.

(٢) في (س): «ابتدعت الشيء: اخترعته لا على مثالٍ، والله سبحانه ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (سورة البقرة ٢: ١١٧) بهذا المعنى. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٤).

(٣) في (ت): «يا ذا».

(٤) في (س): «أله ـ بالفتح ـ إلاهةً، أي عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ (الأعراف ٧: ١٢٧): (ويذرك وإلاهتك) بكسر الهمزة، قال: وعبادتك، وكان يقول: إنّ فرعون كان يعبد، ومنه قولنا: (الله) وأصله «إلهٌ» على فعال بمعنى مفعول، لأنّه مألوهٌ، أي معبودٌ، كقولنا: «إمام» فعال بمعنى مفعول، لأنّه مؤتمّ به، فلمّا أُدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرته في الكلام، ولو كانت عوضاً منهما لما اجتمعتا مع المعوَّض منه في قولهم: (الإله) وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيماً لهذا الاسم». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

شِيْءٌ، وَلا يَعْزُبُ(١) عَنْهُ(٢) عِلْمُ شَيْءٍ، وَهُوَ(٣) بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطٌ، وَهُوَ عَلى(٤) كُلِّ شَيْءٍ رَقيبٌ(٥).

يوم عرفة هو التاسع من ذي الحجة الحرام، حيث يقف الحجاج المسلمون في الموقف في عرفات، وتواجدهم في ذلك المكان من الاراضي المقدسة اطاعة لأمره تعالى من تعظيم شعائر الله، فهم يتقربون إلى الله تعالى بالطاعات، ويشاركهم المسلمون في كل أنحاء العالم بالدعاء والابتهال إلى الله، فهو موقف يستدعي الحمد لله تعالى على هذا التوفيق للحجاج بأداء مناسك الحج ولغيرهم لإدراكهم هذا اليوم الفضيل.

وقد استفتح الدعاء بالحمد لله رب العالمين، ثم خصّ المقطع الأول ببعض الاسباب الموجبة لحمده تعالى، فهو:

١ ـ بديع السماوات والأرض، ابتدعها من العدم إلى الوجود.

٢ ـ ذو الجلال والاكرام، أي صاحب الاستغناء المطلق والفضل التام.

٣ ـ رب الأرباب؛ فإن كل مالك في الحقيقة هو مملوك لله تعالى.

٤ ـ هو إله كل مألوه؛ فإن كل شيء معبود مخلوق له، فهو إله كل معبود.

٥ ـ خالق كل مخلوق من الموجودات في الأرض والسماوات.

٦ ـ وارث كل شيء ؛ اذ ان كل شيء ينتهي إلى الفناء والموت، ويبقى وجه الله تعالى ذو الجلال والإكرام.

٧ ـ ليس كمثله شيء، لوجوب ذاته المقدسة وإمكان ما سواه.

---

(١) في حاشية (ج): «أي يغيب».

(٢) في (ت): «عنك».

(٣) في (ت): «وأنت».

(٤) في (ت): «وعلى».

(٥) في حاشية (ج) في نسخة: «قدير» احتمالاً، لان الكلمة ناقصة، وقد ذهب بعضها في التجليد. وفي حاشية (د): «الرقيب: الحافظ والناظر»، وفي (س): «الرقيب: الحافظ، والرقيب: الناظر». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

٨ ـ لا يعزب عنه علم شيء؛ والعزوب: الذهاب، فهو بكل شيء عليم.

٩ ـ وهو بكل شيء محيط، لاستيلاء قدرته على كل شيء من مخلوقاته.

١٠ ـ وهو على كل شيء رقيب، أي حفيظ، ولن يغفل عن شيء من المخلوقات في الأرض والسماوات.

وهذه بعض الاسباب الّتي توجب الحمد لله تعالى دون سواه؛ فإن أي شيء ممكن في الحياة ليس له شيء من هذه الصفات.

[٢/٤٧ ـ صفات الله تعالى]:

أَنْتَ اللّهُ[١] لا إِله إِلّا أَنْتَ، الأَحَدُ الْمُتَوحِّدُ، الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظِيمُ الْمُتَعَظِّمُ، الْكَبِيرُ الْمُتَكبِّرُ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، الْعَلِيُّ الْمُتَعالِ، الشَّدِيدُ الْمِحالِ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، السَمِيعُ الْبَصِيرُ، الْقَدِيمُ الْخَبِيرُ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ [الكبير الأكبر][٢] الْكَرِيمُ الأَكْرَمُ، الدائِمُ الأَدْوَمُ.

[وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، الاوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شيءٍ، وَالاخِرُ بَعْدَ كُلِّ شيءٍ][٣].

---

(١) في (ج) زيادة: «الذي».

(٢) ما بين المعقوفتين من (ت).

(٣) ما بين المعقوفتين من (ت).

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، الْاوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْاخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، الدّاني في عُلُوِّهِ، وَالْعالي في دُنُوِّهِ.

وَأَنْتَ اللهُ لا اِلهَ اِلّا أَنْتَ، ذُو الْبَهاءِ[1] وَالْمَجْدِ، وَالْكِبْرِياءِ وَالْحَمْدِ.

والاسباب الموجبة لحمد الله لا تنحصر بعدد محدود، وكلها ترجع إلى أن الذات المقدسة واجب الوجود وغيرها ممكن الوجود، والامكان حاجة، والممكن مفتقر إلى ما يوجده، والوجوب ضده. كما يعبّر عن ذلك صفات الله سبحانه.

وقد سردها في هذا المقطع مبدوّة بقوله: (انت الله لا إله إلّا انت)، حيث لا معبود بالحق سواه، فهو واجب الوجود دون غيره، والى ذلك ترجع الصفات:

١ ـ (الأحد) الأوّل في الوجود؛ لكونه واجب الوجود.

٢ ـ (المتوحّد) عن النظير بوجوب وجوده.

٣ ـ (الفرد) الذي لا نظير له.

٣ ـ (المتفرد) الذي لا يتصوّر ان يشاركه غيره.

٥ ـ (الكريم) ذو الكرم والجود.

٦ ـ (المتكّرم) المتنزّه عمّا لا يليق.

٧ ـ (العظيم) عن أن يحيط به العقل.

٨ ـ (المتعظم) المستنكف عن ان يكون له نظير.

٩ ـ (الكبير) على كل شيء في الكمال.

١٠ ـ (المتكبر) ذو الكبرياء.

---

(١) في (س): «البهاء: الحسن». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

١١ ـ (العليّ) رتبة على كلّ شيء ؛ لأنّه العلة لإيجادها.

١٢ ـ (المتعال) المستعلي على كلّ شيء.

١٣ ـ (الشديد المحال) الآخذ بالعقاب، والمماحلة: شدة المماكرة.

١٤ ـ (الرحمن) الذي تعم رحمته في الدنيا.

١٥ ـ (الرحيم) الذي ذاته المقدسة رحمة للمؤمنين وغيرهم.

١٦ ـ (العليم) بجميع المعلومات من المخلوقات.

١٧ ـ (الحكيم) في خلقه العالم السفلي والعلوي.

١٨ ـ (السميع) الذي يسمع السّر والنجوى وما هو أخفى.

١٩ ـ (البصير) الذي يشاهد ويرى حتى ما تحت الثرى.

٢٠ ـ (القديم) بوجوده الأزلي المستلزم للوجوب بالذات.

٢١ ـ (الخبير) بكل الاخبار الباطنة في الكون.

٢٢ ـ (الكريم) أي ذو الجود والكرم، كما تقدّم.

٢٣ ـ (الأكرم) أي الأعظم كرماً بما لا يبلغه كرم كريم.

٢٤ ـ (الدائم) الذي لا ينتهي تقدير وجوده.

٢٥ ـ (الأدوم) البليغ الدوام؛ لكونه أطول بقاءً.

٢٦ ـ (الأول) قبل كل أحد، فلا وجود قبله.

٢٧ ـ (الآخر) بعد كل عدد؛ لأنه إليه ينتهي كل مخلوق معدود.

٢٨ ـ (الداني في علوّه) على كلّ شيء بحسب علمه وإيجاده.

٢٩ ـ (العالي في دنوّه) كما يقتضيه الذات المقدسة، فلا تناله العقول والأوهام.

٣٠ ـ (ذو البهاء) من العظمة الّتي تملأ العقول والقلوب.

٣١ ـ (ذو المجد) أي السعة في الكرم لكل المخلوقات.

٣٢ ـ (ذو الكبرياء والحمد) والكبرياء: الترفّع والاستنكاف عن التكاثر بشيء خارج عن إرادته الظاهرة. والحمد خالص له، وهو المستحق له بالتحقيق.

[٣/٤٧ ـ خلق المخلوقات]:

وَأَنْتَ اللهُ لا إلهَ إلّا أَنْتَ، الَّذي أَنْشَأْتَ الأَشْياءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ[١]، وَصَوَّرْتَ ما صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثالٍ، وَابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعاتِ بِلا احْتِذاءٍ[٢].

أَنْتَ الّذي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْديراً، ويَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسيراً، وَدَبَّرْتَ ما دُونَكَ تَدْبيراً[٣].

أَنْتَ الَّذي لَمْ يُعِنْكَ عَلى خَلْقِكَ شَريكٌ، وَلَمْ يُؤازِرْكَ في أَمْرِكَ وَزيرٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مُشابِهٌ[٤] وَلا نَظيرٌ.

أَنْتَ الَّذي أَرَدْتَ فَكانَ حَتْماً[٥] ما أَرَدْتَ، وَقَضَيْتَ فَكانَ عَدْلاً ما قَضَيْتَ، وَحَكَمْتَ فَكانَ نَصَفاً[٦] ما حَكَمْتَ.

ثم أشار إلى خلق المخلوقات وإبداعها من دون سبق مثال بالقدرة الإلهيّة، بما يلي:

١ ـ الإنشاء من غير سنخ بإيجاد ما لم يسبق وجود مثله، والسنخ من كل شيء: اصله.

---

(١) في حاشية (ج) (د): «شبح ـ س»، وفي حاشية (د): «سنخ: أي الاصل»، وفي (س): «السنخ: الأصل، وأسناخ الأسنان: أُصولها». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

(٢) في حاشية (د): «ابتدعت الشيء: اخترعته، والاحتذاء: الاقتداء»، وفي (س): «احتذى مثاله، أي اقتدى». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

(٣) في حاشية (ج) (د): «وَدَبَّرْتَ ما دَبَّرْتَ تَدْبيراً ـ س».

(٤) كذا في (ت) وحاشية (ج) في نسخة: «مشابه»، وفي غيرهما: «مشاهدٌ».

(٥) في (ت): «عدلاً».

(٦) في (س): «النصف: النَصَفة، وهو الاسم من الإنصاف». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

٢ ـ التصوير بهيئة حادثة من غير مثال مشابه له في الصورة النوعية.

٣ ـ الابتداع بلا احتذاء، وهو صنع الشيء من دون اقتداء.

٤ ـ التقدير لكل شيء تقديراً حسب الاسباب والمسببات.

٥ ـ التيسير لكل شيء لتهيئته ما يسهل ذلك.

٦ ـ التدبير لما غير الله سبحانه من المخلوقات تدبيراً حكيما في الخلق.

٧ ـ الخالق من دون شريك في خلق المخلوقات على سعتها في الكون.

٨ ـ المتفرد عن الوزير، أي المعاون، أو حامل للمسؤولية الثقيلة في تحقيق المطلوب.

٩ ـ الغني عن الشاهد حين خلق الخلق؛ لأنه الأول، فلا حضور لغيره.

١٠ ـ الذي لا نظير له في الخلق، أي مماثل له في الخلق.

١١ ـ المريد بالارادة المطلقة التي يتحقق بها المراد حتماً بدون ترديد.

١٢ ـ القاضي بالقضاء الذي لا يردّ ولا يبدّل.

ونتيجة هذه الصفات ان كان ما أراده تعالى من المخلوقات في العالم كله، والذي جرى عليها القضاء العدل والحكم والنصف، وهو القسط الذي جعل العالم كله في مسيرة التكامل.

[٤/٤٧ ـ الذات المقدسة]:

أَنْتَ الَّذي لا يَحْويكَ[(١)] مَكانٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِسُلْطانِكَ سُلْطانٌ، وَلَمْ يُعْيِكَ[(٢)] بُرْهانٌ وَلا بَيانٌ.

أَنْتَ الَّذي أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، وَجَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَداً، وَقَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْديراً.

---

(١) في (ت): «لا يحوزك»، من الحيازة.

(٢) في حاشية (ج): «أي يعجزك»، وفي (ت): «يعنك»، من المعونة.

أَنْتَ الَّذي قَصُرَتِ الأَوْهامُ عَنْ ذاتِيَّتِكَ، وَعَجَزَتِ الْأَفهامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ، وَلَمْ تُدْرِكِ(١) الْأَبْصارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ.

أَنْتَ الَّذي لا تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً، وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً(٢)، وَلَمْ تَلِدْ فَتَكُونَ مَوْلُوداً.

أَنْتَ الَّذي لا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعانِدَكَ، وَلا عِدْلَ لَكَ(٣) فَيُكاثِرَكَ، وَلا نِدَّ لَكَ فَيُعارِضَكَ.

أَنْتَ الَّذي ابْتَدَأَ وَاخْتَرَعَ، وَاسْتَحْدَثَ وَابْتَدَعَ، وَأَحْسَنَ صُنْعَ ما صَنَعَ.

وفي هذا المقطع بيان لصفات أغلبها سلبية تلازم اضدادها في الذات المقدسة، هي:

١ ـ لم يحو الذات المقدسة مكان؛ فإن المفتقر إلى المكان هو الجسم، والذات المقدسة مجردة، فلا يحتاج إلى مكان، ولأن الافتقار من خصائص الممكن، والذات المقدسة لا يفتقر إلى غيره، لأنه واجب الوجود.

---

(١) في (ت): «ولم يدرك».

(٢) في حاشية (د): «قوله عليه السلام: «ولم تمثّل فتكون موجودا» أي مدركا بالتمثيل، من مثّله: إذا جعل له مثلا، والغرض نفي وجدانه تعالى بالتمثيل... فثبت أنّ كلّ ما له مثل فليس بواجب لذاته، فلم يكن تعالى موجودا بالتمثيل. وهذه الفقرة من الدعاء كقول جدّه سيّد الأوصياء صلوات الله عليه: «ولا حقيقته أصاب من مثّله»، ويحتمل أن يكون المراد بتمثيله: تصويره، من مثّلث الشيء تمثيلا: إذا صوّرته، فيكون المعنى: أنّه سبحانه لم تتصوّره العقول والأوهام فيتعقّل أو يتوهّم له صورة، فيكون حاصلا عندها وموجودا فيها بصورته، وذلك لتنزّهه تعالى عن الصورة بأنواعها». (رياض السالكين٦: ٣١٠و٣١١)، وفي حاشية (د) أيضا: «وجد مطلوبه يجده وجودا، ووجد ضالته وجدانا، ووجد الشيء عن عدم، فهو موجود».

(٣) كلمة: «لك» من ملحق (ك) وبعض النسخ، وفي حاشية (ج): «ولا عَدْلٌ ـ س»، وفي (س): «العدل ـ بالكسر والفتح ـ: النظير. المثل». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

٢ ـ لم يقم لسلطانه سلطان، أي ان حكمه تعالى على كل ذي سلطان، ولا يقدر أحد على مقاومته، فهو الحاكم المطلق دون غيره.

٣ ـ لم يعييه برهان؛ فإن الحجة على وجوده تعالى هو العقل، ولا عيَّ ولا عجز فيه برهاناً.

٤ ـ لم يعييه بيان، فلم يعجزه بيان مراده فيما أرسله من الرسل والكتب.

٥ ـ أحصى كل شيء عدداً؛ فإن عدد المخلوقات اللامتناهية في نظر الإنسان المادي كلها معلومة لله سبحانه بالعدد المعلوم.

٦ ـ قدّر كل شيء بما تقتضيه المصلحة تقديراً يتمكن معه من أداء دوره المطلوب في الحياة.

٧ ـ قصرت الأوهام عن ذاته؛ لأنّ أفهام المخلوقات ماديّة، فهي قاصرة عن فهم المجردات عن المادّة.

٨ ـ عجزت الافهام عن كيفية الذات من الصفات المخصوصة بالذات المقدسة التي لا يعلمها إلّا الله تعالى.

٩ ـ لم تدرك الابصار موضع أينيته، والأينية حالة تعرض للشيء بسبب حصوله في المكان، والله سبحانه لا يحويه مكان.

١٠ ـ لا يحدّ بحدٍّ له مبتدأ ومنتهى؛ لأن الابتداء والانتهاء من لوازم الماديات، فلا يكون محدوداً بالمقياس المادي.

١١ ـ ولم يمثّل، أي يكون مدركاً بالتمثيل؛ لأن ما له مثل ليس بواجب الوجود، فوجوده تعالى ليس بالتمثيل، بل بالذات.

١٢ ـ ولم يلد فيكون مولوداً؛ لأنه تعالى لا يجانسه شيء، فلا يمكن ان يكون له من جنسه صاحبة حتى يولد مثله.

١٣ ـ لا ضدّ معك، والضدّ: هو المنازع المساوي في القوّة، وحيث أن الله تعالى حكمه اقوى من كل المخلوقات، فلا ضدّ يعانده.

١٤ ـ لا عِدل له، والعِدل: هو المثل والنظير في الجنس والمقدار، ومن طبيعة العديل امكان الغلبة له في الكثرة، وهذه انما تكون في الماديات، وهي صفة لا تتحقق في المجردات.

١٥ ـ لا ندّ له، والندّ: هو المثل المنافي المخالف، ومقتضى طبيعة المعارضة للند: الندود والنفرة والخلاف. وهذا ما لا يتصور في واجب الوجود.

١٦ ـ المبتدئ، والابتداء: الإيجاد لشيء لم يوجد مثله، والله سبحانه ابتدأ بخلق العالم العلوي والسفلي، فهو المبتدئ لكل موجود.

١٧ ـ المخترع، والاختراع: إيجاد ما لم يسبق غير الموجد إليه.

١٨ ـ المستحدث، والاستحداث: إيجاد ما هو حديث في صنعه.

١٩ ـ المبتدع، والابتداع: هو الإيجاد من دون سابق وجود في الشكل والذات والآلة، والله أوجد الموجودات كذلك، فهو مبتدعها.

٢٠ ـ الصانع، وصنع الشيء: عمله وإيجاده وتكوينهُ؛ وقد أحسن سبحانه صنع ما صنع من المخلوقات في الكون كله بإتقان لا نظير له، كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[(١)].

وتفصيل البحث في تحديد هذه الصفات الثبوتية والسلبية في موضعها من علم الكلام.

[٥/٤٧ ـ تسبيح الله تعالى]:

سُبْحانَكَ ! ما أَجَلَّ شَأْنَكَ، وَأَسْنى في الأَماكِنِ مَكانَكَ، وَأَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقانَكَ.

سُبْحانَكَ ! مِنْ لَطيفٍ ما أَلْطَفَكَ، وَرَؤُوف ما أَرْأَفَكَ[(٢)]، وَحَكيم ما أَعْرَفَكَ.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النمل ٢٧: ٨٨.

(٢) في (ج) (د): «أرؤفك»، وفي حاشية (ج) (د): «أرأفك ـ س».

سُبْحانَكَ، مِنْ مَليكٍ ما أَمْنَعَكَ، وَجَوادٍ ما أَوْسَعَكَ، وَرَفيعٍ ما أَرْفَعَكَ، ذُو الْبَهآءِ وَالْمَجْدِ وَالْكِبْرِياءِ وَالْحَمْدِ(١).

سُبْحانَكَ ! بَسَطْتَ بِالْخَيراتِ يَدَكَ، وَعُرِفَتِ(٢) الْهِدايَةُ مِنْ عِنْدِكَ، فَمَنِ الْتَمَسَكَ لِدينٍ أَوْ دُنْياً وَجَدَكَ.

سُبْحانَكَ ! خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرى في عِلْمِكَ، وَخَشَعَ(٣) لِعَظَمَتِكَ ما دُونَ عَرْشِكَ، وَإنْقادَ(٤) لِلتَّسْليمِ لَكَ(٥) كُلُّ خَلْقِكَ.

سُبْحانَكَ ! لا تُحَسُّ، وَلا تُجَسُّ(٦)، وَلا تُمَسُّ، وَلا تُكادُ، وَلا تُماطُ(٧)، وَلا تُغالَبُ(٨)، وَلا تُمانَن(٩)، وَلا تُنازَعُ، وَلا تُجارى، وَلا تُمارى(١٠)، وَلا تُخادَعُ، وَلا تُماكَرُ.

---

(١) لم ترد في (ت) عبارة: «ذُو الْبَهآءِ وَالْمَجْدِ وَالْكِبْرِياءِ وَالْحَمْدِ».

(٢) في (ت): «وَعَرَّفْتَ».

(٣) في (ت): «وَخضعَ».

(٤) في (ج): «وانقاذ».

(٥) لم ترد في (ت): «لكَ».

(٦) في (ت): «لا تُجَسُّ، وَلَا تُحَسُّ»، وفي (حاشية ابن إدريس): «سُبْحَانَكَ لَا تُجَسُّ، وَلَا تُحَسُّ»، وفي حاشية (د): «عطف الجسّ على الحسّ من باب عطف العام على الخاص، فان الجسّ لا يكون إلّا باليد، والحسّ: الاتصال بالبشرة مطلقا، فكل شيء جُسّ مُسّ، من غير عكس، وكلاهما ممتنعان على الله».

(٧) في (ت): «ولا تُحاط»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «ولا تحاط»، وفي حاشية (د): «ماط يميط ميطا، من باب باع: نحّاه وأبعده»، وفي حاشية (د) أيضا: «ولا تماط، أمطته، أي نحيته، ومنه: «إماطة الأذى عن الطريق»»، وفي (س): «أمطتَهُ: نحّيته، ومنه إماطة، الأذى عن الطريق». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

(٨) كلمة: «ولا تغالب» من حاشية (د) في نسخة، وهي من «المغالبة».

(٩) لم ترد في (ت): «ولا تُمانَنُ»، وأخذنا كلمة: «ولا تمانن» من حاشية (ج) في نسخة، وهي من «المنّة».

(١٠) في حاشية (د): «ماريته أماريه: جادلته»، وفي (س): «ماريته أماريه مِراء، أي جادلته». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

سُبْحانَكَ! سَبيلُكَ جَدَدٌ[١]، وَأَمْرُكَ رَشَدٌ، وَأَنْتَ حَيٌّ صَمَدٌ.

سُبْحانَكَ! قَوْلُكَ حُكْمٌ[٢]، وَقَضاؤُكَ حَتْمٌ، وَإِرادَتُكَ عَزْمٌ.

سُبْحانَكَ! لا رادَّ لِمَشِيَّتِكَ، وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِكَ[٣].

سُبْحانَكَ! [قَاهِرَ الأَرْبَابِ][٤]، باهِرَ[٥] الآياتِ، فاطِرَ[٦] السَّماواتِ، بارِىءَ النَّسِمَاتِ[٧]

يتضمن هذا المقطع سلسلة من التسبيحات مبتدءاً بقوله: (سبحانك) وهو عَلَمٌ للتسبيح، بمعنى التنزيه عن صفات الممكنات من المخلوقين، فمعنى سبحانك: هو أُنزّهك عن الأوصاف الماديّة الّتي يتبادر إلى فكر الإنسان المادي؛

---

(١) في حاشية (د): «الجدد بفتحتين: الأرض الصلبة المستوية، ومنه المثل: من سلك الجدد أمن العثار، والمعنى: أنّ طريقك لا يعثر من سلكها، وهي استعارة محسوس لمعقول. من الشرح». (راجع: رياض السالكين ٦: ٣٣٣)، وفي (س): «الجَدد: الأرض الصلبة، وفي المثل: من سلك الجَدد أمن العَثار». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

(٢) في حاشية (د): «الحكم: الحكمة، أي كلامك حكمة، وهي كل مانع من الجهل والقبيح، وأصل الحكم: المنع، فكأنّه يمنع الباطل عن معارضة الحقّ. وقيل: الحكمة من القول: الكلام النافع المانع من الجهل والسفه. من الشرح». (راجع: رياض السالكين ٦: ٣٣٢). وفي حاشية (د) ما نصه: «وفيه: أنّ من الشعر لحكما، أراد به المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس. ويروى: «لحكمة»، وهي بمعنى الحكم، ويطلق الحكم على العلم والفقه والقضاء بالعدل وفصل الأمر على ما يقتضيه الحق والصواب. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ٣٣٣).

(٣) في حاشية (د): «أي لا مغير لأحكامك، عن قتادة».

(٤) ما بين المعقوفتين من ملحق (ك) وحاشية (ج) (د): في نسخة.

(٥) في (س): «بهره بهراً: أي غلبه». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٥).

(٦) في (ت): «وفاطرَ»، وفي (س): «الفِطرة: الخلقة، وقد فَطَره يفطُره ـ بالضم ـ فطراً: أي خَلَقه». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٦).

(٧) في (س): «النسم: جمع نسمة، وهي النفس، والنسمة: الإنسان». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٦).

لأن الذات المقدسة لا يمكن أن يدرك بالماديات. واسباب التسبيح كذلك لا تنحصر بحدّ وحصر، وقد عدّ منها:

١ ـ (ما أجلّ شأنك!) أي ما أعظم أمرك في الصفات والافعال.

٢ ـ (ما أسنى مكانك!) والسناء: الرفعة، أي ما ارفع مكانك في العقل من حيث الرتبة.

٣ ـ (ما أصدع فرقانك!) والصدع: الشق، والحق الثابت الذي لا ينكر، والفرقان: المفرق بين شيئين، والمعنى: التعجب من الحد الفاصل الواضح الذي شقّه في اثبات الحق يعني الفرق بين الحق والباطل في رسالة الإسلام، فلا التباس في المفاهيم الإسلامية مهما كانت المحاولات لتحريفها؛ فإن الحق يعلو ولا يعلى عليه.

٤ ـ (ما ألطفك!) واللطف: الحركة الخفيّة في تدبير الأمور الدقيقة، ووصف تعالى به باعتبار رفقه بعباده بتدبير حياتهم بدقة متناهية من حيث لا يعلمون.

٥ ـ (ما أرأفك!) والرأفة: أعلى درجات الرحمة؛ لأنها لا تكاد تقع في مكروه.

٦ ـ (حكيم، ما أعرفك!) والحكمة: اصابة الحق بالعلم والعمل، وهي بالنسبة إلى الله تعالى معرفة الاشياء وإيجادها على غاية الإحكام.

٧ ـ (مليك، ما أمنعك!) والمليك: ذو الملك المتصرف في الأمر والنهي، والمناعة: العز والحماية.

٨ ـ (جواد، ما أوسعك!) والجود: افادة ما ينبغي لا بعوض، وجوده تعالى: إفاضة الخير من غير بخل ومنع لسعة جوده.

٩ ـ (رفيع، ما أرفعك!) الرفيع: الشريف، وشرف ذات الواجب الوجود دونه أي شرف.

١٠ ـ (ذو البهاء) والبهاء: ما يملأ العين من الجمال، وبهاء الله يملأ القلوب الّتي تنظر إليه بعين البصيرة.

١١ ـ (ذو المجد) وهو السعة في الكرم، ومجده تعالى: سعة جوده على المخلوقات عامة.

١٢ ـ (ذو الكبرياء) وهو الترفّع والاستنكاف عن الانقياد، ولا يستحق هذه الصفة سوى الله سبحانه.

١٣ ـ (بسطت بالخيرات يدك) وبسط اليد كناية عن محض الجود، حيث أفاضت خيراته على العالم كله.

١٤ ـ الهداية من الله سبحانه، وهي اراءة الطريق والصراط المستقيم ببعث الرسل والكتب.

١٥ ـ ومن التمس الله وجده؛ فإن من يقصد الله لتحصيل دين او دنيا يدرك ما يرشده إليه تعالى من الفضل والإحسان بسبب الهداية إلى الصراط المستقيم في كل عمل يقوم به الإنسان في حياته على اختلاف الحالات المقدرة تقديراً حكيما بالأسباب والمسببات، التي أبى الله ان يجري الأمور بدونها[1].

١٦ ـ (خضع لك من جرى في علمك) فكل مخلوق بحكم كونه ممكناً يفتقر إلى واجب الوجود، فهو خاضع ومنقاد يجري عليه حكم الله تعالى المقدّر في علمه سبحانه من دون استثناء.

١٧ ـ (خشع لعظمتك ما دون عرشك) فكل المخلوقات في الأرضين والسماوات مما دون العرش خاشعة لعظمته تعالى ومتواضعة لقدرته الحاكمة عليها جميعاً.

١٨ ـ (انقاد للتسليم لك كلّ خلقك) والتسليم: الانقياد للحكم، وكلّ الخلق من انسان وحيوان ونبات وجماد ممّا خلقه الله تعالى في الكون يقوم بدوره حسب ما قدّره سبحانه له من القدرة المستفادة لحكمه النافذ.

١٩ ـ (لا تحسّ) بالحواس الخمس الظاهرة؛ لأن الذات المقدسة ليس جسماً محسوساً، ولا بالحواس العقلية الباطنة؛ لأنها في إرادة الإنسان المادي، وهو لا يمكنه أن يفكر إلّا في حدود المادّة والماديات ولايمكنه ادراك حقيقة المجرّدات.

٢٠ ـ (ولا تجسّ) والجس: هو المس باليد، كجس النبض؛ فإن ذلك من لوازم الجسمية، فالله مبرّءٌ عنها.

---

(١) الفصول المهمة في أصول الائمة ١: ٦٤٧.

٢١ ـ (ولا تمس) والمس هو اللمس من غير حائل، ولا يكون إلّا في الاجسام دون المجردات.

٢٢ ـ (ولا تكاد) والكيد: الخديعة والمكر؛ لأنه تعالى عالم بالنيّات، ولا يكون الكيد إلّالمن يجهله.

٢٣ ـ (ولا تماط) والإماطة: التنحية؛ والله اقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

٢٤ ـ (ولا تنازع) والمنازعة: المخاصمة، وهي تكون فيمن تخفى عليه الأمور، والله اعلم بما تخفي الصدور.

٢٥ ـ (لا تجارى) والمجاراة: المناظرة، وهي عادة تكون لاظهار الفضل، والله غنيّ عن العالمين.

٢٦ ـ (لا تمارى) والمماراة: المحاججة لاثبات ما وقع فيه تردد، وليس في حكم تعالى تردد.

٢٧ ـ (لا تخادع) والخداع: إظهار خلاف ما يريد، والله لا يخفى عليه شيء.

٢٨ ـ (لا تماكر) والمكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة تخفى على الماكر، والله عالم بما في الصدور.

٢٩ ـ (سبيلك جدد) أي طريقك صلب، أي واضح لا يمكن الضلالة فيه لمن أراد الصراط المستقيم.

٣٠ ـ (أمرك رشد) فإن أفعال الله سبحانه وأقواله كلها لمصلحة الإنسان في نفسه ومجتمعه، وفيها تكون سعادته بكونه عضواً صالحاً في المجتمع يقوده الرشد إلى الهدى والاستقامة.

٣١ ـ (الحيّ الباقي) الذي لا سبيل للموت إليه.

٣٢ ـ (الصمد) الذي يصمد إليه في الحوائج، أي يقصد إليه؛ لكونه المعبود بالحق دون غيره.

٣٣ ـ (قولك حكم) أي الوحي المنزل في القرآن الكريم حكم نافذ مانع من الجهل والباطل.

٣٤ ـ (قضاؤك حتم) والقضاء: الفصل في الأمور، والحتم: ابرامها من دون تردد.

٣٥ ـ (إرادتك عزم) فإن إرادته تعالى الحقيقية لا تتخلف عن المراد، فهي إرادة عزم مقطوعة باتة.

٣٦ ـ (لا رادّ لمشيتك) أي الارادة الحتمية الّتي هي آخر مراتب الطلب ولايتخللها شيء آخر، من الرد والشفاعة والتردد، كما هو الحال في مراتب الطلب من الإنسان المادي.

٣٧ ـ (لا مبدّل لكلماتك) والكلمات هي الأحكام الوضعية والتشريعية الّتي بشّر بها الدين بالوحي المنزل على الرسل، ودين الله واحد لا يتغيّر ولا يتبدل باختلاف الرسل حسب الظروف والأحوال الّتي مرت بها البشرية حتى بلغها خاتم الرسل كاملة في التشريع والحكم، وكلمة الله هي العليا ولا تبديل لها.

٣٨ ـ (باهر الآيات) فإن آيات الله سبحانه باهرة مضيئة في الأنفس والآفاق الّتي تدل على وجود الخالق.

٣٩ ـ (بارئ النسمات) والنسمة: النفس، فالله سبحانه هو خالق الأنفس.

و قد ختم التسبيحات بهذه الأخيرة الّتي لا يمكن لأي انسان ان ينكر حياته وصورة الخلق الّتي أكرمه الله بها في أحسن تقويم؛ فإن التأمّل في خلق النفس يوصل الإنسان إلى الاعتراف بخالقه كما في الحديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه»(١) ويراجع المادة في المعجم.

[٦/٤٧ ـ حمد الله]:

و(٢)لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَدُومُ بِدَوامِكَ.

وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً خالِداً بِنِعْمَتِكَ.

وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوازي صُنْعَكَ.

---

(١) مصباح الشريعه: ١٣.

(٢) في (ت): «وَعَرَّفْتَ».

وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَزيدُ عَلى رِضاكَ.

[وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً مَعَ كلّ حَمْدٍ](١).

وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً مَعَ [حَمْدِ](٢) كُلِّ حامَدٍ، وَشُكْراً يَقْصُرُ عَنْهُ شُكْرُ كُلِّ شاكِرٍ.

حَمْداً لا يَنْبَغي اِلّا لَكَ، وَلا يُتَقَرَّبُ بِهِ اِلّا اِلَيْكَ.

حَمْداً يُسْتَدامُ بِهِ الْاَوَّلُ وَيُسْتَدْعى بِهِ دَوامُ الآخِرِ.

حَمْداً يَتَضاعَفُ عَلى كُرُورِ الأَزْمِنَةِ، وَيَتَزايَدُ أَضْعافاً مُتَرادِفَةً.

حَمْداً يَعْجِزُ عَنْ إِحْصائِهِ الْحَفَظَةُ، وَيَزيدُ عَلى ما أَحْصَتْهُ في كِتابِكَ الْكَتَبَةُ.

حَمْداً يُوازِنُ عَرْشَكَ الْمَجيدَ، وَيُعادِلُ كُرْسِيَّكَ الرَّفيعَ.

حَمْداً يَكْمُلُ لَدَيْكَ ثَوابُهُ، وَيَسْتَغْرِقُ كُلَّ جَزاءٍ جَزاؤُهُ.

حَمْداً ظاهِرُهُ وَفْقٌ لِباطِنِهِ، وباطِنُهُ وَفْقٌ لِصِدْقِ النِّيَّةِ [فيه](٣).

حَمْداً لَمْ يَحْمَدْكَ خَلْقٌ مِثْلَهُ، وَلا يَعْرِفُ أَحَدٌ سِواكَ فَضْلَهُ.

حَمْداً يُعانُ مَنِ اجْتَهَدَ في تَعْديدِهِ، وَيُؤَيَّدُ مَنْ أَغْرَقَ نَزْعاً(٤) في تَوْفِيَتِهِ(٥).

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ت).

(٢) ما بين المعقوفتين لم ترد في (ت).

(٣) ما بين المعقوفتين من (س) (ت) وحاشية (ج)، وفي (د): «فيه ـ س».

(٤) في (ت): «أغرق تبرّعاً»، وفي (س): «أغرق النازع في القوس: أي استوفى مدّها، ونزع في الشبه إلى أبيه: أي ذهب». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٦).

(٥) في (ت): «في توقيته»، وفي حاشية (ج) (د): «توقيته ـ س»، وفي (س): «والحمد يقوى من استوفى ذهاباً في توفيته. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٦)، وفي حاشية (د) ما نصه: =

حَمْداً، يَجْمَعُ(١) ما خَلَقْتَ مِنَ الْحَمْدِ، وَيَنْتَظِمُ ما أَنْتَ خالِقُهُ مِنْ بَعْدُ.

حَمْداً، لا حَمْدَ أَقْرَبُ(٢) إِلَى قَوْلِكَ مِنْهُ، وَلا أَحْمَدَ(٣) مِمَّن يَحْمَدُكَ(٤) بِهِ.

حَمْداً يُوجِبُ بِكَرَمِكَ الْمَزِيدَ بِوُفُورِهِ(٥)، وَتَصِلُهُ(٦) بِمَزِيدٍ بَعْدَ مَزِيدٍ؛ طَوْلاً مِنْكَ.

حَمْداً يَجِبُ لِكَرَمِ وَجْهِكَ، وَيُقابِلُ عِزَّ جِلالِكَ.

في هذا المقطع سرد لبعض أنواع الحمد الذي ينبغي أن يحمد بها الله سبحانه، فهي على اجمال بعضها تشير إلى أنّ حمد الله سبحانه لا يمكن ان ينتهي إلى حدّ محدود ولا ينحصر بعدد معدود؛ لأن آثار الوجود في الحياة في النفس وفي جميع المخلوقات في الأرض والسماوات تقتضي ذلك، وهي ليست محدودة ولا معدودة في علم الإنسان المادي في تفكيره، وقد أشار إلى بعضها:

«نزع القوس نزعا من باب ـ ضرب ـ: مدّها، يقال: أغرق الرامي نزعا، أي استوفى مدّ القوس وبالغ فيه، و«نزعاً»: تمييز محوّل عن المفعول، الأصل أغرق نزع القوس، أي بالغ وأطنب في مدّها وبلغ غايته، هذا هو الأصل فيه، ثم استعير لكلّ من بالغ في شيء، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أغرق في النزع»، أي بالغ في الأمر وانتهى فيه. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ٣٥٥).

(١) في (ت): «يخلف جميع ما خلقت»، وفي حاشية (د): «جمعت الشيء جمعا، من باب نفع: ضممته».

(٢) في (ت): «حمدا لا أقرب».

(٣) في (ت): «لا أحمد ممن يحمد به»، وفي هامش (ت): «لا أحمد ممن حمد به ـ صح»، وفي حاشية (د): «[أحمد]: أفعل التفضيل من الحمد، وهو اما بمعنى الفاعل أو المفعول».

(٤) في حاشية (ج) (د): «تحمّدك ـ س».

(٥) في (ت): «لوفوره».

(٦) في (ت): «وَفَضله».

١ ـ الحمد بدوام ملك الله سبحانه على الخلق اجمعين، وحيث ان الذات المقدسة دائمة فيكون الحمد كذلك دائماً.

٢ ـ الحمد الخالد خلود الابد، أي دوام البقاء إلى الأبد.

٣ ـ الحمد الموازي لصنع الله، والموازاة: المقابلة، وحيث ان ما صنعه الله بقدرته من المخلوقات لا حصر لها فيكون الحمد كذلك.

٤ ـ الحمد الزائد على رضا الله تعالى؛ فإنه سبحانه يرضى بالقليل، وهو غير مطلوب في مقام الحمد.

٥ ـ الحمد مع كل حمد يصدر من أي حامد، فيكون الحمد بعدد أنفاس الحامدين من الخلائق.

٦ ـ الشكر الذي يقصر عنه كل شاكر؛ فإنّ كلّ شاكر يشكر المنعم على خصوص ما أنعم، وهذا الشكر لا يختص بذلك، بل يتعداه إلى كل شاكر من الخلق.

و في سرد الشكر ضمن أنواع الحمد دلالة على أنّ الشكر نوع داخل تحت عنوان الحمد؛ فإنه لا يمكن ان يكون الإنسان شاكراً غير حامد، بل هما متلازمان.

٧ ـ الحمد الذي لا ينبغي صدوره من انسان إلّا لله تعالى؛ لأن أي حمد على الجميل الاختياري الصادر من الإنسان يرجع إلى القدرة والهداية الّتي أنعم الله بها، فينبغي الحمد في الحقيقة لله، لا لغيره.

٨ ـ الحمد الذي بسببه يستديم الحمد الأول ويستتبعه؛ فإن الحمد خير، وفعل الخير يستديم.

٩ ـ الحمد الذي بسببه يستدعي ويطلب دوام آخر حمد يصدر من الإنسان.

١٠ ـ الحمد المتضاعف على كرور الأزمنة من الأيام والليالي والساعات والثواني والدقائق والثوالث... وهكذا، فإن كل لحظة منها تلازم نعمة الحياة الّتي تقتضي الحمد أضعافاً مترادفة متتابعة حسب تتابع الازمنة.

١١ ـ الحمد الذي يعجز عن احصائه عدداً الحفظة الموكّلون بالإحصاء؛ لأن التقابل في العدد يكون تعاملا بالمقايضة، وليس حمداً حقيقياً حتى يفوق ذلك من حيث العدد.

١٢ ـ الحمد الزائد على ما أحصته الكتبة الموكّلون بكتابة الأعمال في اليمين والشمال في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها[1].

١٣ ـ الحمد الموازن للعرش المجيد، وحيث أن العرش فوق السماوات والأرض، في الوزن، فالموازن المعنوي لا يكون إلّا كذلك.

١٤ ـ الحمد المعادل للكرسي وحيث أن كرسيّه تعالى، أي علمه وسع السماوات والأرض، فالمعادل لا يكون إلّا كذلك.

١٥ ـ الحمد الكامل من حيث الثواب، أي الحاصل ما فيه الغرض، وهو الثواب المطلوب.

١٦ ـ الحمد المستغرق جزاءه لكل جزاء يتصور أن يكون صالحاً للجزاء، ويقصر عنه الوصف المادّي.

١٧ ـ الحمد الذي ظاهره المعلن يوافق السر الذي هو باطنه المستتر، فلا خفاء في حقيقته.

١٨ ـ الحمدِ الذي في سرّه يوافق صدق النية وخلوصها في الحمد، فإن الحمد عبادة وهي لا تتحقق إلّا بالنية، فيكون وجود النية شرط في قبوله.

١٩ ـ الحمد الذي لم يحمد أحَد من الخلق مثله، فكل ما يحمد به الخلق محدود بالعدد أو الزمان أو المكان أو النوعية، وهذا الحمد يكون أعلا منها جميعاً.

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. (القرآن الكريم، سورة الكهف ١٨: ٤٩)

٢٠ ـ الحمد الذي لا يعرف فضله سوى الله تعالى؛ فإن الفضائل المذكورة للحمد محدودة بالزمان والمكان والحالات، وهذا الحمد أوسع منها جميعاً.

٢١ ـ الحمد الذي يفتقر في عدّه إلى الإعانة من الله؛ لأنّه فوق الحصر، فيوجب الحمد والمشقة الّتي لا يتمكن منها الإنسان.

٢٢ ـ الحمد الذي يمدّ المبالغ أقصى المبالغة في الوفاء بالحمد والتأييد بمعنى المدد، وكذا النزع والاغراق: أي المبالغة، قال الشارح: «والمعنى حمداً يؤيد العناية الإلهيّة من بالغ أمره في إيفائه حقّه الذي يجب له من الآداب والسنن وإخلاص النية وصدق الرغبة وغير ذلك»[١].

٢٣ ـ الحمد الجامع لكل لما خلقه الله من الحمد الذي يصدر من عباده فيما مضى وما يأتي في المستقبل، فيكون الحمد الناظم، أي الشامل لما يخلقه الله تعالى من الحمد الذي يصدر في المستقبل أيضاً.

٢٤ ـ الحمد الأقرب إلى قول الله تعالى الآمر بالحمد بحيث لا يكون حمد أقرب منه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[٢] وقال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٣] وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾[٤] وغيرها من الآيات الآمرة بالحمد.

وقال الشارح: «وإلى قولك، أي إلى ما تُؤثره وتعنى به من الحمد ـ إلى أن قال: ـ ويحتمل ان يراد به الحكم، أي حكمك بأن تحمد، والقول بهذا المعنى مشهور، ومنه في التنزيل: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾[٥] أي حكمه تعالى عليهم[٦]».

---

(١) رياض السالكين: ٦: ٣٥٥.
(٢) القرآن الكريم، سورة الاسراء ١٧: ١١١.
(٣) القرآن الكريم، سورة النَّمل ٢٧: ٥٩.
(٤) القرآن الكريم، سورة النَّمل ٢٧: ٩٣.
(٥) القرآن الكريم، سورة يس ٣٦: ٦.
(٦) رياض السالكين ٦: ٣٥٦.

٢٥ ـ الحمد الذي لا أحمد مما يصدر من الحامدين منه، فينفرد الحمد هذا بفضله على كل حمد.

٢٦ ـ الحمد الذي يوجب المزيد بسبب فضل كرم الله تعالى، ويكون الزيادة بوفوره، أي كثرته في وقت خاص يتصل بمزيد بعد مزيد في الأوقات المتصلة وقتاً بعد وقت، وزمانا بعد زمان، كل ذلك بسبب طوْله تعالى، أي فضله ومنّه.

٢٧ ـ الحمد الواجب على الإنسان المسؤول في حياته، لا لغرض سوى كرم وجهه تعالى.

٢٨ ـ الحمد الذي لا يقابله شيء سوى عزّ جلال الله تعالى، والعز: الغلبة، والجلال: العظمة.

وقد ختم سلسلة التحميد به؛ حيث انه لا يتصور حمد لائق بالذات المقدسة سوى نفس الذات المقدسة المتصفة بالعزّ والغلبة والجلال والعظمة؛ فإن أيّ حمد متصوّر يكون دون ذلك.

[٤٧/٧ ـ الصلاة على محمّد وآل محمّد]:

رَبِّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، الْمُنْتَجَبِ الْمُصْطَفى، الْمُكَرَّمِ الْمُقَرَّبِ، أَفْضَلَ صَلَواتِكَ، وَبارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ[1] بَرَكاتِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَماتِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، صَلاةً زاكِيَةً لا تَكُونُ صَلاةٌ أَزْكى مِنْها.

وَصَلِّ عَلَيْهِ[2] صَلاةً نامِيَةً لا تَكُونُ صلاةٌ أَنْمى مِنْها.

---

(١) في (ت): «بأتمّ».

(٢) في (ت): «وصلّ على محمّدٍ وآله».

وَصَلِّ عَلَيْهِ[١] صَلاةً راضِيَةً لا تكُونُ[٢] صَلاةٌ فَوْقَها.

رَبِّ[٣] صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ صَلاةً تُرْضيهِ وَتَزيدُ عَلى رِضاه.

وَصَلِّ عَلَيهِ صَلاةً تُرْضيكَ وَتَزيدُ عَلى رِضاكَ لَهُ.

وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاةً لا تَرْضى لَهُ إلّا بِها، وَلا تَرى غَيْرَهُ لَها أَهْلاً[٤].

رَبِّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، صَلاةً تُجاوِزُ رِضْوانَكَ، وَيَتَّصِلُ اتِّصالُها بِبَقائِكَ، وَلا تَنْفَدُ[٥] كَما لا تَنْفَدُ كَلِماتُكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ، صَلاةً تَنْتَظِمُ[٦] صَلَواتِ مَلائِكَتِكَ

---

(١) في (ت): «وصلّ على محمّدٍ وآله».

(٢) في حاشية (د): «لم يتعرض الشهيد رحمه الله لحكاية الإعجام من تحت، والمحكي عن نسخة ابن إدريس رحمه الله هنا أيضا هو الاعجام من تحت».

(٣) لم ترد في (ت): «رَبِّ».

(٤) قال السيد الخرسان في هامش (حاشية ابن إدريس) ما نصه: «جاء في هامش النسخة اليمانية تعليقاً على قول الإمام عليه السلام بخط يشابه خط الحواشي الأُخرى، ممّا جعلني أحتمل أنّه من ابن إدريس: (وصلّ عليه صلوات لا ترضى له إلّا بها، ولا ترى غيره لها أهلاً...). لا منافاة بين هذا الكلام وبين قولهم: اللّهمّ صلّ على محمّد وآله كما صلّيت على إبراهيم، لأنّ وجه الشبه انّه قيل كانت الصلاة على إبراهيم صلاة لم ير الله جلّ ثناؤه غير إبراهيم لها أهلاً، والصلاة على محمّد صلى الله عليه وآله وسلم صلاة لم ير الله عزّ شأنه غير نبينا لها أهلاً، وبهذا يظهر جواب الاعتراض من أنّ وجه الشبه يكون في المشبّه به أقوى». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٦).

(٥) كذا في (ت)، وفي غيرها: «وَلا ينفد».

(٦) في حاشية (د) ما نصه: «تنتظم: أي تنظم وتجمع، وصيغة الافتعال هنا للمبالغة، ككسب واكتسب. قال الرضي: لابد لزيادة البناء من معنى ولو لم يكن إلّا التأكيد. وما وقع في بعض التراجم: أن «انتظم» ومضارعه لم يرد إلّا لازما ولم يسمع متعدّيا. لا التفات إليه، وما زعمه ان «تنتظم» هنا بمعنى: تختل، من قولهم: انتظمه بالرّمح: =

وَأَنْبيائِكَ وَرُسُلِكَ وَأَهْلِ طاعَتِكَ، وَتَشْتَمِلُ عَلى صَلَواتِ عِبادِكَ مِنْ جِنِّكَ وَإِنْسِكَ وَأَهْلِ إِجابَتِكَ، وَتَجْتَمِعُ(١) عَلى صَلاةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ وَبَرَأْتَ مِنْ أَصْنافِ خَلْقِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ(٢) وآلِهِ، صَلاةً تُحيطُ بِكُلِّ صَلاة سالِفَة وَمُسْتَأْنَفَة.

وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ صَلاةً مَرْضِيَّةً لَكَ وَلِمَنْ دُونَكَ(٣)،

أي اختله، ونفذ الرمح فيه، والمعنى: صلاة تنفذ في صلوات ملائكتك وأنبيائك، أي تزيد على صلوات جميعهم. خبط صريح، بل معنى تنتظم ما ذكرناه، والمعنى: صلاة تجمع المطلوب. والغرض من صلوات ملائكتك وأنبيائك... إلى آخره: وهو الاعتناء بما فيه خيره وصلاح أمره والاهتمام بإظهار شرفه وتعظيم شأنه، وإلا فالصلاة من الله تعالى مغايرة للصلاة من الملائكة ومن الآدميين على ما هو المشهور: من أنّها من الله سبحانه الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين دعاء بعضهم لبعض، فلا تكون صلاته سبحانه بمعنى صلوات غيره حتّى تجمعها. هذا إن حملنا إضافة الصلوات إلى الملائكة وغيرهم على معنى الصلوات منهم، فتكون الإضافة إلى الفاعل. وان حملناها على معنى الصلوات من الله عليهم، فالمعنى تحتوي على مقدار صلواتك عليهم وتجمع ثواب جملتها. والغرض ان يصلّي عليه صلوات تعادل وتوازي جميع صلواته على الطوائف المذكورين. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ٣٦٦ ـ ٣٦٧).

(١) في (ت): «وَتشتمل».

(٢) في (ت): «على محمّد».

(٣) في حاشية (د) ما نصه: «وقع في أكثر النسخ: «صلاة لك ولمن دونك» بدون «مرضيّة». فاللام على هذا للتعليل كقولك: أكرمتك لزيد، أي لأجله ومنه: ويوم عقرت للعذارى مطيّتي. أي: لأجلهن، والمعنى: صلاة لأجلك ولأجل من دونك، والغرض إظهار عجز من دونه سبحانه عن تأدية الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله حقّها، فسأل أن يصلّي تعالى عليه عن نفسه وعمّن دونه وعن هذا. قال بعض العلماء: لما عجز الامّة عن قضاء حقّ الرسول سألوا الله تعالى أن يقضيه عنهم، فقالوا: اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، ونظيره ما وقع في بعض المناجاة: «إلهي أنت تعلم عجزي عن مواقع شكرك فاشكر نفسك عنّي». من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ٣٦٩ ـ ٣٧٠).

وَتُنْشِيءُ مَعَ ذلِكَ صَلَوات تُضاعَفُ[(١)] مَعَها تِلْكَ الصَّلَواتِ عِنْدَها، وَتَزيدُها عَلى كُرُورِ الأَيّامِ زِيادَةً في تَضاعيفَ[(٢)] لَا [يَحْصِيهَا وَلَا][(٣)] يَعُدُّها غَيْرُكَ.

وقد عقّب الحمد لله في هذا المقطع بالصلوات، أي طلب الرحمة الإلهية للنبيّ محمد ﷺ في سلسلة مترابطة من الاوصاف المعبّرة عن الأسباب الّتي يوجبها في نفسها وتوجب تخصيص الحمد بها؛ حيث ان الرسالة الإلهيّة لم تصل الينا إلّا بواسطته، وطريق الهداية لم يتّضح لنا إلّا بارشاده، وقد عدّ من أوصافه الكريمة الّتي بها تمام الاخلاق الفاضلة ما يأتي:

١ ـ المنتجب، أي الإنسان الخالص من كل عيب.

٢ ـ المصطفى، حيث اصطفاه الله للنبوّة وهو يتقلب في الأصلاب الطاهرة والأرحام المطهّرة.

٣ ـ المكرم، حيث اكرمه الله برسالة الإسلام للعالم.

٤ ـ المقرب إلى الله سبحانه رتبة ومقاماً على غيره من المرسلين.

٥ ـ أفضل الصلوات عليه من الله تعالى، الذي لا يعلمه سوى الله كمّاً وكيفاً.

٦ ـ أتّم البركات عليه، والبركة: النعمة الدائمة النامية حالا بعد حال.

٧ ـ أمتع الرحمات عليه، والمتعة: النفع.

٨ ـ ازكى الصلوات عليه، والزكاة: الزيادة، فلا تكون صلاة أزكى منها.

---

(١) في حاشية (ج) (د): «تَضاعف، تُضاعف ـ معا»، وفي حاشية (ج) أيضا: «يتضعّف»، وفي حاشية (د): «على تقدير ان يكون تضاعف من باب التفاعل، أو مبنيا للمفعول كما في بعض الحكايات، على الظاهر رفع تاء الصلوات».

(٢) في حاشية (ج) (د): «تضاعف ـ س».

(٣) ما بين المعقوفتين من حاشية (ج).

٩ ـ أنمى الصلوات عليه، والنمو: الزيادة الطبيعية في الشيء بنفسه.

١٠ ـ صلاة راضية عليه، أي ذات رضا، أي مرضية عند الله وعند نفسه صلى الله عليه وآله وسلم.

١١ ـ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فوق رضاه صلى الله عليه وآله وسلم.

١٢ ـ الصلاة عليه فوق ما يرضى الله مما يتصوّر في حدّ الرضا الإلهي مبدءاً ومنتهىً.

١٣ ـ الصلاة عليه الّتي لا يرضى الله سبحانه للنبيّ إلّا الصلاة بها؛ لعلمه تعالى بما هو اللائق به صلى الله عليه وآله وسلم مما لا يكون غيره أهلا لها.

١٤ ـ صلاة عليه أبداً بعد رضاه تعالى بحيث يتجاوز رضوانه تعالى، وتتصل هذه الصلاة باتصالها باستمرار الدائم بقاءه، وهو الله سبحانه، فلا يكون للصلاة عليه نفاذ، أي انقطاع، كما لا تنفذ كلمات الله تعالى.

١٥ ـ الصلاة الجامعة، وهي الّتي تنتظم، أي تجمع صلوات طوائف من الخلق، وهم:

ـ الملائكة الروحانيّين.

ـ الأنبياء الذين ينبئون عن الغيب.

ـ الرسل المرسلون من الأنبياء، سواءً كانوا من أولي العزم، ام لا.

ـ أهل طاعة الله ممّن كلّف من المؤمنين، الموجّه إليهم خطاب العبادة.

ـ العبّاد من الجن الذين لا يُعرف أشخاصهم.

ـ العبّاد من الأنس الذين يعرفون بأجسادهم للأنس بحياتهم ووظائفهم.

ـ أهل الإجابة الذين أجابوا داعي الله إلى الإسلام.

وأن يضاف إلى صلاة هذه الطوائف بأن تجتمع، أي تنتظم صلواتهم مع:

ـ كل من ذرأ الله، أي بثّ من الذراري في الأرض.

ـ كل من برأ الله، أي أوجده لا عن مثال، من اصناف المخلوقات الّتي لا تدخل تحت حصر وضبط.

١٦ ـ الصلاة الكاملة باحاطتها لكل صلاة سالفة من الزمان لمضيّ وقتها،

وما هي مستأنفة محدثة في الزمان لاختلاف الوسائل للصلاة وطرق أدائها واللغات المستخدمة فيها.

١٧ ـ الصلاة المرضية عند كل الخلق بالاضافة إلى كونها مرضية لله رب العالمين تعالى، فتكون مرضية للمخلوقين من الناس اجمعين.

١٨ ـ الصلاة المضاعفة؛ فإنّ ما سبق من الصلاة تكون مضاعفة بوجوه:

الأول: بعدد الصلوات السابقة، وفي نفس الوقت الذي تتحقق فيه تلك الصلوات.

الثاني: على كرور الأيام، فيستمر التضاعف حسب تكرّر الايام.

الثالث: الزيادة في مضاعفات لا نهاية لها، بحيث تخرج عن الحصر وتكون بحيث (لا يعدّها) غير الله سبحانه، ولا يمكن ان يتصوّر صلاة كمّا وكيفا أكثر من ذلك.

[٨/٤٧ ـ الصلاة على أهل بيت النبيّ ﷺ]:

رَبِّ صَلِّ عَلى أَطائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ[١] الَّذينَ اخْتَرْتَهُمْ لأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دينِكَ، وَخُلَفآئك[٢] في أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلى عِبادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ تَطْهيراً بِإِرادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَى جَنَّتِكَ.

وعقب الصلوات على النبي محمد ﷺ بالصلوات على أطائب أهل بيته؛ لأنهم امتداد له، فهم يحملون جينات النبيّ ﷺ في دمائهم. والأطائب جمع أطيب، أفعل تفضيل من طاب، والطيب من الإنسان: من تحلّى بالمحاسن وتعرّى عن القبائح، وظاهر الاضافة أنّهم الأطائب من أهل البيت، قال الشارح: «وأهل بيته عندنا هم أهل الكساء الذين أدخلهم ﷺ معه تحت الكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم عليّ

---

(١) في (ت) العبارة هكذا: «رب صلّ على محمّد وآله أهل بيته».

(٢) في (ت): «وَخلفاكَ».

وفاطمة والحسنان كما تواترت به الروايات، ثم أُطلق أهل البيت على باقي الأئمة المعصومين عليهم السلام تغليباً - إلى أن قال: - فإن حملت أهل بيته في عبارة الدعاء على الأئمة المعصومين عليهم السلام فإضافة الأطائب إليهم من إضافة الصفة إلى موصوفها، أي أهل بيته الأطائب، وإن حملته على مطلق الأولاد فإضافة بيانية، والمعنى الأطائب من أهل بيته، فالموصول على الأول يحتمل ان يكون نعتاً للمضاف وللمضاف إليه، وعلى الثاني نعت للمضاف لا غير»(١).

ويتضمن هذا المقطع الاسباب الداعية إلى الصلوات عليهم، ثم يتبعها بأنواع الصلوات.

أمّا أسباب الصلوات على الأطائب من أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فقد أشار إلى سبعة منها، وهي:

١ - (اختيارهم لأمر الله)، أي إحياء معالم الدين على سنة جدهم صلى الله عليه وآله.

٢ - (خزنة علم الله) الذي أوحاه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وورثه عنه أهل بيته عليهم السلام.

٣ - (حفظة دين الله)، فهم ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين.

٤ - (خلفاء الله في أرضه)، فهم يطبّقون احكام الله على الأرض.

٥ - (حجج الله على العباد) بنصبهم اعلاماً للهداية إلى الإسلام.

٦ - (المطهرون من الرجس)، وهو القذارة. والدنس: الوسخ.

٧ - (الذين جعلهم الله الوسيلة إليه) في تعريفهم احكام الله وسائر المفاهيم الإسلامية.

وكل واحدة من هذه الاسباب توجب الصلاة على الأطائب من أهل البيت، فكيف بها وهي مجتمعة فيهم!؟

[٩/٤٧ - أنواع الصلوات]:

رَبِّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِهِ(٢) صَلاةً تُجْزِلُ لَهُمْ بِها مِنْ

---

(١) رياض السالكين ٦: ٣٧٢.

(٢) في (ت): «رب صلّ عليهم».

نِحَلِكَ(١) وَكَرامَتِكَ، وَتُكْمِلُ [بِهَا](٢) لَهُمُ الأَشْيآءَ(٣) مِنْ عَطاياكَ وَنَوافِلِكَ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوائِدِكَ وَفَوائِدِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ(٤) صَلاةً لا أَمَدَ في أَوَّلِها، وَلا غايَةَ لأَمَدِها، وَلا نِهايَةَ لآخِرِها.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ(٥) زِنَةَ عَرْشِكَ وَما دُونَهُ، وَمِلْءَ(٦) سَماواتِكَ وَما فَوْقَهُنَّ، وَعَدَدَ أَرَضِيكَ(٧) وَما تَحْتَهُنَّ وَما بَيْنَهُنَّ، صَلاةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفى، وَتَكُونُ لَكَ وَلَهُم رَضِىً، وَمُتَّصِلَةٌ(٨) بِنَظآئِرِهِنَّ أَبَداً.

وعدد عليه السلام نوعين من أنواع الصلوات عليهم:

---

(١) في (ت): «من نحلتكَ»، وفي حاشية (ج) (د): «تحفك ـ س»، وفي (س): «النحلة: العطية من غير طلب». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٢) ما بين المعقوفتين من (ت) وحاشية (ج) في نسخة، وفي حاشية (ج) (د) أيضا ما نصه: «زيادة «بها» ـ س».

(٣) في (ت): «الأسنى»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «الأسنى».

(٤) في (ت) العبارة هكذا: «رب صل على محمّد وآله».

(٥) في (ت) العبارة هكذا: «رب صل على محمّد وآله».

(٦) في (ت) العبارة هكذا: «ملاء».

(٧) في (ت) العبارة هكذا: «أرضك».

(٨) في (ت) العبارة هكذا: «متصلة»، وفي حاشية (د) ما نصه: «قوله عليه السلام: «ومتّصلة» يروى بالرفع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، أي وهي متّصلة. وسوغه كونها صفة للمبتدأ في المعنى، والجملة في حيّز الحال من «الصلاة» على معنى: والحال أنّها متّصلة، ويروى بالنصب، وفي نصبها وجوه، أحدها: أن تكون عطفا على «رضى». الثاني: أن تكون عطفا على جملة «تقرّبهم»، من باب عطف المفرد على الجملة. الثالث: أن تكون صفة للمحذوف معطوف على صلاة، أي وصلاة أخرى متّصلة بنظائرهنّ، ونظيرها في الوجهين قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ (سورة الانسان ٧٦: ١٤) في قراءة النصب من قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾. من الشرح ملخصاً». (رياض السالكين ٦: ٣٨٥).

منها: ما يخصهم، لقيامهم بدور المحافظة على تراث جدّهم النبيّ صلى الله عليه وآله.

ومنها: ما يشاركون فيها جدهم النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنهم جميعاً مشاعل الهداية الإسلامية الّتي أوقدها النبيّ صلى الله عليه وآله وحافظ عليها أهل بيته.

وقد أشار إلى النوعين بنقاط:

١ ـ الصلوات الجزيلة. والنحلة أي العطية، والكرامة أي التمامية.

٢ ـ الصلوات المكملة لهم الاشياء الّتي يستندون إليها في اداء دورهم من العطايا. والنوافل، أي الإحسان.

٣ ـ الصلوات التي توفر عليهم الحظّ والنصيب من العوائد، أي الصلة والمعروف، والفوائد مما يحصله الإنسان.

واما الصلوات الّتي يشاركون فيها جدهم، فهي:

٤ ـ الصلوات الأزلية الأبدية الّتي لا أمد في أوّلها ولا غاية لأمدها، ولا نهاية لآخرها.

قال الشارح: «الأمد يستعمل لمعنيين؛ احدهما: الغاية، بمعنى النهاية. والثاني: مدة الشيء المضروب لها حد ينتهي إليه ـ إلى أن قال: ـ فالأمد الأول في قوله عليه السلام: (لا أمد في اولها) بمعنى الغاية، أي لا غاية لها يرتقي إليها زمان حصولها. والمعنى: لا حدّ لأولها يكون مبدءًا لها ـ أن قال: ـ والأمد الثاني في قوله: (ولاغاية لأمدها) بمعنى المدة الّتي تكون فيه، والغاية بمعنى المنتهى، أي لا انتهاء لمدتها، والغرض ان تكون الصلاة عليهم أزلية أبدية، بمعنى استمرار وجودها في أزمنة غير متناهية، لا في جانب الماضي وهو الأزل، ولا في جانب المستقبل وهو الأبد. وقوله عليه السلام: (ولا نهاية لآخرها) أي لا منتهى ولاغاية لما تأخر وجوده وكان بعد الأول منها، فالمراد بالآخر خلاف ما تقدم منها وسبق، لا بمعنى ما ليس بعده صلاة حتى يلزم التناقض بنفي النهاية عنه»[1].

---

(١) رياض السالكين ٦: ٣٨١.

قال الجلالي: ان كلمة: «الأمد» في الموردين بمعنى واحد، إمّا الغاية أو المدة، والتفريق بين المعنيين في الموردين يأباه السياق، ولا يمكن إرادة معنى الغاية منها إلّا بتكلّف؛ لاستعمال كلمة «الغاية» في معناها الظاهر منها، فيتعين الأمد بمعنى المدة المضروبة للحد، فيكون المعنى: «الصلاة الأزلية الأبدية الّتي لا حّد في اولها. ولا غاية، أي منتهى لحدّها، ولا نهاية لآخرها» وذلك لأنها صلاة أزلية بلا حدّ في اولها، وأبدية بلا نهاية في آخرها، والله العالم.

٥ ـ الصلوات زنة عرش الله وما دونه مما يحكم فيه العرش من الكون.

٦ ـ الصلوات ملء السماوات الّتي خلقها الله وما فوقهنّ من السماوات العليا.

٧ ـ الصلوات عدد الأرضين باختلاف طبقاتها من القارّات المتباينة وما تحتهنّ من الذخائر والآثار كالنفط والمعادن، وما بينهنّ من البحار والأنهار.

فالصلوات اللائقة على محمّد وعلى أهل بيته تعادل خلق الله للعالم كله، لأنّ نور الهداية الإسلامية بالعدل على الحياة يعم العالم كله، حيث فجّرها رسول الإسلام وطبقّها حماة الدين من أهل بيته بدمائهم وأنفسهم حاملين مشعل الهداية عالياً.

وبالنتيجة: تقرّبهم هذه الصلوات من الله سبحانه زلفى، أي قرباً زائداً يكون لله فيها رضىً بقبول دورهم في أداء الرسالة، ولهم رضاه بالأجر الجزيل من التقرب إلى الله سبحانه، وتكون هذه الصلوات متصلة بصلوات أُخرى نظائر لهن اتصالا أبدياً من دون انقطاع.

[١٠/٤٧ ـ خصائص الإمام]:

أللّهُمَّ إنَّكَ أَيَّدْتَ دينَكَ في كُلِّ أَوان بِإمام مِنْهُمْ[١] أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبادِكَ، وَمناراً في بِلادِكَ بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ

---

(١) كلمة: «منهمْ» من (ت) فقط.

الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامتِثالِ أوَامرِهِ[1]، وَالِانْتِهاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلا يَتَأَخَّر عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهآءُ[2] الْعالَمِينَ.

وحيث انّ الامة الإسلامية ـ كأية أُمّة اخرى ـ لا يمكن أن تحافظ على قيمها ومبادئها إلّا بقيادة حكيمة، يتحمل مسؤولية القيادة فيها من يتصف بمؤهلات القيادة، خص هذا المقطع للتعريف بمن يقوم بهذه المسؤولية الكبيرة، وهي إمامة المسلمين الّتي بها قوام الأمة، اذ بدونها تصبح الامة فريسة للأعداء، والإنسان الفاقد لثقافة معرفة التاريخ ـ الذي يعيد نفسه في الماضي والحال والمستقبل ـ يقع فريسة لاصحاب المطامع السياسية.

والتاريخ يشهد بأن الله أيّد هذا الدين في كل عصر بمن يتحمّل هذه القيادة سواءً تمكن من الحكم ام لا، فإن دور القائد هو التحرّك حسب ما تسمح له الظروف والأحوال في كل عصر ومصر، فإذا تمكن من تطبيق الدين بالطرق الإسلامية نفّذ ذلك، واذا لم يتمكّن تمسك بالطرق الإسلامية لتطبيقها على حياته ومن يتبعة ويشاركه في تلك الثوابت حتى النصر أوالشهادة، وحياة الرسول القائد والصحابة العظام وأهل بيته الكرام وشهداء الإسلام على طول التاريخ شاهد حيّ على ذلك، ومواقف الأئمة في شتى المجالات خير دليل على ذلك، والتاريخ يعيد نفسه.

وقد سرد في هذا المقطع بعض الصفات العامة المطلوبة في القائد المتحمّل لمسؤولية القيادة، منها:

١ ـ القيام بالامر؛ فالإمام المتحمل مسؤولية القيادة يقوم بهذه المسؤولية حسب الظروف والأحوال ولا يتخاذل عنها.

---

(١) في (ت) وملحق (ك): «أمره»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «أمره».
(٢) في (ت): «وَنهج».

٢ ـ كونه علما للعباد؛ بأن يكون معروفاً في تاريخه الماضي الذي يكشف عن دوره في المستقبل.

٣ ـ كونه منارا في البلاد؛ بأن يكون صاحب ورقة عمل واضحة لتثقيف المجتمع لثقافة الإسلامية الاصيلة.

٤ ـ أن يتصف بالتقوى (بعد أن وصلت حبله بحبلك) بأن يكون تحركه على التمسك بحبل الله دون الاستعانة بالآخرين.

٥ ـ يكون مرجعا في الأمور؛ فيكون (الذريعة) والوسيلة (إلى رضوان الله) لأنه صاحب الكفاءة لبيان احكام الله.

٦ ـ يكون مفترض الطاعة؛ لأنه من مصاديق اولى الأمر الذين أمر الله بطاعتهم.

٧ ـ يكون منهيّا عن معصيته؛ لأنه يمثل مصلحة الإسلام والمسلمين بصورة عامة، فتكون معصيتهُ خرق لهذه المصلحة العامة.

٨ ـ يمتثل أمره؛ لأن أمره ليس إلّا نابعاً من الاجتهاد للمصلحة العامة العائدة للإسلام والمسلمين.

٩ ـ ينتهى عند نهيه؛ لأن عدم الانتهاء عند نهيه يعد خرقا للثوابت الإسلامية، واستخداما لطرق غير مشروعة للوصول إلى الغايات الإسلامية؛ فإن الغاية لا تبرر الواسطة في الإسلام.

١٠ ـ أن يكون المبتدئ في إعلان الأمر (لا يتقدّمه متقدّم) في ذلك، سواءً في ذلك الافراد أو الجماعات؛ فإن إعلان الأمر يختص بالقائد دون غيره.

١١ ـ عدم التخلّف عنه، وذلك في صورة عدم الوفاق على الرأي بين الإمام وغيره من الأفراد والجماعات، فإنه لا يحق لمن له الرأي المخالف ان يتخلّف عن رأي القائد، فإن القائد ينظر إلى المصلحة العامة، فلا ينبغي أن يتخلّف عنه أحد، على ان المخالفة لا تحل أية مشكلة، بل تزيد المشكلة تعقيداً، ومن يلتزم

بالمصلحة العامة لا ينبغي ان يزيد المشكلة تعقيدا، وعليه أن يحتفظ برأيه المخالف لنفسه ولا يتخلّف عن القائد ما دام يخدم المصلحة العامة.

وختم هذا المقطع بأسباب أربعة توجب ما تقدم من خصائص الإمام القائم، وهي:

أولاً: عصمة اللائذين، ففي مشاكل الحياة يعود المسلمون إليه ويلوذون به، وهو يعصمهم أي يمنعهم من الانحراف عن الشريعة.

ثانياً: كهف المؤمنين، وكما يتحصن الإنسان من الأعداء بالكهف، فيكون ملجئا له، كذلك يلجأ المؤمنون إلى الإمام للتحصّن من اعدائهم.

ثالثاً: عروة المتمسّكين، فمن آمن بالطريقة الإسلامية في الحياة تشريعاً وحكماً وتطبيقاً لابّد وان يتمسك بمن يدلّه على منهج الإسلام في الحياة الفردية والاسرية والمجتمع الخاص، والمجتمع الدولي، وكل مرافق القانون العبادي والاجتماعي والمدني والحربي، والقائد الإسلامي يكون هو العروة والمستمسك في ذلك.

رابعاً: بهاء العالمين؛ لأن القائد المسلم المتحمل للمسؤولية المطلوبة يقوم بدور مضيء بهيّ في تاريخ القيادات الّتي تتبنى اصول العدالة في الحكم، وتراعي ترجيح المصلحة العامة على المصالح الخاصة، فيكون دوره دوراً يقتدى به في الامم الاخرى من العالمين.

فإن دور النبيّ القائد في إدارة المجتمع الإسلامي في مكة المكرمة ثم المدينة المنوّرة أسس الثوابت الإسلامية في القوانين السارية على الفرد والمجتمع، وجعل الامم الُاخرى تنظر بإعجاب إلى هذا الدور القيادي الذي غيّر مصير الامة المغلوب على أمرها وجعلها تمسك بزمام أمرها بنفسها في أقل من ربع قرن، واستمر لها هذا الدور حتى سقطت امبراطوريتا الفرس والروم وشعّ نور الإسلام في العالم المادي آنذاك.

والإمام القائم يسير على سنة النبيّ الاطهر، فيكون دوره تابعاً للنبيّ في المبادي والوسائل والأهداف.

[١١/٤٧ ـ عناية الله]:

اللّهُمَّ فَأَوْزِعْ[١] لِوَلِيّكَ[٢] شُكْرَ ما أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنا مِثْلَهُ فيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصيراً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسيراً، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الأعَزّ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ[٣]، وَقَوِّ عَضُدَهُ، وَراعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ[٤] بِحِفْظِكَ، وَانْصُرْهُ بِمَلائِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الأَغْلَبِ.

والإمام القائد يفتقر إلى عناية الله سبحانه في أداء دوره القيادي، كما يفتقر إليها أتباعه في إتّباعه، فخصّ هذا المقطع بأنواع العناية الإلهيّة المفتقر إليها في القيادة:

١ ـ الهام الشكر بتحمّل مسؤولية القيادة؛ فإن هذه القيادة حينما تجتمع شرائطها يجب ان ينظر إليها القائد بأنها نعمة إلهيّة كي يتوفّق لأدائها بشرائطها؛ فإنه إن نظر إليها على أنها نعمة فلابد ان ينظر إليها بالرغبة في أداء المسؤولية بإعتباره وليّ الله على الخلق أي إماماً وقائداً لهم، ويفتقر إلى أن يوزع إليه الله ـ أي يلهمه ـ ذلك، كما يفتقر اتباعه إلى الالهام بانهم اتباع القائد وهي لهم نعمة؛ لأنهم جميعاً يتعاونون في تحقيق الهدف الإسلامي الإلهي المفروض على كل مسلم؛ فإن العبادة ليست إلّا وسيلة لتحقيق الهدف، وعليه فلا فرق بين القائد وغيره في الحاجة إلى هذا الالهام.

٢ ـ السلطة، أي الملك، فالقيادة تفتقر إلى الحكم والملك، ولو بالحجة.

٣ ـ النصر على الأعداء، سواءً في ساحة الجهاد أو الاجتماع.

---

(١) في حاشية (ج): «أي ألهم».

(٢) في (ت): «وَليكَ».

(٣) في حاشية (د) و(س): «الأزر: القوة، وقوله تعالى: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ (سورة طه ٢٠: ٣١)، أي ظهري». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٤) في (ت) وحاشية (ج) (د) في نسخة: «وحفّهُ».

٤ ـ الفتح اليسير على الأعداء في ساحة الحرب.

٥ ـ المعونة الإلهيّة، والركن الأعز هو الجانب الأمنع من الشيء، وهو كناية عن القوّة.

٦ ـ الإحكام في القوة من دون تردد، وكنى عن ذلك بـ (شد الأزر) والشد: الإحكام، والأزر: القوة.

٧ ـ القوّة في الوسائل الّتي يستعين بها من الجنود والأعوان، وكنى عنهم بقوله: (قوّ عضده). والعضد هو ما بين المرفق إلى الكتف.

٨ ـ الرعاية الإلهيّة بالمحافظة عليه، وكنّى عنه بقوله: (راعه بعينك) والرعاية: الحفظ.

٩ ـ الحماية الإلهيّة بمنع الأعداء عنه وبحفظ الله تعالى له.

١٠ ـ النصر له بالملائكة، وهي خلق الله سبحانه الروحانية الّتي تتحكم في الطبيعة.

١١ ـ الامداد بالجند، وهم الأنصار والأعوان.

فإنّ كل ذلك مما يفتقر إليه القائد المسلم الذي يقود الحركة الإسلامية التي تتبني على المبادئ الروحية كما تهتم بالوسائل الماديّة.

[١٢/٤٧ ـ مسؤوليات الإمام]:

وَأَقِمْ بِهِ كِتابَكَ، وَحُدُودَكَ، وَشَرايِعَكَ، وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَواتُكَ اللّهُمَّ عَلَيْهِ وآلِهِ، وَأَحْيِ بِهِ ما أَماتَهُ الظّالِمُونَ مِنْ مَعالِمِ دينِكَ، وَأجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ[١]، وَأَبِنْ[٢] بِهِ

---

(١) في (ت): «طريقكَ».

(٢) في (ت): «وأنر»، وفي حاشية (د) ما نصه: «أبنت الشيء إبانة: قطعته وفصلته، يقال: بان الشيء يبين بينونة: انقطع، وأبانه غيره، وبان الحي بينا وبينونة أيضا: ظعنوا وبعدوا. =

الضَّرّاءَ[١] مِنْ[٢] سَبيلِكَ، وَأزِلْ[٣] بِهِ النّاكِبينَ[٤] عَنْ صِراطِكَ، وَأمْحَقْ بِهِ بُغاة قَصْدِكَ عِوَجاً، وَألِنْ جانِبَهُ لِأوْلِيائِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلى أعْدائِكَ.

ثم سرد بعض مسؤوليات الإمام القائم، فذكر منها:

١ ـ تطبيق القرآن، الذي هو كتاب الله المنزل المكمّل للشرائع الاخرى.

= والضرّاء: بتشديد الراء: المضرّة والشدّة، أي اقطع به أو أبعد به الشدّة الواقعة في سبيلك بسبب تغلَّب أرباب الظلم والجور وعدم تمكّن الإمام من هداية عامّة الخلق إلى سلوكها والدلالة عليها، أو المراد: الشدّة التي تلحق سالكيها من أهل الجور والعدوان. ويوجد في كثير من النسخ: «وأبن به الضراء» بتخفيف الراء والمدّ على وزن سحاب. قال في القاموس: الضراء: الاستخفاء والشجر الملتفّ في الوادي. وفي الصحاح: فلان يمشي الضراء: إذا مشى مستخفيا فيما يواري من الشجر. وعلى هذا، فيجوز أن يكون قوله: «أبن» من الإبانة، بمعنى الكشف والإيضاح، والمعنى: اكشف به ما وقع في سبيلك من الاستخفاء حتّى تتبين وتتضح. وان حملته على معنى الشجر الملتفّ مجازا عمّا وقع في سبيله تعالى من التأويلات الباطلة والآراء الزائغة والبدع المحرّمة، فالإبانة بمعنى القطع والإبعاد. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٦: ٤٠٥).

(١) في (ت): «الصراط»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «الصراط من»، وفي نسخة: «الصراط إلى».

(٢) في (ت): «عن»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «عن».

(٣) في (رياض السالكين) في نسخة: «وأذلّ»، وقال السيد علي خان: وفي نسخة: «وأذلّ به الناكبين» من الذلّ ـ بضمّ الذال المعجمة وتشديد اللام ـ، وهو الهوان والضعف. (رياض السالكين٦: ٤٠٦).

(٤) في (س): «نكب عن الطريق وينكب نكوباً: أي عدلَ». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧)، وقال السيد علي خان: زال الشيء يزول زوالا: ذهب، وأزلته إزالة أذهبته. ونكب عن الطريق نكوبا من باب ـ قعد ـ ونكبا: مال وعدل. وصراطه تعالى: دين الإسلام، وفيه تلميح إلى قوله تعالى في سورة المؤمنين: (وإنّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم. وإنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون). (سورة المؤمنون٢٣: ٧٣ ـ ٧٤). قال المفسّرون: الصراط المستقيم: هو دين الإسلام الذي دعا إليه الرسول صلّى الله عليه وآله... ومحقه الله محقا من باب ـ نفع ـ: أذهبه كلّه حتّى لا يرى منه أثره، ومنه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾. (سورة البقرة ٢: ٢٧٦)». (رياض السالكين٦: ٤٠٦).

٢ ـ تطبيق الحدود، من الاوامر والنواهي المرعيّة في الشريعة الإسلامية.

٣ ـ تطبيق الشرائع، أي ما شرعه الله تعالى في الدين من العقيدة والشريعة وغيرهما كالاخلاق والسلوك.

٤ ـ تطبيق سنّة الرسول ﷺ وهي الطريقة الّتي سار عليها ﷺ في حياته بالنسبة إلى النفس والمجتمع والحكم.

٥ ـ إحياء معالم الدين. والمَعلَم: الأثر المستدل به على الشيء، ومعالم الدين: آثاره التي تعتبر رمزاً له؛ فإن الُامّة حيّة بحياة تراثها واثارها.

٦ ـ إزالة الظالم وآثاره، وذلك بإجلاء العدوّ، أي كشف وسخ الجور والظلم المترسّب من العادات الجاهلية الماديّة في المجتمع الإسلامي، الّتي جعلت الطريقة الّتي يسلك بها إلى الله سبحانه مائلة عن السنّة النبوية.

٧ ـ قطع الضرر من أُصوله، وذلك بابانة الضراء، أي قطعه من سبيل الله، فإنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

٨ ـ محاربة الناكبين، أي المائلين عن العدل الذي هو الصراط المستقيم، وذلك بازالتهم كما في النسخة المشهورة، أو اذلالهم، كما في نسخة أُخرى.

٩ ـ محاربة البغاة، وهم الخارجون على الإمام العادل، وذلك بمحقهم، أي إذهاب أثرهم وهو البغي، حتى يرجعوا إلى الحكم بما تقتضيه المصلحة العامة للمسلمين؛ فإنهم بغاة، أي طالبون للقصد، أي الانحراف عن الصراط المستقيم، عوجاً أي انحرافاً، لما حصلت لهم من الشبهات، وبعد إتمام الحجة بإزالتها وعدم رجوعهم إلى الصواب لا يبقى معهم حلا إلّا الحرب.

١٠ ـ الرفق للأولياء، وقد كنّى عن ذلك (بلين الجانب) واللين: ضد الخشونة، والجانب: الناحية، أي النفس؛ فإن الرفق من مقومات القيادة قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]

---

(١) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

١١ ـ الشدّة على الأعداء، وقد كنى عن ذلك (ببسط اليد) أي سلطة اليد على ذلك حتى لا يصبح اللين منفذاً لتمرير مخططات الأعداء الماديّة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[1].

[١٣/٤٧ ـ مسؤوليات المسلمين]:

وَهَبْ لَنا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ، وَاجْعَلْنا لَهُ سامِعينَ مُطيعينَ، وَفي رِضاهُ ساعينَ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفينَ[2]، وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَواتُكَ أللّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذلِكَ مُتَقَرِّبينَ.

وذكر من مسؤوليات المسلمين تجاه القيادة الإسلامية ممّا لا تتحقق إلّا بعناية من الله سبحانه؛ فإن النفس الإنسانية نزّاعة إلى الهوى وأمّارة بالسوء، فبعناية الله تعالى تتحقق مسؤوليات كل من القادة والمسلمين، وذكر منها:

١ ـ رأفة الإمام، وهي شدّة الرحمة.

٢ ـ عطف الإمام، أي شفقته.

٣ ـ تحنّن الإمام، وهو الرأفة الكثيرة، أي شدة الشفقة.

واما مسؤوليات المسلمين تجاه القائد، فهي:

١ ـ السماع له، أي اجابة طلباته وتنفيذ اوامره.

٢ ـ الاطاعة بالانقياد إلى اوامره ونواهيه.

---

(١) القرآن الكريم، سورة التوبة ٩: ٧٣.

(٢) في (ج) (د) (ت): «مكنفين»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «مكبّين ـ س»، وفي نسخة اخرى: «منكفين ـ س». والكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله تعالى، محركة: في حرزه وستره، وهو الجانب والظل والناحية. (القاموس المحيط ٣: ١٩٢)، والكنيف: حظيرة من خشب أو شجر تتّخذ للإبل، (اللّسان: كنف)، وكنفك: حرزك. (مجمع البحرين ٢: ٧٧ ـ كنف).

٣ ـ السعي في رضاه بالجد والاجتهاد حسب الطاقة.

٤ـ بذل النصرة له، بمساعدته بما يتيسر مادياً ومعنوياً، والّتي تعد في الحقيقة مساعدة للاهداف الإسلامية.

٥ ـ القيام بالدفاع عنه، والكنف بمعنى الدفع عنه ما يخاف عليه من ضرر ومكروه، باعتباره الرمز للأهداف الإسلامية، وأنّ أي ضرر عليه فإنه يعود على الإسلام في رموزه، والدفاع يكون بما يتيسر من أنواع الحماية قولا وعملا، وقد استعملت صيغة المفاعلة (المدافعة) للاشارة إلى أن هذه الأنواع المتصوّرة في الدفاع تختلف باختلاف الحالات والازمان، قال الشارح: «وصيغة المفاعلة إما للمبالغة في الدفع أو للايذان بتكرر الدفع؛ فإنها قد ترد بمعنى وقوع الفعل المتكرر من الجانبين، في تكرره كما في الممارسة، أي المبالغة في الدفع عنه، وحذف متعلقة للتعميم»[1].

قال الجلالي: ولاحاجة إلى هذا التكلّف؛ فإن صيغة المفاعلة وضعت لما يتكرر فعله من الجانبين كالمحاربة والمضاربة والمدافعة، فهنا أيضاً من الجانبين؛ جانب الولاء للقيادة الإسلامية وجانب العداء لها، وهذه المدافعة من مستلزمات القيادة دائماً في الحياة، ولا يعيش في الحياة قائد بدون ولاء وعداء، والله العالم.

٦ ـ وختم هذه المسؤوليات بالنيّة الّتي ينبغي للمسلم المسؤول القيام بها، وهي التقرب إلى الله ويعمل القائد المسلم بوظيفته لأجل الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس الدافع له سوى العمل بالواجب والمسؤولية سواءً كان الإنسان المسلم قائداً ام فرداً عادياً، ففي الحالتين كلّ يقوم بدوره المسؤول.

[١٤/٤٧ ـ الأولياء والأنصار]:

أَللّٰهُمَّ وَصَلِّ عَلى أَوْلِيائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقامِهِمُ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمُ، الْمُقْتَفِينَ آثارَهُمُ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمُ، الْمُتَمَسِّكِينَ[2]

---

(١) رياض السالكين ٦: ٤١١.

(٢) في (ت): «والمتمسكينَ».

بِوِلايَتِهِمْ، الْمُؤْتَمِّينَ[١] بِإِمامَتِهِمْ، الْمُسَلِّمينَ لأَمْرِهِمْ، الْمُجْتَهِدينَ في طاعَتِهِمْ، الْمُنْتَظِرينَ أَيّامَهُمْ، المادّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ، بالصَّلَواتِ[٢] الْمُبارَكاتِ الزّاكِياتِ النّامِياتِ الْغادِياتِ الرّائِحاتِ[٣]، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ[٤] وَعَلى أَرْواحِهِمْ[٥]، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤُونَهُمْ[٦]، وَتُبْ عَلَيْهِمْ، إِنَّكَ أَنْتَ[٧] التَّوابُ الرَّحيمُ، وَخَيْرُ الغافِرينَ، وَاجْعَلْنا مَعَهُمْ في دارِ السَّلامِ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ.

وللنبيّ محمد ﷺ وأهل بيته ـ بل كل من يقود حركة تستهدف صلاح الفرد أو المجتمع ـ أعداء يحاولون اجهاض الفكرة في المهد باشاعة الدعايات المضادة، وان لم ينجحوا في ذلك فبالحرب، .٠

وأيضاً هناك اولياء، أي انصار يساندون الحق بمواقفهم المشجعة معنوياً ومادياً، كلّ حسب الظروف والأحوال، وسرد في هذا المقطع أوصاف هؤلاء الأنصار، فذكر منها:

١ ـ الاعتراف بمقام القادة في المسؤوليات المفروضة على القادة والتعاون معهم لأداء دورهم المطلوب منهم.

٢ ـ الاتباع للمنهج، فليس الاتباع لغير المنهج الذي يسيرون عليه إتّباعا لهم.

---

(١) في (ت): «المؤتمنينَ».
(٢) كذا في (ت)، وفي غيرها: «الصلوات».
(٣) لم ترد في (ت): «الناميات الغاديات الرائحات».
(٤) في (ت) زيادة: «أجمعين».
(٥) في (ت): «وعلى أزواجهم».
(٦) في حاشية (ج): «أي أحوالهم».
(٧) كلمة: «أنت» من حاشية (د)، وكتب المعلق ما نصه: «الظاهر سقوط هذه اللفظة من مثل هذا الموضع بسقوط الهامش، فلذا أثبتها هناك».

٣ ـ الاقتفاء، أي الاقتداء بآثارهم وتراثهم وتاريخهم في القيام بالمسؤوليات.

٤ ـ الاستمساك، أي الالتزام والاعتصام بخطّهم في الهداية والعمل.

٥ ـ التمسك بهم بالولاء لهم، أي الاعتصام بمحبتهم وذلك بعد دراسة مواقفهم، وهذا يستلزم اطاعتهم والعمل على طبق منهجهم.

٦ ـ الائتمام بهم، أي الاقتداء بامامتهم؛ فإن الاعتراف باللفظ من دون عمل ليس إيماناً حقيقياً.

٧ ـ التسليم لهم، أي الانقياد لأمرهم بدون مناقشة أو انكار أو تهرّب.

٨ ـ الاجتهاد في طاعتهم ببذل الجهد كواجب شخصي، لا كأمر مفروض بالقوة على الإنسان.

٩ ـ الانتظار في حالة مترقّبة لأيامهم، أي ايام حكمهم، وهذه الحالة تلازم العمل على مستلزماتها من التمهيد لدولتهم.

١٠ ـ النظر إلى أوامرهم ونواهيهم في أُمور الحياة الخاصة والعامة، وقد كنّى عن ذلك بمدّ العين إليهم.

وهذه الأوصاف تميّز الصادق في دعوى النصر من الكاذب، والولي الحقيقي من غيره.

ومن لا يوجد فيه هذه الصفات كلها لا يستحق دعوى النصر، وباختلاف نسبة وجود هذه الصفات العشرة تكون النسبة المئوية من النصر والولاية.

وقد سرد عليه السلام أوصاف الأولياء والأنصار الحقيقيين؛ لأنها من موجبات الصلوات التالية أوصافها، وهي:

١ ـ البركة: وهي الخير الإلهي الثابت في النفس والمجتمع.

٢ ـ الزكاة: الزيادة الطبيعية الكثيرة.

٣ ـ النمو: الزيادة المتصلة.

٤ ـ الغدوّ: وهو ما يأتي من اليوم الذي يلي اليوم السابق.

٥ ـ الرواح: وهو ما ذهب من العشيّ، أو من الزوال إلى الليل.

كل ذلك تستلزم الأبدية؛ لأنّ الأولياء والأنصار بنصرهم وولايتهم لدين الله والنبيّ محمد وأهل بيته يدخلون التاريخ من أبوابه، فيخلدون بخلود التاريخ.

والأولياء والأنصار يستحقون بمواقفهم المناصرة ان يعم السلام أنفسهم ومن نصرهم من الأزواج في السراء والضراء، فيختم هذا المقطع بالدعاء لهم جميعاً في نقاط، هي:

١ ـ السلام عليهم وعلى ازواجهم.

٢ ـ الدعاء بجمع أمرهم على التقوى.

٣ ـ الدعاء باصلاح شؤونهم الخاصة.

٤ ـ الدعاء بالتوبة عليهم والمغفرة لهم.

وكل ذلك على الله يسير؛ لأنه سبحانه التوّاب الرحيم، وخير الغافرين.

وحيث ان الدعاء هذا، نوع من المناصرة لهم بالقول وفي ظهر الغيب، ختم هذا المقطع بالدعاء بقوله: (اجعلنا معهم في دار السلام برحمتك يا أرحم الراحمين) وفي المراد من «دار السلام» كلام، فراجع تفصيل المادة في المعجم، والمشهور انها الجنة؛ لسلامتها من كلّ بليّة ومكروه وآفة، وقد جعلها سبحانه الغاية من الدعوة الإلهيّة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[1] فتكون الحياة الّتي يعيشها المسلم في نفسه مطمئناً روحياً وقانعاً مادياً في الدنيا والآخرة معاً من مصاديق تلك الدعوة.

[١٥/٤٧ ـ تشريف يوم عرفة]:

أللّهُمَّ، وهذا[2] يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمٌ شَرَّفْتَهُ وَكَرَّمْتَهُ[3] وَعَظَّمْتَهُ، ونَشَرْتَ[4] فيهِ رَحْمَتَكَ، وَمَنَنْتَ فيهِ بِعَفْوِكَ، وَأَجْزَلْتَ فيهِ عَطِيَّتَكَ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلى عِبادِكَ.

---

(١) القرآن الكريم، سورة يونس ١٠: ٢٥.

(٢) في (ت): «هذا» بدون واو.

(٣) في (ت): «يومٌ كرّمته وشرّفته».

(٤) كذا في (ت)، وفي غيرها: «نشرت» بدون واو.

في هذا المقطع إشارة إلى بعض خصائص يوم عرفة الذي يكون فيه الموقف، وهو ركن في الحج يبطل الحج بدونه، وقد بين هنا أسباباً لشرف هذا اليوم وكرامته وعظمتة، وهي:

١ ـ نشر الرحمة على الحاج في الموقف وعلى غيرهم مما يساهم في زيادة الطاعات.

٢ ـ العفو من الله للذنوب والخطايا.

٣ ـ العطية الجزيلة منه تعالى للطائفين.

٤ ـ التفضّل منه تعالى على العباد.

فإن هذه النقاط توجب الشرف والكرامة والعظمة لهذا اليوم.

[١٦/٤٧ ـ حالات الداعي]:

أَللّهُمَّ، وَأَنا عَبْدُكَ الَّذي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِكَ لَهُ[١] وَبَعْدَ خَلْقِكَ إِيّاهُ، فَجَعَلْتَهُ مِمَّنْ هَدَيْتَهُ لِدينِكَ، وَوَفَّقْتَهُ لِحَقِّكَ، وَعَصَمْتَهُ بِحَبْلِكَ، وَأَدْخَلْتَهُ في حِزْبِكَ، وَأَرْشَدْتَهُ لِمُوالاةِ أَوْلِيآئِكَ، وَمُعاداةِ أَعْدائِكَ. ثُمَّ أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتَمِرْ، وَزَجَرْتَهُ فَلَمْ يَنْزَجِرْ[٢]، وَنَهَيْتَهُ عَنْ مَعْصِيَتِكَ فَخالَفَ أَمْرَكَ إِلَى نَهْيِكَ، لا مُعانَدَةً لَكَ، وَلَا اسْتِكْباراً عَلَيْكَ، بَلْ دَعاهُ هَواهُ إِلَى ما زَيَّلْتَهُ[٣]، وَإِلَى ما حَذَّرْتَهُ، وَأَعانَهُ عَلى ذلِكَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّهُ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ عارِفاً بِوَعيدِكَ، راجِياً لِعَفْوِكَ، واثِقاً بِتَجاوُزِكَ، وَكانَ أَحَقَّ عِبادِكَ مَعَ ما مَنَنْتَ عَلَيْهِ أَلّا يَفْعَلَ.

واستعرض في هذا المقطع حالات الداعي الّتي تستوجب الرحمة والعفو

---

(١) لم ترد في (ت): «له».

(٢) في حاشية (د) زيادة: «ينظر، بخط الناسخ»، وكتب المعلق ما نصه: «هكذا بخطه قدس سره قبل أن يقطع بالسيف في التجليد».

(٣) في (ت) وحاشية (ج) (د) في نسخة: «زيّنه»، وفي حاشية (ج) (د) أيضا: «زيّلته ـ س».

والعطية والتفضّل اللّاتي ينعم الله بها في هذا اليوم على العباد، وذلك لتبّدل حالات الداعي من الطاعة إلى العصيان، فافتقر إلى العفو والغفران.

و أمّا حالات الطاعة، فهي:

١ ـ العبودية لله تعالى.

٢ ـ النعمة عليه قبل الخلق له في عالم الذر، والإنعام عليه بإيجاد ما يتوقف عليه وجوده من الاسباب كالأبوين.

٣ ـ النعمة بعد الخلق، باستمرار الحياة في مراحل الحمل والطفولة حتى أصبح عضواً صالحاً في المجتمع.

٤ ـ الهداية للدين.

٥ ـ التوفيق لاداء حقوق الله من العبادات والطاعات.

٦ ـ الاعتصام بحبل الله من القرآن والسنة.

٧ ـ الدخول في حزب الله.

٨ ـ مولاة أولياء الله.

٩ ـ معاداة أعداء الله.

وهذه النقاط موجبة للثواب فيما لو استمر الإنسان على ما يتطلّبه من العمل.

وأما حالات العصيان، فقد غلبت على هذه النقاط ونقضتها، وهي:

١ ـ لم يأتمر بأمر الله تعالى، والأمر هو الطلب على سبيل الاستعلاء، وعدم الائتمار بعد اعتباره أمراً يعدّ استعلاءً.

٢ ـ لم ينزجر بزجره تعالى، والزجر هوالمنع.

٣ ـ العصيان بمخالفة الأمر قصداً.

وهذه الحالات الثلاث من العصيان مستندة إلى هوى النفس الأمارة بالسوء، وليست مستندة إلى المعاندة لله أو الاستكبار على الله؛ فإنهما نابعان من الكفر بالله، وحالة الداعي بعيدة عنه؛ لما تقدم في أول المقطع من حالات الطاعة في حياته الخاصة. ولايستوي العصيان النابع من الكفر مع العصيان النابع عن الهوى؛ فإن العصيان النابع من الهوى زّلة عارضة وليست ذاتية، فقد دعاه الهوى إلى ما

زيّله الله، أي ما نّحاه الله من المحارم والمناهي عن عباده الصالحين وحذّرهم من ارتكابها.

وقد وقع العبد في العصيان بسبب الهوى وغواية الشيطان عدوّ الله والإنسان.

وختم المقطع بنتيجة الحالتين؛ حالة الطاعة والعصيان. فمن ناحية حالة العصيان يستحق العقاب؛ لأنه قد أقدم على ما حذّر عنه الله تعالى (عارفاً) بالوعيد، فيستحق العقاب.

ومن ناحية حالة الطاعة يستحق العفو؛ بسبب إيمانه بالله، لأنه كان (راجياً) عفو الله عنه وواثقاً بتجاوزه تعالى عن المعاصي بالتوبة؛ معترفاً بانه كان عليه ألّا يفعل ما نهى الله عنه.

وهاتان الحالتان المتقابلتان من الطاعة والعصيان تجعلان العبد جديراً بأن تشمله الرحمة والعفو والفضل من الله، وهي الّتي تشمل العباد جميعاً في يوم عرفة.

[١٧/٤٧ ـ موجبات العقاب والعفو]:

وَها أَنَا ذا بَيْنَ يَدَيْكَ، صاغِراً ذَليلاً، خاضِعاً خاشِعاً، خائِفاً مُعْتَرِفاً بِعَظيمٍ مِنَ الذُّنُوبِ تَحَمَّلْتُهُ، وَجَليلٍ مِنَ الْخَطايا اجْتَرَمْتُهُ، مُسْتَجيراً بِصَفْحِكَ، لائِذاً بِرَحْمَتِكَ، مُوقِناً أَنَّهُ لا يُجْيرُني مِنْكَ مُجيرٌ، وَلا يَمْنَعُني[١] مِنْكَ مانِعٌ.

فَعُدْ عَليَّ بِما تَعُودُ بِهِ ـ عَلى مَنِ اقْتَرَفَ[٢] ـ مِنْ تَغَمُّدِكَ[٣]،

---

(١) في حاشية (د): «الظاهر كما في باقي النسخ: الإعجام من تحت، على صيغة الغائب المذكر، فهذا الاعجام لم يقع في موقعه».

(٢) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «أسرف»، وقد وردت الكلمة في المصادر المختلفة بصور اخرى، نذكر منها ما في إقبال الأعمال، ج٢، ص ١٥٢، وبحار الأنوار، ج٩٥ ـ ص ٢٦٤: «فعد عليّ بما تعود به على من اقترب من تغمدك». وفي هامش الاقبال، ج٢ ـ هامش ص ٩٤: «تعود على من أسرف (خ ل)».

(٣) في (ت): «من تعمّدك».

وَجُدْ عَلَيَّ بِما تَجُودُ بِهِ ـ عَلى مَنْ أَلْقى بِيَدِهِ[(١)] إِلَيْكَ ـ مِنْ عَفْوِكَ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِما لا يَتَعاظَمُكَ أَنْ[(٢)] تَمُنَّ بِهِ ـ عَلى[(٣)] مَنْ أَمَّلَكَ ـ مِنْ غُفْرانِكَ.

ابتدأ عليه السلام هذا المقطع إلى آخر الدعاء بعرض سلسلة مما يوجب العقاب وما يستوجب العفو من الله سبحانه نتيجة لما تقدم من حالات العصيان والطاعة من الإنسان في حياته.

وفي تعارض الحالات هذه يأمل الداعي في مثل يوم عرفة هذا ـ الذي تعمّ فيه رحمة الله وعفوه كل العباد ـ شمول العفو الإلهي لحاله، وان يرجّح الله سبحانه برحمته ما يستوجب العفو عمّا يوجب العقاب.

و مما يستوجب العفو: حالة الداعي، فهو:

١ ـ بين يدي الله سبحانه واقف وقفةً تستوجب العفو.

٢ ـ الصاغر، أي المهان.

٣ ـ الذليل، أي الضعيف.

٤ ـ الخاضع في بدنه.

٥ ـ الخاشع في صوته.

٦ ـ الخائف في قلبه.

٧ ـ المعترف بالذنوب الّتي تحمّلها.

فهذه الصفات تستوجب العفو ممن بيده العفو عن الذنوب الّتي توجب العقاب، وهي:

١ ـ الذنوب العظيمة الّتي تحمّلها الإنسان عمداً.

---

(١) في حاشية (د) و(س): «ألقيته: أي طرحته، وألقيت إليه بالمودة: أي أظهرتها له. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٢) في (ت): «أو».

(٣) في حاشية (د): «بيان بالتخفيف، حرف جر».

٢ ـ الخطايا الجليلة الّتي اجترمها، أي اقترفها خطأً؛ فإن الاعتراف بالخطأ لا يقلّل من جلالة الخطب ولايُفقده أثره.

والترجيح بين الحالتين لا يكون إلّا بعفوه سبحانه؛ لشمول رحمته لحالة الصاغر.

ومما يزيد فيما يستوجب العفو:

ـ كونه مستجيراً، أي طالباً الأمان بصفح الله، أي عفوه.

ـ لائذاً، أي ملتجئاً برحمة الله.

ـ موقناً، أي عالما بانه لا مجير ولا مانع سواه تعالى.

وحالة العبد هذه تستوجب الرحمة من الله سبحانه بأن يعود عليه بالعفو، بالتغمد، أي بستر ما كان منه، بما يعود به على كل من اقترف ذنباً وتاب.

وكذلك بأن يجود الله سبحانه من العفو على من ألقى بيده ـ كناية عن الاستسلام ـ بما يجود سبحانه على مثله.

وكذلك ان يمن الله سبحانه من الغفران بما ليس عظيماً في منن الله سبحانه على العباد.

فإن العبد في حالته هذه يستوجب من الله سبحانه العظيم الستر والعفو والغفران، وهي دون عظمته تعالى.

ولا يخفى أن الدعاء هذا لم يرد في رواية ابن مالك، وقوله: «من تغمّدك» لم ترد في نسخة الشارح المدني الّتي شرحها في رياض السالكين، ولذلك لم يشرح هذه الكلمة، ولم يشرح العبارة كما هي عادته، مما يظهر خلوّ النسخ الّتي كانت عنده منها، على كثرة النسخ التي كانت عنده، كما يظهر من مطاوي كلماته.

ومهما كان؛ فإنها من مادة غمَد، يقال: غمد السيف، أي ادخله في غمده، فهو مغمّد ومغمودا، وقال ابن منظور: «وتغمّده الله برحمته: غمده بها، وغمره بها، وفي الحديث ان النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ما أحد يدخل الجنة بعمله. قالوا: ولا أنت؟ قال صلى الله عليه وآله: ولا أنا، إلّا أن يتغمدني الله برحمته.

قال أبو عبيد: قوله «يتغمدني: يلبسني، ويتغشاني: يسترني بها»، وراجع

المادة في تلخيص الذهب[١]؛ فإن القاسم المشترك الأعظم للمعاني الّتي ذكرها في اللسان هو الستر، ومنه قولهم: «تغمدت فلاناً: سترت ما كان منه وغطيته، وتغمد الرجل وغمده: إذا أخذه بختل حتى يغطيه»، ويقال للسفينة إذا كانت مشحونة: غامد، ومنه الغمد لجفن السيف؛ لأنه يغطي السيف ويستره عن الأعين، واشتقّوا منه الفعل غمد، بمعنى ادخله في الغمد، والاسم العلم: غامد؛ لأنه تغمد أمراً كان بينه وبين عشيرته فستره، فسماه ملك من ملوك حمير: غامداً.

وبالجملة: الكلمة في الدعاء (التغمّد) بمعنى الستر، والمعنى: ان يعود الله سبحانه على مقترف الذنب بستره، وهو أستر الساترين.

[١٨/٤٧ ـ الطلب في يوم عرفة]:

وَاجْعَلْ لِي فِي[٢] هذَا الْيَوْمِ نَصيباً أَنالُ بِهِ حَظّاً مِنْ رِضْوانِكَ، وَلا تَرُدَّني صِفْراً[٣] مِمّا يَنْقَلِبُ بِهِ[٤] الْمُتَعَبِّدُونَ لَكَ مِنْ عِبادِكَ.

ومما يستوجب ترجيح العفو على العقاب هو شرف هذا اليوم الذي تعمّ رحمة الله تعالى على العباد ومقتضى رحمته أن يكون من ذلك نصيب الداعي، أي حصّة معينة من رحمة الله، وأيضاً حَظّاً، أي قسماً من رضوان الله. والرضوان: الكثرة من الرضا؛ وحيث انه تعالى يعم برضوانه فيستوجب حالة الداعي ان يكون له قسم منه يشمله، وان كانت حالة المعصية توجب العقاب بأن يَردّ صفراً أي خالي اليدين ـ بسبب عصيانه ـ مما ينقلب به المتعبّد في هذا اليوم بسبب الطاعات.

وليس في هذا المقطع سبب لرجحان العفو سوى شرف يوم عرفة.

---

(١) تلخيص الذهب ١: ١٠١٣، مادة «غمد».

(٢) في (ت): «من».

(٣) في حاشية (د): «صفرا، أي خالياً»، وفي (س): «الصِفر: الخالي». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٤) في (ت): «مما يتقلب به».

[١٩/٤٧ ـ من مستوجبات العفو]:

وَإنّي(١) وَإنْ(٢) لَمْ أُقَدِّمْ ما قَدَّمُوهُ(٣) مِنَ الصّالِحاتِ، فَقَدْ قَدَّمْتُ تَوْحيدَكَ وَنَفْيَ الأَضْدادِ وَالأنْدادِ وَالأشْباهِ عَنْكَ، وَأَتَيْتُكَ مِنَ الأبواب الَّتي أَمَرْتَ أَنْ تُؤْتى(٤) مِنْها، وَتَقَرَّبْتُ إلَيْكَ بِما لا يَقْرُبُ(٥) بِهِ(٦) أَحَدٌ مِنْكَ إلّا بِالتَّقَرُّبِ بِهِ، ثُمَّ أَتْبَعْتُ(٧) ذلِكَ بِالإنابَةِ إلَيْكَ، وَالتَّذَلُّلِ وَالإسْتِكانَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَالثِّقَةِ بِما عِنْدَكَ، وَشَفَعْتُهُ بِرَجائِكَ الَّذي قَلَّ ما يَخيبُ(٨) عَلَيْهِ راجيكَ.

وبالرغم من أن حال الداعي يختلف عن حال المتعبدين في يوم عرفة هذا؛ لأنه لم يقدّم ما قدّموه من الصالحات، لكنه يتمتّع ببعض مستوجبات العفو، وقد عدّ في هذا المقطع منها:

١ ـ توحيده لله، بالاقرار بالشهادة بأنه لا إله إلّا هو.

٢ ـ نفي الضدّ له، فهو لا يعنقد ما يعتقده الثنوية، من وجود إلهين: إله الخير واله الشر.

---

(١) في حاشية (ج) في نسخة: «فإنّي».

(٢) في (ت): «إن»، وفي (ج) (د): «وإن»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «إن ـ س» بدون واو.

(٣) في حاشية (د): ««وَإنّي إنْ لَمْ أُقَدِّمْ ما قَدَّمُوهُ» قطع بعضها بالسيف، فتممناها من نسخة نقلت عن خطه قبل التجليد».

(٤) في (ت): «توقّى».

(٥) في (ت): «يتقرب».

(٦) كلمة: «به» من حاشية (ج)، وفي حاشية (د): «به ـ س».

(٧) في حاشية (د): «ظاهر هذه النسخة الشريفة فتح تاء الخطاب، وفي سائر النسخ ضم التاء، على أنه صيغة المتكلم وهو الصحيح، وأما فتح التاء، فلا وجه له ظاهراً».

(٨) في (ت): «تحيف»، والكلمة غير واضحة.

٣ ـ نفي النِدّ له، أي المثل والشريك كما عليه المشركون.

٤ ـ نفي الشبيه له في الخلق والقدرة، من صفات الجلال والكمال.

٥ ـ الاتيان إلى الله من الأبواب الّتي أمر بها من الطاعات، من دون أيّة بدعة فيها.

٦ ـ التقربّ إلى الله وحده في الاعمال بخلوصها من الرياء والدجل.

٧ ـ الإنابة إلى الله وحده بالرجوع إليه بالتوبة.

٨ ـ التذلل لله وحده، باظهار الذلّ معتقداً بحقيقة الذل في نفسه.

٩ ـ الاستكانة لله وحده، وهي الخضوع والتضرع بسكون النفس أمام عظمة الله.

١٠ ـ حسن الظن بالله بالتفضّل برحمته الواسعة على الداعي.

١١ ـ الثقة بما عند الله، بالاعتماد على ما عنده تعالى من العفو والرحمة.

١٢ ـ الرجاء من الله وحده، الذي قلّ ما يخيب الراجين له بالرغم من استحقاقهم العقاب؛ لأن المرتجى أعظم رحمة، وهو رؤوف بالعباد.

[٢٠/٤٧ ـ صفات السائل]:

وَسَأَلْتُكَ مَسْأَلَةَ الْحَقيرِ الذَّليلِ، الْبائِسِ الْفَقيرِ، الخائِفِ الْمُسْتَجيرِ، وَمَعَ ذلِكَ خيفَةً وَتَضَرُّعاً وَتَعَوُّذاً[١] وَتَلَوُّذاً، لا مُسْتَطيلاً[٢] بِتَكَبُّرِ الْمُتَكَبِّرينَ، وَلا مُتعالِياً بِدالَّةِ[٣] الْمُطيعينَ، وَلا

---

(١) في (ت): «وقعودا».

(٢) في حاشية (ج) في نسخة: «لا متسلّطاً، من تسلّط، بمعنى: تمكّن وتحكّم».

(٣) في حاشية (د): «الدالة، من أدل فلان قريبه على من له منزلة عنده، أي انبسط واجترأ عليه ثقة بمحبته»، وفي (س): «الدَّل والدلال: رفع النفس لما فيه من الفضل، والاسم الدالة». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

مُتسَلِّطاً(١) بِشَفاعَةِ الشّافِعينَ، وَأَنا بَعْدُ أَقَلُّ الأَقَلِّينَ، وَأَذَلُّ الأَذَلِّينَ، وَمِثْلُ الذَّرَّةِ(٢) أَوْ دُونَها.

وسرد في هذا المقطع صفات وحالات السائل للعفو من الله بسبب الذنوب الّتي يوصف بها، فهو:

١ ـ الحقير، الذي هان قدره، فلا يعبأ به.

٢ ـ الذليل، أي الضعيف الذي لا يقوى على دفع الضر عن نفسه.

٣ ـ البائس، الذي نزل به الضرّ فضرع له.

٤ ـ الفقير، الذي يحتاج إلى غيره.

---

(١) كذا في (ت)، وفي غيرها: «ولا مستطيلا»، من الاستطالة، وهو الترفّع على الآخرين.

(٢) في حاشية (د) ما نصه: ««الذرّة»: واحدة الذر، وهو أصغر ما يرى في الشمس، وقيل: ما يرى في عين الشمس من الهباء. وعن ابن عباس: إذا وضعت راحتك على الأرض ثمّ رفعتها فكلّ واحد ممّا لزق بها من التراب مثقال ذرّة وكلّ من هذه المعاني يصحّ حمل عبارة الدعاء عليه. و«أو» هنا للإضراب عند من أثبته، أي بل أنا دونها. قال الرضي: وتجيء «أو» للاضراب بمعنى بل فلا يكون بعدها إلّا الجمل فلا تكون حرف عطف بل حرف استيناف وجعل منه قوله تعالى: ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ (سورة النحل ١٦: ٧٧)، قال: أخبر تعالى أوّلا بأنّه كلمح البصر بناء على ما يقول الناس في التحديد، ثم أخذ في التحقيق فأضرب عمّا يغلط فيه غيره فقال: ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾ أي بل أقرب، انتهى بالمعنى. وعلى هذا فقوله عليه السلام: «أو دونها» إضراب عن التشبيه بالذرّة لكن لا على الوجه المقرّر في الآية، بل على أنّه شبّه نفسه في الحقارة بالذّرة أوّلا ثم بدا له فاضرب عنه وأبطله، فقال: «أو دونها» أي بل أنا دونها مبالغة في تحقير نفسه وإغراقا في التواضع له تعالى، وأمّا عند من لا يرى ورود «أو» للإضراب، فهي إمّا للتخيير عند من لا يشترط كونها حينئذ بعد أمر أو في معناه، أو للترديد. فمعنى التخيير هنا: انّه بلغ من الحقارة مبلغا بحيث إذا لاحظه وقدره كان له ان يقول: أنا مثل الذرّة، وكان له أن يقول: أنا دونها. ومعنى الترديد: انّه عرف من حقارة حالة تردّد فيها أنا مثل الذرّة أو دونها، ولا يخفى أنّ الحمل على الاضراب أولى، فقد أثبته الثقاة وشهد به الاستعمال ودلّت عليه القرينة هنا، أعني قوله: «وأنا بعد أقلّ الأقلّين» فكان الغرض الترقي في مراتب الحقارة إلى غايتها، وهو كونه دون الذرّة، الذي لا أدون منه».

٥ ـ الخائف، الذي يتوقع المكروه.

٦ ـ المستجير، الذي يطلب الحماية.

قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «(خيفة وتضرّعاً) متعلق بمضمر معطوف على قوله عليه السلام: (وسألتك) أي ودعوتك مع ذلك خيفة وتضرعاً؛ بدليل: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾(١) و﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا﴾(٢) فحذف الفعل»(٣).

وأمّا أحوال السائل، فهي:

١ ـ خيفةً، أي سأل خائفاً، فيكون الحال في موضع المصدر كما هو مذهب سيبويه في نحو: جاء زيد ركضاً، أي راكضاً.

٢ ـ تضرّعاً، أي خاضعاً لله تعالى.

٣ ـ تعوّذاً، أي معتصماً بالله تعالى.

٤ ـ تلوّذاً، أي ملتجئاً إلى الله تعالى.

٥ ـ لا مستطيلا، أي غير مترفّع في سؤاله، كما هو شأن المتكبّرين ممن يعبد المادة والماديات.

٦ ـ ولا متعالياً، أي غير متصف بالدلال والفخر من طاعته كما يحصل لبعض المطيعين من أصحاب المادة.

٧ ـ ولا مستطيلا، أي غير مترفّع بشفاعة من له الشفاعة من الشافعين؛ لأن الشفاعة لو حصلت فهي فضل روحي، وليست موجبة للترفّع الذي هو صفة ماديّة.

وبالجملة، بعد الاعتراف بالمعصية وعرض التوبة بكون الحالات ـ أي المستوجبات للصفات ـ والعفو متساويتان، ولكن صفات السائل وحالاته تستوجب رحمة الله الواسعة على كل شيء، ومنها الداعي المعترف بانّه اقل الاقلّين في

---

(١) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٥٦.

(٢) القرآن الكريم، سورة الأعراف ٧: ٥٥.

(٣) رياض السالكين ٧: ٣١.

اعمالهم وأذلّ الأذليّن في حالاتهم، بل هو (مثل الذرة أو دونها) والذرة هي أصغر النمل؛ فإذاً تعم الرحمة الإلهيّة النمل وما دونها مما الداعي في حالته يستوجبها.

[٢١/٤٧ ـ المعترف الخاطئ]:

فَيا مَنْ لَمْ يُعاجِلِ الْمُسيئينَ، وَلا يَنْدَهُ[١] الْمُتْرَفينَ[٢]، وَيا مَنْ يَمُنُّ بِإقالَةِ الْعاثِرينَ، وَيَتَفَضَّلُ بِإنْظارِ الْخاطِئينَ.

أَنَا الْمُسيءُ الْمُعْتَرِفُ الْخاطِىءُ الْعاثِرُ[٣].

أَنَا الَّذي أَقْدَمَ عَلَيْكَ مُجْتَرِئاً.

أَنَا الَّذي عَصاكَ مُتَعَمِّداً.

أَنَا الَّذي اسْتَخْفى مِنْ عِبادِكَ وَبارَزَكَ.

أَنَا الَّذي هابَ[٤] عِبادَكَ وَأَمِنَكَ.

أَنَا الَّذي لَمْ يَرْهَبْ سَطْوَتَكَ، وَلَمْ يَخَفْ بَأْسَكَ.

أَنَا الْجاني عَلى نَفْسِهِ.

---

(١) في (ت): «ولا يعافص»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «ولا يُعافِصُ»، وعفص الشيء عفصا: ثناه وعطفه. ويقال: عفص يده: لواها. (وراجع معجم مقاييس اللغة٤: ٦٩). وقوله: «لا ينده» أي لا يزجر. والنده: الزجر بـ«صه» و«مه»، وقيل: نده ينده: يسوق ويجمع ويزجر. وفي (النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير ٥: ٣٦، ولسان العرب، لابن منظور١٣: ٥٤٧): النَّدْه: الزَّجْرُ عن كل شيء والطرد عنه بالصِّياح، وفي حاشية (د): «النده: الزجر والرد، والنقطة تحت الدال لغو».

(٢) في (ت): «المسرفين»، وفي (س): «أترفته النعمة: أي أطغته». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٣) في حاشية (ج) في نسخة زيادة: «المذنب المقترف».

(٤) في (ت): «خاف».

أَنَا الْمُرْتَهَنُ بِبَلِيَّتِهِ.

أَنَا الْقَلِيلُ الْحَياءِ.

أَنَا الطَّوِيلُ الْعَناءِ.

ومقارنة اخرى بين الحالات المختلفة للداعي من العصيان المتعقّب بالتوبة تستوجب قبولها من الله سبحانه لصفات الرحمة التي اختص الله تعالى بها، ومنها:

١ ـ لم يعاجل المسيئين بالعقاب وان استحقوها، بل أمهلهم حتى يرجعوا إلى صوابهم بالتوبة.

٢ ـ لا ينده المترفين، والنده: الطرد، والمترَف ـ بالبناء على المفعول ـ: من أبطرته النعمة، وبالرغم من ذلك؛ فإن الله لا يطردهم من باب رحمته.

٣ ـ يمنّ بإقالة العاثرين، والعثرة: الزلة. والاقالة: المسامحة، فهو تعالى يسامح من زلّ في الذنوب بمنّه.

٤ ـ يتفضّل بإنظار الخاطئين، والخطأ: الذنب من غير عمد، والإنظار: الإمهال.

وهذه الصفات التي اختصّ الله تعالى بها على حقيقتها يستوجبها حال الداعي المعترف وكذا كل من ينطبق عليه عنوان الاساءة والترف والعثرة والخطأ، وقد سرد موارد الاعتراف في نقاط:

١ ـ (أنا المسيء المعترف) والاعتراف: الاقرار بالاساءة، وهو اثبات الذنب على نفسه، فيكون نافذاً ومصداقاً لشمول الرحمة الإلهيّة لعدم العجلة في العقاب، والخاطئ: الذي يستوجب الإنظار، والعاثر: الذي يستوجب الإقالة.

٢ ـ (أنا الذي أقدم عليك مجترءاً)، والاجتراء: قصد التعدي من دون جهل وغفلة.

٣ ـ (أنا الذي عصاك متعمداً) فكانت المعصية مقصودة من دون سهو.

٤ ـ (أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك) والاستخفاء: الاستتار، والمبارزة: الحرب المعلن.

٥ ـ (أنا الذي هاب عبادك وأمنك) والهيبة: الحذر من الناس علناً، والأمن من الله بالعصيان.

٦ ـ (أنا الذي لم يرهب سطوتك ولم يخف بأسك) والرهبة: شدة الخوف، والسطو: القهر، والباس: شدة النكاية.

٧ ـ (أنا الجاني على نفسه) فإن المعاصي تؤثر على نفس الإنسان أولاً وبالذات.

٨ ـ (أنا المرتهن ببليّته) والمرتهن: المحتبس بالبلاء والامتحان.

٩ ـ (أنا القليل الحياء) بارتكاب ما يحاول ستره عن أعين العامة، مما لا يخفى على الله سبحانه.

١٠ ـ (انا الطويل العناء) والعناء هو التعب بسبب ما ارتكبه من المعاصي والأخطاء.

وموارد الاعتراف هذه من مصاديق الإساءة والترف والعثرة والخطأ الّتي تقدمت، وحيث ان الصفات التي اختص بها الله سبحانه تستوجب العفو عن امثاله، فيكون الداعي مستوجباً للعفو كغيره من التائبين.

[٢٢/٤٧ ـ الشفاعة]:

بِحَقِّ مَنِ انْتَجَبْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَبِمَنِ اصْطَفَيْتَهُ[١] لِنَفْسِكَ.

بِحَقِّ مَنِ اخْتَرْتَ مِنْ بَرِيَّتِكَ، وَمَنِ اجْتَبَيْتَ[٢] لِشَأْنِكَ[٣].

بِحَقِّ مَنْ وَصَلْتَ طاعَتَهُ بِطاعَتِكَ، وَمَنْ جَعَلْتَ مَعْصِيَتَهُ كَمَعْصِيَتِكَ.

---

(١) في (ت): «اصطفيت».

(٢) في حاشية (ج) (د): «أحببت ـ ش».

(٣) في حاشية (د): «الظاهر تحريك النون بالكسر في النسخة الواقعة في المتن، والجزم على النسخة الواقعة في الهامش».

بِحَقِّ مَنْ قَرَنْتَ[١] مُوالاتَهُ بِمُوالاتِكَ، وَمَنْ نُطْتَ[٢] مُعاداتَهُ بِمُعاداتِكَ[٣].

ينصّ هذا المقطع على الشفاعة للعفو من الله تعالى وتقديمها على العقاب في الحالتين المتعاقبين من الداعي من المعصية والتوبة، وسرد طوائف لهم المنزلة والرتبة عند الله سبحانه.

وابتدأ بالقسم بحقهم من دون تسمية لهم ولا لحقوقهم؛ لأن الله أعلم بهم وبها، وهم مهما علت منازلهم وعظمت حقوقهم فهم لا يرون انفسهم في المرتبة اللائقة للمقام الربوبي؛ لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين[٤]، ولكن هو العالم بالحقائق والاعمال والنيات، ويكفي في ذلك علمه، وخص من الطوائف:

١ ـ من انتجبه الله من الخلق باستجماع الكمال فيه وحسن الخصال.

٢ ـ من اصطفاه الله لنفسه بإنزال الوحي عليه كالأنبياء والرسل.

٣ ـ من اختاره الله من البرية لإنفاذ ارادته عليهم، من الملائكة وغيرهم.

٤ ـ من اجتباه الله لشأنه من تدبير الخلق، من الملائكة وغيرهم.

٥ ـ من وصلت طاعته بطاعة الله من الأنبياء والمرسلين.

٦ ـ من معصيته كمعصية الله من الأنبياء والمرسلين.

٧ ـ من موالاته مقرونة بموالاة الله، من أولياء الله.

٨ ـ من معاداته منوطة بمعاداة الله، أي متعلقة.

ويدخل في هذه الطوائف: الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون والأئمة الطاهرون وعباد الله الصالحون؛ فإن لشفاعة هؤلاء مقام عند الله تعالى ينبغي

---

(١) في حاشية (د): «بتخفيف الراء من سائر النسخ، قال الشارح: من باب قتل، وفي لغة: من باب ضرب». (راجع: رياض السالكين ٧: ٣٩).

(٢) في (س): «نطت الشيء بغيره: خلطته به. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٣) العبارة في (ت) هكذا: «وجعلت معاداته كمعاداتك».

(٤) انظر: بحار الأنوار ٢٥: ٣٠٤.

للداعي ان يتوسل بها كي تشمله رحمة الله الواسعة، وقد عقّبها بنقاط متتابعة تستوعب حاجات الإنسان الروحية حتى الممات.

[٢٣/٤٧ ـ طوائف التائبين]:

تَغَمَّدْني في يَوْمي هذا بِما تَتَغَمَّدُ(١) بِهِ مَنْ جأَرَ(٢) إِلَيْكَ مُتَنَصِّلاً(٣)، وَعاذَ بِاسْتِغْفارِكَ تائِباً.

وَتَوَلَّني بِما تَتَوَلّى بِهِ أَهْلَ طاعَتِكَ، وَالزُّلْفى(٤) لَدَيْكَ، وَالْمَكانَةِ مِنْكَ.

وَتَوَحَّدني(٥) بِما تَتَوَحَّدُ بِهِ مَنْ وَفى بِعَهْدِكَ، وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ في ذاتِكَ، وَأَجْهَدَها في مَرْضاتِكَ.

وَلا تُؤاخِذْني بِتَفْريطي في جَنْبِكَ(٦)، وَتَعَدّي(٧) طَوْري في حدُودِكَ، وَمُجاوَزَةِ أَحْكامِكَ.

وَلا تَسْتَدْرِجْني(٨) بِإِمْلائِكَ لي اِسْتِدْراجَ مَنْ يَمنَعَني(٩) خَيْرَ ما

---

(١) في (ت): «يتغمد».

(٢) في (ت): «من جاء»، والجؤور: رفع الصوت بالبكاء.

(٣) في (س): «تنصّل فلان من ذنوبه أي تبرّأ». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٤) في (ت): «والزلفة».

(٥) في (س): «توحّده الله بعصمته: أي عصمه ولم يكله إلى غيره». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٧).

(٦) في (ت): «في حبّك».

(٧) في (ت) وحاشية (ج) (د): «وعن تعدّي ـ س».

(٨) في (س): «استدرجه إلى كذا: إذا استنزله الله درجة فدرجة حتى يورّطه فيه، واستدراج الله العصاة: أن يرزقهم الصحة والنعمة، فيجعلون رزق الله ذريعة ومتسلّقاً إلى ازدياد الكفر والمعاصي». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٨).

(٩) كذا في (ت)، وفي غيرها: «من منعني».

عِنْدَهُ وَلَمْ يَشْرِكِكَ[١] في حُلُولِ نِقْمَتِهِ بي.

وهذه النقاط الروحية المطلوبة تبتدئ من هذا من اليوم الذي تغيّرت فيه حالة الداعي إلى حين الموت، وانها وان كانت مطلوبة في نفسها متى ما حصلت، ولكن الدعاء انما هو للتغمّد، أي الاستيعاب الكامل للحياة حتى الموت بمثل ما تغمّد الله بالفضل طوائف عديدة:

فمنهم: من تغمّده الله برحمته، وهم:

١ ـ من جأر، أي رفع صوته بالدعاء؛ لكونه متنصّلا، أي معتذراً.

٢ ـ من عاد بالاستغفار تائباً عمّا ارتكب من الذنوب والأخطاء.

ومنهم: من تولّاه الله بالحفظ، وهم:

٣ ـ أهل طاعة الله في العبادات وأعمال الخير.

٤ ـ أهل الزلفى لدى الله، أي القرب عنده تعالى.

٥ ـ أهل المكانة من الله، أي المنزلة؛ لخصائص لهم في أدوار حياتهم.

ومنهم: من توحّده الله، أي قام له الله به وحده تعالى من غير واسطة، وهم:

٦ ـ من وفى بعهد الله فأتمّ العهد من دون نقص.

٧ ـ من أتعب نفسه في ذات الله، أي في أداء حقوق الله بالطاعات.

٨ ـ من أجهد نفسه في مرضاة الله، أي بلغ جهده وطاقته في تحرّي رضاه تعالى.

والفضل باللحوق في هذه الطوائف يستلزم أمرين:

أولاً: عدم المؤاخذة بالتفريط، أي التقصير في جنب الله، أي تضييع ما هو في الجانب الإلهي من الواجبات المفروضة على كل مسلم في نفسه وتجاه مجتمعه.

وكذا التعدّي في حدود الله الّتي حدّدها للحياة، ونهى عن التقرب إليها من المحرمات.

---

(١) في (ت): «ولم يشرك».

وكذا مجاوزة الاحكام الّتي شرعها الله سبحانه من عدم الاهتمام بها واهمالها.

ثانياً: عدم الاستدراج، وهو النقل تدريجياً إلى أعلى درجات الهلاك درجة فدرجة، ويكون ذلك بالإملاء، أي الامهال في تأخير العقاب، مثل استدراج الذي يمنع خير ما عنده من الناس؛ فإن استدراج الناس لا رحمة فيه وينتهي إلى الهلاك المحض، بينما استدراج الله سبحانه ليس كذلك.

وقوله عليه السلام: (ولم يشركك في حلول نقمته بي) أي المستدرج الذي يتكفل ان يقوم بعمل على ان يقوم به بنفسه من دون الاعتماد على آخرين حتى على الله سبحانه؛ فإن هذا المستدرج يتكفل بأمر هو حلول النقمة بالإنسان، فلم يشرك الله في القيام بهذه النعمة. والاستدراج من هذا المستدرج لابّد وأن ينتهي إلى الهلاك المحض؛ حيث لا رحمة فيه أبداً؛ لأنه نابع من مصلحة ماديّة بحتة، ونعم ما أفاده الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ) بقوله: «والمعنى لا تستدرجني استدراج مستدرج خير ما عنده وهو مع ذلك مستبدّ ومستقل في حلول نقمته بي؛ فإن استدراج من هذه صفته يكون أفضع استدراج وأشده؛ لأنه إذا منعه خير ما عنده وكان مستبداً في حلول النقمة له كان متمكنا من حرمانه سابقاً ولاحقاً؛ فإن استدرج لم يبقِ ولم يذر، بخلاف ما إذا لم يكن مستبداً في الإنعام، بل شرّك غيره فيه وأراد الاستدراج، لم يتمكن كل التمكن؛ لاحتمال ان لا يوافقه شريكه على الحرمان، خصوصاً إذا كان الشريك أقوى وأكرم وارحم وهو الله سبحانه تعالى، ومن هنا قيل: إنما العاجز من لا يستبد. وعلى هذا فجملة قوله: (ولم يشركك) يجوز أن يكون من تمام العلة عطف على (منعتني)، وأن تكون حالاً من فاعله، أي غير شريك لك، ولا يتعيّن الحالية كما توهم بعضهم»[١].

[٤٧/ ٢٤ ـ اليقظة للمثبّطات]:

وَنَبِّهْني مِنْ رَقْدَةِ الْغافِلينَ، وَسِنَةِ الْمُسْرِفينَ، وَنَعْسَةِ الْمَخْذُولينَ.

---

(١) رياض السالكين ٧: ٥٢.

وَخُذْ بِقَلْبي إِلَى مَا اسْتَعْمَلْتَ بِهِ الْقانِتينَ، وَاسْتَعْبَدْتَ بِهِ الْمُتَعَبِّدينَ، وَاسْتَنْقَذْتَ بِهِ الْهاوِينَ(١).

وَأَعِذْني مِمّا يُباعِدُني عَنْك، وَيَحُولُ بَيْني وَبَيْنَ حَظّي مِنْكَ، وَيَصُدُّني(٢) عَمّا أُحاوِلُ لَدَيْكَ.

وَسَهِّلْ لي مَسْلَكَ الْخَيْراتِ إِلَيْكَ، وَالْمُسابَقَةَ إِلَيْها مِنْ حَيْثُ أَمَرْتَ، وَالْمُشاحَّةَ(٣) فيها عَلى ما أَرَدْتَ(٤).

وَلا تَمْحَقْني فيمَنْ تَمْحَقُ مِنَ الْمُسْتَخِفّينَ(٥) بِما أَوْعَدْتَ(٦)، وَلا تُهْلِكْني مَعَ مَنْ تُهْلِكُ مِنَ الْمُتَعَرِّضينَ لِمَقْتِكَ.

وَلا تتَبِّرْني(٧) فيمَنْ(٨) تُتَبِّرُ(٩) مِنَ الْمُنْحَرِفينَ(١٠) عَنْ سُبُلِكَ(١١).

---

(١) كذا في (ت)، وفي غيرها: «المتهاونين».
(٢) في (ت): «وتصدني».
(٣) في حاشية (ج): «أي المواضبة»، وفي (س): «تشاحَّ الرجلان على الأمر: لا يريدان أن يفوتهما، وفلان يشاحّ على فلان: أي يضن به ويبخل». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٨).
(٤) في (ت): «ما ابردت» [كذا].
(٥) لم ترد في (ت): «من المستخفين».
(٦) في حاشية (ج): «وعدت، أوعدت ـ معا».
(٧) العبارة في (ت) هكذا: «ولا تبرني»، وفي (س): «تبّره تتبيراً: كسّره وأهلكه». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٨).
(٨) العبارة في (ت) هكذا: «مع من»، وفي حاشية (ج) في نسخة: «مع من».
(٩) في (ت): «تبير».
(١٠) في حاشية (ج) (د): «وَلا تُبِرْني فيمَنْ تُبيرُ مِنَ الْمُنْحَرِفينَ ـ س»، وفي (س): «انحرف عنه وتحرَّف واحروَرفَ: أي مال وعدل». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٨).
(١١) في (ت): «سبيلك».

ومما يفتقر إليه الإنسان في حياته اليقظة لما يثبّط عزيمته في العمل الصالح بالنسبة إلى اسبابها ونتائجها، والله وحده المسؤول في النيّة، وقد أشار في هذا المقطع منها إلى:

١ ـ رقدة الغافلين، والرقدة: النوم القصير الأمد، والغفلة: إهمال جلائل الأعمال الصالحة، واليقظة تقتضي الاستعداد لها.

٢ ـ سنة المسرفين، والسنة: ما يتقدم النوم من فتور في الجسد، والاسراف: تجاوز الحد؛ فإنه لا يتجاوز الإنسان الحدود إلّا بعد التقرب منها، واليقظة تقتضي الابتعاد عنها.

٣ ـ نعسة المخذولين، والنعاس: أول النوم، والخذلان: ترك الاعانة، واليقظة تقتضي الاستمرار في إعانة من يفتقر إليها حتى لا يبتلي باهمال الواجب الإنساني، فإنه الخذلان.

ثم سرد ما يلازم اليقظة في نقاط، هي:

٤ ـ عقد القلب بما يؤثر في القنوت، أي الخضوع، والأخذ: الاستيلاء، وقوله: (ما استعملت به) أي ما جعلته عاملا ومؤثراً في القنوت.

٥ ـ عقد القلب بما يطلب من المتعبدين، والاستعباد الأمر بالعبادة.

٦ ـ عقد القلب بما استنقذ الله به المتهاونين، والتهاون: الاستخفاف بما يجب فعله من الواجبات الإسلامية.

٧ ـ الاستعاذة مما يباعد عن الله تعالى، والاستعاذة: طلب العصمة بالله تعالى مما يسخطه.

٨ ـ الاستعاذة مما يحول بين الإنسان وبين النصيب مما هو من الله من أعمال الخير والطاعات.

٩ ـ الاستعاذة مما يصدّ ويمنع ما يحاول الإنسان لدى الله، أي يطلبه من الثواب والرضا بالتقرب إلى الله تعالى.

١٠ ـ تسهيل مسلك الخيرات إلى الله للإنسان.

١١ ـ المسابقة إلى الخيرات من حيث أمر الله بنيّة خالصة لخدمة المحتاجين في المجتمع.

١٢ ـ المشاحّة، أي الاهتمام في الخيرات على ما اراده الله، والتشاح: ارادة ان لا يفوت الإنسان ما يريد.

وبالاجمال: اليقظة للواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق الإنسان في حياته، وهي تستلزم ما تقدم من الاعمال الصالحة، وكذلك التجنّب عن الاعمال الرذيلة من المحرمات والمكروهات لما يترتب عليها من آثار سلبية، وقد خص منها بالذكر:

١ ـ المحق، وهو نقصان الشيء حالا بعد حال، فيكون الإنسان باستخفافه بالمسؤوليات ممن ينقص قيمته في المجتمع حالا بعد حال؛ لارتكابه ما أوعد الله العقاب عليه في الدنيا قبل الآخرة.

٢ ـ الهلاك، وهو الفناء من الوجود، أو فناء قيمته في المجتمع، وهو لا يقل عن الفناء الحقيقي بالموت، فيكون الإنسان متعرّضاً أي مستحقّاً للمقت من الله تعالى أي لغضبه.

٣ ـ الانحراف، وهو الميل عن الصراط المستقيم بسلوك السبل العوجاء في الحياة والمواعيد الكاذبة من اصحاب الاطماع والأهواء؛ فإن من انحرف عن الصراط المستقيم الذي هو قائم لكل شيء في الحياة لابدّ وأن يتبّر، أي ينكسر، ومن ينكسر يتشتت أمره ولا تصلح حياته.

فاليقظة للمسؤوليات بأدائها كما هي مطلوبة والمحرمات باجتنابها، تجعل الإنسان سائراً على الصراط المستقيم في الحياة. والتنكّب عن هذا الصراط يوجب ان تنقص قيمة الإنسان في المجتمع حالا بعد حال وأن لا يتمكّن من أداء الدور المطلوب منه.

[٢٥/٤٧ ـ طريق النجاة]:

وَنَجِّني مِنْ غَمَراتِ[1] الْفِتْنَةِ، وَخَلِّصْني مِنْ لَهَواتِ الْبَلْوى،

---

(١) في (ت): «الغمرات»، وفي (س): «الغَمرة: الشدّة، والجمع: غمرات، وغمرات الموت: شدائده». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٨).

وَأَجِرْني مِنْ أَخْذِ الإِمْلآءِ[١]، وَحُلْ بَيْني وَبَيْنَ عَدوٍّ يُضِلُّني، وَهَوىً يُوبِقُني، وَمَنْقَصَة تَرْهَقُني[٢].

وَلا تُعْرِضْ عَنّي إِعْراضَ مَنْ لا تَرْضى[٣] عَنْهُ بَعْدَ غَضَبِكَ.

وَلا تُويِسْني[٤] مِنَ الأَمَلِ فيكَ فَيَغْلِبَ عَلَيَّ[٥] الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِكَ.

وَلا تَمْنَحْني[٦] بِما لا طاقَةَ لي بِهِ فَتَبْهَظَني مِمّا[٧] تُحَمِّلُنيهِ[٨] مِنْ فَضْلِ مَحَبَّتِكَ[٩].

---

(١) في (ت): «الابتلاء».

(٢) في حاشية (ج) (د): «تُزهِقُني ـ س»، وفي (س): «رَهِقَه ـ بالكسر ـ يرهقه: إذا غشيه ولم يبعد عنه، ويقال: الرهق: السفه والطغيان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (سورة الجن٧٢: ٦)». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٨).

(٣) في (ت): «لا يرضى».

(٤) في حاشية (د) ما نصه: «يئس من الشيء ييأس يأسا من باب «سمع»: انقطع رجاؤه وأمله منه ولم يبق له فيه طمع. ويعدّى بالهمزة، فيقال: أيسته. و«من»: ابتدائيّة. والأمل هنا بمعنى: المأمول، اطلاقا للمصدر على اسم المفعول كاللفظ بمعنى الملفوظ، لأنّ اليأس لا يكون إلّا من متعلَّق الأمل لا من نفس الأمل. أو هو من باب المبالغة، على أن المعنى: لا تقطع رجائي من أملك بحيث لا يكون لي فيك رجاء وأمل أتعلق به. وجعل في صلة الأمل لكونه بمعنى الطمع. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٧: ٦٤).

(٥) في حاشية (د) ما نصه: «في أكثر النسخ بتشديد الياء، على أن حرف الجر داخل على ياء المتكلم، وبضم «القنوط» على أنه فاعل «يغلب»».

(٦) في (ت) وملحق (ك): «ولا تمتحنّي»، وفي ملحق (ش): «ولا تمنحني»، وفي حاشية (ج) (د): «ولا تمتحنّي ـ س»، وقال السيد علي خان، ما نصه: وقع في أكثر النسخ المشهورة: «ولا تمنحني بما لا طاقة لي» بالنونّ بعد الميم، من المنح بمعنى الإعطاء، يقال: منحه منحا من باب ـ نفع ـ: أي أعطاه فتكون الباء زائدة في المفعول نحو: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ (سورة الحج ٢٢: ١٥). ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ (سورة مريم ١٩: ٢٥) أو لتضمين «تمنحني» معنى: تختصني. (رياض السالكين٧ ٦٥).

(٧) في (ت): «فيبهظني ما».

(٨) في حاشية (د) ما نصه: «الظاهر ضم اللام، لانه لا جار هنا، والضم هو المطابق لأكثر النسخ».

(٩) في (ت): «محنتك»، وفي حاشية (ج): «من محنتك ـ س»، وفي حاشية (د): «محنتك ـ =

وَلا تُرْسِلْني[(١)] مِنْ يَدِكَ إِرْسالَ مَنْ لا خَيْرَ فيهِ، وَلا حاجَةَ بِكَ إِلَيْهِ وَلا إِنابَةَ[(٢)] لَهُ.

وَلا تَرْمِ بي[(٣)] رَمْيَ مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ رِعايَتِكَ، وَمَنِ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْخِزْيُ مِنْ عِنْدِكَ، بَلْ خُذْ بِيَدي مِنْ سَقْطَةِ[(٤)] الْمُتَرَدّينَ[(٥)]، وَوَهْلَةِ[(٦)] الْمُتَعَسِّفينَ، وَزَلَّةِ الْمَغْرُورينَ، وَوَرْطَةِ الْهالِكينَ.

واليقظة إذا استبتعتها العمل يكون طريق النجاة في الحياة، وفي هذا المقطع إشارة إلى مزالق يفتقر الإنسان في حياته التيقظ لها ومحاولة النجاة منها، واستعرض موارد منها بالاثبات، ثمّ عقّبها بموارد بالنفي، وهي:

١ ـ الفتنة، وهي كل ما يعرض على الإنسان من المحنة، وخاصة غمراتها، أي شدائدها، ولا يخلوا منها حياة انسان.

وانما طلب من الله النجاة منها، لأن في الفتنة تظهر حقيقة الإيمان والثبات على المبادي، فإنها امتحان يمرّ به كل انسان.

= س». قال السيد علي خان: ومن في قوله: «ممّا تحمّلنيه» إمّا ابتدائيّة متعلّقة بـ«تبهظني»، لأنّ ابتداء البهظ يكون ممّا حمله أو تعليليّة، أي من أجل ما تحمّلنيه. وفي قوله: «من فضل محنتك» بيانيّة على رواية «محنتك» بالنون، وهي ومخفوظها في موضع نصب على الحال من مبنيها وهو «ما تحمّلنيه». وامّا على رواية: «محبّتك» بالباء الموحّدة المشدّدة، فهي تعليليّة متعلّقة بـ«تمنحني»، أي: لا تمنحني بذلك من أجل فضل محبّتي لك. كما تقول: لا تكرم زيدا من سوء أدبه. و«الفضل: بمعنى الزيادة. (رياض السالكين ٧: ٦٥ ـ ٦٦).

(١) في (س): «أرسله من يده: إذا رماه. ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه. س». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(٢) في (ت): «ولا أمانة».

(٣) في (ت): «ولا ترمني».

(٤) في (س): «السقطة: العثرة والزلّة، وكذا السقاط». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(٥) في (س): «المترددين».

(٦) في (ت): «فأنعمت».

٢ ـ البلوى، أي البلاء الروحي، وقد استعاره عليه السلام للبلاء الجسمي كالمرض، فالمبتلى به كالاكل له، فيكون واقعاً في فخ لهوات البلوى، أي فمه، حيث ان اللهاة هو آخر الفم وإذا وصل الطعام إليه فإنه يصعب تخليصه إلّا بارادة قوية من الآكل نفسه.

٣ ـ الإملاء، وهو الإمهال والجوار الحماية.

٤ ـ دفع العدو الذي أخذ على نفسه إضلال الإنسان، وهو الشيطان الرجيم، فيفتقر إلى من يحول بين الإنسان والشيطان ويفصلهما عن بعض.

٥ ـ الهوى، وهو ميل النفس إلى الشهوات والايباق: الهلاك.

٦ ـ المنقصة، أي الخسران، وهي من الخصال الرذيلة. والارهاق: التعب الروحي.

٧ ـ الإعراض، وهو الصدّ اعراضاً، ويلازمه عدم الرضا، ويكون نابعاً عن السخط والغضب.

٨ ـ اليأس من الامل في الله وهدايته للصراط المستقيم في كل شيء في الحياة.

٩ ـ القنوط، أي اليأس من رحمة الله الواسعة.

١٠ ـ ما لا طاقة للإنسان به، والطاقة: ما يتمكن الإنسان من فعله بلا مشقة، والمعنى: لا تعطني ما لا طاقة لي به فتبهضني، أي تثقلني بما تحملنيه من فضل محبتك، أي لطفك؛ فإنّ أي إحسان يستلزم مقابلتها بالمثل او ما يقاربه، فإذا لم يطق الإنسان ذلك يصبح مدينا، ويستلزمه حمل ثقل الدين الباهظ على من لا طاقة به.

ويظهر ان النص في نسخة الشارح المدني كان كالآتي: «ولا تمتحني بما لا طاقة لي به فيبهظني بما نحلتنيه من فضل محنتك» وان الكلمة الأولى من مادة الامتحان حيث فسرها بالابتلاء، وأن الكلمة الأخيرة من مادة المحنة، أي ما يبتلي الإنسان به من بلية في حياته، وقال: «وقع في اكثر النسخ المشهورة (ولا

تمنحني بما لا طاقة لي) بالنون بعد الميم من المنح، بمعنى الاعطاء، يقال: منحه منحاً من باب نفع، أي اعطاه، فتكون الباء زائدة في المفعول نحو: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[١] و﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[٢] أو لتضمّن يمنحني معنى يحصنني»[٣].

١١ ـ الإرسال، أي إطلاق السراح من دون اهتمام، كإرسال من لا خير فيه كالبهائم المطلقة العنان، فإذا اصبح الإنسان بهذه الدرجة من الرفض لتقبّل الأوامر والنصائح التي تكون في صالحه، تُرك وشأنه، ولا يكون له الرجوع إلى طريق الصواب.

١٢ ـ السقوط من عين رعاية الله، المستلزم لأن يرمى به، كما ترمى النفايات.

١٣ ـ الخزي من الله، وهو الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة.

فإنّ هذه المزالق تفتقر في النجاة منها ـ لمن اراد النجاة لنفسه ـ إلى عناية الله سبحانه وتعالى الذي هو على كل شيء قدير، ويتحقق ذلك بانقاذ الإنسان، وقد كنّى عنه بأخذ اليد، أي انقاذه من امور:

١ ـ (سقطة المتردّين) أي هلاك من وقع من علوّ إلى الأسفل.

٢ ـ (وهلة المتعسفين) والتعسف: التخبط؛ لعدم وضوح الرؤية لديهم في الحياة، والوهلة: الفزع.

٣ ـ (زلّة المغرورين) والزلة: زلق الرجل حال المشي، والغرور: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى.

٤ ـ (ورطة الهالكين) والورطة: كل أمر يعسر النجاة منه، والهلاك: العذاب.

وهذه الحالات الأربع متدرّجة في حصولها، فتبدأ بالتردّي، ثم التعسّف، ثم

---

(١) القرآن الكريم، سورة الحج ٢٢: ١٥.
(٢) القرآن الكريم، سورة مَريَم ١٩: ٢٥.
(٣) رياض السالكين ٧: ٦٥.

الغرور، ثم الهلاك، كلّ ذلك لعدم الرؤية الواضحة في الحياة حينما تعرض على الإنسان مشاكل في سلوك الصراط المستقيم وما يصبوا إليه في الحياة الخاصة.

[٢٦/٤٧ ـ من فضل الله]:

وَعافِني مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ طَبَقاتِ عَبيدِكَ وَإِمائِكَ، وَبَلِّغْني مَبالِغَ مَنْ عُنيتَ بِهِ، وَأَنْعَمْتَ[١] عَلَيْهِ وَرَضيتَ[٢] عَنْهُ، فَأَعَشْتَهُ حَميداً، وَتَوَفَّيْتَهُ سَعيداً.

وَطَوِّقْني طَوْقَ الْإِقْلاعِ عَمّا يُحْبِطُ[٣] الْحَسَناتِ، وَيَذْهَبُ بِالْبَرَكاتِ، وَأَشْعِرْ قَلْبِي الإِزْدِجارَ[٤] عَنْ قَبآئِحِ السَّيِّئاتِ، وَفَواضِحِ الْحَوْباتِ.

وَلا تَشْغَلْني بِما لا أُدْرِكُهُ إِلّا بِكَ عَمّا لا يُرْضيكَ عَنّي[٥] غَيْرُهُ.

وَأَنْزِعْ مِنْ قَلْبي حُبَّ دُنْياً دَنِيَّةٍ تَنْهى عَمّا عِنْدَكَ، وَتَصُدُّ عَنِ ابْتِغآءِ الْوَسيلَةِ إِلَيْكَ، وَتُذْهِلُ عَنِ التَّقَرُّبِ مِنْكَ.

وَزَيِّنْ لِيَ التَّفَرُّدَ بِمُناجاتِكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ.

وأشار في هذا المقطع إلى ما يفتقر إليه الإنسان في حياته من فضل الله تعالى، منها:

---

(١) في (ت): «ورفّهت».

(٢) في (ت): «ووهدة»، وفي (س): «وهل في الشيء أو عن الشيء يوهل وهلاً: إذا غلط فيه». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(٣) في (ت): «يحيط».

(٤) في (ت): «الانزجار».

(٥) في (ت): «منّي».

١ ـ العافية من البلاء، وهي دفاع الله عن العبد ما يسؤوه من البلايا والعلل مما ابتلي به الآخرون من الطبقات؛ فإنهم مهما علت طبقاتهم المتفاضلة في الدنيا في المال والجاه، فهم مبتلون بما يبتلي به كل انسان؛ فإنهم يفتقرون حينئذ في علاجها إلى التوجّه إلى الله سبحانه؛ لأنهم جميعاً عبيده وإماؤه.

٢ ـ عناية الله، أي اهتمامه بأمر الإنسان، قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠ هـ) في كلمة «عنيت»: «ونص غير واحد من أئمة اللغة على أنّ هذا الفعل لا يستعمل إلّا مبينياً للمفعول»[١].

ومعنى عنيت بالشيء ـ بالبناء للمفعول ـ: اهتممت به، فأنا به معنيّ، وبلوغ المبلغ: الوصول إلى منتهاه.

٣ ـ نعمة الله، وهو ما أنعم الله به من الرزق، والدعاء لبلوغ المنتهى في ذلك.

٤ ـ رضى الله، وهو الائتمار بأمر الله والانتهاء عند نهيه، المستلزمان للثواب.

٥ ـ العيش الحميد في الدنيا بسلوك الصراط المستقيم.

٦ ـ الوفاة السعيد، باستيفاء الروح النصيب الأوفى حين موتها؛ حيث أدّت دورها في الحياة.

٧ ـ الاقلاع عما يحبط الحسنات بالتحصن الإلهي كالطوق، وهو الحلقة المستديرة التي تجعل في العنق، الموجب لأن يقلع، أي يترك الإنسان بالمرة ما يحبط الحسنات، أي يفسدها ويبطلها.

٨ ـ التحصّن مما يذهب البركات، وهي الخيرات الإلهيّة، من المعاصي المؤثرة في النفس والمجتمع.

٩ ـ الازدجار عن قبائح السيئات، أي الامتناع عنها؛ فإن القلب إذا شعر

---

(١) رياض السالكين ٧: ٧٠.

بقبح الشيء لابد وان يؤثر ذلك على جوارح الإنسان فيمتنع عن ممارستها، والهداية من الله، والقبيح: ما أنكره القلب والعقل.

١٠ ـ الازدجار عن فواضح الحوبات، والفضيحة: كشف المعايب، والحوبة: الخطيئة والإثم.

وعقب هذه النقاط الإيجابية بنقاط سلبية ينبغي الانتهاء عنهما، وهي:

١ ـ الاشتغال بما لا يرضي الله تعالى، بل الاشتغال بالوسيلة الّتي شرعها الله سبحانه مما يدرك بواسطته تعالى؛ فإن الغاية لا تبرّر الواسطة، بل كلا الامرين من الواسطة والغاية يجب ان يكونا مشروعين.

٢ ـ حبّ الدنيا الدنيّة، أي الخسيسة القدر، وقد ذكر أسبابا ثلاثة لحقارتها، وهي:

أولاً: تنهي عما عند الله؛ لأنها تركّز على النفس دون غيرها.

ثانياً: تصد وتمنع عن ابتغاء الوسيلة إلى الله، أي الاجتهاد فيها بالتوسل إلى الله تعالى.

ثالثاً: وتذهل عن التقرب من الله بالاشتغال بالذات.

فإن هذه الصفات الثلاثة من لوازم حبّ الدنيا الّتي تجعل الإنسان يهتم بنفسه فقط من دون اهتمام بالدور المسؤول عنه والمفروض عليه تجاه نفسه ومجتمعه، فيكون كالبهيمة المربوطة همّهما علفها.

وختم المقطع بالدعاء الجامع لذكر الله سبحانه على كل حال، مستلهما هدايته في الحياة، وذلك زينة التفرد، أي الخلوة لمحاسبة النفس بمناجاة الله سبحانه؛ أي دعائه وذكره في كلّ الأوقات بالليل والنهار، حتى تكون أعماله صادرة عن وعي كامل للأسباب والنتائج في سلوكه الصراط المستقيم في الحياة.

[٤٧/ ٢٧ ـ مواهب الله]:

وَهَبْ لي عِصْمَةً تُدْنيني مِنْ خَشْيَتِكَ، وَتَقْطَعُني عَنْ رُكُوبِ مَحارِمِكَ، وَتَفُكُّني مِنْ أَسْرِ الْعَظائِمِ.

وَهَبْ لِيَ التَّطْهيرَ مِنْ دَنَسِ الْعِصْيانِ، وَأَذْهِبْ عَنّي دَرَنَ[(١)] الخَطايا، وَسَرْبِلْني بِسِرْبالِ عافِيَتِكَ، وَرَدِّني رِداءَ مُعافاتِكَ، وَجَلِّلْني سَوابِغَ نَعْمآئِكَ، وَظاهِرْ لَدَيَّ فَضْلَكَ وَطَوْلَكَ، وَأَيِّدْني بِتَوْفيقِكَ وَسددني[(٢)] بتَسْديدِكَ، وَأَعِنّي عَلى صالِحِ النِّيَّةِ، وَمَرْضِيِّ الْقَوْلِ، وَمُسْتَحْسَنِ الْعَمَلِ.

وَلا تكِلْني إِلى حَوْلي وَقُوَّتي دُونَ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَلا تُخْزِني يَوْمَ تَبْعَثُني لِلِقآئِكَ، وَلا تَفْضَحْني بَيْنَ يَدَيْ أَوْلِيآئِكَ[(٣)]، وَلا تُنْسِني ذِكْرَكَ، وَلا تُذْهِبْ عَنّي شُكْرَكَ، بَلْ أَلْزِمْنيهِ في أَحْوالِ[(٤)] السَّهْوِ عِنْدَ[(٥)] غَفَلاتِ الْجاهِلينَ لِآلآئِكَ[(٦)].

وفي هذا المقطع إشارة إلى بعض مواهب الرحمن الّتي يفتقر إليها الإنسان في الحياة، وذكر بعض النقاط السلبية الّتي يفتقر الإنسان إلى التحصن بالله تعالى منها، اما النقاط الإيجابية المفتقر إليها، فهي:

١ ـ العصمة، وهي الوقاية عن المكروه، حتى يصبح ملكة يمتنع بها عن المعاصي، ويكون من آثارها: الخشية من الله والانقطاع عن ارتكاب المحرمات الّتي حرّمها الله تعالى والتي يكون الواقع فيها في اسر عظائم الكبائر من الذنوب، ولولا العصمة لترتبت هذه الآثار.

٢ ـ التطهير من دنس العصيان المتعمّد فعله؛ فإن للمعصية أثرها الثابت في

---

(١) في (ت): «دون».

(٢) كلمة: «سددني ب» من (ت)، والعبارة في غيرها: هكذا: بتوفيقك وتسديدك.

(٣) العبارة في (ت) هكذا: «بين يديك وأوليائك».

(٤) في (ت): «في حال».

(٥) في (ت): «وعند».

(٦) في (س): «الآلآء: النعم، واحدها: «ألا» ـ بالفتح ـ، وقد تكسر، ويكتب بالياء». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

النفس وذلّها المدوّن في التاريخ ولا يمحيها شيء، وان كانت المغفرة تسقط العقاب؛ فإن الآثار الوضعية لا تنتفي، ولا يمكن التطهّر منها إلّا بموهبة من الله سبحانه.

٣ ـ ذهاب درن الخطايا الّتي تصدر عن الإنسان سهواً وخطأ من الزلات الّتي لا يخلو منها الحياة؛ فإن أثرها لا يكون ثابتاً كالمعصية المتعمّدة، ولكن المدة الّتي تستغرق ازالتها قد تطول، فتفتقر إلى أن يذهبها الله سبحانه.

٤ ـ لباس العافية. والسربال: القميص مما يلبس، ولا أمنع من سربال العافية الّتي يلبسها الله للإنسان، والعافية: السلامة من الاسقام والبلايا.

٥ ـ رداء المعافاة، وهي أن يغني الله الإنسان من الناس، ويغنيهم عنه؛ فإن في ذلك راحة بال وضمير، ويكون كالرداء الذي يضعه الإنسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه، فهو ليس بالضروري للإنسان كالقميص؛ لاختلاف الناس في المعافاة رغبة واستعداداً.

٦ ـ سوابغ النعماء، أي النعم الفائضة الواسعة؛ فإنها لو جلّلت الإنسان أي غطته، أغنته.

٧ ـ الفضل، وهو العطاء المتتابع، كأنه جعل بعضهُ ظهراً للبعض الآخر على إثر التتابع.

٨ ـ الطول المتتابع، والطول: السعة والزيادة في الفضل، أي العطاء.

٩ ـ التوفيق، وهو ما يصدر من الإنسان مما يوافق ما يحبّه الله تعالى ويرضاه بتأييده، أي قوته.

١٠ ـ التسديد، وهو التقويم من الله عندما يكون هناك ميل وانحراف عن الصراط المستقيم.

١١ ـ صالح النية بخلوص القصد لله سبحانه بأداء الواجب الملقى عليه، والنية عماد كل عمل.

١٢ ـ مرضيّ القول، وهو ما ينطق به الإنسان، وهو ما يكون فيه الخير لنفسه والمجتمع.

١٣ ـ مستحسن العمل؛ فإن الفعل القبيح يسوء بصاحبه في نفسه ويسوّد

تاريخه، وعلى النقيض ما يستحسن من الفعل؛ فإنه يكون صادراً عن ضمير طاهر ويترك تاريخاً مضيئاً في حياة الإنسان وبعد وفاته.

ثم عقّب هذه المواهب المطلوبة بنقاط سلبية يجب التجنّب عنها، وهي:

١ ـ الايكال إلى النفس، وهو التخلية بين الإنسان وحوله، أي قدرته وقوته، أي مادة القدرة، فلولا القوة لما كانت القدرة؛ لأن القدرة فيها الخيار بين الفعل والترك دون القوة، وان كانتا متلازمتين غالباً.

وبالجملة: فإن ايكال الإنسان إلى نفسه من دون حول الله وقوته تعالى ضياع للنفس.

٢ ـ الخزي يوم القيامة حيث ينبعث الناس للقاء الله سبحانه.

٣ ـ الفضيحة بين يدى اولياء الله سبحانه للقصور والتقصير في الواجب.

٤ ـ نسيان ذكر الله سبحانه الموجب للسير على هوى النفس.

٥ ـ عدم الشكر لله على ما أنعم به في الحياة، وأقلها نعمة الحياة.

فإن هذه النقاط لا يتيسّر الامتناع عنها إلّا بالتحصّن بالله سبحانه.

وختم هذا المقطع بالدعاء بالتزام الشكر بأن يكون الإنسان شاكراً دائماً في كلّ الأحوال، وخاصة عند السهو وهو الخطأ عند غفلات الجاهلين لآلاء الله تعالى ونعمه غير المتناهية.

[٢٨/٤٧ ـ من واجبات الإنسان]:

وَأَوْزِعْني أَنْ أُثْنِيَ بِما أَوْلَيْتَنيهِ، وَأَعْتَرِفَ بِما أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ، وَاجْعَلْ رَغْبَتي إِلَيْكَ فَوْقَ رَغْبَةِ[١] الرّاغِبينَ، وَحَمْدي إِيّاكَ فَوْقَ حَمْدِ الْحامِدينَ.

---

(١) في (ت): «رغبات».

وَلا تَخْذُلْني عِنْدَ فاقَتي إِلَيْكَ، وَلا تُهْلِكْني بِما أَسْدَيْتُهُ إِلَيْكَ[1]، وَلا تَجْبَهْني بِما جَبَهْتَ بِهِ الْمُعانِدينَ لَكَ.

وأشار في هذا المقطع إلى واجبات تجب على الإنسان، ثم عقّبها بنقاط سلبية يفتقر الإنسان في التحصن منها إلى اللجوء إلى الله سبحانه، وأما الواجبات، فهي:

١ ـ الثناء على الله سبحانه، وهو بالذكر الجميل على ما اولى الإنسان، أي منحه من النعم التي أقلّها نعمة الحياة، والايزاع: هو الإلهام بأن يقوم الإنسان بهذا الواجب من تلقاء نفسه.

٢ ـ الاعتراف، وهو الاقرار بما أسدى الله إليه، أي أحسن إلى الإنسان من نعمه الّتي منها العقل؛ فإنه لولاه لكان حاله حال البهائم.

٣ ـ الرغبة إلى الله سبحانه، أي الابتهال إليه والتضرّع له؛ فإن أصل الرغبة: أداء واجب العبد وجعلها فوق رغبة الراغبين. وهو فضل إلهي ينعم الله به على من يتقرب إلى الله تعالى حسب جهده.

٤ ـ الحمد لله، وهو واجب الإنسان تجاه خالقه، وجعله فوق حمد الحامدين من فضل الله.

وعقّب هذه الواجبات بما يجب على الإنسان التحصّن منها بحول الله وقوته، وهي:

١ ـ الخذلان عند الفاقة، أي الحاجة إليه تعالى في الدنيا والآخرة.

٢ ـ الهلاك بما أسداه العبد، أي اتخذه العبد وسيلة للتقرب من الله من لعمل الصالح وهو مشوب بما يفسده كالرياء.

٣ ـ الجَبَه، أي الرد القبيح الذي يجبه الله به المعاندين له؛ لخلوّ الاعمال

---

١) لم ترد في (ت) عبارة: «وَلا تُهْلِكْني بِما أَسْدَيْتُهُ إِلَيْكَ».

الصالحة التي يقدمونها عن نيّة خالصة؛ فإن هذه النيات لا تخفى على البشر، فكيف على الله سبحانه؟

[٢٩/٤٧ ـ موجبات الرحمة]:

فَإِنّي لَكَ مُسَلِّمٌ، أَعْلَمُ اَنَّ الْحُجَّةَ لَكَ، وَأَنَّكَ أَوْلى بِالْفَضْلِ[(١)]، وَأَعْوَدُ بِالإِحْسانِ[(٢)]، وَأَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَنَّكَ بِأَنْ[(٣)] تَعْفُوَ أَوْلى مِنْكَ بِأَنْ تُعاقِبَ، وَأَنَّكَ بِأَنْ تَسْتُرَ أَقْرَبُ مِنْكَ إلى أَنْ تَشْهَرَ.

فَأَحْيِني حَياةً طَيِّبَةً تَنْتَظِمُ بِما اُريدُ، وَتَبْلُغُ[(٤)] ما اُحِبُّ مِنْ حَيْثُ لا آتي ما تَكْرَهُ، وَلا أَرْتَكِبُ ما نَهَيْتَ عَنْهُ.

وتعرّض في هذا المقطع إلى الأمور الّتي تبعث في الإنسان الداعي الأمل في فضل الله تعالى ورحمته الواسعة؛ لعلمه بأنّ الصفات الإلهيّة تنبع من الرحمة الذاتية، وهي تناقض صفات الإنسان المعني بالمادة والماديات، وموقف الداعي هو موقف المستسلم لارادة الله سبحانه، وهو يعلم من موجبات الرحمة الإلهيّة ما يأتي:

١ ـ إنّ الحجة لله وحده، وهي الدلالة الواضحة الّتي بلّغها الأنبياء والرسل بكتبهم السماوية، والعقل الذي هو حجّة باطنة وهبة إلهيّة لكل انسان.

٢ ـ إن الله أولى بالفضل، أي الافضال على العباد؛ لأنه صفة ذاتية له تعالى ولا يحتاج إلى عقاب العاصي.

---

(١) في (ت): «بالتفضل».
(٢) في (ت): «والجود والإحسان».
(٣) لم ترد في (ت): «بأن».
(٤) في حاشية (ج) في نسخة زيادة: «من».

٣ - إن الله أعود بالإحسان أي المنعم به؛ لأنه الغنيّ المطلق الذي لا تفنى خزائنه.

٤ - إن الله أهل التقوى، أي حقيق بأن يتّقى عقابه.

٥ - إن الله أهل المغفرة، أي حقيق بأن يغفر لمن أمّله ورجاه.

٦ - إن الله أولى بالعفو، أي حريّ بأن يعفو بدلاً من ان يعاقب، لأنّ الغرض من العقاب تنبيه العبد حتى يتمكن من الرجوع إلى الصواب، وهذا حاصل في حق الداعي.

٧ - إن الله أقرب إلى الستر من الإشهار، فإن الإشهار في مثل هذه الحالة لا تقتضيه رحمته الذاتية.

ومع هذا العلم من جانب الإنسان وتسليمه المطلق لإرادة الله سبحانه، تقتضي صفات الرحمة الإلهيّة الذاتية شمولها للداعي في حالته هذه، بأن يقبل الله منه التوبة، فيولد من جديد، ويحيى حياة طيبة مستلزمة لآثار ثلاثة، وهي:

أولاً: النظام في الحياة بما يريد تحقيقه.

ثانياً: بلوغ الهدف الذي يجب الانتهاء إليه.

ثالثاً: استخدام الوسائل المشروعة في الوصول إلى الهدف؛ فيكون الحصول على الهدف من حيث ما أمر الله به، ولا يكون من حيث ما كرهه تعالى بارتكاب ما نهى عنه، حيث أنّ الغاية لا تبرر الواسطة.

وبالجملة: فموجبات الرحمة الإلهيّة تستلزم الحياة الطبيعية في الدنيا، وما عند الله خير وأبقى.

٣٠/٤١ - طلب الرحمة في الدنيا والآخرة]:

[وأَمِتْني مَيتَةَ[١] مَنْ يَسْعى نُورُه بَيْنَ يَدَيْه وعَنْ يَمينِه، وذَلِّلْني بَيْنَ يَدَيْكَ، وأَعِزَّني عِنْدَ خَلْقِكَ، وَضَعْني إذا خَلَوْتُ بِكَ، وارْفَعْني بَيْنَ عِبادِكَ، وأَغْنِني عَمَّنْ هُوَ غَنيٌّ عَنّي، وزِدْني إلَيْكَ فاقَةً وفَقْراً،

---

(١) في (ج) (د): «مَيتة»، وفي حاشية (ج) (د): «مِيتَةً، مَيْتَةً - معا، س».

وأَعِذْني مِنْ شَماتَةِ[١] الأَعْداءِ، ومِنْ حُلُولِ الْبَلاءِ، ومِنَ الذُّلِّ والْعَناءِ.

تَغَمَّدْني[٢] فيما اطَّلَعْتَ عَلَيْه مِنّي بِما يَتَغَمَّدُ بِه الْقادِرُ عَلى الْبَطْشِ[٣] لَوْلا حِلْمُه، والآخِذُ عَلَى الْجَرِيرَةِ لَوْلا أَناتُهُ.

وإِذا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً[٤] أَوْ سُوءاً فَنَجِّني مِنْها لِواذاً[٥] بِكَ، وإِذْ[٦] لَمْ تُقِمْني مَقامَ[٧] فَضيحَةٍ في دُنْياكَ فَلا تُقِمْني مِثْلَه في آخِرَتِكَ، واشْفَعْ[٨] لي أَوائِلَ مِنَنِكَ بِأَواخِرِها، وقَديمَ فَوائِدِكَ بِحَوادِثِها، ولا تَمْدُدْ لي مَدّاً يَقْسُو مَعَه قَلْبي.

ولا تَقْرَعْني قارِعَةً[٩] يَذْهَبُ لَها[١٠] بَهائي، ولا تَسُمْني خَسيسَةً يَصْغُرُ لَها[١١] قَدْري ولا نَقيصَةً يُجْهَلُ[١٢] مِنْ أَجْلِها مَكاني[١٣].

---

(١) في (س): «الشماتة: الفرح بمصيبة العدوّ». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(٢) في حاشية (ج): «أي أسترني».

(٣) في (س): «البطشة: السطوة والأخذ بالعنف، وكذا البطش». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(٤) في حاشية (ج): «أي عقوبة».

(٥) في حاشية (ج): «أي استتاراً».

(٦) في (ت): «وإذا».

(٧) في حاشية (ج): «مُقام، مَقام ـ معا».

(٨) في (ج) (د): «وأشفع»، وفي حاشية (ج) (د): «أشفع وشفّع ـ معا، س».

(٩) في حاشية (ج) (د): «ولا تُقرعني قارعة ـ س»، وفي (س): «قرعته كذا: أي ضربته، والقارعة: الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداهية». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(١٠) في (ت): «تذهب بها».

(١١) في (ت): «بها».

(١٢) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «ولا تقتضب بجهل ـ س».

(١٣) في (ت): «مقامي».

ولا ترغني رَوْعَةً أُبْلِسُ[١] بِها[٢]، ولا خيفَةً أُوجِسُ[٣] من[٤] دُونَها[٥].

وفي هذا المقطع أشار إلى موارد رحمة الله تعالى في الدنيا الّتي لها آثارها في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة، ثم عقّبها بنقاط سلبية ينبغي أن يتحصن بالله منها، أما النقاط الإيجابية، فهي:

١ ـ ميتة النور؛ بأن يموت الإنسان وهو يقوم بواجبه الملقى على عاتقه، كالجندي في المعركة؛ فإن الموت نهاية كل انسان، والصراط المستقيم للموت ينبغي ان يكون حين أداء الواجب، وطبيعيّ أن يختلف ذلك بحسب الافراد والأزمان والحالات، ولكن النتيجة واحدة، وهي أنّ الميت في هذه الحالة يكون قد دخل التاريخ من أبوابه، ويكون قد قدّم لنفسه النور يسعى (بين يديه وعن يمينه)[٦]، وهو أحوج ما يكون إليها في الآخرة.

---

(١) ما بين المعقوفتين من (ج) (د) (س).

(٢) في حاشية (د) ما نصه: «النسخ القديمة على ضبط «أبلس» بضمّ أوّله وكسر ثالثه، وهو الموافق لما في كتب اللغة من كون «أبلس» لازما لا غير، وأمّا روايته بضمّ الأوّل وفتح الثالث على ما لم يسمّ فاعله، فهي تقتضي انّ الهمزة في «أبلس» للتعدّية، وانّ لازمه «بلس»، ولم أقف فيه على نصّ. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٧: ١١٤)، وفي (س): «أبلس من رحمة الله أي يئس، ومنه سُمي إبليس». (حاشية ابن إدريس: ٢٩٩).

(٣) في حاشية (د) ما نصه: «أوجس الرجل: إذا وجد في نفسه ما يجده الخائف. قال الراغب: الوجس: الصوت الخفي، والتوجس كالتسمّع والإيجاس: وجود ذلك في النفس، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ (سورة الذاريات ٥١: ٢٨). انتهى. وقيل: أوجس في نفسه خيفة، أي أضمر في نفسه خيفة، وعليه: فمفعول «أوجس» في عبارة الدعاء محذوف، أي: فأضمر خوفا. من الشرح ملخصا». (رياض السالكين ٧: ١١٤)، وفي (س): «الوجس: فزعة القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ (سورة طه ٢٠: ٦٧)». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(٤) كلمة: «من»، من (ت).

(٥) في (س): «الدون: الحقير الخسيس». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(٦) وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. (القرآن الكريم، سورة الحديد ٥٧: ١٢).

٢ ـ الذلة بين يدي الله تعالى، بالسير على الطريق الذي رسمه الله للإنسان في الحياة من دون استعلاء او تكبّر.

٣ ـ العزة والوقار عند الخلق.

٤ ـ الوضع بالافتقار والعجز إلى الله سبحانه حينما يخلو به كلما خلى بنفسه، حيث لا يراقبه إلّا الله سبحانه.

٥ ـ الرفعة، أي الشرف بين العباد.

٦ ـ الغنى عمّن هو غنّي عن الإنسان؛ فإن الحاجة إلى الآخرين ذلّ، وبالأخص لمن لا يرى للإنسان فضلا.

٧ ـ زيادة الفقر إلى الله وحده، والفاقة: هي الحاجة إلى الله تعالى دون سواه، والفقير هو الذي لا شيء له.

٨ ـ الإعاذة من شماتة الأعداء، والشماتة: الفرح بالمصيبة، ولا يتخلّص من ذلك إلّا باعاذة الله أي حفظه تعالى.

٩ ـ الإعاذة من حلول البلاء، أي نزول المكروه.

١٠ ـ الإعاذة من الذل، وهو الهوان، والعناء: هو التعب.

١١ ـ ستر الله، بأن يتغمده تعالى برحمته عن القبائح بسبب حلمه تعالى، وهو القادر على البطش به، وهو العنف عند الغضب.

١٢ ـ تغمد الله تعالى عبده العاصي بسبب أناته، أي مكثه. وهو الأخذ بالجريرة، وهي الذنب.

١٣ ـ النجاة من الفتنة، وهي الامتحان إذا أراد الله سبحانه بقوم التمحيص باللوذ، أي اللجأ إلى الله سبحانه.

١٤ ـ النجاة من السوء، وهو كل ما يسوء الإنسان كالهمّ والضلال والأمراض بالالتجاء إلى الله تعالى.

١٥ ـ النجاة من الفضيحة في الدنيا والآخرة. والمقام مصدر بمعنى القيام،

أي موقف فضيحة، وهو قوله: (واذ لم تقمني مقام فضيحة في دنياك فلا تقمني مثله في آخرتك).

١٦ ـ الشفع، أي التثنية والتضعيف للشيء، والله سبحانه المسؤول بأن يشفع أوائل مننه تعالى بأواخرها، أي الماضى منها بما يحصل في المستقبل، وكذلك ان يشفع قديم فوائده تعالى التي انعم بها على العباد بحوادثها، أي ما سبق قبل الخلق يوصله بما حدث بعد الخلق؛ فإن نعم الله سبحانه ومننه قديمة قبل الخلق وحادثه بعد الخلق، ومنها ما سبق زمنه فيما مضى وما سيأتي في المستقبل، وفي ذلك إشارة إلى دوامها وعدم انقطاعها إلى الابد.

ثم عقّب موارد الرحمة هذه بما يجب على الإنسان ان يتحصّن بما يحفظها ويتحّرز عن أضدادها، وهي:

١ ـ المدّ، أي الامهال الذي يوجب قسوة القلب والجفوة؛ فإن الامهال المطلوب هو ان يكون لفترة قصيرة الأمد حتى يحصل به التوبة، دون الامهال الطويل الموجب للغفلة.

٢ ـ القارعة، وهي الضرب بشدّة؛ فإن العقاب الشديد الموجب لذهاب البهاء والحرمة تخلّف آثاراً عميقة في النفس والمجتمع لا يمكن ازالتها.

٣ ـ السوم بخسيسة، أي الالزام ذلا بخسيسة، أي حالة دنيئة حقيرة توجب صغر القدر والمنزلة.

٤ ـ السوم بنقيصة، أي عيب في النفس والمال والخصال مما توجب فقدان المكانة والمرتبة بسببها.

٥ ـ الروع، أي الفزع الموجب للابلاس، وهو اليأس.

٦ ـ الخيفة، وهي حالة الإنسان الّتي تحصل عند الخوف، ويعبّر عنها بالوجس.

فإنه لا طريق للإنسان من التحصن ضدّ هذه الحالات الستّ إلّا بالله العلي العظيم.

[٣١/٤٧ ـ آثار الطاعات]:

إجْعَلْ(١) هَيْبَتي في وَعيدِكَ، وَحَذَري(٢) مِنْ إعْذارِكَ(٣) وَإنْذارِكَ، وَرَهَبتي(٤) عِنْدَ تِلاوَةِ آياتِكَ، وَاعْمُرْ لَيْلي بِإيقاظي فيهِ لِعِبادَتِكَ(٥)، وَتَفَرُّدي بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَتَجَرُّدي بِسُكُوني(٦) إلَيْكَ، وَإنْزالِ(٧) حَوائِجي بِكَ، وَمُنازَلَتي(٨) إيَّاكَ في فَكاكِ رَقَبَتي مِنْ نارِكَ، وَإجارَتي مِمّا فيهِ أهْلُها مِنْ عَذابِكَ.

وَلا تَذَرْني(٩) في طُغْياني عامِهاً(١٠)، وَلا في غَمْرَتي ساهِياً(١١) حَتّى حين، وَلا تَجْعَلْني عِظَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَلا نَكالاً لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَلا فِتْنَةً لِمَنْ نَظَرَ، وَلا تَمْكُرْ بي فيمَنْ تَمْكُرُ بِهِ(١٢)، وَلا تَسْتَبْدِلْ بي غَيْري، وَلا تُغَيِّرْ لي إسْماً، وَلا تُبَدِّلْ لي جِسْماً، وَلا

---

(١) في (ت): «بل اجعل».

(٢) في حاشية (ج) (د): «وحذّرني ـ س»، وفي (س): «الحذر: التحرّز». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(٣) في (س): «أعذر الرجل: أي صار ذا عذر، وفي المثل: أعذر من أنذر». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(٤) في حاشية (ج) (د): «ورهّبني ـ س».

(٥) في (ت): «بعبادتك».

(٦) في (ت): «بالشكوى».

(٧) في (ت): «وأنزل».

(٨) في (ت): «ومناولتي».

(٩) في (ت): «ولا تردني».

(١٠) في (س): «العَمَه: التحيّر والتردّد، وقد عمه الرجل ـ بالكسر ـ فهو عَمِهٌ وعامهٌ». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(١١) في (س): «السهو: الغفلة، وقد سها عن الشيء فهو ساه وسهوان». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(١٢) لم ترد في (ت): «في من تمكر به».

تَتَّخِذْني هُزُواً لِخَلْقِكَ، وَلا سُخْرِيّاً لَكَ، وَلا تَبَعاً[1] إلّا لِمَرْضاتِكَ[2]، وَلا مُمْتَهَناً[3] إلّا بِالإنْتِقامِ لَكَ.

وفي هذا المقطع إشارة إلى آثار الطاعات في الدنيا والآخرة بما يتحصّن بالله من السلبيات، وهي:

١ ـ الهيبة من وعيد الله سبحانه، والهيبة: الخوف الجالب للخضوع عن استشعار بعظمة واجلال؛ فإن الطاعات تؤكد على الخوف من وعيده تعالى والهيبة من آثارها.

٢ ـ الحذر مما أنذر الله تعالى، والحذر الخوف مع تحذّر من الخوف، واعذار الله: إمهاله.

٣ ـ الحذر مما أعذر الله تعالى، والإنذار: اخبار فيه تخويف، كما أن التبشير اخبار فيه سرور[4].

٤ ـ الرهبة عند تلاوة القرآن الكريم، والرهبة: الخوف مع انزعاج واضطراب لعظم المسؤولية الّتي تستلزمها[5].

---

(١) في (ت): «ولا متبعا»، وفي حاشية (ج) (د) في نسخة: «متّبعاً»، وفي حاشية (د) أيضا: «قد نقل من هذه النسخة الشريفة من مثل هذا الموضع هذه الحكاية، ويشعر بها الرمز الواقع فوق لفظة «تبعا»، فلذا أثبتناه».

(٢) في (ت): «إلّا مرضاتك».

(٣) في حاشية (ج): «أي مستخدماً».

(٤) في القاموس المحيط، للفيروز آبادي ٢: ٦، مانصه: الحذر، بالكسر ويحرك: الاحتراز، كالاحتذار والمحذورة، والفعل كعلم. وهو حاذورة وحذريان وحذر وحذرج: حذرون وحذارى، أي: متيقظ شديد الحذر.

(٥) في الصحاح، للجوهري ١: ١٤٠، ما نصه: رهب، بالكسر، يرهب رهبة ورهبا بالضم، ورهبا بالتحريك، أي خاف. ورجل رهبوت. يقال: «رهبوت خير من رحموت» أي لان ترهب خير من أن ترحم. وتقول: أرهبه واسترهبه، إذا أخافه. والراهب: واحد رهبان النصارى، ومصدره الرهبة. والرهبانية. والترهب: التعبد. وفي الفروق اللغوية، ص ٢٦١، الرقم، ١٠٢٨، مانصه: الفرق بين الرهبة والخوف: أن الرهبة طول الخوف واستمراره ومن ثم قيل للراهب راهب لأنه يديم الخوف، والخوف أصله من قولهم جمل =

٥ ـ اليقظة للعبادة في الليل، فتكون ليلة عامرة، أي آهلة يستأنس بها.

٦ ـ التهجّد لله سبحانه بانفراد وخلوة، والتهجّد: هو ترك الهجود ـ وهو النوم ـ للصلاة.

٧ ـ السكون إلى الله سبحانه، وهو استئناس النفس به تعالى بالتجرّد، أي التعرّي عن الماديات.

٨ ـ سؤال الحاجة منه تعالى، كنّى عنه بانزال الحاجة، أي سؤالها منه تعالى دون غيره.

٩ ـ فكاك الرقبة من النار بالتحرر من العذاب، والمنازلة هنا بمعنى المراجعة إلى الله تعالى دون غيره.

١٠ ـ الاجارة، أي الحفظ من عذاب الله تعالى الّتي تشمل أهل النار.

ثم عقّب هذه الآثار للطاعات بسلسلة مما يتحصن الإنسان بالله تعالى منها، وهي:

١ ـ الطغيان، وهو مجاوزة الحد بالعصيان، فإذا لم يتعقبه التوبة يكون عمهاً، أي تردّداً موجباً للتحيّر بين الاستمرار في العصيان لأنه أصبح عادة يصعب الاقلاع عنها بسهولة، وبين الاقلاع عنها.

٢ ـ السهو، أي الغفلة. والغمرة: أي الإنهماك في الباطل؛ فإن الانهماك في الباطل لفترة طويلة يستتبع التعوّد عليه.

٣ ـ العظة لمن اتعظ؛ بأن يكون المكروه الذي يصل إلى الإنسان بسبب المعاصي علّةً لأن يتّعظ بذلك غيره، ويتجنب الوقوع في مثله، فيشقى الإنسان ويسعد به الآخرون، وذلك هو الخسران.

٤ ـ النكال، أي العذاب، بأن يكون العذاب الذي يعذب به سبباً لأن يمتنع

= رهب إذا كان طويل العظام مشبوح الخلق. والرهابة العظم الذي على رأس المعدة يرجع إلى هذا، وقال علي بن عيسى: الرهبة خوف يقع على شريطة لا مخافة، والشاهد أن نقيضها الرغبة وهي السلامة من المخاوف مع حصول فائدة. والخوف مع الشك بوقوع الضرر. والرهبة مع العلم به يقع على شريطة كذا وإن لم تكن تلك الشريطة لم تقع.

بسبب ذلك من المعاصي؛ معتبراً بما يحصل لهذا العاصي من العذاب فيكون عبرة للاخرين.

٥ ـ الفتنة لمن نظر، والفتنة: الامتحان، فيكون الناظر ممتحناً في ان يتبع خطوات العاصي فيعذّب مثله، او يمتنع عنها فينجوا من الورطة.

٦ ـ المكر، والمكر هو الخديعة، والمراد هنا مكر الله تعالى، وهو الاستدراج بالإمهال الذي يتصوره الإنسان خديعة، مع أنها فرصة للتوبة.

٧ ـ الاستبدال بالإنسان في عمل الطاعات، فيقوم بها غيرهُ من أمثاله؛ فإن الاستبدال يكشف عن عدم الرضا بالإنسان، أو عدم استحقاق ثواب الطاعة والحصول على ما يحصل عليه أهل الطاعات من الآثار.

٨ ـ تغيير الاسم، والمراد من الاسم: العنوان والصفة، بأن يتغيّر اسمه من عنوان الصالح إلى عنوان الطالح، فيمحى اسمه من ديوان السعداء ويكتب في ديوان الاشقياء.

٩ ـ تبديل الجسم، وهو تغييره من حالة الصحة إلى حالة السقم، ومن حالة السلامة إلى المرض.

١٠ ـ صيرورة الإنسان غرضا للهزء؛ بفضحه على خلفية استخفافه بالمعاصي والموبقات.

١١ ـ صيرورته غرضا للسخرية، وهو الاحتقار بسبب ما ارتكبه في الحياة الدنيا.

١٢ ـ التبعيّة للآخرين حسب مقاييسهم الماديّة باقتفاء آثارهم؛ لأن العزة في الاستقلال عنهم والتبعيّة لمرضاة الله تعالى دون غيره.

١٣ ـ الامتهان، وهو الابتذال في الخدمة؛ وذلك بالاشتغال بالخدمات المهينة المنافية للأخلاق إلّا فيما كان واجباً إسلامياً (بالانتقام) لله تعالى، أي معاقبة أعدائه.

ولا يمكن التحصّن من هذه النقاط الثلاثة عشر إلّا بتوفيق من الله تعالى.

[٣٢/٤٧ ـ قبول الطاعات]:

وَأَوْجِدْني بَرْدَ عَفْوِكَ، وحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ[١]، وَرَوْحِكَ وَرَيْحانِكَ وَجَنَّةِ نَعيمِكَ.

وَأَذِقْني طَعْمَ الْفَراغِ لِما تُحِبُّ[٢] بِسَعَة مِنْ سَعَتِكَ، وَالِاجْتِهادِ فيما يُزْلِفُ لَدَيْكَ وَعِنْدَكَ.

وَأَتْحِفْني بِتُحْفَةَ مِنْ تُحَفاتِكَ، وَاجْعَلْ تِجارَتي رابِحَةً، وَكَرَّتي[٣] غَيْرَ خاسِرَة.

وَأَخِفْني مَقامَكَ، وَشَوِّقْني لِقاءَكَ، وَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحاً لا تُبْقِ[٤] مَعَها ذُنُوباً صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً، وَلا تَذَرْ[٥] مَعَها عَلانِيَةً وَلا سَريرَةً.

وَانْزَعِ[٦] الْغِلَّ مِنْ صَدْري لِلْمُؤْمِنينَ، وَأَعْطِفْ بِقَلبي عَلَى الْخاشِعينَ، وَكُنْ لي كَما تَكُونُ لِلصّالِحينَ، وَحَلِّني لديك[٧] حِلْيَةَ الْمُتَّقينَ، وَاجْعَلْ لي لِسانَ صِدْق في الْغابِرينَ، وَذِكْراً نامِياً في الآخِرينَ، وَوافِ بي[٨] عَرْصَةَ الأَوَّلينَ، وَتَمِّمْ سُبُوغَ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَظاهِرْ كَراماتِها لَدَيَّ.

---

(١) لم ترد في (ت): «وحلاوة مغفرتك».

(٢) العبارة في (ت) هكذا: «وَأَذِقْني طَعْمَ الْفَراقِ لِما لا تُحِبُّ».

(٣) في (س): «الكَرُّ: الرجوع، وتلحقه الهاء. س». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(٤) في حاشية (ج) في نسخة: «ولا تبق».

(٥) في حاشية (ج): «لا تذرْ، لا تذرُ ـ معا».

(٦) في (ت): «أَنزع» بدون واو، وفي حاشية (ج) (د): «وأَنزع ـ س».

(٧) كلمة: «لديك» من (ت).

(٨) قال السيد علي خان: وفي نسخة: «وأوف بي» وهي بمعنى: واف بي. قال في القاموس: وافيت القوم: أتيتهم، كأوفيتهم. (رياض السالكين ٧: ١٣٦).

وامْلأْ مِنْ فَوائِدِكَ يَدَيّ(١)، وَسُقْ كَرائِمَ مَواهِبِكَ إِلَيَّ، وَجاوِرْ بِيَ الأَطْيَبينَ مِنْ أَوْلِيائِكَ في الْجِنانِ الَّتي زَيَّنْتَها لأَصْفِيائِكَ، وَجَلِّلْني شرآئِفَ(٢) نِحَلِكَ في الْمَقاماتِ الْمُعَدَّةِ لأَحِبّآئِكَ.

وَاجْعَلْ لي عِنْدَكَ(٣) مَقيلاً آوي إِلَيْهِ مُطْمَئِنّاً، وَمَثابَةً أَتَبَوَّؤُها(٤)، وَأَقَرُّ(٥) عَيْناً، وَلا تُقايِسْني(٦) بِعَظيماتِ الْجَرآئِرِ، وَلا

---

(١) في حاشية (ج): «يَدِي ـ س».

(٢) في (ت): «وحللني سرابيل».

(٣) كلمة: «عندك» من (ت).

(٤) في (س): «تبوّأت منزلاً: أي نزلته، وبوّأت للرجل منزلاً وبوأته بمعنى، أي هيّأته ومكّنت له فيه». (حاشية ابن إدريس: ٣٠٠).

(٥) في (ت): «فأقرّ».

(٦) في حاشية (ج) (د) في نسخة: «تفاتشني». ونسب الى ابن إدريس في(رياض السالكين ٧: ١٤٤)، ولم نقف عليه في حاشية ابن إدريس. وقد وردت تعبيرات مماثلة في أدعية اهل البيت (ع)، منها: ما ذكره الشيخ محمد تقي المجلسي الأوّل في روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه(٣: ٤٥٧)، فقال: «أو تقايسني به» أي تؤاخذني بسيئاتي، وقرئ: (تفاتشني) أي تبحث وتتفحص، وسيأتي في بعض النسخ (تناقشني). وفي هامش إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس (ج١، هامش ص ١١٩): تقايلني، تقاضني (خ ل). واما بالنسبة الى معنى (تقايسني)، ففسر بأنحاء، منها: تجازيني بمقدار فعلي. (الإقبال، ج١، هامش ص ١٦٢). وفي البحار(ج ٨٨: ٤): «أن تقايسني به»: أي تجزيني بمقداره، وأصل القياس تقدير الشيء على مثاله. وفي مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، للعلامة المجلسي، ج١٦، شرح ص ٤٠٢، ما نصه: قوله عليه السلام: «أو تقايسني به»: أي تحبط حسناتي بسببه. وقال السيد علي خان، ما نصه: قست الشيء بالشيء وعليه أقيسه قيسا، من باب ـ باع ـ، وقايسته به مقايسة وقياسا من باب ـ قاتل ـ: قدرته على مثاله، والمقياس: المقدار، أي لا تجعل عقوبتي بمقدار عظيمات الجرائر منّي، أو عظيمات جرائري. عند من جوز نيابة «أل» عن ضمير الحاضر المضاف إليه. والجرائر: جمع جريرة، وهي ما يجره الإنسان من ذنب، فعيلة بمعنى مفعولة، وفي الدعاء القدسي: «ولا تقايسني بسريرتي»: أي لا تقدرني عليها فتعاملني بقبحها. وقول بعض مترجمي العجم: معنى قوله: «لا تقايسني» غير ظاهر، لكن قد جاء القيس بمعنى الشدّة، فيكون المعنى: لا تشدّد عليّ بسبب عظيمات الجرائر. لا يلتفت إليه. قال الكفعمي: وفيه =

تُهْلِكْني يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ[(١)].

وقبول الطاعات من الله تعالى لازم في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وسرد منها في هذا المقطع ما يلي:

١ ـ برد عفو الله، والبرد كناية عن الطيب والهناء.

٢ ـ حلاوة رحمة الله، وهي الطعم المعنوي الموجب للاستزادة منها.

٣ ـ حلاوة الرَّوْح، الّتي خلقها الله في الآخرة، والرَّوْح: الراحة من المشقّة والتعب الدنيوي.

٤ ـ حلاوة الريحان، وهو الرائحة الطيّبة الّتي وعد الله المؤمنين بها في الجنة.

٥ ـ جنة النعيم، وهي الدار الآخرة الّتي وعد الله المؤمنين بقوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[(٢)].

٦ ـ طعم الحب في سبيل الله، والذوق هو ادراك الطعم باللسان، والطعم ما يؤدّيه الذوق، والفراغ: إتمام الشيء والخلاص من العمل، فإذا أتى الإنسان بما يحبّ الله من أعمال الخير لنفسه ومجتمعه فسيجد طعم هذه الحلاوة من سعة الله، أي غناه؛ فإن سعته واسعة تشمل العامل كمّاً وكيفاً.

٧ ـ الزلفى إلى الله، أي التقرب إليه بالاجتهاد وبذل الطاقة في ذلك؛ للحصول على ما لديه تعالى من الفضل والنعيم حاضراً، وما أعدّه تعالى لعباده سواءً في الماضي قبل خلقهم، أو في الحاضر بعد الخلق في حياتهم الدنيوية الحاضرة، وفي المستقبل بعد موتهم في الآخرة.

٨ ـ التحفة من الله، وهي لطفه تعالى بأنواع اللطف.

= نسخة: «لا تفاتشني» بالفاء والتاء المثناة والشين المعجمة، مفاعلة من الفتش، كالضرب، وهو طلب مع بحث. وفي نسخة ثالثة: «ولا تناقشني» من المناقشة، وهي الاستقصاء في الحساب، والنسخة الأولى المشهورة، وهي المقايسة لابن السكون، والثانية لابن إدريس، والثالثة لغيرهما. (رياض السالكين ٧: ١٤٤).

(١) إشارة الى ما ورد في القرآن الكريم، سورة الطارق ٨٦: ٩.

(٢) القرآن الكريم، سورة الواقعة ٥٦: ٨٨ و٨٩.

٩ ـ التجارة الرابحة، فتكون الاعمال الصالحة في الدنيا مقبولة عند الله.

١٠ ـ والكرّة، أي الرجعة غير الخاسرة، والمعنى أنّ قبول الطاعات في الدنيا تغني عن تمنّي الرجوع إلى الدنيا لتكرارها؛ فإن ذلك من خصائص أهل النار الذين حكى الله قولهم: إنّ كرّتهم خاسرة[١].

١١ ـ الخوف من مقام الله تعالى، أي عدم الأمن من موقف يوم الحساب الذي هو نعمة من الله للعباد.

١٢ ـ الشوق إلى لقاء الله تعالى، أي لقاء ثوابه؛ فإن الحب الصادق يزيد ولا ينقص.

١٣ ـ التوبة توبة نصوحاً بالرجوع إلى الله سبحانه، والنصوح: الخالص من الريب، ويستلزم ذلك أثرين:

أولاً: لا تبقى مع التوبة ذنوبا صغيرة ولا كبيرة.

ثانياً: لا تبقى معها الذنوب الّتي صدرت علانية بانتشارها علنا وما بقي منها سريرة، أي مكتوماً سراً.

١٤ ـ نزع الغِل من صدر الإنسان للمؤمنين، والغل: الحقد.

١٥ ـ العطف على الخاشعين، وهو ميل القلب إليهم دون من لا يتصف بالخشوع.

١٦ ـ استمرار العناية الإلهيّة للإنسان، لا بعنوان انه مخلوق من المخلوقات الّتي يستحق الرحمة فقط، بل كما تكون عنايته تعالى للصالحين فإن لهم ـ بسبب صلاحهم ـ درجة عالية من العناية.

١٧ ـ حلية المتقين، والحلية: ما يتزيّن به، وحلية المتقين: التقوى بدرجاتها والعمل الصالح المفيد للنفس والمجتمع.

١٨ ـ لسان الصدق، والغابرون هم آخر الأمم، والمعنى: أن يخلّف

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾. (القرآن الكريم، سورة النازعات ٧٩: ١٢).

الإنسان من الأعمال والآثار ما تتكلّم عنها الامم بصدق بعد أن تنتفي عوامل التنافس الماديّة الّتي تحكم المجتمعات في الحياة.

١٩ ـ الذكر الجميل النامي، أي الذي يكون مغيّراً لحياة الآخرين إلى الأفضل ليصبحوا عاملين عن رؤية واضحة.

٢٠ ـ اتيان عرصة المحشر والوقوف فيها مع الأوّلين الذين فضّلهم الله بالأوليّة لقبول طاعاتهم.

قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «وافيت به: جئت به، من وافيت القوم، أي جئتهم واتيتهم، والعرصة بفتح العين ـ: كل بقعة واسعة ليس فيها بناء، والمراد بها هنا: البقعة الّتي يقف بها الأولون من أرض المحشر، أي اوصلني إليها واحضرني فيها ليكون حشري معهم ـ إلى أن قال ـ: وفي نسخة: (وأوف بي) وهي بمعنى واف بي. قال في القاموس: وافيت القوم: أتيتهم كأوفيتهم»[١].

٢١ ـ سبوغ النعمة بالتمام، والسبوغ: الاتساع على الإنسان.

٢٢ ـ تتابع كرامات النعم لدى الإنسان، قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «وظاهرت الشيء: تابعته وواليته، كأنّه من المظاهرة، وهي التقوية والمعاونة، أي وتابع كرامات نعمتك عندي»[٢].

٢٣ ـ الفوائد، وهي الزيادات الّتي يحصل عليها الإنسان وتثبت عنده، سواءً كانت ماديّة أو معنوية، ويحتمل في الدعاء ان تكون الماديّة منها الّتي تملأ اليدين، وأن يكون ملء اليدين مجازاً عن كثرة العطاء.

٢٤ ـ الجوار في الآخرة للأطيبين من الأولياء في الجنان الّتي أعدّها الله تعالى لأصفيائه.

٢٥ ـ التجليل بشرائف النحل، والنحلة هي العطاء، والنحلة: الهبة السريعة العالية القدر، وتجليلها: التغطية بها، كالثوب الذي يغطي الإنسان، وذلك في المقامات والأمكنة المعدة لاحبّاء الله.

٢٦ ـ المقيل عند الله، والمقيل: هو المكان المعدّ للاستراحة، وهو الذي

---

(١) رياض السالكين ٧: ١٣٦.

(٢) رياض السالكين ٧: ١٣٨.

يأوي إليه الإنسان، ومنه القيلولة، أي الاستراحة في منتصف النهار؛ فإن مكاناً كهذا إذا جعله الله للإنسان لابد وان يتصف بالخصائص التالية:

أولاً: يأوي إليه مطمئناً، أي ينزل فيه الإنسان بسكون النفس فيه.

ثانياً: (مثابة يتبوّأها) والمثابة: الرجوع. وتبوّء المكان: الاقامة فيها.

ثالثاً: انها قرّة العين، وهي كلّ ما تسر العين، من القرّ، وهو البرد، كناية عن السرور وقبول الطاعات.

وهذا الذي يستلزم هذه الآثار الكثيرة يقتضي أمرين يجب التحصّن بالله منهما، وهما:

١ ـ عدم المقايسة بعظيمات الجرائر، وهي جمع جريرة، أي ما يجرّه الإنسان من الذنب المستتبع للعقاب، والمقايسة: من القياس بمقدار، والمعنى: لا تجعل عقوبتي بمقدار عظيمات الجرائر منّي، قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «قال الكفعمي: وفيه نسخة ثانية: (ولا تفاتشني) ـ بالفاء والتاء المثناة والشين المعجمة ـ مفاعلة من الفتش كالضرب وهو طلب مع تبحّث، وفي نسخة ثالثة: (ولا تناقشني) من المناقشة، وهي الاستقصاء في الحساب، والنسخة الأولى المشهورة وهي من المقايسة؛ لابن السكون، والثانية لابن ادريس، والثالثة لغيرهما»[١].

٢ ـ عدم الهلاك، وهو الفناء بالعذاب يوم القيامة الذي هو يوم ﴿تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[٢] أي تختبر السرائر، وهي أعمال الإنسان الّتي قام بها في الحياة ليعرف خيرها من شرّها، فيثاب على الخير ويعاقب على الشر.

وبالإجمال: كل ما تقدم من الآثار المذكورة المترتبة على قبول الطاعات تذهب سدى لو لم يحصل التحصّن بالله ضد الأمور المستتبعة للهلاك، فالتحصّن منها ضروري، لِكي تكون الآثار المذكورة نافذة المفعول، والله هو المسؤول في القبول.

---

(١) رياض السالكين ٧: ١٤٤.

(٢) القرآن الكريم، سورة الطارق ٨٦: ٩.

[٣٣/٤٧ ـ وضوح الرؤية]:

وَأَزِلْ[١] عَنّي كُلَّ شَكٍّ وَشُبْهَة، وَاجْعَلْ لي في الْحَقِّ طَريقاً مِنْ كُلِّ رَحْمَة، وَأَجْزِلْ[٢] لي قِسَمَ الْمَواهِبِ مِنْ نَوالِكَ[٣]، وَوَفِّرْ عَلَيَّ حُظُوظَ الإحْسانِ مِنْ إفْضالِكَ.

[وَاجْعَلْ قَلْبي وَاثِقاً بِما عِنْدَكَ، وَهَمّي مُسْتَفْرَغاً لِما هُوَ لَكَ، وَاسْتَعْمِلْني بِما تَسْتَعْمِلُ بِهِ خالِصَتَكَ، وَأَشْرِبْ قَلْبي عِنْدَ ذُهُولِ الْعُقولِ[٤] طاعَتَكَ][٥].

[وَاجْعَلْ لِي فِي الحَقِّ طَرِيقاً مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ][٦] وَاجْمَعْ[٧] لِيَ الْغِنى وَالْعَفافَ وَالدَّعَةَ[٨] وَالْمُعافاةَ وَالصِّحَّةَ وَالسَّعَةَ[٩] وَالطُّمَأْنينَةَ وَالْعافِيَةَ.

وَلا تُحْبِطْ[١٠] حَسَناتي بِما يَشوبُها مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَلا خَلَواتي بِما يُعْرِضُ لي مِنْ نَزَغاتِ فِتْنَتِكَ.

---

(١) في (ت): «والسعة والصحة».
(٢) في (س): «أجزلت له من العطا: أي أكثرت». (حاشية ابن إدريس: ٣٠١).
(٣) في (س): «النوال: العطاء، والنائل مثله». (حاشية ابن إدريس: ٣٠١).
(٤) في حاشية (ج) (د): «الغفول ـ س، بخطه سُطِرَ».
(٥) ما بين المعقوفتين لم ترد في (ت).
(٦) ما بين المعقوفتين من (ت) فقط.
(٧) في حاشية (ج): «واجعل ـ س».
(٨) في (س): «الدعة: الخفض، وهو العيش الخالي عن التشويش. س». (حاشية ابن إدريس: ٣٠١).
(٩) في (س): «أجزلت له من العطا: أي أكثرت». (حاشية ابن إدريس: ٣٠١).
(١٠) في (س): «حبط عمله ـ بالكسر ـ حبطاً ـ بالتسكين ـ وحبوطاً: بطل ثوابه، وأحبطه الله تعالى». (حاشية ابن إدريس: ٣٠١).

وَصُنْ وَجْهي عَنِ الطَّلَبِ إلَى أَحَد مِنَ الْعالَمينَ، وَذُبَّني[١] عَنِ الْتِماسِ ما عِنْدَ الْفاسِقينَ، وَلا تَجْعَلْني للظّالِمينَ ظَهيراً[٢]، وَلا لَهُمْ عَلى مَحْوِ كِتابِكَ يَداً[٣] وَلا نَصيراً[٤].

وَحُطْني[٥] مِنْ حَيْثُ لا أَعْلَمُ، حِياطَةً تَقيني بِها، وَافْتَحْ لي أَبْوابَ تَوْبَتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَرَأْفَتِكَ وَرِزْقِكَ الْواسِعِ.

إنّي إلَيْكَ مِنَ الرّاغِبينَ، وَأَتْمِمْ لي إنْعامَكَ، إنَّكَ خَيْرُ الْمُنْعِمينَ.

وَاجْعَلْ باقي عُمُري في الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ الكريم[٦] يا رَبَّ الْعالَمينَ، وَصَلَّى اللهُ[٧] عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الأبرار[٨] الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ، الأخيار[٩]، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ[١٠] أَبَدَ الآبِدينَ.

---

(١) في (ج) (د): «وذبّني»، وفي حاشية (ج) (د): «وذبّني - س»، وفي (رياض السالكين٧: ١٥٢): في نسخة: «وذبني» بضم الذال المعجمة وفتح الباء الموحدة المشدّدة من الذّب: وهو الدفع.

(٢) في حاشية (ج): «أي عونا».

(٣) في حاشية (ج): «أي قوّة».

(٤) كذا في (ت)، وفي غيرها: «ونصيرا»

(٥) في (س): «حاطه يحوطه حوطاً وحيطة وحياطة: أي كلأه ورعاه». (حاشية ابن إدريس: ٣٠١).

(٦) كلمة: «الكريم» من (ت).

(٧) في (ت): «وصل على».

(٨) كلمة: «الأبرار» من (ت).

(٩) كلمة: «الأخيار» من (ت).

(١٠) في (ت) العبارة هكذا: «السلام عليهم ورحمة الله وبركاته».

وختم الدعاء بوضوح الرؤية الإسلامية في الحياة وما يقتضيه ويستلزمه، وهي أُمور:

١ ـ زوال كل شك وشبهة في فكر الإنسان، والشك هو الارتياب، وهو خلاف اليقين، والشبهة: الالتباس بسبب ان الشيء يشبه الحق ظاهراً وليس كذلك واقعاً.

٢ ـ سلوك الحق؛ بأن يكون الحق هو الطريق الذي يسلكه الإنسان في حياته إلى نيل رحمة الله تعالى، قال الشارح المدني (ت/ ١١٢٠هـ): «اي بسبب كل رحمة لك أو طريق كائناً من كل رحمة، أو طريقا إلى كل رحمة عند من أثبت (من) بمعنى (إلى) وهم الكوفيون، واختاره ابن مالك في التسهيل، واستدلَّ له بصحّة قولك: تقرّبت منه، وهو بمعنى تقربت إليه»[١].

٣ ـ جزيل النوال، وهو العطاء الإلهي، والجزيل: العظيم من الشيء، وهو ما يقسمه الله على العباد من مواهبه، أي عطاياه.

٤ ـ وفرة الإفضال، والتوفير: الإعطاء من دون نقص، والإفضال: التفضّل بما لا يلزم المعطي، بأن يكون حظ الإنسان، أي نصيبه من الإحسان وافياً تاماً دون نقص.

٥ ـ وثوق القلب بما عند الله وحده.

٦ ـ الهمّ الخالص لله تعالى وحده، باستفراغ الجهد، أي استقصاء الطاقة لله تعالى.

٧ ـ العمل لله وحده، كما يعمل الخاصة المنقطعين إلى الله، واستعمال الله يعنى جعله عاملا للخير، والخالصة: من أخلص المحبة.

٨ ـ الطاعة لله وحده، بأن يشرب قلب الإنسان، أي يسقى ذلك حتى يعيش القلب حياة الطاعة لله وحده؛ فإنه عند ذهول العقول، أي غفلة الادراك والفكر

(١) رياض السالكين ٧: ١٤٦.

يرشد القلب المفعم بالطاعة إلى ما هو الصواب مما تلهمه القلوب النقية العامرة بالإيمان.

٩ ـ الغنى، وهو عدم الحاجة، ويكون غالباً بكثرة المال، مجتمعاً مع ما يأتي:

١٠ ـ العفاف، وهو الغلبة على الشهوات.

١١ ـ الدعة، وهي راحة العيش في الحياة.

١٢ ـ المعافاة، وهي زوال الاسقام والأمراض.

١٣ ـ الصحة، وهي الحالة الطبيعية للجسم.

١٤ ـ السعة، وهي الرزق بكثرة المال.

١٥ ـ الطمأنينة، وهي سكون النفس.

١٦ ـ العافية، وهي السلامة من المكروه في النفس والبدن والدين.

١٧ ـ عدم الاحباط للحسنات بسبب ما يشوبها من المعصية كالرياء والمنّ والأذى، التي تبطل الصدقات، فإن الإحباط هو الإبطال.

١٨ ـ عدم احباط الخلوات، وهي العبادات الّتي يقوم بها الإنسان على انفراد حينما يخلو بنفسه؛ فإن بطلانها يكون بما يعرض للإنسان من نزغات الفتنة، والنزغة: الدخول في الامر لافساده، فيكون فتنة، أي امتحاناً يمرّ بها الإنسان المؤمن للتغلب على نزغات الشيطان بنجاح.

١٩ ـ صيانة وجه الإنسان عن الطلب لما يحتاجه (إلى أحد من العالمين) مهما كان قريباً، فإن الحاجة في نفسها ذلّ يجب ان يترفع عنها الإنسان.

٢٠ ـ الذبّ، أي الدفع عن التماس ما عند الفاسقين، وهم من خرج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي؛ فإنهم لا يستجيبون للطلب إلّا بما يرجع إليهم من المنافع، وهي على الاغلب لا تكون الا بالنقيصة في دين الطالب ودنياه معاً.

٢١ ـ مقاطعة الظالمين. والظلم: مجاوزة الحد؛ فإن مساعدتهم بأن يصبح الإنسان ظهيراً لهم ولو بقلم مكسور يكون شريكا لهم في الظلم ومساهما في تقويض اساس الإسلام، وهو العدالة الّتي بشّر بها النبيّ ﷺ في العالمين، فيكون الظهير لهم (يداً ونصيراً) لهم على (محو) كتاب الله بنقض قانون العدل الذي أمر به، وبمقاطعتهم يسلم الإنسان من ذلك.

٢٢ ـ الحياطة الواقية، أي الصيانة الّتي تقي الإنسان من السقوط في المزالق في الحياة.

٢٣ ـ فتح باب التوبة، إعداداً للوصول إليها؛ بأن لا يغلق في وجه التائب بسبب عظم المعصية.

٢٤ ـ فتح باب الرحمة، بأن تشمل الإنسان الرحمة الإلهيّة في كلّ الأحوال.

٢٥ ـ فتح باب الرأفة، وهي أدق من الرحمة، ولا تكاد يقع الإنسان معها في المكروه.

٢٦ ـ فتح باب الرزق الواسع؛ لئلا يفتقر الإنسان إلى احد من المخلوقين.

وقد ختم هذا المقطع الاخير بجملتين يشيران إلى العلة في وضوح الرؤية للمطالب المتقدمة، وهما:

الأولى: (إني إليك من الراغبين) مؤكّداً على الرغبة إلى الله سبحانه دون غيره، وذلك بالتأكيد بحرف (ان) وتقديم الجار والمجرور (إليك)؛ فإن هذه الرغبة المركزة على الذات المقدسة علّة لهذه الرؤية الواضحة.

الثانية: (أتمم لي إنعامك، إنك خير المنعمين) فإن تمامية الإنعام هي علّة لهذه الرؤية، وبدون تمامية الإنعام لا تكون الرؤية واضحة تماماً، مؤكداً على أنه تعالى خير المنعمين.

وحيث إن هذا الدعاء ليوم عرفة، وهو الموقف الأعظم للحج، الذي تسبقه

العمرة في المناسك في أشهر الحرم، جعل ختام المسك في الدعاء بأن تكون هذه العبادة العظيمة في الحج الجاري وباقي العمر خالصة لوجهه الكريم، آمين رب العالمين.

انتهى الجزء الثاني من هذا الكتاب ويليه في الجزء الثالث

[الدعاء الثامن والأربعون]

الفهرس

[الدُّعاءُ السَادِس والعشرون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لِجِيرَانِهِ وَأَوليَائِهِ إِذَا ذَكَرَهُم ٥

١/٢٦ ـ حقوق الجوار ٥

٢/٢٦ ـ من واجبات الفرد ٨

٣/٢٦ ـ من واجبات الجار ١١

[الدُّعاءُ السابع والعشرون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام لأَهْلِ الثُّغُورِ ١٣

١/٢٧ ـ حقّ الخمس ١٣

٢/٢٧ ـ أُسس النصر ١٦

٣/٢٧ ـ وسائل الحماة ١٧

٤/٢٧ ـ وسائل روحية للحماة ١٩

٥/٢٧ ـ عند لقاء العدوّ ٢٠

٦/٢٧ ـ ضعف العدوّ ٢٢

٧/٢٧ ـ قمع العدوّ ٢٤

٨/٢٧ ـ قوّة المسلمين ٢٥

٩/٢٧ ـ نصر المسلمين ٢٧

١٠/٢٧ ـ أثر النصر ٢٨

١١/٢٧ ـ تفريق المشركين ٣٢

١٢/٢٧ ـ نقاط الضعف ٣٣

١٣/٢٧ ـ النصر الإلهي ٣٥

٢٧/ ١٤ ـ الغزاة المسلمون ومقوّمات النصر ٣٧
٢٧/ ١٥ ـ عند اللقاء ٤١
٢٧/ ١٦ ـ عند الشهادة ٤٢
٢٧/ ١٧ ـ عون الغزاة ٤٣
٢٧/ ١٨ ـ جزاء العون ٤٤
٢٧/ ١٩ ـ نيّة الغزو ٤٥
٢٧/ ٢٠ ـ الرسول القدوة ٤٧
[الدُّعاءُ الثَّامن والعشرون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام متفزّعاً إلى اللهِ جَلَّ وعَزّ ٤٩
٢٨/ ١ ـ صفات الفازع إلى الله ٤٩
٢٨/ ٢ ـ الاعتبار بالأغيار ٥١
٢٨/ ٣ ـ سبب الفزع ٥٢
٢٨/ ٤ ـ صفات المفزع ٥٣
[الدُّعاءُ التَّاسِع والعشرون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا قُتِرَ عَلَيهِ الرِّزقُ ... ٥٦
٢٩/ ١ ـ دعاء الرزق ٥٦
٢٩/ ٢ ـ والحل ٥٧
[الدُّعاءُ المتمّم للثلاثين]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي المعونة على قضاء الدَّيْن ٦٠
٣٠/ ١ ـ آثار الدين ٦٠
٣٠/ ٢ ـ أسباب الدين ٦٣
٣٠/ ٣ ـ علاج الدين ٦٥
[الدُّعاءُ الحَادِي والثلاثون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي ذِكْرِ التَّوبَةِ وَطَلَبِهَا .. ٦٧
٣١/ ١ ـ نداء التائب ٦٧
٣١/ ٢ ـ صفات التائب ٦٨
٣١/ ٣ ـ بين العفو والعقاب ٧٣

٣١/ ٤ ـ التوبة طاعة ٧٤
٣١/ ٥ ـ تقابل العبد والرب ٧٤
٣١/ ٦ ـ الثبات في الطاعة ٧٥
٣١/ ٧ ـ أنواع الذنوب ٧٦
٣١/ ٨ ـ ما يجب التوبة عنه ٧٩
٣١/ ٩ ـ في التبعات ٧٩
٣١/ ١٠ ـ عصمة الله ٨١
٣١/ ١١ ـ التوبة النصوح ٨١
٣١/ ١٢ ـ فضل الله ٨٢
٣١/ ١٣ ـ توبة الأعضاء ٨٣
٣١/ ١٤ ـ موجبات الرحمة ٨٤
٣١/ ١٥ ـ أنواع الرحمة ٨٥
٣١/ ١٦ ـ أهل الحماية ٨٦
٣١/ ١٧ ـ آثار التوبة ٨٨
٣١/ ١٨ ـ أثر الطاعة ٨٩
٣١/ ١٩ ـ الختم بالصلوات ٩٠
[الدُّعاءُ الثاني والثلاثون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل لنفسه في الاعتراف بالذنبِ ٩٢
٣٢/ ١ ـ من صفات الرب ٩٢
٣٢/ ٢ ـ صفات العبد ٩٦
٣٢/ ٣ ـ دور الشيطان وعلم الله بالدور ٩٨
٣٢/ ٤ ـ إخبار الله بالدور ٩٩
٣٢/ ٥ ـ استدراج الشيطان ١٠٠
٣٢/ ٦ ـ موقف العائذ ١٠١
٣٢/ ٧ ـ موقف الحياء ١٠٣

٨/٣٢ ـ مقام الاستحياء ١٠٦
٩/٣٢ ـ رحمتان ١٠٧
١٠/٣٢ ـ نعمة الخلق ١٠٩
١١/٣٢ ـ رزق الجنين ١١١
١٢/٣٢ ـ سوء الظن ١١٣
١٣/٣٢ ـ سهولة الرزق ١١٤
١٤/٣٢ ـ الاستعاذة من النار ١١٦
١٥/٣٢ ـ التعوّذ من عذاب النار ١١٨
١٦/٣٢ ـ الأمان من النار ١١٩
١٧/٣٢ ـ ختم الدعاء ١٢٠
[الدُّعاءُ الثالث والثلاثون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي الاسْتِخَارَةِ ١٢٢
الاستخارة: ١٢٢
١/٣٣ ـ أولاً: سبب الاستخارة ١٢٣
٢/٣٣ ـ ثانيا: آثار الاستخارة ١٢٤
٣/٣٣ ـ آثار عدم الاستخارة ١٢٥
٤/٣٣ ـ نتيجة الاستخارة ١٢٦
٥/٣٣ ـ ختام الاستخارة ١٢٨
[الدُّعاءُ الرابع والثلاثون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إِذَا ابْتُلِي أو رأى مبتلى بِفَضِيْحَة بذنب ١٣٠
١/٣٤ ـ الامتحان يكشف المساوئ ١٣٠
٢/٣٤ ـ أنواع المساوئ ١٣٢
٣/٣٤ ـ آثار الستر ١٣٣
٤/٣٤ ـ موجبات الستر ١٣٥

[الدُّعاءُ الخامس والثلاثون]: ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام في الرضا إذَا نَظَرَ إلى أصْحابِ الدُّنْيَا ١٣٧
٣٥/ ١ ـ أصحاب الدنيا ١٣٧
٣٥/ ٢ ـ فتنة الدنيا ١٣٨
٣٥/ ٣ ـ الشرف والعزة ١٣٩
٣٥/ ٤ ـ الثروة الدائمة ١٤١
[الدُّعاءُ السَادس والثلاثون]: ومِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا نَظَرَ إلى السّحَابِ والبرقِ وسَمِعَ صوتَ الرَّعد ١٤٣
٣٦/ ١ ـ دور السحاب والبرق في العالم ١٤٣
٣٦/ ٢ ـ آثار السحاب والبرق ١٤٥
٣٦/ ٣ ـ الأثر السلبي للسحاب ١٤٦
٣٦/ ٤ ـ الآثار الإيجابية للسحاب ١٤٧
٣٦/ ٥ ـ دعاء الحمد ١٤٩
[الدُّعاءُ السَّابع والثلاثون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر ١٥٢
٣٧/ ١ ـ دعاء الشكر ١٥٢
٣٧/ ٢ ـ قبول الشكر فضل ١٥٤
٣٧/ ٣ ـ استطاعة الشكر ١٥٤
٣٧/ ٤ ـ سنّة الافضال ١٥٦
٣٧/ ٥ ـ الكرم الشامل ١٥٨
٣٧/ ٦ ـ مدة العمل ١٦٠
٣٧/ ٧ ـ قيمة العمل]: ١٦١
٣٧/ ٨ ـ أسباب العمل ١٦٢
٣٧/ ٩ ـ وأما حال العاصي ١٦٣

١٠/٣٧ ـ الكرم الحقيقي ١٦٥
[الدُّعاءُ الثامن والثلاثون]: وكان من دعائِهِ عليه السلام في الاعتِذارِ مِنْ تَبِعاتِ العِبادِ ومِنَ التَّقْصيرِ في حُقُوقِهِم وفي فِكاك رَقبَتِهِ مِنَ النَّارِ ١٦٧
١/٣٨ ـ دعاء الاعتذار ١٦٧
٢/٣٨ ـ الندم على الزلّات ١٦٩
[الدُّعاءُ التاسع والثلاثون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي طلب العفو والرحمةِ ١٧١
١/٣٩ ـ طلب العفو والرحمة ١٧١
٢/٣٩ ـ العفو عن الناس ١٧٢
٣/٣٩ ـ عفو الناس عن الداعي ١٧٥
٤/٣٩ ـ عفو الله ١٧٧
٥/٣٩ ـ الأسوة الصالحة ١٧٩
٦/٣٩ ـ الحمد على العفو ١٨١
[الدُّعاءُ المتمّم للأربعين]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذا نعي إليه ميّت أو ذكر المَوْت ١٨٣
١/٤٠ ـ دعاء ذكر الموت ١٨٣
٢/٤٠ ـ ذكر الموت ١٨٥
٣/٤٠ ـ الموت المطلوب ١٨٧
[الدُّعاءُ الحادي والأربعون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام فِي طَلَبِ السِّتْرِ والوقايةِ ١٨٩
١/٤١ ـ طلب الستر والوقاية ١٨٩
٢/٤١ ـ طلب العفو والمغفرة ١٩٠
٣/٤١ ـ طلب التشريف والتكريم ١٩٠
[الدعاء الثاني والأربعون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام عند ختم القرآن ١٩٣
١/٤٢ ـ فضائل القرآن ١٩٣
٢/٤٢ ـ التلاوة والرعاية ١٩٦

٤٢/ ٣ ـ القرآن الكامل ١٩٧
٤٢/ ٤ ـ التصديق بالقرآن ١٩٨
٤٢/ ٥ ـ هدى القرآن ١٩٩
٤٢/ ٦ ـ القرآن وسيلة ٢٠٠
٤٢/ ٧ ـ من آثار القرآن: التطهير ٢٠٢
٤٢/ ٨ ـ ومن الآثار: كونه نبراساً ٢٠٣
٤٢/ ٩ ـ ومن الآثار: كونه متراساً ٢٠٥
٤٢/ ١٠ ـ آثار القرآن في الجانب الاقتصادي ٢٠٦
٤٢/ ١١ ـ آثار القرآن عند الموت ٢٠٨
٤٢/ ١٢ ـ آثار القرآن في القبر ٢١٠
٤٢/ ١٣ ـ آثار القرآن في يوم القيامة ٢١١
٤٢/ ١٤ ـ طلب الحُسنى من الله ٢١٢
٤٢/ ١٥ ـ الدعاء للنبيّ ﷺ ٢١٣
٤٢/ ١٦ ـ طلب التشريف للنبيّ ﷺ ٢١٦
٤٢/ ١٧ ـ طلب التفضيل للنبيّ ﷺ ٢١٧
٤٢/ ١٨ ـ جزاء الرسالة ٢١٨

[الدُّعاءُ الثالث والاربعون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام إذَا نَظَرَ إِلَى الهِلَالِ .. ٢٢١

دعاء الهلال: ٢٢١
٤٣/ ١ ـ آثار الهلال ٢٢١
٤٣/ ٢ ـ الولادة الجديدة للقمر ٢٢٤
٤٣/ ٣ ـ المسؤولية الجديدة ٢٢٨

[الدُّعاءُ الرابع والأربعون]: وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ ٢٣١

٤٤/ ١ ـ الدعاء لحلول شهر رمضان ٢٣١

٤٤/ ٢ ـ سبل الهداية ٢٣٢
٤٤/ ٣ ـ شهر رمضان ٢٣٣
٤٤/ ٤ ـ فضيلة شهر رمضان ٢٣٤
٤٤/ ٥ ـ ليلة القدر ٢٣٧
٤٤/ ٦ ـ مسؤوليّات الصائم ٢٣٨
٤٤/ ٧ ـ الطاعات ٢٤٢
٤٤/ ٨ ـ نتيجة الطاعات ٢٤٦
٤٤/ ٩ ـ الدعاء بالقبول ٢٤٧
٤٤/ ١٠ ـ الدعاء باجتناب المعاصي ٢٤٩
٤٤/ ١١ ـ طلب العفو ٢٥٠
٤٤/ ١٢ ـ التكامل الروحي ٢٥٢
٤٤/ ١٣ ـ مواهب الرب ٢٥٣
٤٤/ ١٤ ـ مسؤوليات العبد ٢٥٣
٤٤/ ١٥ ـ سائر الشهور والأيّام ٢٥٤
٤٤/ ١٦ ـ ختام الدعاء ٢٥٥
[الدُّعاءُ الخامس والأربعون]: وكان مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي وَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان ٢٥٧
٤٥/ ١ ـ دعاء وداع رمضان ٢٥٨
٤٥/ ٢ ـ باب التوبة ٢٦٢
٤٥/ ٣ ـ مفاتيح العفو الإلهي ٢٦٣
٤٥/ ٤ ـ الشكر والدعاء ٢٦٥
٤٥/ ٥ ـ الحمد لله وحده ٢٦٨
٤٥/ ٦ ـ خصائص شهر رمضان ٢٧٠
٤٥/ ٧ ـ خصيصة الأمّة الإسلامية ٢٧١
٤٥/ ٨ ـ وَداع رمضان ٢٧٣

٩/٤٥ ـ سلام الوداع ٢٧٥

١٠/٤٥ ـ من آثار شهر رمضان ٢٧٧

١١/٤٥ ـ خصائص أُخرى ٢٧٨

١٢/٤٥ ـ القصور والتقصير ٢٨٢

١٣/٤٥ ـ كفارة الذنوب ٢٨٥

١٤/٤٥ ـ جبران ما فقد ٢٨٦

١٥/٤٥ ـ تزامن الجبران مع الفقدان ٢٨٨

١٦/٤٥ ـ الهبة بالمثل ٢٨٩

١٧/٤٥ ـ من موارد الجبران ٢٩١

١٨/٤٥ ـ التوبة في العيد ٢٩٢

١٩/٤٥ ـ نتيجة التوبة ٢٩٣

٢٠/٤٥ ـ دعاء الصالحين ٢٩٤

٢١/٤٥ ـ الصلوات على النبي وآله ٢٩٥

[الدُّعاءُ السادس والأربعون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في يوم الفطر إذا انصرف من صلاته قام قائماً ثمّ استقبل القبلة وفي يوم الجمعة، فقال .. ٢٩٧

١/٤٦ ـ صفات إلهيّة ٢٩٧

٢/٤٦ ـ صفات المخلوقات ٣٠٠

٣/٤٦ ـ صفات واجب الوجود ٣٠٣

٤/٤٦ ـ حال المسيئين ٣٠٥

٥/٤٦ ـ الحجّة القائمة ٣٠٧

٦/٤٦ ـ أبديّة الحجّة ٣١١

٧/٤٦ ـ حالة الداعي ٣١٣

[الدعاءُ السابع والأربعون]: وكان مِنْ دُعائِهِ عليه السلام في يوم عرفة ٣١٦

١/٤٧ ـ دعاء يوم عرفة ٣١٦

٤٧/٢ ـ صفات الله تعالى ٣١٨
٤٧/٣ ـ خلق المخلوقات ٣٢١
٤٧/٤ ـ الذات المقدسة ٣٢٢
٤٧/٥ ـ تسبيح الله تعالى ٣٢٥
٤٧/٦ ـ حمد الله ٣٣١
٤٧/٧ ـ الصلاة على محمّد وآل محمّد ٣٣٧
٤٧/٨ ـ الصلاة على أهل بيت النبيّ ﷺ ٣٤٢
٤٧/٩ ـ أنواع الصلوات ٣٤٣
٤٧/١٠ ـ خصائص الإمام ٣٤٦
٤٧/١١ ـ عناية الله ٣٥٠
٤٧/١٢ ـ مسؤوليات الإمام ٣٥١
٤٧/١٣ ـ مسؤوليات المسلمين ٣٥٤
٤٧/١٤ ـ الأولياء والأنصار ٣٥٥
٤٧/١٥ ـ تشريف يوم عرفة ٣٥٨
٤٧/١٦ ـ حالات الداعي ٣٥٩
٤٧/١٧ ـ موجبات العقاب والعفو ٣٦١
٤٧/١٨ ـ الطلب في يوم عرفة ٣٦٤
٤٧/١٩ ـ من مستوجبات العفو ٣٦٥
٤٧/٢٠ ـ صفات السائل ٣٦٦
٤٧/٢١ ـ المعترف الخاطئ ٣٦٩
٤٧/٢٢ ـ الشفاعة ٣٧١
٤٧/٢٣ ـ طوائف التائبين ٣٧٣
٤٧/٢٤ ـ اليقظة للمثبّطات ٣٧٥
٤٧/٢٥ ـ طريق النجاة ٣٧٨
٤٧/٢٦ ـ من فضل الله ٣٨٣

٤٧/ ٢٧ ـ مواهب الله ٣٨٥
٤٧/ ٢٨ ـ من واجبات الإنسان ٣٨٨
٤٧/ ٢٩ ـ موجبات الرحمة ٣٩٠
٤٧/ ٣٠ ـ طلب الرحمة في الدنيا والآخرة ٣٩١
٤٧/ ٣١ ـ آثار الطاعات ٣٩٦
٤٧/ ٣٢ ـ قبول الطاعات ٤٠٠
٤٧/ ٣٣ ـ وضوح الرؤية ٤٠٦